

297.3: I136mA

V.1

C.2

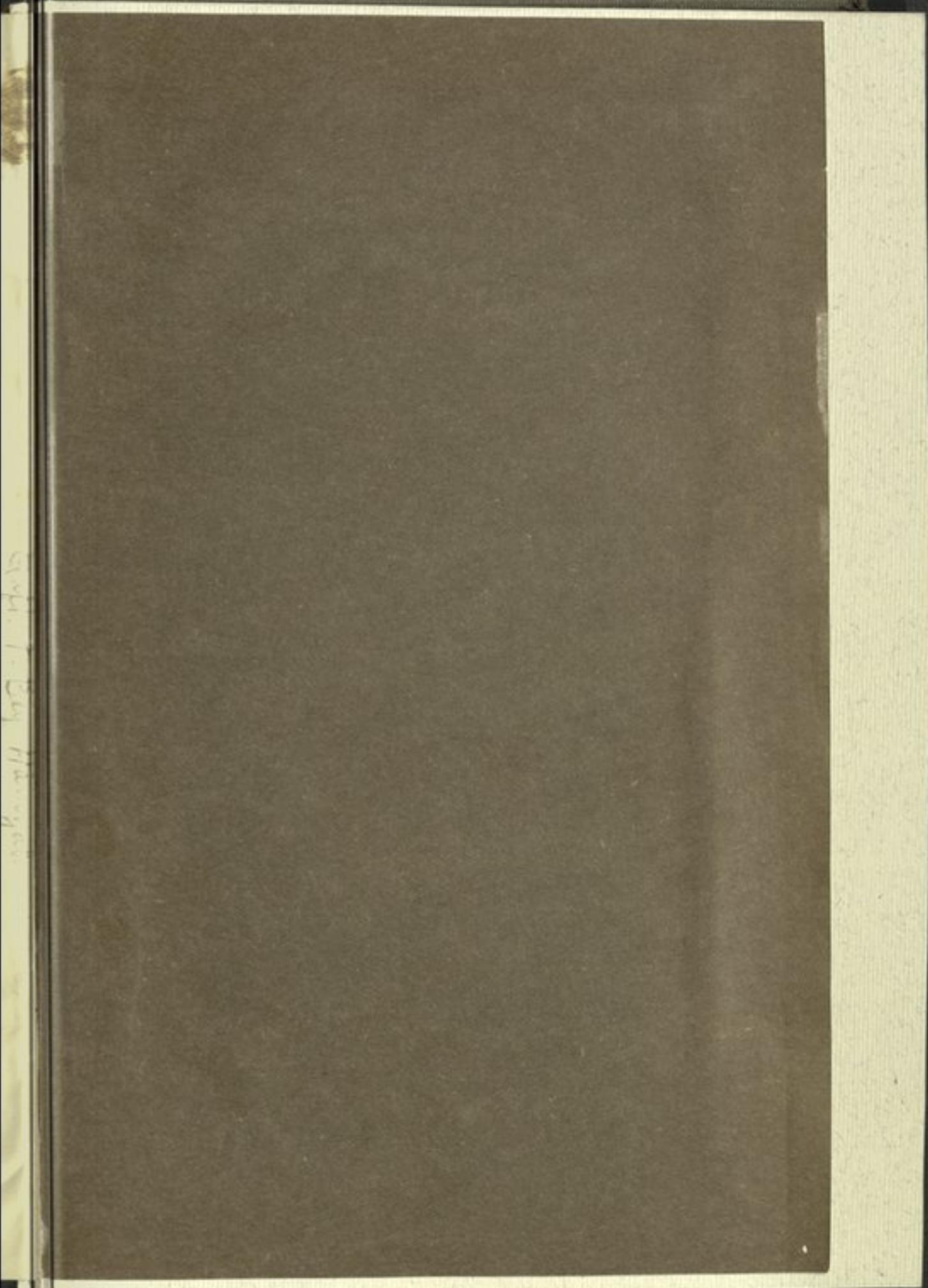
ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد  
بن أبي بكر. اتف المرسلة على الجهة

75 - 00 12.00

297.3  
I136mA  
V.1 C.2

J. LIB  
1 OCT 1979

NEW ARRIVAL



297.3  
I 136mA  
v.1  
c.2

مختصر

الكتفول الأعلم الأول المطلة

باب الفتن

ابن قيم الجوزية

الإمام أبو محمد بن أبي بكر عز الدين قسم الجوزية

اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي عن الله عنه آمين

\*\*\*\*

(بني بتصحيفه)

محمد حافظ الفقير

الجزء الأول ١

48659

طبع بنفقة

المطبوعة السلفية - ومكتبة

لأصحابها : عبد الصاحب فؤاد و محمد صالح نصيف و مركبة

عاصفة المكرمة «البيان»

## صححة الطرائف

منقوله من كتاب المقصد الارشاد في تراجم اصحاب الامام احمد  
لابن ابراهيم بن محمد بن مفلح المدرسي الخبلي

قال : محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرعى ثم الدمشقى الفقيه الاصولى ،  
المفسر ، النحوى العارف شمس الدين ابو عبد الله بن قيم الجوزية سمع من القاضى  
تقي الدين سليمان ، وفاطمة بنت حريم ، وعيسى المعلم ، وابي بكر بن عبد الدايم  
وجماعة . وفقه فى المذهب وافقى ، ولا زم الشیخ تقي الدين واخذ عنه وتفنن فى  
علوم الاسلام . كان عارفا بالتفسیر ، وبأصول الدين والفقه ، وله اعتناء بعلم الحديث  
والنحو وعلم الكلام والسلوك . وقد اثنى عليه الذهبي ثناء كثيرا ، وقال برهان  
الدين الزرعى اما نجح اديم السماء اوسع علمها منه ، ودرس بالصدورية وغيرها ، ولف  
كتباً حساناً في علوم شتى . توفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين  
وسبعين وصلى عليه من الغد بالجامع الاموي ودفن بمقبرة باب الصغير وشيعه خلق  
كثير ورئيت له منامات حسنة رحمه الله تعالى

وقال السير نعماه الاولى اليفرارى فى كتاب جملة العينين :

هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن بكر بن ايوب بن سعد الزرعى ثم  
الدمشقى الفقيه الخبلى المفسر النحوى الاصولى المشكل الشهير بابن قيم الجوزية  
قال فى الشذرات بل هو المجتهد المطلق . قال ابن رجب ولد شيخنا سنة احدى  
وستين وسبعين ولا زم الشیخ تقي الدين بن تيمية واخذ عنه وتفنن في كافة علوم  
الاسلام وكان عارفا في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيه المتنى ،  
 وبالحديث ومعانيه وفته ، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك ، وبالفقه ، والأصول  
والعريقة ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف . حبس مدة لانكاره  
جد الرحيل الى قبر اخليل ، وكان ذا غبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية الفضوى

ولم اشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الایمان ، وليس هو بالعصوم ، ولكن لم ار في معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه <sup>ن</sup>شيخ الاسلام نقى الدين في المرة الاخيرة بالقلعة منفردا عنه ، ولم يفرج عنه الا بعد موته <sup>ن</sup>الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب ظالم من الاذواق والمواجيد الصحيحة وسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم اهل المعرفة والملوّض في غواصهم ، وتصانيفه متلئه بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بعكة ، وكان اهل مكة يتعجبون من كثرة حلوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيده النونية في السنة ، بواسيماء من تصانيفه غيرها ، واحد عنده العلم خلق كثير في حياة شيخه الى ان مات واتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعى ، وما تحت اديم السماء او سعى علماً منه ، ودرس بالصدرية ، وام بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جدا في انواع العلوم ، وحصل له من السكتب مالم يحصل الغيره . فمن تصانيفه : تهذيب سنن أبي داود وابياضح مشكلاته . وسفر الهرجتين . ومراحل السائرتين . والكلام الطيب . وزاد المسافرين . وزاد المدارج بمعاجلات وهو كتاب جليل . وكتاب نقد المنقول . واعلام الموقعين عن رب العالمين . وبدائع الفوائد . والنونية الشهيرة بالشافية الكافية . والصواتق المرسلة على الجممية والمعطلة وهو هذا الكتاب . وحادي الارواح الى بلا الدلاراح . وترزه المشتاقين . والدأء والدواء . ومنفتح دار السعادة . واجتماع ابايرش الاسلامية . والفارق الحكمة . وعد الصابرين . واغاثة الماءفات . والروح . والصراط المستقيم . والفتح القدسي . والتحفة الملكية . والذراوي وغير ذلك نوفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعينه ودفن بقربة الباب الصغير بعد أن صلي عليه بوضع عديدة . وكان قد رأى قبل موته شيخه نقى الدين في النوم وسأله عن منزلته فأبشاره الى علوها فوق بعض الاكابر . ثم قال له وانت كدت بتتحقق بنا ، ولكن انت الان في طبقة ابن خزيمة رحهم الله تعالى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .  
الحمد لله نحمده . ونستعينه ونسأله ونستغفره ، ونعوده من شرور أنفسنا  
ومن سوءات أعمالنا . من يهد الله فهو المهدي . ومن يضل فلا هادي له  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده  
ورسوله . بعثه الله تعالى بين يدي الساعة بشيرًاً ونذيرًاً . وداعيًا إلى الله  
بادئه ومراجعاً منيراً . فنوح به أعينًا عمياً . وأذا صفا . وقاوبًا غلفاً : وأقام  
به آلة العوجاء . بأن قلوا لا إله إلا الله . صلوات الله وسلامه عليه .  
وعلى الله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(أما بعد) فهذا استعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .  
انتخابية من كلام شيخ الإسلام . وقدوة الانام ، ناصر السنة (شمس الدين  
أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية) رحمه الله تعالى

(اعمل) أن الله تعالى بعث رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم  
وأهل الأرض أحوال إلى رسالته من غيث السماء ومن نور الشمس الذي  
يذهب عنهم حنادس الظلماء ، فضرورتهم إليها أعظم الفرورات ، و حاجتهم  
إليها مقدمة على جميع الحاجات . فإنه لا حياة لقلوب ، ولا سرور ولا لذة  
ولا نعم ولا أمان إلا بأن تعرف ربها ومعبدها وفاطرها بأسمائه وصفاته

وأفعاله ، ويكون ذلك أحب إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه ومن الحال أن تستقل العقول البشرية بادرأك ذلك على التفصيل ، فاقتضت حكمة العزير العليم ، بأن بعث الرسل به معرفين ، واليه داعين ، وان أجابهم مبشرين ، وان خالفهم منذرین . وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة العبود بسبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله . وعلى هذه المعرفة تبني مطالب الرسالة جميعها ، فإن الخوف والرجلاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع العبود . ولما كان مفتاح الدعوة الألهية معرفة الرب تعالى قال أفضل الداعين إليه لعاذ بن جبل ، وقد أرسله إلى اليمن « انك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والمائة » - الحديث « وهو في الصحيحين ، والنفظ أسلم . وقد نزل سبحانه نفسه بن غير ما يصفه به المرسلون فقال ( سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَإِلَهُكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) فنثره نفسه بما يصفه به الخلق . ثم سلم على المرسلين اسلامة ما وصفوه به من النقاوص والعيوب . ثم مد نفسه على تفرده بالاوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد

( ومن هنا ) أخذ إمام السنة محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله خطابة كتابه <sup>(١)</sup> حيث قال « الحمد لله الذي هو كاوصف نفسه و فوق ما يصفه خلقه » فأثبتت بهذه الكلمة أن صفاته إنما تلتقي بالسمع لا بأراء الخلق ،

( ١ ) الرسالة في الاصول وهذه الجلة ليست في أول الخطبة

وأن أوصافه فوق ما يصفه به الخلق . وقد شهد الله سبحانه أنه لن يرى أن ما جاء به الرسول من عند الله هو الحق ، لا آراء الرجال بالعلم . فقال تعالى ( وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ وَهُدِيَ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْجَمِيلِ ) وقال تعالى ( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ تَحْقِيقٌ كَمَنْ هُوَ أَعْنَى ) فلن تعارض عنده ملائكة به الرسول وآراء الرجال فقدمها عليه أو توقف فيه أو قدحت في كمال معرفته فهو

### أعمى عن الحق

وقد أخبر الله تعالى عن رسوله عليه السلام انه قال ( قُلْ هُنْدُرِ سَادِيِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي ) وأخبر تعالى عنه أنه سراج منير ، وأنه هاد إلى صراط مستقيم ، وبأن من اتبع النور الذي أنزل معه هو الفلاح لغيره ، وإن من لم يحكمه في كل ما تنازع فيه انتقامون وينقاد لحكمه ، ولا يكون عنده حرج منه فليس بهؤمن . فكيف يجوز على من أخبر الله تعالى عنه بما ذكر أن يكون قد أخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بما الهدى في خلاف ظاهره ، والحق في اخراجه عن حقائقه وحمله على وحشى اللغات ومستكرهات التأويلات ، وإن حقاقيه ضلال وتشبيه وإلحاد ، وأن الهدى والعلم في مجازه وآخرجه عن حقائقه ؟ وأحال الأمة فيه على آراء الرجال المتحيرين وعقول المتهوكيين <sup>(١)</sup> فيقول : إذا أخبرتكم عن الله وصفاته العلي بشيء فلا تعتقدوا حقيقته ، وخذلوا معرفة مرادي به من آراء الرجال ومعقولها ، فإن الهدى والعلم فيه ؟

معاذ الله ، فإنه لو خرج عن ظاهره بتأويل المتأولين اتفقى عرى  
الإيمان كلها ، وكان لاتشاء طائفة من طوائف أهل الضلال أن تتأول  
النصوص على مذهبها إلا وجدت السبيل إليه  
(والقصد) أن الله تعالى أكلَّ الرسول ولا مته به دينهم وأتم  
عليهم به نعمته . ويمال مع هذا أن يدع ما خلق له الخلق وأرسلت به  
الرسُل وأنزلت به الكتب ونصبت عليه القبلة وأسست عليه الملة ،  
وهو باب الإيمان به ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ملتبساً  
مشتبهاً حقه بياطله لم يتكلم فيه بما هو الحق بل تكلم بما هو الباطل  
والحق في إخراجه عن ظاهره ، فكيف يكون أفضل الرسل وأجل  
الكتب غير واف بتعريف ذلك على أتم الوجوه ، وبين له بأكمل البيان ،  
موضح له غاية الإيضاح ، مع شدة حاجة النفوس إلى معرفته ، وهو  
أفضل ما اكتسبته النفوس وأجل ما حصلته القلوب

ومن الحال أن يكون صلي الله عليه وسلم قد نعلمهم آداب الغائط ،  
قبله وبعده و معه ، وآداب الوطء والطعام والشراب ، ويترك أن يعلمهم  
ما يقولونه بالسنن ويعتقدونه بقولهم في ربهم وعبودهم الذي معرفته  
غاية المعرف ، والوصول إليه أتم المطالب ، وعبادته وحده لا شريك له  
أقرب الوسائل ، ويخبرهم بما ظاهره ضلال وإلحاد ، ويخيلهم في فهم  
ما أخبر به عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويل  
وما تحكم به عقولهم هذا . وهو القائل « ترككم على البيضاء ليها  
كثوارها لا يزيغ عنها إلا هاتك » وهو القائل « ما بعث الله من نبي إلا

كان حقًا عليه أن يدل امته على خير ما يعلمه لهم وبهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وقال أبو ذر « لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طار يقلب جنابيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما » وقال عمر بن الخطاب « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاما ، فذكر بهذه الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونبيه بن نبيه » ذكره البخاري . فكيف يتوهם من الله ورسوله في قلبه وقار أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امسك عن بيان هذا الامر العظيم ولم يتكلّم فيه بالصواب ؟ معاذ الله ، بل لا يتم الاعلان إلا ببيان يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك اتم البيان وأوضّه غاية الايضاح ، ولم يدع بعده لفائل مقاولا ولا لتأويل تأويلا . ثم من الحال أن يكون خير الامة وافضليها واسبقها الى كل خير قصرروا في هذا الباب بفروعه ، او تجاوزوا فغلوا فيه . وإنما ابتلي من خرج عن منهاجهم بهذه الداءين

وقال شيخنا قدس الله روحه : وحال في هؤلاء المبتدةءة الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم اراد الله ورسوله منها واعتقدوا أنهم بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ( وَمِنْهُمْ أَمِيَّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَّانِي ) وأن طريقة الآخرين هي استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستكرهات التأويلات . فهذا الظن الفاسد اوجب تلك المقالة التي

مضمونها نبذ الكتاب والسنّة وأقوال الصحابة والتلابين وراء ظهورهم . فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم . وبين الجهل والضلالة بتصويب طريقة الخلف . وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليه هذه النصوص . فاما اعتقدوا التعطيل واتقاء الصفات في نفس الأمر ورأوا انه لابد للنصوص من معنى بقوا متربدين بين الاعيان باللفظ وتفويض المعنى . وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم ، وبين صرف اللفظ عن حقيقته وماوضع له الى مالم يوضع له ولا دل عليه بأنواع من المجازات . وبانكلافات التي هي بالالفاظ والاحاجي اشبه منها بالبيان والهدى ، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والجهل بالسمع فلا عقل ولا سمع ، فان النبي واتعטيل انما اعتمدوا فيه على شبہات فلسدة ظنواها معمولات وحرفوا لها النصوص السمعية عن مواضعها . فاما ابني امرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجبار السابقين الذين هم اعلم الامة بالله وصفاته ، واعتقاد انهم كانوا امينين بنزلة الصالحين البليه الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله وان اختلف هم العلاماء الذين احرزوا قصبات السبق واستولوا على الغاية وظفروا من الغنية بما فات السابقين الاولين ، فكيف يتوهם من له ادنى مسكة من عقل وایمان ان هؤلاء المتحيرين الذين كثروا في باب العلم بالله اضطرا بهم ، وغاظ عن معرفة الله حجا بهم ، وخبر الواقع على<sup>(١)</sup> سهيات اقدامهم بما تتعه اليه من مرامهم وانه الشك والحقيقة حيث يقول :

(١) هو الشهيرستاني في أول كتابه

لعمري لقد طفت العاهد كلها \* وسيرت طرفي بين تلك المعامِل  
فلم ار إلا واضعاً كف حائر \* على ذفن او قارعاً سُن نادم  
ويقول الآخر<sup>(١)</sup>

نهاية اقدام العقول عقال \* واكثر سعي العالمين ضلال  
وارواحنا في وحشة من جسومنا \* وغاية دنيانا اذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول دهرنا \* سوى ان جعنافيه قيل وقالوا  
وقال الآخر « لقد خضت البحر الخضم وترك اهل الاسلام  
وعلومهم وخضت في الذي فهو في عنه والآن ان لم يتداركني رب برحمته  
فالو يليلي . وهذا انا اذا اموت على عقيدة امي » وقال الآخر « اكثر الناس  
شك عند الموت ارباب الكلام .. وقال آخر منهم « اشهد درا على اني  
اموت وما عرفت شيئاً إلا ان المكن مفترى الى واجب » ثم قال  
« والا فتخار امر عدي فلم اعرف شيئاً » وقال آخر ، وقد نزلت به نازلة  
من سلطانه فاستغاث برب الفلسفه فلم يغاث قال : فلست غاث برب  
الجميمة فلم يغاثي . ثم استغاث برب القدرية فلم يغاثي ثم ، استغاث برب  
العزلة ، فلم يغاثي قال : فلست غاث برب العامة فاغاثني

## فصل

في بيانه هقيقة النّاؤبل لغة واصطلاحها

هو تعديل من آل يؤل إلى كذا إذا صار إليه ، فالنّاؤبل : التصوير ،

(١) هو أبو عبدالله الرازى في غير موضع من كتبه مثل كتاب أقسام المذات

وأولنه تأويلاً إذا صيرته إليه، قال وتأول وهو مطابع أولته. وقال الجوهري :  
 التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً وتأولته بمعنى. قال الأعشى :  
 على أنها كانت تأول جهها • تأول رب العقب فاصحبا  
 قال أبو عبيدة في تفسير جهها ، ومرجعه إلى أنه كان صغيراً في  
 قلبه فلم ينزل يشب حتى صار قدماً هكذا ، كالسبق الصغير لم ينزل يشب  
 حتى صار كبيراً مثل أمه وصار له ابن يصحبه <sup>(١)</sup> انتهى كلامه  
 ثم تسمى العاقبة تأويلاً لأن الامر يصير إليها . قال الله تعالى  
 (فَإِن تَنَازَرْ عَنْمَ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) وتسمي حقيقة الشيء المخبر به  
 تأويلاً لأن الامر ينتهي إليه ومنه قوله تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ  
 يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)  
 فنجي تأويلاً مجني نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد  
 وتفاصيله والجنة والنار . ويسمى تعبير الرؤيا تأويلاً بالاعتبارين فإنه تفسير  
 لها وهو عاقبتها وما تؤول . إليه وقال يوسف لايده (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ  
 رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) أي حقيقتها ومصيرها إلى هاهنا . انتهى  
 وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلاً لأنها بيان  
 لقصد الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به . ومنه

(١) كذا بالأصل والذى فى لسان العرب قال أبو عبيدة : تأول جهها ، أي  
 تفسيره ومرجعه ، أي أن جهها كان صغيراً في قلبه فلم ينزل يشب حتى أصبح  
 فصار قدماً كهذا السبق الصغير لم ينزل يشب حتى صار كبيراً مثل أمه ،  
 وصار له ابن يصحبه . والسبق (فتح السين) ولد الناقة ، أو ساعة يولد ، او خاص بالذكر

قول الخضر لموسى . بعد ان ذكر له الحكمة القصودة بما فعله من تخريب السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار بلا عوض ( سَأَنْبُئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) فلما اخبره بالعملة الغائية التي انتهى اليها فعله قال ( ذَاكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) فلتاويل في كتاب الله تعالى اراد منه حقيقة المعنى الذي يؤول الفظاليه وهي الحقيقة الموجودة في الخارج . فان الكلام نوعان : خبر وطلب . فتاویل الخبر هو الحقيقة . وتأویل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به . وتأویل ما الخبر الله به من صفات العلي وافعاله نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات العلي . وتأویل الامر هو نفس الافعال المأمور بها . قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في رکوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » يتاول القرآن بهذا التأویل هو فعل نفس المأمور به . فهذا هو التأویل في كلام الله ورسوله

واما التأویل في اصطلاح اهل التفسير والسلف من اهل الفقه والحديث فرادى به معنى التفسير والبيان . ومنه قول ابن جرير وغيره : القول في تأویل قوله تعالى كذ وكذا . ومنه قول الامام احمد في الرد على الجهمية « فيما تأولته من القرآن على غير تأویله » فابطل تلك التأویلات التي ذكرها وهو تفسيرها اراد بها . وهو تأويلاها عنده فهذا التأویل يرجع الى فهم المؤمن ويحصل في الذهن والاول يعود الى وقوع حقيقته في الخارج

واما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فرادهم بالتأويل صرف الملفظ عن ظاهره ، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرین من اهل الاصول والفقه ، ولهذا يقولون : التأويل على خلاف الأصل ، والتأويل يحتاج الى دليل . وهذا التأويل هو الذي صنف في تسویغه وابطاله من الجانبيين .  
فمن صنف في ابطال التأويل على رأي المتكلمين القاضی ابو يعلى والشيخ موفق الدين ابن قدامة . وقد حکي غير واحد إجماع السلف على عدم القول به

ومن التأويل الباطل تأويل اهل الشام قوله صلی الله علیہ وسلم لumar « نقتلك الفئة الباگية » فقالوا : نحن لم نقتلهم ، إنما قتلهم من جاء به حتى اوقعه بين رماحنا . وهذا التأويل مختلف لحقيقة الملفظ وظاهره ، فان الذي قتلهم هو الذي باشر قتله لا من استنصر به ، ولهذا رد عليهم من هو اولى بالحق والحقيقة منهم فقالوا : افيكون رسول الله صلی الله علیہ وسلم واصحابه هم الذين قتلاوا حزرة والشهداء معه . لأنهم اتوا بهم حتى اقعدهم تحت سیوف المشركين ؟ ومن هذا قول عروبة بن الزبير ما روی حديث عائشة « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فزيد في صلاة الحضر واقتصرت صلاة السفر » فقيل له : فابالعائشة انت في السفر ؟ قال : تأولت كما تأول عمان . وليس مراده أن عائشة وعمان تأولا آية القصر على خلاف ظاهرها . وإنما مراده أنها تأولا دليلا قام عندهما اقتضى جواز الاعام فعملا به . فكان عملا بها هو تأويلا ، فان العمل بدليل الامر هو تأويلا

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فَسُبْحَانَ رَبِّكَ  
وَأَسْتَغْفِرُهُ) بامثاله بقوله « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »  
فكأن عائشة وعثمان تأولا قوله تعالى (فَإِذَا أَطَأْتُمْ فَاقْرِبُوهَا الصَّلَاةَ)  
فإن اتّمامها من إقامتها . وقيل : تأولات عائشة أم المؤمنين وأن امهما  
حيث كانت فكانها مقيمة بينهم ، وإن عثمان كان أمّاً للمسلمين حيث كان  
 فهو منزله ، أو انه كان قد عزم على الاستيظان به ، أو انه كان قد تأهل بها ،  
ومن تأهل بذلك لم يثبت له حكم المسافر ، أو ان الأعراب كانوا قد كثروا  
في ذلك الموسم فأحب أن يعلمهم فرض الصلاة وأنها أربع ، او غير ذلك  
من التأويلات التي ذكرها ادلة مقيدة لطلق القصر ، او مخصوصة لعمومه ،  
وان كانت كلها ضعيفة . والصواب هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فإنه كان أمّاً للمسلمين وعائشة أم المؤمنين في حياته ومماته وقد قصرت  
معه ، ولم يكن عثمان ليقيم بذلك وقد باعه ان رسول الله صلى عليه وسلم  
انما دخل في الاقامة بها للمهاجرين بعد قضاء نسكهم ثالثاً ، والمسافر  
إذا تزوج في طريقه لم يثبت له حكم الاقامة بمجرد التزوج ما لم  
يزمّع الاقامة

وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به  
السنة هو التأويل الصحيح وغيره هو الفاسد  
والتأويل الباطل انواع . (احدها) ما لم يتحتم له الانفاظ بوضع التأويل  
الثاني <sup>(١)</sup> قوله صلى الله عليه وسلم « حتى يضع رب العزة فيما قدمه »

(١) كذا وعله (بوضعه الاول مثل تأويل) وقد جاء لفظ الرجل في بعض الروايات

بان الرجل جماعة من الناس ، فان هذا شيء لا يُعرف في شيء من لغة العرب  
البته (الثاني) ما لم يحتمله اللفظ يبنيته الخاصة من ثنائية أو جم ، وان احتمله  
مفردا كتأويل قوله (الخلافت بيدي ) بالقدرة . (الثالث) ما لم يحتمله سياقه  
وتركيبة وان احتمل في غير ذلك السياق كتأويل قوله ( هل يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ  
تَأْتِهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِنَّ رَبُّكُمْ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكُمْ ) بان اتيان الرب  
اتيان بعض آياته التي هي امر ، وهذا يأباد السياق كل الاباء فإنه يتبع حمله على ذلك  
مع التقسيم والتنوع والترديد . وكتأويل قوله « انكم ترون ربكم عيانا كما  
ترون القمر ليلة البدر صحو ، ليس دونه سحاب ، وكما ترون الشمس في  
الظيرة صحو ليس دونها سحاب » فتأويل الرؤية في هذا السياق بما يخالف  
حقيقة وظاهرها في غاية الامتناع ، وهو رد وتكذيب يستتر صاحبه بالتأويل  
( الرابع ) ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب وان الف  
في الاصطلاح الحادث ، وهذا موضع ذات فيه أقدام كثير من الناس حيث  
تاولوا كثيرًا من الفاظ النصوص بمالهم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب  
البته ، وان كان معهوداً في اصطلاح المؤمنين . وهذا مما ينافي التنبه له فإنه  
حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل كتأولت طائفة قوله  
تعالى ( فَلَمَّا أَفَلَ ) بالحركة ، وقالوا : استدل بحركته على بطلان روایته ، ولا  
يُعرف في لغة العرب التي نزل بها القرآن ان الافال هو الحركة في موضع  
واحد البته . وكذلك تأويل الاحد بأنه الذي لا يتميز منه شيء عن شيء  
البته . ثم قالوا : لو كان فوق العرش لم يكن احداً ، فأن تأويل الاحد بهذا المعنى

لا يعرفه احد من العرب ولا أهل اللغة إنما هو اصطلاح الجهمية والفالسفة والمعزلة وهن وافقهم ، وكتأ ويل قوله (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) بان المعنى اقبل على خلق العرش فان هذا لا يعرف في لغة العرب ولا غيرها من الامم ، لا يقال ان اقبل على الرحيل استوى عليه ، ولا ان اقبل على عمل من الاعمال من قراءة او دراسة او كتابة او صناعة قد استوى عاليها وهذا التأويل باطل من وجوه كثيرة سند كرها بعد ان شاء الله تعالى ، لوم يكن منها إلا تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب هذا التأويل لكفاه . فإنه ثبت في الصحيح « ان الله قدر مقدار الخلائق قبل ان تخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ، وعرشه على الماء » فكان العرش موجوداً قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة . فكيف يقال انه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم اقبل على خلق العرش . والتأويل اذا تضمن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم خصبه ذلك باطلنا (الخامس) ماؤلف استعماله في غير ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد له النص فيحمله التأويل في هذا التركيب الذي لا يحتمله على مجبيه في تركيب آخر يحتمله كتأويل اليدين في قوله تعالى ( مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ لَمْ تَخْلُقْ  
بِيَدِي ) بالنعمه ، ولا ريب ان العرب يقولون: لفلان عندي يد . وقال عروة ابن مسعود الصديق رضي الله عنه <sup>(١)</sup> لو لا يدلك عندي لم أجزو بها لاجتيتك .

(١) وذلك في صلح الحديبية وقد جاء عروة من قبل المشركين وقال : « اي محمد ، ارأيت لو استأصلت قومك ، هل سمعت بأحد احتاج أهله قبلك ؟ وان تكون الاخرى فوالله اني لا ارى وجودها واري اوباشاً من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك » فقال لها ابو بكر « امسح بنار اللات ، ائتحن نفروندعه ؟ » قال : من ذا ؟ قال : ابو بكر . قال الح

ولكن وقوع اليد في هذا التركيب الذي أضاف سبحانه فيه الفعل إلى نفسه ثم  
تعدي الفعل إلى اليد بالباء التي هي نظير كتبت بالقلم، وجعل ذلك خاصة خص  
بها صفيه آدم دون البشر ، كاً خص المسيح بأنه نفع فيه من روحه وخص  
موسى بأنه كلّه بلا واسطة (فهذا) مما يحيل تأويل اليد في النص بالنعمه  
وان كانت في تركيب آخر تصلح لذلك فلا يلزم من صلاحية اللفظ معنى  
ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب ، وكذلك قوله تعالى ( وَجُوهٌ  
يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ) يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار انثواب  
فانه أضاف النظر إلى الوجه بالنظره التي لا تحصل إلا مع حضور  
ما يتعم به لام التنجيص بانتظاره ، ويستحيل مع هذا التركيب تأويل  
النظر بغير الرؤيا وان كان النظر بمعنى الانتظار في قوله تعالى ( أَنْظُرُوكُمْ  
نَقْتَدِسْ مِنْ ثُورِكُمْ ) وقوله ( فَنَارٌ طَرَهُ يَمْبَرِجُ الْمُرْسَلُونَ )  
ومثل هذا قول الجهمي الملبس : اذا قال لك المشبه ( أَلَرَّحْنُ عَلَى  
الْعَرْشِ أَسْتَوَى ) فقل له : العرش له عدة معانٍ ، والاستواء له خمس معانٍ  
فأي ذلك المراد ؟ فان المشبه يتغير ولا يدرى ما يقول  
فيقال لهذا الجاهل : ويلاك ما ذنب الموحد الذي سميته انت واصحابك  
مشبه؟ وقد قال لك نفس ما قال الله تعالى . فوالله لو كان مشبهًا كما تزعم لكان  
أولى بالله ورسوله منك لانه لم يتعد النص  
( وأما قوله ) العرش له سبعة معان ونحوها ، والاستواء له خمسة  
معان فلتلييس منك على الجهال وكذب ظاهر . فانه ليس لعرش الرحمن  
الذي استوى عليه إلا معنى واحد ، وان كان للعرش من حيث الجملة عدة

معاني فاللام لاعرش <sup>(١)</sup> وقد صار بها العرش معيناً وهو عرش الرب تعالى الذي هو سر وملكه الذي اتفقت عليه الرسل واقررت به الام إلام من نبذ الرسل وقولك الاستواء له عدة معان تلبيس آخر منك ، فان الاستواء المعدى بادات على ليس له إلا معنى واحد . وأما الاستواء المطلق فله عدة معان فان العرب تقول : استوى كذا اتنى ومثل ومنه قوله تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُهُ وَأَسْتَوَى) ونقول : استوى وكذا اذا ساواد ، نحو قولهم : استوى الماء والخشبة ، واستوى الليل والنهار . وتقول : استوى الى كذا إذا قصد اليه علوها وارتفاعها نحو استوى الى السطح والجبل ، واستوى على كذا أي ارتفع عليه وعلا عليه . ولا تعرف العرب غير هذا . فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه كا هو نص في قوله تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُهُ وَأَسْتَوَى) لا يحتمل غير معناه ، ونص في قولهم استوى الليل والنهار في معناه ولا يحتمل غيره

(ال السادس ) اللفظ الذي اطرد استعماله في معنى هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله في المعنى المؤول او عهد استعماله فيه نادرًا فحمله على خلاف المعهود من استعماله باطل ، فإنه يكون تلبيساً ينافق البيان والهدایة بل إذا أرادوا استعمال مثل هذا في غير معناه المعهود حفوا به من القرآن ما يبين للسامع مرادهم به لثلا يسبق فهمه إلى معناه المأثور . ومن تأمل كمال هذه اللغة وحكمها واضعها تبين له صحة ذلك

(١) كذا بلا صل ونعله ( لالمعهد )

(السابع) كل تأويل يعود على اصل النص بالابطال فهو باطل كتأويل قوله صلى الله عليه وسلم « اما امرأة انكحت نفسها بغير اذن ولها فنكاحها باطل » فيحمله على الامة ، فان هذا التأويل مع شدة مخالفته لظاهر النص يرجع على اصل النص بالابطال وهو قوله « فان دخل بها فاها المهر بما استحصل من فرجها » ومهما الامة انا هم والسيد . فقالوا : نحمله على المكتابة ، وهذا يرجع على النص بالابطال من وجه آخر ، فانه اتي فيه بأي الشرطية التي هي من ادوات العموم واتي بالنكارة في سياق الشرط وهي تقضي العموم وعلق بطلاق النكاح بالوصف المناسب له المقتنى لوجود الحكم بوجوده ، وهو انكاحها نفسها . فرتبه على العلة المقتضية لاطلاقه وهو افتتاحها على ولها ، وأكدا الحكم باطلاقه مرة بعد مررة ثلاث مرات فحمله على صورة لاتقع في العالم إلا نادراً يرجع الى مقصود النص بالابطال وأنت إذا تأملت عامة تأويلات الجهمية رأيتها من هذا الجنس بل اشنع (الثامن) تأويل اللفظ الذي له ظاهر لا يفهم منه عند اطلاقه سواء بالمعنى الخفي الذي لا يطلع عليه الا فرادي من اهل النظر والكلام ، كتأويل لفظ الاحد الذي يفهمه اخاصة وال العامة بالذات المجردة عن الصفات التي لا يكون فيها معنيان بوجه ، فان هذا لا يمكن ثبوته في الخارج لم يعرف الا بعد مقدمات طويلة صعبة جداً ، فكيف وهو محال في الخارج وانما يفرضه الذهن فرضاً ، ثم استدل على وجوده اخارجي ، فيستحيل وضع اللفظ المشهور عند كل احد هذه المعنى الذي هو في غاية الخفاء

(الحادي عشر) التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو غاية العلو والشرف ويحبطه إلى معنى دونه بمراتب مثاله تأويل الجهمية (وهو القاهر فوق عباده) ونظائره بأنها فوقيه الشرف، كقولهم الدرهم فوق الفلس. فعطلوا حقيقة الفوقيه المطلقة التي هي من خصائص الربوبية المستلزمة لعظمة الرب تعالى وحطوها إلى كون قدره فوق قدر بني آدم، وكذلك تأوياتهم استواءه على عرشه بقدرته عليه وأنه غالب عليه في الله العجب، هل شئ عاقل في كونه غالباً لعرشه، قادرًا عليه، حتى يخبر به سبحانه في سبعة مواضع من كتابه مطردة بالفظ واحد، ليس فيها موضع واحد يراد به المعنى الذي ابداه المتأولون؟ وهذا التمدح والتعظيم كله لاجل ان يعرفنا انه غالب على عرشه وقدر عليه بعد خلق السموات والارض؟ افترى لم يكن غالباً لعرش قادراً عليه في مدة تزيد على خمسين الف سنة ثم تجدد له ذلك بعد خلق هذا العالم؟

(الثانية عشر) تأويل المفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة تقتضيه . فان هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه ، اذ لو قصد هذه لفظ بالكلام قرائنا تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في الابس ، فان الله تعالى انزل كلامه بياناً وهدى فذا اراد به خلاف ظاهره ولم يحلف به قرائنا تدل على المعنى الذي يتبادر غيره الى فهم كل احد لم يكن بياناً ولا هدى

## فصل

تนาزع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها وأثبات حقيقتها. وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وإن العناية ببيانها لهم، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وأثباتهما من لوازم التوحيد. فيبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم<sup>(١)</sup> وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس. وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها أخلاقاً والعام، اعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية. ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله تعالى (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَنْتِلْيَطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَنْتِلْيَطِ الْأَسْوَدِ) حتى يبن لهم بقوله (مِنَ الْفَجَرِ) ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله (وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَزِيزٌ فَإِنِّي قَرِيبٌ – أَلَا يَهُ) وغيرها من آيات الصفات. وأيضاً فإن آيات الأحكام مجملة عرف بيانها بالسنة كقوله تعالى (فَفَدِيهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ نُسُكٍ) فهذا مجمل في قدر الصيام والاطعام، فيبينته السنة بأنه صيام ثلاثة أيام، أو اطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة. ونظائره كثيرة كآية السرقة وآية الصلاة والزكاة والحج. وليس في آيات الصفات واحد منها مجمل لا يحتاج إلى بيان من خارج، بل بيانها فيها وإن جاءت السنة بزيادة في البيان التفصيل

(١) كذا بالأصل ولعله (يقع للراسخين في العلم) او نحوه فتأمل

## فصل

فِي تَعْجِيزِ الْمُذَوِّلِينَ عَنْ تَحْفِيقِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُسْوَغُ نَادِيرًا  
مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا وَمَا لَا يُسْوَغُ

لَا رِيبَ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ . وَسَمِيَّ نَفْسَهُ بِالْإِسْمَاءِ وَأَخْبَرَ عَنْ  
نَفْسِهِ بِأَفْعَالٍ . وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ وَيُكَرِّهُ وَيَهْتَمُ وَيَرْضَى وَيَغْضِبُ  
وَيَسْخُطُ ، وَيَحْيِيُّ وَيَأْتِيُّ وَيَنْزَلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ  
وَانَّ لَهُ عَلَمًا وَحِيَاةً وَقَدْرَةً وَإِرَادَةً وَسَمَاعًا وَبَصَرًا وَوَجْهًا ، وَانَّ لَهُ يَدِينَ ،  
وَانَّهُ فَوْقَ عَبَادِهِ ، وَانَّ الْمَلَائِكَةَ تَرْجُّلُ إِلَيْهِ وَتَنْزَلُ بِالْأَمْرِ مِنْ عَنْدِهِ ، وَأَنَّهُ  
قَرِيبٌ ، وَانَّهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُتَقِيْنَ ، وَانَّ السَّمَوَاتِ  
مَطْوِيَّاتٍ يَمِينَهُ . وَوَصْفُهُ رَسُولُهُ بِأَنَّهُ يَفْرَحُ وَيَضْحَكُ ، وَانَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ  
بَيْنَ أَصْبَابِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

فَيُقَالُ لِمَتَأْوِلٍ تَأْوِلُ هَذَا كَمَهُ عَلَى خَلَافَ ظَاهِرِهِ : أَمْ تَفْسِرُ الْجَمِيعَ  
عَلَى ظَاهِرِهِ وَحْقِيقَتِهِ أَمْ تَفْرَقُ بَيْنَ بَعْضِ ذَلِكَ وَبَعْضِهِ؟ فَإِنْ تَأْوَلْتَ الْجَمِيعَ  
وَجَهْلَتَهُ عَلَى خَلَافَ حَقِيقَتِهِ كَانَ ذَلِكَ عَنْدَكَ ظَاهِرًا وَكَفَرَا صَرَاحًا وَجَهْدًا  
لِرَبِّيَّتِهِ . وَهَذَا مَذْهَبُ الْدَّهْرِيَّةِ الَّذِينَ لَا يَثْبِتُونَ لِلْعَالَمِ صَانِعَاهُ (فَإِنْ  
قُلْتَ) أَثْبَتَ لِلْعَالَمِ صَانِعَاهُ وَلَكِنَّ لَا يَصْفُهُ بِصَفَةٍ تَقْعُدُ عَلَى خَلَقِهِ ، وَحِيثُ  
وَصَفْ بِعَيْقَمٍ عَلَى الْمُخْلُوقِ تَأْوِلَتِهِ (قِيلَ لَهُ) فَهَذِهِ الْإِسْمَاءُ الْحَسَنِيُّ وَالصِّفَاتُ  
الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ ، هَلْ تَدْلِي عَلَى مَعْنَى ثَابَتَهُ هِيَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ أَوْ لَا  
تَدْلِي؟ فَإِنْ نَفَيْتَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَعْنَى ثَابَتَهُ كَانَ ذَلِكَ غَايَةُ التَّعْطِيلِ . وَانَّ

أثبتت دلائلها على معاني هي حق في نفسها ثابت ، قيل لك : فما الذي سوغر لك تأويل بعضها دون بعض ؟ وما الفرق بين ما اثبتهما ونفيتها من جهة السمع أو العقل ، ودلالة النصوص على أن له سمعاً وبصرًا وعلماً وقدرة وارادة وحياة وكلامًا كدلائلها على أن له حبّة ورحمة وغضباً ورضاً وفرحةً وضحكاً ووجهاً ويدين . فدلالة النصوص على ذلك سواء ، فلم نفيت حقيقة رحمته وحبّته ورضاه وغضبه وفرحه وضحكه ، وأولئك نفس الارادة ؟ فان قلت : ان اثبات الارادة والمشيئة لا يستلزم تشبيهاً وتحسيناً ، واثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه والتجمسيم ، فإنها لا تعقل الا في الاجسام ، فان الرحمة رقة تتعري طبيعة الحيوان ، والحبّة ميل النفس جلب ما ينفعها ، والغضب غليان دم القلب لورود ما يارد عليه ، قيل لك وكذلك الارادة هي ميل النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها ، وكذلك جميع ما اثبته من الصفات انماهى اعراض قائمة بالأجسام في الشاهد . فان العلم انطباع صورة المعلوم في نفس العالم ، او صفة عرضية قائمة به . وكذلك السمع والبصر والحياة اعراض قائمة بالوصوف . فكيف لزم التشبيه والتجمسيم من اثبات تلك الصفات ولم يلزم من اثبات هذه ؟ فان قلت : انا اثبتهما على وجهه لا يماثل صفاتنا ولا يشبهها . قيل لك : فهلا أثبتت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين ؟ فان قلت : هذا لا يعقل . قيل لك فكيف عقلت سمعاً وبصراً وحياة وارادة ومشيئة ليست من جنس صفات المخلوقين ؟ فان قلت : انا افرق بين ما يتأنى بين وما لا يتأنى بان مادل العقل على ثبوته ينتفع تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ، وما لا يدل عليه العقل

يُحب أو يسُوغ تأويلاً كاليد والوجه والضحك والفرح والغضب والرضا  
فإن الفعل المُحْكَم دل على قدرة الفاعل، واحكامه دل على عامله، والتخصيص  
دل على الارادة فيمتنع مخالفة ما دل عليه صريح العقل. قيل لك: وكذلك  
الانعام والاحسان وكشف الضر وتفریج الكربارات دل على الرحمة كدلالة  
التخصيص على الارادة سواء، والتخصيص بالكرامة والاصطفاء والاختيار  
دل على الحبة كدلالة ما ذكرت على الارادة، والاهانة والطرد والابعاد  
والحرمان دل على المقت والبغض كدلالة ضدة على الرضا والحب. والعقوبة  
والبطش والاتقام دل على الغضب كدلالة ضدة على الرضا (ونقول  
ثانياً) هب أن العقل لا يدل على اثبات هذه الصفات التي نفيتها فانه  
لا ينفيها، والسمع دليل مستقل بنفسه، بل الطائنية إليه في هذا الباب  
أعظم من الطائنية إلى مجرد العقل، فما الذي يسُوغ لك ذي مدلوله؟  
(ويقال ثالثاً) إن كان ظاهر النصوص يقتضي تشبيهاً وتجسيماً فهو  
يقتضيه في الجميع، فأول الجميع وإن كان لا يقتضي ذلك لم يجز تأويل شيء منه  
وان زعمت أن بعضها يقتضيه وبعضها لا يقتضيه طولبت بالفرق بين الامرين  
ولما تفطن بعضهم لتعذر الفرق قال: ما دل عليه الاجماع كصفات السمع  
لا يتأول وما لم يدل عليه الاجماع فانه يتأنّى. وهذا كما تراه من افسد  
الفارق فان مضمونه أن الاجماع اثبت ما يدل على التجسيم والتشبيه،  
وهذا قدح في الاجماع، فإنه لا ينعقد على باطل (ثم يقال) إن كان الاجماع  
دل على هذه الصفات وظاهرها يقتضي التشبيه والتجسيم بطل نفيكم

لذلك ، وان لم ينعقد عليها بطل التفريق به (ثم يقال) خصومكم من المعتزلة  
لم تجتمع على ثبوت هذه الصفات ، فان قلتم : انعقد الاجماع قبلهم  
قيل : صدقتم ، والله ، والذين أجمعوا قبلهم على اثبات هذه الصفات  
اجعوا على اثبات سائر الصفات ولم يخصوها بسبعين ، بل تخصيصها بالسبعين  
خلاف قول السلف ، وقول الجهمية والمعزلة . فالناس كانوا طائفتين :  
سلفية وجهمية ، خدئت الطائفة السبعية واشتقت قولًا بين قولين ،  
فلا لاسلف اتبعوا . ولا مع الجهمية بقوا  
وقالت طائفة اخرى : ما لم يكن ظاهره جواح وابعاصا ، كالعلم  
والحياة والقدرة والارادة والكلام لا يتأنى ، وما كان ظاهره جواح  
وابعاصا كالوجه واليدين والقدم فانه يتعمى تأويلاه لاستلزم اثباته  
التركيب والتجسيم

قال المثبتون : جوابنا لكم هو عين الذي تحيبون به خصومكم من  
الجهمية والمعزلة نفات الصفات ، فهم قالوا لكم : لو قام به سبحانه صفة  
وجودية كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة لكان مخلا للاعتراض ،  
ولزم التركيب والتجسيم والانقسام ، كما قلتم : لو كان له وجه ويد واصبع  
لزم التركيب والانقسام وحينئذ فما هو جوابكم لهؤلاء تحييبيكم به .  
فإن قلتم : نحن ثبّت هذه الصفات على وجه لا تكون اعراض ولا  
تسمى اعراضًا فلا يستلزم تركيبها ولا تحييبيها . قيل لهم : ونحن ثبّت  
الصفات التي اثبّتها الله لنفسه ونفيتموها انتم عنده على وجه لا يستلزم الابعاد

والجوارح، ولا يسمى المتصف بها صر كباً ولا جسماً ولا منقسمًا. فان قلتم : هذه لا يعقل منها الا الاجزاء والاعراض . قلنا لكم : وتلك لا يعقل منها إلا الاعراض . فان قلتم : العرض لا يبيّن زمانين وصفات الرب تعالى باقية دائمة ابدية فليست اعراضًا . قلنا : وكذاك الاعراض هي مجاز مفارقاً لها وانفصاً عنها وذلك في حق الرب تعالى محال فليست اعراضًا ولا جوارح ، ففارقة الصفات الاَطْهِيَة للموصوف بها مستحيل مطلقاً في النوعين ، والخلوق يجوز ان تفارق ابعاده واعراضه . فان قلتم : ان كان الوجهين اليدوعين الساق والاصبع فهو محال ، وان كان غيره يلزم التمييز ويلزم التركيب قلنا لكم : وان كان السمع هو عين البحر وهو نفس العلم وهي نفس الحياة والقدرة فهو محال وان تميز لزم التركيب . فاهو جوابكم فالجواب مشترك . فان قلتم : نحن نعقل صفات ليست اعراضًا تقوم بغير جسم وان لم يكن له في الشاهد نظير . ونحن لا نتكرر الفرق بين النوعين في الجملة ، ولكن فرق غير نافع لكم في التفريق بين النوعين وان احدهما يستلزم التجسيم والتركيب والاَخْر لا يستلزم : وما اخذ هذا الازمام بخناق الجهمية : قالوا الباب كله عندنا واحد ونحن ننفي الجميع فتبين انه لا بد لكم من واحد من امور ثلاثة : اما هذا النفي والتعطيل واما ان تصفووا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وتبينوا في ذلك سبيل السلف الذين هم اعلم الامة بهذا الشأن نفياً وائباناً وأشد تعظيمها لله وتنزيتها له عملاً يليق بحاله ، فان المعاني المفهومة

من الكتاب والسنة لا ترد بال شبّهات فيكون ردّها من باب تحرير الكلم عن موضعه ، ولا يترك تدبرها ومعرفتها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا امامي ، بل هي آيات يبنات دالة على أشرف المعاني واجلها قائم حقائقها في صدور الذين أوتو العلم والإيمان اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات السكال في قلوبهم كذلك . فكان الباب عندهم بابا واحدا وعلموا ان الصفات حكمها حكم الذات ، فكان ذاها لا تشبه الذوات فكذا صفات لا تشبيه الصفات

قال الإمام أحمد « التشبيه إن تقول يد كيد او وجه كوجه ، فاما اثبات يد ليست كالا يدي ووجه ليس كالوجه فهو اثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالسماع والبصر وليس إلا هذا المسلوك ومسلك التعطيل المحسن والتناقض الذي لا يتبت لصاحبها قدم في النفي ولا في الاثبات وبالله التوفيق » وحقيقة الامر ان كل طائفة تتأول كل ما يخالف نحاجتها واصلها ، فالعيار عندهم فيما يتأنّى وما لا يتأنّى هو المذهب الذي ذهبت اليه ما وافقها اقرؤوه ولم يتأنّلواه وما خالفها تأولوه

### فصل

في الرزام في المعنى الذي يعلوه تأوله يمر بمفهومه وهو فصل بديع يعلم منه ان المتأولين لم يستفيدوا بتأنّلهم الا تعطيل حقائق النصوص ، وانهم لم يتخلاصوا ماذنون مذوراً بل هو لازم

لهم فيما فروا اليه كلزومه فيما فروا منه ، بل قد ينفون ما هو اعظم محدوداً  
كحال الذين تأولوا نصوص العلو والفوقيه والاستواء فرارا من التحيز  
والحصر . ثم قالوا : هو في كل مكان بذاته . فنبذه عن استواه على  
عرشه ومبانيته خلقه وجعلوه في اجوف البيوت والآبار والاواني  
والأماكن التي يرغب عن ذكرها  
ولما علم متاخر و الجemicة فساد ذلك قلوا : ليس وراء العالم ولا فوق العرش  
الا العدم المحس ، وليس هناك رب يعبد ولا إله يصلى له ويُسجد ، ولا هو  
ايضاً في العالم . جعلوا نسبته الى العرش كنسبته الى أحسن مكان  
فإذا تأول المتأول الحبة والرجمة والرضي والغضب بالارادة ، قيل له :  
يلزمك في الارادة ما لزمك في هذه الصفات كما تقدم تقريره . وإذا تأول  
الوجه بالذات لزمه في الذات ما يلزم في الوجه ، فان لفظ الذات يقع على  
القديم والمحدث . وإذا تأول لفظ اليدي بالقدرة ، فالقدرة يوصف بها الخالق  
والخلق . وإذا تأول السمع والبصر بالعلم . لزمه ما فر منه في العلم . وإذا  
تأول الفوقيه بفوقيه القهر ، لزمه فيها ما فر منه من فوقيه الذات . فان  
القاهر من الصفة بالقوه والغابه ، ولا يعقل هذا الا جسم ، فان أثبتته  
العقل غير جسم لم يعجز عن اثبات فوقيه الذات لغير جسم . وكذلك  
من تأول الاصبع بالقدرة فان القدرة ايضاً صفة قائمه بالموصوف وعرض  
من اعراضه ، ففر من صفة الى صفة . وكذلك من تأول الضحك بالرضي  
والرضي بالارادة انما فر من صفة الى صفة ، فهلا اقر النصوص على ما هي

عليه ولم ينتهك حرمتها ؟ فان التأول اما ان يذكر معنى ثبوتي او يتأنى  
الا لفظ بما هو عدم حمض ، فان تأوله يعني ثبوتي . كائن ما كان لزمه فيه  
نظير ما فر منه

## فصل

قال الجهمي : ورد في القرآن ذكر الوجه والاعين والعين الواحدة  
وذكر الجانب الواحد وذكر الساق الواحد وذكر الايدي وذكر اليدين  
واليد الواحدة . فلو أخذنا بالظاهر لرأينا اثبات شخص له وجه ، وعلى ذلك  
الوجه اعين كثيرة وله جنب واحد ، وعليه ايدي كثيرة ، وله ساق واحد  
ولازم في الدنيا شخصاً اقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة

قال السنى المعظم حرمات الله تعالى : قد ادعى ايماناً الجهمي ان ظاهر  
القرآن الذي هو حجة الله على عباده ، والذى هو خير الكلام واصدقه  
واحسنها وافصحها ، وهو الذي هدى الله به عباده وجعله شفاء لما في الصدور  
وهدى ورحمة للمؤمنين ، ولم ينزل كتاباً من السماء اهدى منه ولا احسن  
ولا اكل . فاتهكمت حرمته وعظمته <sup>(١)</sup> ونسبة الى اقبح النقص والعيب  
وادعى ايماناً ظاهره ومدلوله اثبات شخص له وجه وله اعين كثيرة وله  
ساق واحد وادعى ايماناً ظاهر ما وصف الله به نفسه في كتابه يدل على  
هذه العصبة الشذيعة ، فيكون سبحانه قد وصف نفسه باقبح الصفات في

(١) أي فرقته كفرق المشركون اقاويمهم فيه ، فجعلوه كذلك وسحراً  
وكهاناً وشعراً

ظاهر كلامه . فـأـيـ طـعـنـ فيـ اـنـ قـرـآنـ اـعـظـمـ منـ طـعـنـ مـنـ يـجـعـلـ هـذـاـ ظـاهـرـهـ ؟  
وـلـمـ يـدـعـ اـحـدـ مـنـ اـعـدـاءـ الرـسـولـ الـذـينـ ظـاهـرـوـهـ بـالـحـارـبـةـ اـنـ ظـاهـرـ كـلـامـهـ  
ابـطـلـ الـبـاطـلـ ،ـ فـلـوـ كـانـ ذـاكـ ظـاهـرـ الـقـرـآنـ لـكـانـ ذـلـكـ مـنـ اـقـرـبـ الـطـرـقـ  
لـهـمـ اـلـطـعـنـ فـيـهـ ،ـ وـقـالـوـ :ـ كـيـفـ تـدـعـونـاـ اـلـىـ عـبـادـةـ رـبـ سـوـرـتـهـ هـذـهـ  
الـصـوـرـةـ الشـذـيـعـةـ ؟ـ وـهـمـ يـوـرـدـوـنـ عـلـيـهـ ماـهـوـ اـقـلـ مـنـ هـذـاـ بـكـثـيرـ .ـ كـاـوـرـدـوـاـ  
عـلـيـهـ مـسـيـحـ مـاـقـالـ (ـإـنـ كـمـ وـمـاـ تـعـبـدـوـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ حـصـبـ جـهـنـمـ)ـ فـتـعـاـقـبـواـ  
بـظـاهـرـ مـاـلـمـ يـدـلـ عـلـيـهـ مـاـ اوـرـدـهـ ،ـ وـهـوـ دـخـولـ مـسـيـحـ فـيـماـ عـبـدـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ  
اماـ بـعـومـ لـفـظـ ماـ وـاـمـاـ بـعـومـ الـمعـنـىـ .ـ وـاـوـرـدـ اـهـلـ الـكـتـابـ عـلـيـ قـوـلـهـ  
(ـيـاـ أـخـتـ هـارـوـنـ مـاـ كـانـ أـبـوـكـ أـمـرـاـ سـوـءـ)ـ اـنـ بـيـنـ هـارـوـنـ وـعـيـسـىـ مـاـ يـنـهـاـ  
وـلـيـسـ ظـاهـرـ الـقـرـآنـ اـنـهـ هـارـوـنـ بـنـ عـمـرـاـنـ بـوـجـهـ ،ـ وـكـانـوـاـ يـتـعـنـتـوـنـ  
مـاـ يـوـرـدـوـنـ عـلـيـهـ اـنـ هـذـاـ دـوـنـهـ .ـ فـكـيـفـ يـجـدـوـنـ ظـاهـرـ اـثـبـاتـ رـبـ شـائـهـ  
هـذـاـ وـلـاـ يـنـكـرـوـنـهـ ؟ـ

وـاجـلـوـابـ اـنـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ (ـتـجـرـيـ يـاـ عـيـنـنـاـ)ـ وـدـعـوـيـ الـجـهـيـ اـنـ ظـاهـرـ هـذـاـ  
اـثـبـاتـ اـعـيـنـ كـثـيرـ كـذـبـ ظـاهـرـ .ـ فـاـنـهـ اـنـ دـلـ ظـاهـرـهـ عـلـيـ اـعـيـنـ كـثـيرـهـ  
وـاـبـدـ كـثـيرـهـ دـلـ عـلـيـ خـالـقـيـنـ كـثـيرـيـنـ ،ـ فـاـنـ لـفـظـ الـاـيـديـ مـضـافـ اـلـىـ صـمـيرـ  
الـجـمـعـ ،ـ فـادـعـ اـيـهاـ الـجـهـيـ اـنـ ظـاهـرـهـ اـثـبـاتـ اـيـدـ كـثـيرـهـ لـاـهـةـ مـتـعـدـدـهـ وـالـاـ  
فـدـعـوـاـكـ اـنـ ظـاهـرـهـ اـيـدـ كـثـيرـهـ لـذـاتـ وـاـحـدـةـ خـالـفـ الـظـاهـرـ ،ـ وـكـذـاكـ قـوـلـهـ  
تعـالـيـ (ـتـجـرـيـ يـاـ عـيـنـنـاـ)ـ اـنـاـ ظـاهـرـهـ بـزـعـمـكـ اـعـيـنـ كـثـيرـهـ عـلـيـ ذـوـاتـ  
مـتـعـدـدـهـ لـاـ عـلـيـ ذـاتـ وـاـحـدـةـ

(الثاني) أَن دعوَاكَ اَن ظاهِرُ الْقُرآنِ إِثْبَاتٌ اِيَّدَ كَثِيرَةً فِي جَنْبٍ  
وَاحِدَ كَذِبٍ آخَرَ . فَإِنْ فِي ظاهِرِ الْقُرآنِ اَنَّ الْأَيْدِي فِي الْجَنْبِ؟ وَكَذَلِكَ  
اَنَّمَا اَخْذَتْ هَذَا مِنَ الْقِيَاسِ عَلَى بَنِي آدَمَ فَشَبَهَتْ اُولَاءِ ، وَعَطَلَتْ ثَانِيَّاً .  
وَكَذَلِكَ جَعَلَكَ الْاِدِينَ الْكَثِيرَةَ فِي الْوِجْهِ الْوَاحِدِ لَيْسَ فِي ظاهِرِ الْقُرآنِ  
مَا يَدْلِي عَلَى هَذَا ، وَانَّمَا اَخْذَتْهُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْاِدِينِ . وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ اَهْلِ  
الْعِلْمِ : اَنْ كُلُّ مَعْطُلٍ مُشَبِّهٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِكَ التَّشْبِيهُ الْاِبْعَدُ<sup>(١)</sup>

(الثالث) أَيْنَ فِي الْقُرآنِ اِثْبَاتٌ سَاقٌ وَاحِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَجَنْبٌ وَاحِدٌ؟  
فَانْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ (يَوْمَ يُكَسَّفُ عَنْ سَاقِ) وَقَالَ (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَأْسَرُنِي  
عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) فَعَلَى تَقْدِيرِ اَنْ يَكُونُ السَّاقُ وَالْجَنْبُ مِنَ  
الصَّفَاتِ فَلَيْسَ فِي ظاهِرِ الْقُرآنِ مَا يُوجِبُ الاِيْكَوْنَ لِهِ إِلَّا جَنْبٌ وَاحِدٌ  
وَسَاقٌ وَاحِدٌ . وَلَوْ دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَمْ يَدْلِلْ عَلَى نَفْيِ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ لَا  
يَنْطُوقُهُ وَلَا يَعْفُوْمُهُ ، حَتَّى الْقَائِمَيْنِ بِمَفْهُومِ النَّقْبِ لَا يَدْلِلُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى  
نَفْيِ مَاعْدِيِ المَذْكُورِ ، لَا نَهْمَتِيْ كَانَ التَّخْصِيصُ بِالذِّكْرِ سَبِيلُ غَيْرِ الْاِخْتِصَاصِ  
بِالْحُكْمِ لَمْ يَكُنْ الْمَفْهُومُ مَرْادًا بِالْاِتْفَاقِ وَلَيْسَ الْمَرْادُ بِالْاِيْتَيْنِ اِثْبَاتٌ اِصْفَةً  
حَتَّى يَكُونَ تَخْصِيصًا اَحَدَ الْاَمْرَيْنِ بِالذِّكْرِ مَرْادًا بِالْمَقْصُودِ حُكْمًا آخَرُ وَهُوَ  
اِثْبَاتٌ تَفْرِيْطُ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِيَانِ سُجُودِ الْخَلَائِقِ اِذَا كَشَفَ  
عَنْ سَاقٍ . وَهَذَا حُكْمٌ قَدْ يَخْتَصُ بِالْمَذْكُورِ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَكُونُ لَهُ مَفْهُومٌ

(الرابع) هَبْ اَنَّهُ سُبْحَانَهُ اَخْبَرَ اَنَّهُ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَاحِدَةَ هِيَ

(١) بِيَاضِ بِالاَصْلِ . وَاعْلَمُ الْجَمَاهِيرُ كَذَلِكَ (لَا يَسْتَقِيمُ لِكَ التَّعْطِيلُ إِلَّا بَعْدَ التَّشْبِيهِ)

صفة ، فن ابن في ظاهر القرآن انه ليس له بجانه الا تلك الصفة الواحدة ؟  
 وانت لو سمعت قائلًا يقول : كشفت عن عيني وابديت عن ركبتي وعن  
 ساقى ، هل يفهم منه انه ليس له الا ذلك ؟ الواحد ، فقط فلوقال ذلك احد  
 لم يكن هذا ظاهر كلامه ، فكيف يكون ظاهر افصح الكلام وأينه ذلك  
 ( الخامس ) ان المفرد المضاف براديه اكثر من واحد ، كقوله تعالى  
 ( وإن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوْهَا ) و قوله ( وَصَدَقَتْ بِكَلَامِكَتِ رَبِّهَا  
 وَكُتُبِهِ ) و قوله ( أَرْجَلُكُمْ لَيْلَةَ الْصَّيَامِ أَرْفَثُ إِلَيْكُمْ  
 فَأَوْكَانُ الْجَنْبِ وَالسَّاقِ صفة لكان منزلة قول ( بِيَدِهِ الْمُلْكُ ) ( وَبِيَدِهِ  
 الْخَيْرُ ) ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَرْبِي )

( السادس ) ان يقال : من ابن في ظاهر القرآن ايات جنب واحد وهو  
 صفة لله ؟ ومن المعلوم ان هذا لا يثبته احد من بني آدم واعظم الناس اياتها  
 للصفات هم أهل السنة والحديث لا يثبتون ان الله تعالى جنباً واحداً ولا ساقاً  
 واحداً . قال عثمان بن سعيد الدارمي في تفسيره على المرسي <sup>(١)</sup> وادعاء المعارض  
 زوراً على قوم انهم يقولون في تفسير قوله تعالى ( يَاحْسَرَ تَعَالَى مَا فَرَطَتْ  
 فِي جَنْبِ اللَّهِ ) انهم يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو وليس ذلك على  
 ما يتوجهونه . قال الدارمي فيقال لهذا المعارض : ما ارخص الكذب عندك  
 واحفظه على لسانك : فان كنت صادقاً في دعواك فنشر بها الى احد من  
 بني آدم . قال والا فلم تشفع بالكذب على قوم هم اعلم بهذا التفسير منك  
 اما تفسيرها عندهم : تحرر الكفار على ما فرطوا في الاعيال والفضائل

(١) كتاب الدارمي الخ

التي تدعوا الى ذات الله واختاروا عليها الكفر والسخرية . فنائبائهم قالوا : جنب من الجنوب ؟ فإنه لا يجهل هذا المعنى كثير من عوام المسلمين فضلا عن علمائهم . وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « الكذب مجانب للإيمان » وقال ابن مسعود رضي الله عنه « لا يجوز الكذب جدا ولا هزلا » وقال الشعبي « من كان كذابا فهو منافق » والتفسير يط فعل اورك فعل وهذا لا يكون قائما بذات الله لا يجنب ولا غيره ، بل لا يكون منفصلا عن الله تعالى وهو معلوم بالحس وشاهدة

(السابع) هب ان القرآن دل على ائبات جنب هو صفة ، فن اين لك ظاهره او باطننه على انه جنب واحد وشق واحد ؟ ومعلوم أن اطلاق مثل هذا لا يدل على انه شق واحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين « صل قائمًا فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب » وهذا لا يدل على انه ليس المعر ، الا جنب واحد

فإن قيل : المراد على جنب من جنبيك . فلننفرد علم ان ذكر الجنب مفرداً لا يدل على نفي ان يكون له جنب آخر . ونظير هذا القول اذا ذكر مفرداً لا يدل على نفي قدم آخر ، كما في الحديث المروي « حتى يضع رب العزة عليه اقدمه »

(الثامن) من اين في ظاهر القرآن أن الله ساق وليس معك إلا قوله تعالى (يَوْمَ يُكَشِّفُ عَنْ سَاقٍ ؟) والصحابه متنازعون في تفسير الآيه على المراد بها : ان الرب تعالى يكشف عن ساقه ، ولا يحفظ عن الساقه والتابعين

فَرَاعَ فِيمَا يذَكُرُ أَنَّهُ مِن الصَّفَاتِ إِمْلَاً فِي غَيْرِهِ هَذَا الْمَوْضِعُ؟ وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ  
الْقُرْآنِ مَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ صَفَةَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا نَهَا بِحَانَهُ لَمْ يَصُفِ السَّاقَ  
إِلَيْهِ، وَأَنَّهَا ذَكَرَهُ مُجَرَّدًا عَنِ الاضْفَافَةِ مُنْكَرًا وَالَّذِينَ ابْتَوُا ذَلِكَ  
صَفَةَ كَالْيَدِينَ لَمْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ أَنَّهَا ابْتَوَهُ  
بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الْمُتَفَقُ عَلَى صَحَّتِهِ، وَهُوَ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ  
الطَّوِيلِ . وَفِيهِ «فَيَكْشِفُ الرَّبُّ عَنْ سَاقِهِ الْحَدِيثُ - » وَمِنْ حِلْ الْآيَةِ  
عَلَى ذَلِكَ قَالَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِي) مَطَابِقًا لِقَوْلِهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ» وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ، كَأَنَّهُ  
قَالَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ عَظِيمَةٍ قَالُوا . وَحِلْ الْآيَةِ عَلَى الشَّدَّةِ لَا يَصْحُ  
بِوْجِهِ، فَإِنْ لَغَةَ الْقَوْمِ أَنْ يَقُولُ: كَشَفَ الشَّدَّةَ عَنِ الْقَوْمِ لَا كَشَفَ عَنْهَا،  
كَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلَمَّا كَثُرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ) فَلِعَذَابٍ هُوَ الْمَكْشُوفُ لَا  
الْمَكْشُوفُ عَنْهُ . وَإِيْضًا فَهُنَّاكَ تَحْدِثُ شَدَّةً لَا تَزُولُ إِلَّا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ .  
وَهُنَّاكَ يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ مَا كَانَتِ الشَّدَّةُ  
(الْتَّاسِعُ) أَنْ يَقُولُ: ذَكْرُ الْعَيْنِ الْمُفْرَدَةِ مُضَافَةً إِلَى الضَّمِيرِ الْمُفْرَدِ  
وَالْأَعْيْنِ بِمُجْمَعَةِ مُضَافَةٍ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ . وَذَكْرُ الْعَيْنِ مُفْرَدًا لَا يَدْلِلُ عَلَى  
إِنَّهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ لَيْسَ إِلَّا، كَقَوْلِكَ: افْعُلْ هَذَا عَلَى عَيْنِي . وَأَحْبَكْ عَلَى  
عَيْنِي، وَلَا يَرِيدُ إِنْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَاحِدَةً . وَإِنَّمَا إِذَا أُضَيَّفَتِ الْعَيْنُ إِلَى اسْمِ الْجَمْعِ  
ظَاهِرًا وَمُضْمَرًا فَالْأَلْأَ حَسْنٌ جَمِيعُهَا مُشَاكِلَةً لِلْفَظِ، كَقَوْلِهِ (كَتْجُرِي بِأَعْيْنِنَا)  
وَقَوْلِهِ (وَأَنْصَنَعْ أَنْلَكَ بِأَعْيْنِنَا) وَهُذَا نَظِيرُ المُشَاكِلَةِ فِي لِفْظِ الْيَدِ الْمُضَافَةِ

الى المفرد كقوله (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (وَبِيَدِكَ أَنْتُ بِرٌّ) وان اضيفت الى ضمير جمع جمعت ، كقوله تعالى (أَوَ لَمْ يَرُوا أَنَّا خَلَقْنَا لَمَّا مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا أَعْمَامًا) وكذلك اضافة اليه والعين الى اسم الجم العظاهر كقوله (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) وقوله (فَاتَّوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) وقد نطق الكتاب والسنة بذكر اليه مضافة اليه بلفظ مفردة ومجموعة ومتناة وبلفظ العين مضافة اليه مفردة ومجموعة . ونطقت السنة باضافتها اليه متناة كما قال عطاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن . فاذ تفت قال له ربه : الى من تلتفت الى خير لك مني » وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان ربكم ليس بأعور » صریح بأنه ليس المراد اثبات عين واحدة فان ذلك عور ظاهر تعالى الله عنه ، وهل يفهم من قول الداعي « الا لهم احرستنا بعينك التي لانتام » انها عين واحدة ليس الا إلا ذهن اقلف وقلب اغلف <sup>(١)</sup>

قال ابن تيم : حدثنا عبد الجبار بن كثیر قال : قيل لا براہیم بن ادھم ، هذا السبع ، فنادی : ياقسورۃ ، ان كنت أمرت فینا بشی ، والابعینی فاذھب فضرب بذنبه ، وولی مدبرا فنظر ابراهیم الى أصحابه وقال : قولوا الا لهم احرستنا بعينك التي لانتام . واکنفنا بکنفك الذي لا يرام . وارجنا بقدرتك علينا الامثل وانت الرجاء . وقال عمان الدارای : الا عور ضد البصیر بالعيینین

وقد استدل السلف على اثبات العينين له تعالى بقوله (تَجْرِی بِأَعْيُنِنَا)

(١) القلب الاقلف والاغلف هو الذى عليه كن فلا يفقه وهو المطبع عليه والذى عليه غشاوة كذاعن ابن عباس وأبي العالية ومجاحد

ومن صرخ بذلك ابياتاً واستدلاً ابا الحسن الاشعري في كتبه كلها  
فقال في كتاب المقالات، والابانة، والموجز، وهذا الفظه فيما: وان له عينين  
بلا كيف كما قال (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) فهذا الاشعري وغيرهم يفهموا من الاعين  
اعيناً كثيرة، ولا من الايدي ايدياً كثيرة على شق واحد ولدارد اهل  
السنة تأويلاً الجاهلين لم يقدر الجهمية على اخذ الثار منهم إلا بأن سوهم  
مشبهة، ممثلة، مجسمة، حشوية ولو كان لهؤلاء عقول لعلموا أن التأنيث  
بهذه الالقاب ليس لهم وإنما هو ان جاء بهذه النصوص وتكلم بها ودعا  
الامة الى الاعيان بها ونهى عن تحريفها وتبديلها . ولو كان  
خصوصكم كاذبتم وحاشاهم مشبهة ممثلة مجسمة لكانوا اقل تقصاً للرب  
العالمين منكم وكتابه وأسمائه وصفاته بكثير ، ولو كان قولهم يقتضي التقىص  
فكيف وهو لا يقتضيه لو صرحو به ؟ فانهم يقولون : نحن اثبتنا الله  
غاية الكمال ونحوت الجلال ، ووصفناه بكل صفة كال فان لازم من هذا  
تجسيم وتشبيه لم يكن هذا تقصاً ولا عيباً بوجه من الوجوه . فان لازم  
الحق حق ، وما لازم من ايات كمال الرب ليس بنقص . وأما انت فنفيت  
عنه صفات الكمال . ولا ريب ان لازم هذا النفي وصفه باضدادها من  
العيوب والنقائص . فما سوى الله ولا رسوله ولا عقلاء عباده بين من نفي  
كماله القدس حذراً من التجسيم وبين من اثبت كماله الاعظم وصفاته  
على باوامر ذلك ، كائنة ما كانت . فلو فرضنا في هذه الامة من يقول له  
سمع كسمع الخلق وبصر كبصره ويد كيده اكان ادنى الى الحق من

يقول لا سمع ولا بصر ولا يد . ولو فرضنا قائلا يقول : انه متخيّل على عرشه ، تحيط به الحدود والجهاز لكان اقرب الى الصواب من قول من يقول : ليس فوق العرش إله يعبد ، ولا ترفع اليه الايدي ، ولا يصعد اليه شيء ، ولا هو فوق خلقه ولا محاياهم ولا مباينهم . فان هذا متعطل مكذب لله راد على الله ورسوله ، وذلك المشبه غالط مخطي في فهمه . فما شبه على زعمكم الكاذب لم يشبهه تقىصاته و جدا لحاله ، بل ظننا ان اثبات الحال لا يمكن إلا بذلك ، فقابلتهم به بتعطيل حاله . وذلك غاية التقىص (العاشر) ان لغة العرب متنوعة في افراد المضاف وتنبيته وجمعه بحسب احوال المضاف اليه ، فان اضافوا الواحد المتصل الى مفرد افراده ، وان اضافوه الى اسم جمع ظاهراً او مضمراً جمعوه . وان اضافوه الى اسم مثنى فالاصح في لغتهم جمعه كقوله (فَتَدَّ صَغْتُ قُلُوبَكُمَا) وإنما هما قلبان . وك قوله (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا) وتقول العرب : اضرب اعنقاها . وهذا اصح استعمالهم . وتارة يفردون المضاف فيقولون : لسانها وقلبها . وتارة يثنون كقوله <sup>(١)</sup> « ظهر اهنا مثل ظهور الترسين » والقرآن انما نزل با اللغة العرب لا با اللغة المجمع والطاطم والانباط <sup>(٢)</sup> الذين افسدوا الدين وتلاعبوا بالنصوص فجعلوها عرضة لتلاؤيل الجاهلين . وإذا كان من لغتهم وضع الجمّ موضع التنبيه ثلاثة يجمعوا في لفظ واحد

(١) صلى الله عليه وسلم في وصف سحابتين (٢) قال في لسان العرب : الطاطمة بفتح الطاءين ، العجمة ، والطمطم ، والطمطمى . بكسر العطاءات والطاطم والطمطمى بضمها هو الاعجم الذى لا ي Finch . والنبط جيل ينزلون البعض بين العراقيين ، لغتهم خليط من العربية والجمالية

يَنْ تَثْنِيَتِينَ ، وَلَا بَسْ هَنَاكَ ، فَلَأَنْ يَوْضُعُ الْجَمْعُ مَوْضِعَ التَّثْنِيَةِ فَمَا إِذَا كَانَ  
الْمُضَافُ إِلَيْهِ [تَثْنِيَةً] أَوْلَى بِالْجُوازِ . يَدْلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّكَ لَا تَكَادُ تَجْدِفُ كَلَامَهُمْ  
عَيْنَانَ وَيَدَانَ وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَى السَّمْعِ قَوْلُ الْمُتَكَلِّمِ : زَرَّاكَ بِاعْيَنِنَا  
وَنَأْخُذُكَ بِاِيْدِينَا . وَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ بَشَرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَيْوَنَا كَثِيرَةٌ عَلَى

وَجْهٍ وَاحِدٍ

(الحادي عشر) ان لفظ اليـد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفرداً  
ومثنـيـاً، وبـجمـوعـاـ. فـالمـفـرـدـ كـقولـهـ (يـدـهـ الـمـلـكـ) وـالـمـثـنـيـ كـقولـهـ (خـلـقـتـ يـدـيـ)  
وـالـجـمـوعـ (عـمـلـتـ أـيـدـيـنـاـ) فـحيـثـ ذـكـرـ الـيـدـ مـثـنـاـ أـضـافـ الـفـعـلـ إـلـىـ نـفـسـهـ  
بـضمـيرـ الـافـرـادـ عـدـيـ الـفـعـلـ بـالـبـاءـ الـيـهـاـقـفـالـ (خـلـقـتـ يـدـيـ) وـحـيـثـ ذـكـرـهاـ  
بـجـمـوعـ اـضـافـ الـعـمـلـ إـلـيـهاـ وـلـمـ يـعـدـ الـفـعـلـ بـالـبـاءـ . فـهـذـهـ ثـلـاثـةـ فـروـقـ ، فـلـاـ يـحـتـمـلـ  
(خـلـقـتـ يـدـيـ) أـمـنـ الـجـازـ مـاـ يـحـتـمـلـهـ (عـمـلـتـ أـيـدـيـنـاـ) فـإـنـ كـلـ أـحـدـ يـفـهـمـ  
مـنـ قـولـهـ (عـمـلـتـ أـيـدـيـنـاـ) مـاـ يـفـهـمـهـ مـنـ قـولـهـ : عـمـلـنـاـ وـخـلـقـنـاـ ، كـمـاـ يـفـهـمـ ذـلـكـ  
مـنـ قـولـهـ (بـمـاـ كـسـبـتـ أـيـدـيـكـمـ) وـاـمـاـ قـولـهـ (خـلـقـتـ يـدـيـ) فـلـوـ كـانـ الـمـرـادـ  
مـنـهـ مـجـرـدـ الـفـعـلـ لـمـ يـكـنـ لـذـكـرـ الـيـدـ بـعـدـ نـسـبـةـ الـفـعـلـ إـلـىـ الـفـاعـلـ مـعـنـيـ ،  
فـكـيـفـ وـقـدـ دـخـلـتـ عـلـيـهـ الـبـاءـ ؟ فـكـيـفـ إـذـ تـنـيـتـ ؟ وـسـرـ الـفـرـقـ إـنـ الـفـعـلـ  
قـدـ يـضـافـ إـلـىـ يـدـ ذـيـ الـيـدـ وـالـمـرـادـ الـاضـافـةـ إـلـيـهـ كـقولـهـ (بـمـاـ قـدـمـتـ يـدـاـكـ)  
(بـمـاـ كـسـبـتـ أـيـدـيـكـمـ) وـاـمـاـ إـذـ أـضـيـفـ إـلـيـهـ الـفـعـلـ ثـمـ عـدـيـ بـالـبـاءـ إـلـىـ يـدـهـ  
مـفـرـدـةـ اوـمـثـنـاـ فـهـوـ مـاـ باـشـرـتـ يـدـهـ . وـلـهـذـاـ قـالـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ عـمـرـ وـ «ـ إـنـ اللـهـ لـمـ  
يـخـلـقـ يـدـهـ إـلـاـلـاـنـاـ : خـلـقـ أـدـمـ يـدـهـ ، وـغـرـسـ جـنـةـ الـفـرـدـوـسـ يـدـهـ ، وـكـتـبـ

التوراة يده » فلو كانت اليدي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت  
لآدم فضيلة بذلك على كل شيء مما خلق بالقدرة . وقد اخبر النبي صلى الله عليه  
وسلم ان اهل الموقف يأتونه يوم القيمة فيقولون « يا آدم انت أب البشر  
خليق الله يده » وكذلك قال آدم لموسى في مجاجته له « اصطفاك الله بكلامه  
وخط لك الألواح يده » وفي لفظ آخر « كتب لك التوراة يده » وهو من  
أصح الأحاديث ، وكذلك الحديث المشهور « ان الملائكة قلوا : يا رب  
خلقت بي آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا  
ولنا الآخرة . فقال الله تعالى : ألا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي  
ونفخت فيه من روحه كمن قلت كن فكان ؟ » وهذا التخصيص انما فهم من  
 قوله ( خلقت بيدي ) فلو كان مثل قوله ( ما عملت بيدينا ) لكان هو  
والأنعام في ذلك سواء . فلما فهم المسلمون ان قوله ( ما منعت أن تسجد لما  
خلقت بيدي ) يوجب له تخصيصاً وتفضيلاً بكونه مخلوقاً باليدين على من  
أمر ان يسجد له وفهم ذلك اهل الموقف حين جعلوه من خصائصه كانت  
التسوية بينه وبين قوله ( أو لم يو أنا خلقتهم مما عملت بيدينا نعاماً )  
خطأً مفضلاً كذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح  
« يقبض الله سمواته بيده والارض باليد الأخرى » وقوله صلى الله  
عليه وسلم « يمين الله ملائى لا يغيبها نفقه ، سحاء <sup>(١)</sup> الليل والنهار .  
رأيتم ما انفق منذ خلق الخلق ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى

(١) السحاء كثيرة العطاء

القسط يخفيه ويرفع » وقال تعالى (وَقَاتَ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً غَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، في أعلى أهل الجنة منزلة « أولئك الذين غرست كرامتهم في يديه وختمت عليها » وقال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده ، فقال لها : تكلمي ، فقالت قد افاح المؤمنون » وقال عبدالله بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي لا يدخلها مدم من خمر ولا ديوث » وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « تكون الأرض يوم القيمة خبزة واحدة يتكتف بها الجبار بيده كما يتكتف أهداكم خبزه في السفر <sup>(١)</sup> نولا لأهل الجنة » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاح الصلاة « لبيك وسعديك والخير كله بيديك » وفي الصحيح أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل » وقال عبدالله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأيدي ثلاثة : في يد الله العليا ويد المعطي التي تلتها ، ويدسائل السفل » وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال « المقطيون عند الله يوم القيمة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلنا بيديه يمين » وفي المسند وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي

(١) قال في النهاية : يريد الخبزة التي يصنعها المسافر ويضعها في الملة . وهي الجرة . فأنها لا تبسط كالرقة وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي

عَزِيزَةَ «لَمَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحُ عَطْسَ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَخَمَدَ اللَّهُ  
بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : يَرْجُكَ رَبُّكَ يَا آدَمَ . وَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى أَوْلَئِكَ  
الْمَلَائِكَةِ إِلَى نَفْرِ مِنْهُمْ جَلْوَسْ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَذَهَبْ فَقَالُوا : وَعَلَيْكُم  
السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : هَذِهِ تَحْيِيَتُكَ وَتَحْيِيَةُ بَنِيكَ  
يَنْهُمْ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَيَدَاكَ مَقْبُوضَتَانِ ، اخْتَرْ أَيْهَا شَاءْتَ ، فَقَالَ : اخْتَرْتَ  
يَمِينَ رَبِّي ، وَكَلَّا تَا يَدِي رَبِّي يَمِينَ مَبَارَكَةَ ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ -  
الْحَدِيثُ » وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَقُولُ «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهَرَهُ يَمِينَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ ، فَقَالَ :  
خَلَقْتَ هُؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهَرَهُ فَاسْتَخْرَجَ  
مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ : خَلَقْتَ هُؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ » وَقَالَ  
هَشَامُ بْنُ حَكِيمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ أَخْذَ ذُرِّيَّةَ بْنِي  
آدَمَ مِنْ ظَهَورِهِ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، ثُمَّ أَفَاضَ بَهْمَ فِي كَفِيهِ . ثُمَّ قَالَ :  
هُؤُلَاءِ الْجَنَّةُ وَهُؤُلَاءِ النَّارِ » وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ نَفْضَهُ  
نَفْضَ الْمَزْوَدِ فَقَبَضَ قَبْضَتَيْنِ ، فَقَالَ مَا فِي الْيَمِينِ : فِي الْجَنَّةِ ، وَقَالَ مَا فِي الْأَخْرَى  
فِي النَّارِ » وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ  
خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ بَغْاءَ بْنُ آدَمَ عَلَى قَدْرِ  
الْأَرْضِ فَتَهْمَ الْأَحْمَرُ وَالْأَيْضُ وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ  
وَالْطَّيْبُ وَالْخَيْثُ » وَقَالَ سَلَمَانُ الْفَارَسِيُّ «إِنَّ اللَّهَ خَرَ طِينَةَ آدَمَ  
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ ضَرَبَ يَدِيهِ فِيهَا خَرْجَ كُلِّ طَيْبٍ يَمِينَهُ وَخَرْجَ

كل خييث يده الاخرى » وقال ابو هريرة قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « ما تصدق احد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، إلا أخذها الرحمن يمينه ، وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل » متفق عليه . وقال أنس قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « ان الله وعدني ان يدخل الجنة من امتی اربعائة الف » فقال ابو بكر : زدنَا يارسول الله قال « وهكذا » وجمع يديه . قال : زدنَا يارسول الله قال « وهكذا » . قال : زدنَا يارسول الله . فقال عمر : حسبك فقال ابو بكر دعني يا عمر ، وما عليك ان يدخلنا الله الجنة كانا ؟ فقال عمر : ان شاء الله ادخل خلقه الجنة بكف واحدة ، فقال النبي صلی الله علیه وسلم « صدق عمر » وقال نافع بن عمر : سألت ابن ابي مليكة عن يد الله واحدة او اثنتان ؟ فقال : لا ، بل اثنتان . وقال ابن عباس رضي الله عنهم : « مالسموات السبع والارضون السبع وما فيها في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم » وقال ابن عمر وابن عباس « أول شيء خلقه الله القلم ، فيأخذه يمينه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا وما فيها من عامل ومعمول في بر وبحر ورطب ويابس فأحصاه عنده » وقال ابن عباس ، في قوله تعالى ( وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ  
يَمِينِهِ ) « يقبض الله عليها فما يرى طرفها في يده » وقال ابن عمر رضي الله عنهم « رأيت رسول الله صلی الله علیه وسلم قائما على المنبر فقال : ان الله تعالى إذا كان يوم القيمة جمع السموات والارض في قبضته ثم قال هكذا ، ومدىده وبسطها ، ثم يقول : أنا الله أنا الرحمن - الحديث » وقال وهب عن

اسامة عن نافع عن ابن عمر : ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر  
(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَاتٌ يَمْيِنِيهِ) قال :  
« مطوية يمينه يرمي بها كابر يغلام بالكرة » وقال عبيد الله بن مقدم :  
نظرت الى عبد الله بن عمر كيف صنع يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
قال « يأخذ الله سماواته وأرضيه بيده ، فيقول : أنا الله » ويقبض أصابعه  
ويبيسطها « ويقول أنا الرحمن أنا الملك » حتى اني انظر الى المنبر يتحرك  
من اسفل منه حتى اني اقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
وقال زيد بن اسلم : ما كتب الله التوراة بيده قال « بسم الله ، هذا كتاب الله  
بيده لعبد موسى يسبحني ريقدي ولا يخلف باسي آئفاني لا ازكي  
من حلف باسي آئما »

وانما ذكرنا هذه النصوص التي هي غير من فيض لعلم الواقف عماها  
انها لا يفهم احد من عقلاه بني آدم منها شخصا له شق واحد وعليه ايد  
كثيرة ، وله ساق واحد ، وله اعين كثيرة

## فصل

### في الرذائل الرواجية على المتأول

ما كان الاصل في الفظ هو الحقيقة والظاهر كان العدول به عن  
حقيقة مجرده عن الاصل فاحتاج مدعى ذلك الى دليل يسوغ له اخراجه  
عن اصله ، فعليه اربعة امور لا تم دعواه إلا بها :  
(الامر الاول) بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله في ذلك التركيب

الذي وقع فيه ، والا كان كاذبا على اللغة . فان اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة  
 وان احتمله فقد لا يحتمله في ذلك التركيب الخاص . وكثير من المتأولين  
 لا يبالي اذا تهيا له حمل اللفظ على ذلك المعنى باي طريق امكنته الى  
 مقصوده دفع الصائل ، فبأي طريق تهيا له دفعه . فان النصوص  
 قد صالت على قواعده الباطلة ، وليس لاحد ان يحمل كلام الله ورسوله  
 على كل ماساغ في اللغة والاصطلاح لبعض الشعراء او الخطباء والكتاب  
 والعامية الا اذا كان ذلك غير مخالف لما عالم من وصف الرب سبحانه  
 وأسمائه وما اتضافرت به صفاتاته لنفسه وصفات رسوله ، وكانت اراده ذلك  
 المعنى بذلك اللفظ مما يجوز ويصلح لنسبتها الى الله تعالى لاسمها والتأول يخبر  
 عن مراد الله ورسوله ، فان تأويل كلام المتكلم بما يوافق ظاهره او يخالفه  
 اناه هو بيان اراده . فاذا علم ان المتكلم لم يرد هذا المعنى وآله يتمتنع أن  
 يريده وان في صفات كماله ونحوت جلاله ما يمنع من ارادته استعمال  
 الحكم عليه باراده . فهذا أصل عظيم يجب معرفته . ومن احاط به فهو  
 تبين له ان كثيرا مما يدعوه المحرفون للتآويلاط ، مما يعلم قطعاً أن المتكلم  
 لم يرده . واما كان ذلك مما يسوغ لبعض الشعراء او الكتاب انقادين  
 التعمية ، لغرض من الاغراض فلا بد ان يكون المعنى الذي تأوله التأول  
 مما يسوغ استعمال اللفظ فيه في تلك اللغة التي وقع بها التخاطب ، وان يكون  
 ذلك مما يجوز نسبته الى الله تعالى والا يعود على شيء من صفات كماله بالباطل  
 والتعطيل ، وان تكون معه قرائن تختلف به تبين انه مراد باللفظ ، و إلا كانت

دعوى ارادته كذبا على المتكلم . ونحن نذكر لك امثلة :  
المثال الأول . تأويل قوله تعالى ( خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا  
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) بأنه اقبل على خلقه ، فهذا انشاء منهم  
لوضع لفظ استوى على أقبل . وهذا لم يقله احد من اهل اللغة ، فاتهم  
ذكروا معاني استوى ، ولم يذكر أحد منهم في معانيه الا قبل على الخلق .  
في هذه كتب اللغة طبقة الارض لا تجده احدا منهم يحكي ذلك عن اللغة .  
وايضا فاز استواء الشئ والاستواء اليه والاستواء عليه يستلزم وجوده  
ووجود ما نسب اليه الاستواء بالي أو بعل . فلا يقال : انتوى الى امر  
معدوم ولا استوى عليه . فهذا التأويل انشاء عرض لا اخبار صادق عن  
استعمال اهل اللغة . وكذلك تأويلهم الاستواء بالاستيلاء فان هذا لا تعرفه  
العرب من لغتها ، ولم يقله احد من ائمة اللغة . وقد صرحت ائمة اللغة كان  
الاعرابي وغيره بأنه لا يعرف في اللغة . ولو احتمل ذلك لم يحتمله هذا  
التركيب ، فان استيلاءه سبحانه وجلبه للعرش لم يتآخر عن خلق السموات  
والارض ، فالعرش مخلوق قبل خلقها بأكثر من خمسين الف سنة ، كما اخبر  
 بذلك الصادق المصدوق عليه السلام في مصاحف عنه . وبطلاز هذا التأويل من اربعين  
 وجها سند كرها ان شاء الله في موضعها من هذا الكتاب  
 فعل المتأول ان يبين احتمال النافذ المعنى الذي ذكره أولا ويبين تعين  
ذلك المعنى ثانيا ، فاته اذا خرج عن حقيقته قد يكون له عدة معانى فتعين  
ذلك المعنى يحتاج الى دليل

(الثالث) <sup>(١)</sup> اقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره . فان دليل المدعي لحقيقة والظاهر قائم ، فلا يجوز العدول عنه الا بدليل صارف يكون اقوى منه

(الرابع) الجواب عن المعارض ، فان مدعى الحقيقة قد قام الدليل العقلي والسمعي عنده على ارادته الحقيقة : اما السمعي فلا يمكن ذلك الكابرة انه معه . واما العقلي فن وجهين : عام ، وخاص ، فالعام الدليل الدال على كمال علم التكلم ، وكامل بيانه ، وكامل نصيحة . والدليل العقلي على ذلك اقوى من الشبه الخيالية التي يستدل بها النفاية بكثير . فان جاز مخالفة هذا الدليل القاطع فمخالفة تلك الشبه الخيالية اولى بالجواز . وان لم يجز مخالفة تلك الشبه فامتناع مخالفة الدليل القاطع اولى . واما الخاص فكل صفة وصف الله تعالى بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فهي صفة كامل قطعا . فلا يجوز تعطيل صفات كامله وتؤديها بما يبطل حقائقها فالدليل العقلي الذي دل على ثبوت الحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر ، دل نظيره على ثبوت الحكمة والرضا والرحمة والغضب والفرح والضحك . والذى دل على أنه قادر بشيئته و اختياره ، دل على قيام افعاله . وذلك عين الكمال . وكل صفة دل عليها الكتاب والسنة فهي صفة كامل . والعقل جازم بثبات صفات الكمال لله تعالى . ويترتب ان يصف نفسه او يصفه رسوله بصفة توهم تقصاً . وهذا الدليل ايضاً اقوى من كل شبهة بالنفاية

(١) لم يتقدم الامر الثاني وقد بحثنا لعله غلط من الناسخ جعل الثاني ثالثاً والثالث رابعاً فلم يجد ما يصلح أن يكون رابعاً في الكلام الآتي فليتأمل

يوضحه أن أدلة مبادئه الرب خالقه وعلوه على جميع مخلوقاته أدلة عقلية فطرية توجب العلم الفروري بعلوها  
وأما السمعية فتقارب الف دليل . فعل المتأول أن يحيط عن ذلك كله . وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك . فنحن نطالبه بجواب صحيح عن دليل واحد وهو :  
ان الرب تعالى إما أن يكون له وجود خارج عن الذهن ثابت في الأعيان ، أولاً ؟ فإن لم يكن له وجود خارجي كان خيالاً قائمًا بالذهن لحقيقة له ، وهذا حقيقة قول المعطلة ، وإن تستروا بزخرف من القول ، وإن كان وجوده خارج الذهن فهو مبادر له ، أو هو منفصل عنه . اذلو كان قائمًا به لكان عرضًا من اعراضه . وحينئذ فاما أن يكون هو هذا العالم ، أو غيره .  
فإن كان هذا العالم ، فهذا تصريح بقول اصحاب وحدة الوجود ، وأنه ليس لهذا العالم آله مبادر له ، منفصل عنه . وهذا اكفر اقوال أهل الأرض .  
فإن كان غيره ، فاما أن يكون قائمًا بنفسه ، او قائمًا بالعالم ؟ فإن كان قائمًا بالعالم ، فهو جزء من اجزاءه ، او صفة من صفاته . وليس هذا بقيوم السموات والارض . وإن كان قائمًا بنفسه ، وقد علم ان العالم قائم بنفسه فذاك قائمتان بنفسها ليست احداهما داخلة في الأخرى ، ولا خارجة عنها ، ولا متصلة بها ، ولا منفصلة عنها ، ولا مماثلة ولا مبادئه ، ولا فوقها ، ولا تتحتها ، ولا خلفها ، ولا امامها ، ولا عن يمينها ، ولا عن شيمها ، كلام له خبيٌ لا يخفى على عاقل منصف . والبدايته الضرورية حاكمة باستحالة هذا ، بل باستحالة تصوره فضلاً عن التصديق به

قالوا : فتحن نطالبكم بجواب صحيح عن هذا الدليل الواحد من جملة  
الف دليل . ونعلم قبل المطالبة ان كل الجميين على وجه الارض لو  
اجتمعوا لما اجاوا عنه بغير المكابرة والتشنيع على اهل الايات بالتجسيم  
والسب . هذه وظيفة كل مبطل قامت عليه حجة الله تعالى

### فصل

في بيانه أنه النأويل شر من النطيل

فانه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعيب بالنصوص واسادة الظن  
بها ، فان المعطل والمؤول قد اشتراكا في نفي حقائق الاسماء والصفات .

وامتاز المؤول بتلاعيبه بالنصوص واسادة الظن بها ونسبة قائلها بالتكلم .<sup>(١)</sup>  
بما ظاهره الضلال والاضلال . جمعوا بين أربعة محاذير : اعتقادهم ان  
ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل ، ففهموا التشبيه او لا . ثم انتقلوا منه  
إلى المذور الثاني وهو التعطيل ، فعطلا حقائق ابناء منهم على ذلك الفهم الذي  
لا يليق بهم ولا يليق بالرب سبحانه . المذور الثالث نسبة المتكلم الكامل  
العلم ، الكامل البيان ، التام النصح إلى ضد البيان والهدى والارشاد ، وإن  
المتخيرين المتهوّفين اجادوا العبارة في هذا الباب ، وعبروا بعبارة لاتوهم  
من الباطل ما أووهته عبارة المتكلم بذلك النصوص . ولا ريب عند كل عاقل  
ان ذلك يتضمن انهم كانوا اعلم منه او افصح او انصح للناس . المذور الرابع

(١) كذا بالاصل ، والظاهر ( ونسبة قائلها الى التكلم )

تلاءبهم بالنصوص وانتهائاً حرماتها . فلو رأيتها . وهم يلوكونها بافواههم  
وقد حلت بها المثلاط وتلاءبت بها الموج التأويلات ، ونادي عليها أهل  
التأويل في سوق من يزيد ، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويل ما يريد .  
 ولو رأيتها وقد عزت عن سلطنة اليقين ، وجعلت تحت تحكم تأويل  
الجاهلين . هذا وقد قعد النفاوة على صراطها المستقيم بالدفع في صدورها  
والاعجاز ، وقالوا : لا طريق لك علينا ، وان كان ولا بد فعل سبيل المجاز ،  
فنجن اهل المعقولات واصحاب البراهين ، وانت ادلة لفظية ، وظواهر  
سمعية ، لا تقييد العلم ولا اليقين ، فمنذك آحاد ، وهو عرضة للطعن في  
الناقلين . وان صبح وتوارى ففهم مراد المتكلم منها موقوف على انتفاء  
عشرة اشياء لا سبيل الى العلم بانتفاءها عند الناظرين والباحثين . فلا إله  
إلا الله والله اكبر ! : كم هدمت هذه المعاول من معافل اليمان ، وتنامت  
بها حصون حقائق السنة والقرآن . فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم  
من افضل الجهاد في سبيل الله . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لحسان بن  
ثابت « ان روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله »

واعلم انه لا يستقر لاعبد قدم في الاسلام حتى يعقد قابه على ان  
الدين كله لله ، وان الهدى هدى الله ، وان الحق دائر مع الرسول صلى الله  
عليه وسلم وجوداً وعدماً ، رانه لامطاع سواه ولا متبع غيره ، وان  
كلام غيره يعرض على كلامه فان وافقه قبلناه ، لا لأنّه قاله ، بل لأنّه  
أخبر به عن الله تعالى ورسوله ، وان خالفه رددهناه . ولا يعرض كلامه

صلى الله عليه وسلم على آراء القياسيين ، ولا على عقول الفلاسفة والمتكلمين  
ولا اذواق المترهددين ، بل تعرض هذه كلاما على ماجاء به ، عرض الدرام  
المجهولة على أخبار الناقدين . فما حكم بصحته فهو منها المقبول ، وما حكم  
برده فهو البردود

### فصل

في انه فصر المتتكلم من المخاطب عمل كلامه على معرف ظاهره  
وهقيقة بنافي فهر البيان والرسار . وان القصد بنينا فياته . وانه  
ذكر بدوره ذلك الخطاب غيره وافرب الى الردوى  
اما كان القصد بالخطاب دلالة السامع وفهمه مراد المتتكلم من كلامه  
وان يبين له ما في نفسه من المعنى . وان يدله على ذلك بأقرب الطرق كان  
ذلك موقوفا على امرین : بيان المتتكلم ، وتمكن السامع من الفهم . فان لم  
يحصل البيان من المتتكلم ، او حصل ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل  
مراد المتتكلم ، فإذا بين المتتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده ولم يعلم  
السامع معاني تلك الألفاظ لم يحصل له البيان ، فلا بد من تمكن السامع من  
الفهم وحصول الأفهام من المتتكلم . وحيثئذ فلو اراد الله ورسوله من كلامه  
خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه أن يفهم مراده غالبا  
يدل عليه ، بل بما يدل على تقدير مراده ، واراد منه فهم الذي لما يدل على غاية  
الآيات ، وفهم الشيء بما يدل على صدره ، واراد منه ان يفهم انه ليس فوق العرش  
الله يعبد ، وانه لا داخل العالم ، ولا خارجه ، ولا فوقه ، ولا تحته ، ولا

خلفه ، ولا امامه ، بقوله ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) و قوله ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ )  
واراد النبي صلي الله عليه وسلم افهم امته هذا المعنى بقوله « لا تفضلوني  
على يونس بن متى » واراد افهم كونه خلق آدم بقدرته ومشيئته بقوله  
( مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذَا خَلَقْتُكَ يَدِيًّا ) وأراد افهم تخريب السموات  
والارض واعادتها الى العدم بقوله « يقبض الله السموات بيده اليمنى  
والارض باليد الاخرى ، ثم يزهن ، ثم يقول : أنا املك » واراد افهم  
معنى : من ربك ومن تعبد ، بقوله « اين الله ؟ » واشار باصبعيه الى السماء  
مستشهدًا بربه ، وليس هناك رب وإنما ، وانما اراد افهم السامعين ان  
الله قد سمع قوله وقوفهم . فاراد بالاشارة باصبعه بيان كونه قد سمع قوله .  
وامثال ذلك من التأوييلات الباطلة التي يعلم السامع قطعاً انها لم ترد بالخطاب .  
ولا تجتمع قصد البيان

قال شيخ الاسلام <sup>(١)</sup> : ان كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاوة الذين  
لا يجدون ما يقولون في الكتاب والسنّة وكلام السلف والأئمة ، بل يجدونها  
على خلاف الحق عندهم امانصاً واما ظاهراً ، بل دلت عندهم على الكفر  
والضلال ، لزم من ذلك لوازم باطلة : منها ان يكون الله سبحانه قد انزل  
في كتابه وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم من هذه الالفاظ ما يضليل ظاهره

(١) هو الشیخ الامام قدوة الانام شیخ المجاهدین في وقته المحتهد المطلق .  
احمد بن عبد الحکیم بن تیمیة الحرائی ولد بحران فی شهر ربیع الاول سنة ٦٦١  
وتوفی مسجوناً لجهاده فی قع الباطل والضلال بقلعة دمشق فی العشرين من  
ذی القعده سنة ٧٢٨ رحمه الله ورضی عنہ واثابه الفردوس

ويوقعهم في التشبيه والتشليل . ومنها ان يكون قد تدرك بيان الحق والصواب  
ولم يفصح به ، بل رمز اليه رمزاً وألغذه إلغازاً لا يفهم منه الا بعد الجهد  
الجهيد . ومنها ان يكون قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك الألفاظ  
حقائقها وظواهرها ، وكافهم ان يفهموا منها مالا تدل عليه . ولم يجعل  
معها قرينة تفهم ذلك . ومنها ان يكون دائماً متتكلماً في هذا الباب بما ظاهره  
خلاف الحق بانواع متنوعة من الخطاب ، تارة بأنه استوى على عرشه ،  
وتارة بأنه فوق عباده ، وتارة بأنه العلي الاعلى ، وتارة بان الملائكة تمرج  
اليه ، وتارة بان الاعمال الصالحة ترفع اليه ، وتارة بان الملائكة في نزولها  
من العلو الى اسفل تنزل من عنده ، وتارة بأنه رفيع الدرجات ، وتارة بأنه  
في السماء ، وتارة بأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، وتارة بأنه فوق سمواته  
على عرشه ، وتارة بان الكتاب نزل من عنده ، وتارة بأنه ينزل كل ليلة  
إلى سماء الدنيا ، وتارة بأنه يرى بالابصار عياناً يراهم المؤمنون فوق رؤسم ،  
إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على ذلك ، ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة  
يوافق ما يقوله النفاوة ولا يقول في مقام واحد ما هو الصواب فيه لا نصا  
ولا ظاهراً ولا يدنة . ومنها ان يكون افضل الامة وخير القرون قد  
امسکوا من أولهم الى آخرهم عن قول الحق في هذا النباء العظيم الذي  
هو من أهم أصول الإيمان . وذلك اما جهل بنا في العلم ، واما كتمان .  
ولقد اساء الظن بخيار الامة من نسبتهم الى ذلك . ومعلوم انه اذا ازدوج  
التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينها جهل الحق واضلال

الخلق . ولهذا لما اعتقاد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدل  
 على التعطيل والنفي نصاً وظاهراً ، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة  
 الأثبات لا نصاً ولا ظاهراً . وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح  
 أو ظاهر في الأثبات حرفوه أنواع التحريفات ، وطلبوه مستكراً  
 التأويلاً . ومنها انهم أذمروا لذلك تجحيل السلف وانهم كانوا أميين  
 مقبلين على الرزد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ، ولم تكن  
 الحقائق من شأنهم . ومنها ان ترك الناس من إزالة هذه النصوص كان  
 انفع لهم وأقرب إلى الصواب . فأنهم ما استفادوا بتركها غير التعرض  
 للضلال ، ولم يستفيدوا منها يقيناً ولا علماً ما يحب الله ويكتنع عليه ، اذ ذلك  
 إنما يستفاد من عقول الرجال . فان قيل : استفادنا منها الثواب على تلاوتها  
 وانعقاد الصلاة بها . قيل : هذا تابع للمقصود بها بالقصد الأول ، وهو  
 الهدى والارشاد والدلالة على ثبات حقائقها ومعانيها والإيمان بها ، فان  
 القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاد الصلاة ، بل انزل ليتدبر ويعقل  
 ويهدى به عالماً وعملاً ، ويبصر من العمى ويرشد من الغي ويعلم من الجهل  
 ويشفي من العي ويهدي إلى صراط مستقيم . وهذا القصد ينافي قصد  
 تحريفه وتأويله بالتأويلاً الباطلة المستكراً التي هي من جنس الالغاز  
 والاحاجي ، فلا يجتمع قصد الهدى والبيان وقصد ما يضاده أبداً  
 وما يبين ذلك ان الله تعالى وصف كتابه بأوضح البيان وأحسن  
 التفسير فقال تعالى ( وَزَرَّنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

ورحمة وبشري للمسلمين ) فain بيان المخالف فيه والهدى والرجمة في الفاظ ظاهرها باطل والمراد منها اطلب انواع التأويلاط المستكرهه المستكرونه لها التي لا يفهم منها ، بل يفهم منها ضدتها ؟ وقال تعالى ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الَّذِكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ) فain بين الرسول صلي الله عليه وسلم ما يقوله النفاة والمتاولون ؟ وقال تعالى ( وَاللهُ يَقُولُ أَخْقَ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلُ ) وعند النفاة انما حصلت الهداية بأبكار افكارهم ونتائج آراءهم . وقال تعالى ( فَيَأْتِيَ حَدِيثٌ بَعْدِهِ يُؤْمِنُونَ ) وعند النفات المخرجين لنصوص الوحي عن افاده اليقين . إنما حصل اليقين بالhadith الذي أنسسه الفلاسفه والجهمية والمعزلة ونحوهم ، فيه اهتدوا ، وبه امنوا ، وبه عرفوا الحق من الباطل ، وبه صحت عقولهم ومعارفهم . وقال تعالى ( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ) وأنت لا تجد اختلاف في شيء أكثر منه في آراء المتأولين التي يسمونها قوام عقلية ، وهي عند التحقيق خيالات وهمية نبذوا بها القرآن والسنة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ( مَا يُوحى بِعِصْمِهِ إِلَيْهِ بَعْضُ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَقَدْرُهُمْ وَمَا يَهْرُونَ . وَلَتَصْنَعِنَّ إِلَيْهِ أَفْتَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضُوهُ وَلَيَغْتَرِفُوا مَاعْمَلُهُمْ مُقْتَرُفُونَ . أَفَفِيَرَ اللَّهُ أَبْتَغَ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ مَا لَقَيْتُ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . وَمَمْتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدَلًا لَا مُبْدِلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ تُطْعِمُ أَكْثَرَهُمْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَعَمَّدُونَ إِلَّا لِظُنْنٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضْلِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ )

## فصل

فِي يَاهِ اهْ مَعَ كَالْ عَلَمِ الْمُنْكَلَمِ وَفَصَاهَهُ وَبَاهَ وَنَصَعَ

يَعْتَنِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَرِيدَ بِكَلَامِهِ خَالِفَ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ

وَيَكْتَفِي مِنْ هَذَا الْفَصْلِ بِذِكْرِ مَنَاظِرَةِ جَرَتْ بَيْنَ جَهَنَّمِي وَسَنِي

حَدِثَنِي بِتَضْمُونِهَا شِيخُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَيمِيَّةَ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ جَمَعَهُ وَبَعْضَ الْجَهَنَّمِيَّةِ مَجْلِسَ

فَقَالَ الشِّيخُ :

فَدَّ تَطَابَقَتْ نَصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَنَارِعَلِيِّ إِثْبَاتُ الصَّفَاتِ

لَهُ ، وَتَنَوَّعَتْ دَلَالَتِهَا أَنْوَاعًا وَجَبَ الْعِلْمُ الْفَرْوَدِيُّ بِثَبَوتِهَا وَارادَةِ الْمُنْكَلَمِ

إِعْتِقادِ مَادِلَتِهِ عَلَيْهِ . وَالْقُرْآنُ مَلَوِّهُ مِنْ ذِكْرِ الصَّفَاتِ ، وَالسُّنَّةُ نَاطِقَةٌ بِهَا

نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ ، مَقْرُورَةً لَهُ ، مَصْدِقَةً لَهُ ، مَشْتَمِلَةً عَلَى زِيَادَةِ فِي الْإِثْبَاتِ فَتَارَةً

يَذْكُرُ الْإِسْمُ الدَّالُ عَلَى الصَّفَةِ كَالْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْقَدِيرُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَتَارَةً

يَذْكُرُ الْمُصْدِرُ وَهُوَ الْوَصْفُ الَّذِي اشْتَقَتْ مِنْهُ تَلَكَ الصَّفَةُ كَقَوْلِهِ (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ)

وَقَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ أَمْلَتِينَ) وَقَوْلِهِ (إِنِّي أَصْطَفْيَتُكَ عَلَى

النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) وَقَوْلِهِ (فَبَعَزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعُينَ) وَقَوْلِهِ

صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَ « حَجَابَهُ النُّورُ لَوْ كَشَفْهُ لَا حَرَقَتْ

سَبَحَاتُ وَجْهِهِ<sup>(٢)</sup> مَا انتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » وَقَوْلِهِ فِي دُعَاءِ الْإِسْتِخَارَةِ

(١) كَذَا بِالاَصْلِ وَشِيخُهُ اَنَّهُ شِيخُ الْاسْلَامِ اَحْمَدُ بْنُ تَيمِيَّةَ رَحْمَهُ اللَّهُ

(٢) قَالَ فِي النَّهَايَةِ : هِيَ فِي الْاَصْلِ جَمِيعَ سَبَحَةٍ بِضْمِ فَسْكُونٍ . ثُمَّ ذَكَرَ

لَهُ مَعْنَى عَدَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا كَلَهُ « أَنَّ الْمَعْنَى ، لَوْ اِنْكَشَفَ مِنْ أَنُورِ

اللَّهِ الَّتِي تَحْجَبُ الْعِبَادَ عَنْهُ شَيْءًا لَاهْلَكَ كُلَّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ذَلِكَ النُّورُ . كَمَا خَرَجَ

مُوسَى صَعْقَةً وَتَقْطَعَ الْجَبَلُ دَكَّا لَمَا تَجْلَى اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى «

اللهم اني استخيرك بعامتك واستقدرتك بقدرتك » وقوله « اسألك  
بعامتك الغيب وقدرتك على الخلق » وقول عائشة رضي الله  
عنها « سبحان الذي وسع سمعه الا صوات » ونحوه . ونارة يذكر  
حكم تلك الصفة كقوله (قد سمع الله) . (وَإِنِّي مُعْكَمٌ أَسْمَعُ وَأَرَى<sup>١</sup>) وقوله  
(فَتَدَرُّ نَافَّنِيمَ الْقَادِرُونَ) وقوله (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ  
أَنفُسَكُمْ) <sup>(١)</sup> ونظائر ذلك كثيرة

ويصرح في الفوقيه بلفظها الخاص ، وبالغط العلو والاستواء ، وانه  
(في السماء) وانه (دو الموارج) وانه (رفيع الدرجات) وانه (تُرْجَعُ إِلَيْهِ  
الْمَلَائِكَة) وتنزل من عنده ، وانه ينزل الى السماء الدنيا ، وان المؤمنين  
يرونه بأبصارهم عيانا من فوقهم . الى اضعف ذلك مما لو جمعت النصوص  
والآثار فيه لم تنقص عن نصوص الاحكام وآثارها . ومن اين الحال  
واوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره ، ودعوى المجاز  
فيه والاستعارة ، وان الحق في اقوال النفاة المعطلين ، وان تأويلا لهم هي  
المراده من هذه النصوص . اذ يلزم من ذلك محاذير ثلاثة لا بد منها ،  
وهي القدح في علم المتكلم بها ، او في بيانه ، او في نصيحة  
وتقرير ذلك ان يقال : إما ان يكون المتكلم بهذه النصوص عالماً ان

(١) تخونون انفسكم اذ تعتقدون شيئاً ثم لا تلتزمون العمل به . فهو  
مبالغة من الخيانة . روى البخاري رحمه الله في الصحيح عن البراء بن عازب  
رضي الله عنه قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله  
وكان رجال يخونون انفسهم فأنزل الله تعالى « علم الله انكم كتم تخنانون  
انفسكم - الآية »

الحق في تأويلاً لآيات النفي المعلقين ، او لا يعلم ذلك ؟ فان لم يعلم ذلك كان ذلك قدحًا في عالمه . وان كان عالمًا ان الحق فيها ، فلا يخلو اما ان يكون قادرًا على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه الله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجمس وانه لا يعرف الله من لم ينزله الله بها ، او لا يكون قادرًا على تلك العبارة ؟ فان لم يكن قادرًا على التعبير بذلك لزم القدح في فصاحته . وكان ورثة الصابئة وافراخ الفلاسفة واقواط المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة افصح منه واحسن بياناً وتعبيرًا عن الحق . وهذا مما يعلم بطلاً به بالضرورة اولياً واعداؤه وموافقوه ومخالفوه . فان مخالفيه لم يشكوا أنه افصح اخلاق واقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من الابس والاشكال وان كان قادرًا على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائمًا بخلافه كان ذلك قدحًا في نصيحة وقد وصف الله رسله بأنهم انصح الاخلاق لامتهم فع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفي المعلقة اصحاب التحرير هو الصواب ، وقول اهل الاتباع اتباع القرآن والسنن باطلًا ؟

قال المصنف : وقرب من هذه المعاشرة ما جرى لي مع بعض علماء اهل الكتاب ، وافقى بنا الكلام الى مسبة النصارى لرب العالمين مسبة ماسبه ايها احد من البشر ، قلت له : وانت بانكاركم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد سببتم رب تعالى اعظم مسبة ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنكم تزعمون ان محمدًا ملك ظالم ليس برسول صادق ، وانه خرج يستعرض الناس بسيفه فيستبيح اموالهم ونساءهم وذرارتهم ، ولا يقتصر على ذلك حتى

يُكذب على الله ويقول : الله أمرني بهذا وأباحه لي ، ولم يأمره الله ولا يَحْ  
له ذلك ، ويقول : أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ، وينسخ شرائع الأنبياء  
من عنده ، ويبطل منها ما شاء ويبتئ منها ما شاء ، وينسب ذلك كله إلى  
الله ، ويقتل أولياءه واتباع رسالته ، ويسترق نساءهم وذرارتهم . فاما ان يكون  
الله تعالى رائياً لذاك كله عالماً به ، اولاً ؟ فان قلتم ان ذلك بغير عالمه واطلاعه  
نسبتموه الى الجهل والغباءة ، وذاك من اقبح السب . وان كان عالماً به ،  
فاما ان يقدر على الاخذ على يديه ومنعه من ذلك ، اولاً ؟ فان قلتم : انه غير  
 قادر على منعه نسبتموه الى العجز . فان قلتم : بل هو قادر على منعه ولم  
 يفعل ، نسبتموه الى السفسخ والظلم . هذا وهو من حين ظهر الى ان تفاه  
ربه يحيي دعاءه ويقضي حوانجه ولا يقوم له عدو إلا اظفره به ؛ وامره  
من حين ظهر الى ان تفاه الله تعالى بزداد على الاليالى والايام ظهوراً أو على  
ورفعه ، وامر مخالفيه لا يزيد إلا سفو لا واصنه حلالا ، ومحبته في قلوب اخلق  
ترزىد على نبر الاوقات ، وربه تعالى يؤيده بأنواع التأييدات ، هذا وهو  
عندكم من اعظم اعدائه وأشدتهم ضرراً على الناس ، فأي قدر في رب  
العالمين ، وأي مسبة اعظم من ذلك ؟ فأخذ الكلام منه ما اخذ ، وقال : حاش الله  
ان تقول فيه هذه المقالة ، بل هونبي صادق ، كل من اتبعه فهو سعيد  
وكل منصف من يقر بذلك ويقول : اتباعه سعداء في الدارين ، قلت . فما  
يمنعك من الظفر بهذه السعادة ؟ فقال : واتباع كلنبي من الانبياء . فاتباع  
موسى ايضاً سعداء . قلت : فاذا اقررت انهنبي صادق . وقد كفر من لم

يتبعه . فان صدقته في هذا وجب عليك اتباعه ، وإن كذبته فيه لم يكن نبياً ، فكيف يكون اتباعه سعداء ؟ فلم يحرجو اباً ، وقال : حدثنا في غير هذا

## فصل

في بيانه انه تيسير القرآن للذكر ببيان محمد على النأدب المخالف  
لحقيقته وظاهره

أنزل الله الكتاب شفاء لما في الصدور و هدى و رحمة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه اشرف المعاني والفاظه افصح الالفاظ وأينها واعظمها مطابقة لمعانها المراده منها ، كما وصفه الله تعالى بقوله ( وَلَا يَأْتِيَكُمْ نَكِيلٌ إِلَّا جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا ) فالحق هو المعنى والمدلول الذي تتضمنه الكتاب والتفسير الاحسن هو الالفاظ الدالة على ذلك الحق فهو تفسيره وبيانه والتفسير اصله من البيان والظهور ويلاقيه في الاشتراق الاكبر الاسفار ومنه أسفار الفجر إذا الضاء ووضوح . ومنه السفر ليروز المسافر من البيوت ومنه السفر الذي يتضمن إظهار ما فيه من العلم . فلا بد ان يكون التفسير مطابقاً للمفسر مفهاله . ولا تجده كلاماً احسن تفسيراً ولا اتم بياناً من كلام الله سبحانه ، وهذا سماه الله بياناً واخبر انه يسره الذكر ويسير الفاظه لحفظه ، ومعانيه لفهم ، وأوامره ونواهيه للامتثال . ومعلوم انه لو كان بالفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسرا له بل كان معسرا عليه وإذا اريد من المخاطب ان يفهم من الفاظه مالا يدل عليه من المعاني أو يدل على

خلافه فهذا من اشد من التعسیر ، فإنه لا شيء أعنصر على الأمة من ان يراد منهم ان يفهموا كونه سبحانه لا دخالا في العالم ولا ، خارجه ، ولا متصلا به ، ولا منفلا عنه ولا مباين له ، ولا محايشا له ، ولا يرى بالبصر عياناً و ، لاله يد ، ولا وجه من قوله ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوني على يونس بن متى » ومن قوله ( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ) وأن يجهدوا أنفسهم وي CABDOW اعظم المشقة في تطابق ا نوع الاستعارات و ضرب المجازات و وحشى الإغاث ليحملوا على آيات الصفات و اخبارها ، ويقول : يا عبادي اعلموا اني اردت منكم ان تعمموا اني لست فوق العالم ، ولا اتحته ولا فوق العرش ، ولا ترفع الا يدي اليه ، ولا يعرج الي شئ ولا ينزل من عندي شئ من قولى ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) ومن قولى ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ) ومن قولى ( تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ) ومن قولى ( بَلْ رَفِيعُ اللَّهِ إِلَيْهِ ) ومن قولى ( رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ) ومن قولى ( وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) وان تفهموا انه ليس لي يدان من قولى ( لَمَا خَلَقْتُ بِيَدِي ) ولا عين من قولى ( وَلَقَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) فانكم متى فهمتم من هذه اللفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادي منها ، بل مرادي منكم ان تفهموا منها ما يدل على خلاف حقائقها وظواهرها . فأي تيسير يكون هناك وأي تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك ؟ ومعالوم ان خطاب الرجل بما لا يفهمه الا بترجمة ايسر عليه من خطابه بما كلف أن يفهم منه خلاف

موضعه . فتيسير القرآن مناف لطريق النقاوة المحرفين أعظم متأفة . ولهذا  
لما عسر عليهم أن يفهموا منه النفي عولوا فيه على الشبه الخيالية

### فصل

السؤال الكتب الـلتـرية على الرسماء والصفات

أكثر من اشتمـالـها على ما عـدـاه

وذلك اشرف متعاقبـها وعـظمـتها وشـدةـ الحاجـةـ إلى مـعـرـفـتهـ . فـكـانـتـ  
الـطـرـقـ إلىـ تـحـصـيـلـ مـعـرـفـتـهـ أـكـثـرـ وـاسـهـلـ وـاـيـنـ مـنـ غـيرـهـ . وـهـذـاـ مـنـ كـالـ  
حـكـمـةـ الـرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ وـتـنـامـ نـعـمـتـهـ وـاحـسـانـهـ ،ـأـنـ كـلـاـ كـانـتـ حـاجـةـ الـعـبـادـ  
إـلـىـ الشـيـءـ أـقـوىـ كـانـبـذـلـهـ لـهـ أـكـثـرـ وـاسـهـلـ . وـهـذـاـ فـيـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ . فـانـ  
حـاجـتـهـمـ مـاـ كـانـتـ إـلـىـ الـهـوـاءـ أـكـثـرـ مـنـ إـلـمـ فـيـ الـقـوـتـ كـانـ مـوـجـودـاـ مـعـهـمـ  
فـيـ كـلـ مـكـانـ وـزـمـانـ وـهـوـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـ . وـكـذـاكـ مـاـ كـانـتـ حـاجـتـهـمـ إـلـىـ  
الـمـاءـشـدـيـدـةـ ،ـاـذـ هـوـ مـادـةـ أـقـوـاـهـ وـفـوـاـهـ وـشـرـابـهـ كـانـ مـبـذـوـلـاـ لـهـ أـكـثـرـ  
مـنـ غـيرـهـ . وـهـكـذـاـ الـأـمـرـ فـيـ مـرـاتـبـ الـحـاجـاتـ . وـمـعـلـومـ أـنـ حـاجـتـهـمـ إـلـىـ  
مـعـرـفـةـ رـبـهـ وـفـاطـرـهـ فـوـقـ مـرـاتـبـ هـذـهـ الـحـاجـاتـ كـلـهاـ . فـاـنـهـ لـاـ سـعـادـةـ لـهـ  
وـلـاـ فـلـاحـ وـلـاـ صـلـاحـ وـلـاـ نـعـيمـ إـلـاـ بـأـنـ يـعـرـفـوهـ وـيـعـتـقـدـوهـ وـيـكـونـ هـوـ  
وـحـدهـ غـايـةـ مـطـلـوبـهـ ،ـوـالتـقـرـبـ إـلـيـهـ قـرـةـ عـيـونـهـ . فـتـيـ فقدـواـ ذـلـكـ كـانـواـ  
أـسـوـأـ حـالـاـ مـنـ الـأـنـعـامـ ،ـوـكـانـتـ الـأـنـعـامـ اـطـيـبـ عـيـشاـ مـنـهـمـ فـيـ الـعـاجـلـ  
وـاسـلـمـ عـاقـبـةـ فـيـ الـأـجـلـ

وـاـذـاـ عـلـمـ أـنـ ضـرـورـةـ الـعـبـدـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ رـبـهـ فـوـقـ كـلـ ضـرـورـةـ كـانـتـ

العناية ببيانها ايسراً لطرق واهداها وابيانها ، واذاساط التأويل على النصوص  
المستملة عليها فتسليطه على النصوص التي ذكرت فيها الملائكة أقرب بكثير  
فإن الله تعالى لم يذكر لعباده من صفة ملائكته و شأنهم وأفعالهم عشرة عشر معاشر  
ما ذكر لهم من نعمات جلاله وصفات كماله . فإذا كانت هذه قابلة للتأويل فالآيات  
التي ذكر فيها الملائكة أولى بذلك . ولذلك تأوه الملاحدة كما تأولوا نصوص المعاشر  
وال يوم الآخر وأبدوا لها تأويلاً ليس بدون تأويلاً جهنمية لنصوص  
الصفات . وأولت هذه الطائفة عامة نصوص الاخبار الماضية والآتية ،  
وقالوا الجهنمية : يبننا وينكم حاكم العقل . فان القرآن ، بل الكتب  
المنزلة ، مملوءة بذلك الفوقيه وعلو الله على عرشه ، وانه تكلم ، ويتكلم ،  
وانه موصوف بالصفات ، وان له افعالاً تقوم به ، هو بها فاعل ، وانه  
يرى بالبصر ، الى غير ذلك من نصوص آيات الصفات واخبارها التي  
اذا قيس اليها نصوص حشر هذه الاجساد وخراب هذا العالم واعدامه  
وانشاء عالم آخر وجدت نصوص الصفات اضعافاً اضعفها ، حتى قيل :  
ان الآيات والاخبار الدالة على علو الرب على خلقه واستوارائه على عرشه  
تقارب الألف ، وقد اجمع علماء المسلمين من اولهم الى آخرهم ، ما الذي  
سوغ لكم ، تأويلاًها وحرم علينا تأويلاً نصوص حشر الاجساد  
وخراب العالم ؟

فإن قلتم : الرسل اجمعوا على الجني به ، فلا يمكن تأويلاً له ، قيل :  
وقد اجمعوا انه استوى فوق عرشه ، وانه تكلم ومتكلم وانه فاعل حقيقة

موصوف بالصفات ، فان منع اجماعهم هناك من التأويل وجب ان يمنع هنا . فان قلتم : اوجب تأويل نصوص آيات الصفات ولم يوجد تأويل نصوص المعاد ؟ قلنا : هاتوا ادلة العقول التي تأولتم بها الصفات ، ونحضر ادلة العقول التي تأولنا بها المعاد وحضر الاجساد ، ونوازن بينها ليتبين أنها اقوى . فان قلتم : انكار المعاد تكذيب لما علم من الاسلام بالضرورة . قلنا : وايضاً انكار صفات رب وانه يتكلم . وانه فوق سمواته ، وان الامر ينزل من عنده تكذيب لما علم انهم جاءوا به ضرورة . فان قلتم : تأوينا للنصوص التي جاءوا بها لا يستلزم تكذيبهم . قلنا : فمن اين صارت تأوينا للنصوص التي جاءوا بها في المعاد يستلزم تكذيبهم دون تأويلكم ، المجرد للتشهي ؟

فصاحت الفرامطة والملائحة والباطنية ، وقالوا : ما الذي سوغ لكم تأويل الاخبار وحرم علينا تأويل الامر والنفي والتحريم والابحاب ، ومورد الجميع من مشكاة واحدة ؟ قالوا : وain تقع نصوص الامر والنفي من نصوص الخبر ؟ قالوا : وكثير منكم قد فتحوا لنا باب التأويل في الامر ، فأولوا أوامر وواهيا كثيرة صريحة الدلالة أو ظاهرة الدلالة في معناها بما يخرجها عن حقائقها . فلهم نضعها في كفة ونضع تأويلاتنا في كفة ونوازن بينها ، ونحن لا ننكر انا اكثر تأويلا منهم ، ولكننا وجدنا بابا مفتوحا فدخلناه

فهذا من شؤم جنائية التأويل على الاعان والاسلام . وقد قيل : ان

طرد ابليس ولعنه إنما كان بسبب التأويل ، فإنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه وتأول لنفسه أن هذا القياس العقلي مقدم على نص الأمر بالسجود ، فإنه قال (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) وهذا دليل قد حذفت أحدي مقدمتيه ، وهي : إن الفاضل لا يخضع للمفضول ، وطوى ذكر هذه المقدمة كأنها صورة معلومة . وقرر المقدمة الأولى بقوله (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينًا) فكانت نتيجة المقدمتين امتناعه من السجود . وظن أن هذه الشبهة العقلية تتفعل بتأويله ، بخري عليه ما جرى . وصاراما لكل من عارض نصوص الوحي بتأويله إلى يوم القيمة . فلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . كم لهذا الإمام اللعين من أتباع من العالمين ؟ وأنت إذا تأملت عامة شبهة المتأولين رأيتها من جنس شبهته . والقابل : إذا تعارض العقل . والنفل قدمنا العقل من هنا اشتقت هذه القاعدة وجعلها أصلًا رد نصوص الوحي التي يزعم أن المقل يخالفها . وعرضت هذه الشبهة لعدو الله من جهة كبره الذي منعه من الانقياد المغض لنصوص الوحي . وهكذا إحاد كل مجادل في نصوص الوحي إنما يحمله على ذلك كبر في صدره ما هو يبالغه . قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَا هُمْ بِالْغَيْرِ فَاسْتَعِدُ يَا اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) وكذلك خروج آدم من الجنة إنما كان بالتأويل ، والافهو صلي الله عليه وسلم لم يقصد بالأكل معصية الرب . ثم اختلف الناس في وجه تأويله . فقالت طائفة : تأول بحمله النهي المطلق على الشجرة المعينة . وغره عدو الله بأن جنس تلك الشجرة هي شجرة الخلد وأطعمه في أنه ان أكل منها لم يخرج من الجنة . وفي هذا نظر ظاهر . فإن

الله تعالى أخبر ان ابليس قال له (ما مَهَا كُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا  
أَنْ تَكُونَا مَكَيْنِيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) فذكر لها عدو الله  
الشجرة التي نهيا عنها ، إما بعينها او بجنسها ، وصرح لها باتها هي المنهي  
عنها . ولو كان عند آدم ان المنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع  
لم يكن عاصيًا بأكله من غيرها ، ولا اخرجه الله من الجنة ونزع  
عنه لباسه

وقالت فرقه اخرى : تأول آدم ان النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم  
فذقدم ، وايضاً خيث نهى الله تعالى عن فعل الشيء بقربانه لم يكن اصلاح  
للتحرير كقوله (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرُنَّ)، (وَلَا تَقْرَبُوا أَلْزَنِي) (وَلَا تَقْرَبُوا  
مَالَ أَيْتَمِ) وأيضاً لو كان التنزيه ما اخرجه الله من الجنة ، واحذر انه عصى ربه  
وقالت طائفه : بل كان تأويله أن النهي إنما كان عن قربانها وأكلها  
معاً ، لا عن أكل كل منها على انفراده ، لأن قوله (وَلَا تَقْرَبَا) نهي لها  
عن الجموع ، ولا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد .  
وهذا التأويل ذكره ابن الخطيب <sup>(١)</sup> في تفسيره وهو كما ترى في البطلان  
والفساد . ونحن نقطع ان هذا التأويل لم يخطر بقلب آدم وحواء أبنته ،  
وهما كما كانوا اعلم بالله من ذلك وأصح أفهماما ، أفترى لهم أحد من قول  
الله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ أَيْتَمِ) (وَلَا تَقْرَبُوا أَلْزَنِي) ونظائره ، اي  
انما نهيتكم عن اجتماعكم على ذلك دون انفراد كل واحد منكم به ؟ ففيما لا عجب  
من أوراق وقلوب تسود على هذه الهدىانات

(١) هو الفخر الرازي

والصواب ان يقال : ان آدم لما قاسمه عدو الله أنه ناصح له وأخرج  
الكلام على أنواع متعددة من التأكيد : احدها القسم ، الثاني الآتيان  
بجملة اسمية لا فعلية ، الثالث تصديريها باداة التأكيد ، الرابع الآتيان  
بلام التأكيد في الخبر ، الخامس الآتيان به اسم فاعل لافعال دالاً على  
الحدث ، السادس تقديم المعمول على العامل فيه . ولم يكن آدم يظن أن أحداً  
يقسم بالله كاذباً يميناً غموسياً يتجرأ فيها هذه الجرأة ، فغره عدو الله بهذا  
التأكيد ، فظن آدم صدقه وانه ان أكل منها لم يخرج من الجنة ، ورأى أن  
الأكل وان كان فيه مفسدة فصالحة الخالد ارجح ، ولعله يتهم الله استدراك  
مفسدة النهي في اثناء ذلك ، إما باعتذار وإما بتوبه ، كما تجده هذا التأويل  
قائماً في نفس كل مؤمن اذا أقدم على المعصية

### فصل

في بيان ما يقبل التأويل من الكلام وما لا يقبل  
لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم وكان مراده لا يعلم إلا  
بكلامه انقسم كلامه ثلاثة اقسام : احدهما وهو نص في مراده لا يقبل  
محتملاً غيره ، الثاني ما هو ظاهر في مراده . وان احتمل ان يريد غيره ، الثالث  
ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد بل هو محتمل تحتاج الى البيان . فالاول يستحيل  
دخول التأويل فيه ، اذ تأويلاً كذب ظاهر على المتكلم ، وهذا شأن  
عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها ، خصوصاً آيات الصفات  
والتوحيد . وان الله متكلم ، متكلم ، أمر ، ناه ، قائل ، منذر ، موجد ، حاكم ،

واعد ، موعد ، مبين ، هاد ، داع الى دار السلام ، وانه تعالى فوق عباده عال على كل شيء ، مستوي على عرشه ، ينزل الأمر من عنده ، ويخرج اليه ، وانه فعال حقيقة ، وانه كل يوم في شأن فعال ما يريد ، وانه ليس الخلق من دونه ول لا شفيع يطاع ولا ظهير ، وانه المفرد بالربوبية والتدبر والقيومية (وأنه يعلم السر وأخفى) (وما تستطع من ورقة إلا يعلمها) وانه يسمع الكلام الخفي كما يسمع الجهر ، وبرى ما في السموات والأرض ، ولا تخفي عليه منها ذرة واحدة . وانه على كل شيء قادر ، ولا يخرج مقدور واحد عن قدرته البتة ، كلا يخرج عن علمه وتكوينه ، وان له ملائكة مدبرة بأمره العالم تصعد وتنزل وتحرك وتنقل من مكان الى مكان ، وانه يذهب بالدنيا ويخرب هذا العالم ويأتي بالآخرة ويبعث من في القبور ، الى امثال ذلك من النصوص التي هي في الدلالة على مرادها كدلالة لفظ العشرة والثلاثة على مدلولها ، وكدلالة لفظ الشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والخيل والبغال والابال والبقر والذكر والاثني على مدلولها لا فرق بين ذلك البتة

فهذا القسم ان سلط التأويل عليه عاد الشرع كله مؤولا لانه ظهير اقسام القرآن ثبوتا واكتراها ورودا ودلالة . ودلالة القرآن عليه متعددة غاية التنوع ، فقبول ما سواه للتأويل اقرب من قبوله بكثير القسم الثاني ما هو ظاهر في مراد المتكلم ولكن يقبل التأويل ، فهذا ينظر في وروده ، فان اطرد استعماله على وجه واحد استحال تأويله بما

يختلف ظاهره لأن التأويل إنما يكون لوضع جاء خارجا عن نظائره متفردا  
عنه فيؤول حتى يرد إلى نظائره . وتأويل هذا غير ممتنع إذا عرف من  
عادة المتكلم باعتقاد كلامه في توارد استعماله معنى ألفه المخاطب ، فإذا جاء  
موضع يخالفه رده السامع إلى ما عهد من عرف المخاطب إلى عادته المطردة .  
هذا هو المعقول في الأذهان والفتuar وعند كافة العقلاة

وقد درج أئمة العربية بآن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع  
الذي أدعى فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه ، فلابد أن  
يكون موضع ادعاء الحذف قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه ،  
حتى إذا جاء ذلك معدوفا في موضع علم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد  
أزيل في هذا الموضع خمل عليه . فهذا شأن من يقصد البيان ، وأمامن  
يقصد التأييس والتعمية قوله شأن آخر

مثال ذلك قوله ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ) ( ثم استوى على  
العرش ) في جميع موارده من أولها إلى آخرها على هذا اللفظ ، فتأويله  
باستوى باطل ، وإنما كان يصح أن لو كان أكثر مجيئة بالفظ استوى ، ثم  
يخرج موضع عن نظائره ويرد بلفظ استوى ، فهذا كان يصح تأويله  
باستوى ، فتفطن لهذا الموضع واجعله قاعدة فيما يمتنع تأويله من كلام  
المتكلم ويجوز تأويله

ونظير هذا اصرار النصوص بالنظر إلى الله تعالى هكذا « نرون  
ربكم » « تنتظرون إلى ربكم » ( إِلَيْ رَبِّهَا نَاظِرَةً ) ولم يجيء في موضع واحد

ترون ثواب ربكم ، فيحمل عليه ما خرج عن نظائره . ونظير ذلك اطراد قوله ( وَنَادَنَا ) ( يَنْدِيمُ ) ( وَنَادَاهُمْ ) ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْطَّورِ إِذْ نَادَنَا ) إذ ( نَادَهُ رَبُّهُ ) ونظائرها . ولم يجيء في موضع واحد أمرنا من يناديهم ، ولا اداه سلك ، فتاويه بذلك عين الحال . ونظير ذلك قوله عليه السلام « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول » في نحو ثلاثة حديثا . كلها مصريحة باضافة النزول الى رب تعالى . ولم يجيء موضع واحد بقوله : ينزل ملك ربنا ، حتى يحمل ما خرج عن نظائره عليه .  
وإذا تأملت نصوص الصفات التي لا تسمح الجهمية بتسميتها نصوصا ، وإذا احترموا قالوا : ظواهر سمعية ، وقد عارضها القواطع العقلية ، وجدهما كلها من هذا الباب

ومما يقضي منه العجب ان كلام شيوخهم وتصنيفهم عندهم نص في مرادهم لا يتحمل التأويل وكلام الموافقين عندهم نص لا يجوز تأويلاه ، حتى اذا جاؤوا الى كلام الله ورسوله وقفوا على التأويل

القسم الثالث الخطاب بالجمل الذي احيل بيانه على خطاب آخر ، فهذا ايضا لا يجوز تأويلاه الا بالخطاب الذي يبينه ، وقد يكون بيانه معه ، وقد يكون بيانه منفصل عنه . والمقصود ان الكلام الذي هو عرضة التأويل ان يكون له عدة معان وليس معه ما بين مراد المتكلم ، فهذا التأويل فيه مجال واسع ، وليس في كلام الله ورسوله منه شيء من الجمل المركبة ، وان وقع في الحروف المفتتح بها السور ، بل اذا تأمل من بصره الله تعالى

طريقة القرآن والسنة وجدتها متضمنة لدفع ما يوحيه الكلام من خلاف ظاهره ، وهذا موضع لطيف جداً في فهم القرآن نشير الى بعضه . فن ذلك قوله تعالى ( وَكَمَ اللَّهُ مُؤْسِى تَكْلِيْبًا ) رفع سبحانه توه المجاز في تكليمه لكتابه بالصدر المؤكد الذي لا يشك عرب القلب والاسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة كأن قوله العرب : مات موتاً ونزل زولاً ، ونظائره . ونظيره التأكيد بالنفس والعين وكل واجع ، والتأكيد بقوله حقاً ومن ذلك قوله تعالى ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ سَكُنَّ اَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بِصَبَرٍ ) فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب انه نص صريح لا يحتمل التأويل بوجه في اثبات صفة السمع للرب تعالى حقيقة وانه بنفسه يسمع . ومن ذلك قوله تعالى ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَهَا أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) فرفع توه السامع انت المكلف به عمل جميع الصالحات المقدورة والتتجاوز عنها كما يجوزه اصحاب تكليف مالا يطاق رفع هذا التوه بجملة اعتراض بها بين المبتدأ وخبره تزيل الاشكال . ونظيره ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَأَمْيزَانَ الْقُسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَهَا ) ومن ذلك قوله تعالى ( فَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَأَحْرِضَ الْمُؤْمِنِينَ ) فلما أمره بالقتال وأخبره انه لا يكلف بغيره ، بل إنما يكلف بنفسه اتبعه بقوله ( وَأَحْرِضَ الْمُؤْمِنِينَ ) لثلايتهم سامع أنه وإن لم يكلف بهم فإنه يعلمهم ويتركهم ومن ذلك قوله تعالى ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَرْعَمُهُمْ دُرِّيَّةَهُمْ يَا إِنَّ أَلْخَفَنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَدِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ )

كُلُّ امْرِيْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) فَتَأْمَلْ كُمْ فِي هَذَا الْكَلَامَ مِنْ رَفْعٍ إِيمَامٍ مِنْهَا  
قُولَهُ (وَاتَّبَعُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ) ثُلَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْاتِّبَاعَ فِي نَسْبٍ أَوْ تَرِيَةٍ  
أَوْ حَرِيَّةٍ أَوْ رَقٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا قُولَهُ (وَمَا أَنْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلٍ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ)  
لَرْفَعَ تَوْهُمَ أَنَّ الْآبَاءَ تَحْطُّ إِلَى دَرْجَةِ الْابْنَاءِ لِيَحْصُلَ الْأَخْلَاقُ وَالْتَّبَعِيَّةُ.  
فَازَالَ هَذَا الْوَهْمُ بِقُولَهُ (وَمَا أَنْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلٍ لَهُمْ) أَيْ مَا نَقْصَنَا الْآبَاءَ  
بِهَذَا الْاتِّبَاعِ شَيْئًا مِنْ عَمَالِهِمْ، بَلْ رَفَعْنَا الْذَرِيَّةَ إِلَيْهِمْ قَرْدًا لِعِيُونِهِمْ وَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ يَسْتَحْقُونَ بِهَا تَلَكَ الدَرْجَةُ. وَمِنْهَا قُولَهُ (كُلُّ امْرِيْرٍ بِمَا  
كَسَبَ رَهِينٌ) فَلَا يَتَوَهَّمُ مِنْهُمْ أَنَّ هَذَا الْاتِّبَاعَ حَاصِلٌ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ  
وَاهْلِ النَّارِ، بَلْ هُوَ لِمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكُفَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ لَا يُعَذِّبُ  
أَحَدًا إِلَّا بِكَسْبِهِ وَقَدْ يَشَيِّبُهُ مِنْ غَيْرِ كَسْبِهِ، وَمِنْهَا قُولَهُ (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْنُ  
كَاحِدٌ مِنَ النِّسَاءِ إِنِّي أَتَقِيَّتُنَّ فَلَا تَخْضُنُنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ  
وَقُلْنَ قُلْنَ قُلْنَ قُلْنَ مَعْرُوفًا) فَلَمَّا أَمْرَهُنَّ بِالْتَّقْوَىِ الَّتِي شَأْنَهَا التَّوَاضُعُ وَلَيْنَ الْكَلَامُ  
نَهَا هُنَّ عَنِ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ ثُلَّا يَطْمَعُ فِيهِنَّ ذُو الْمَرَضِ . ثُمَّ أَمْرَهُنَّ بَعْدَ  
ذَلِكَ بِالْقَوْلِ الْمُرْوُفِ دُفْعًا لِتَوْهُمِ الْأَذْنِ فِي الْكَلَامِ الْمُنْكَرِ . مَلَانِيْنَ عَنِ  
الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ . وَمِنْهُ قُولَهُ تَعَالَى (كُلُّوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَذَبَّنَ لَكُمْ  
الْخَيْطُ الْأَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) فَرَفَعَ تَوْهُمَ الْخَيْطِيْنِ مِنْ  
الْخَيْطِ بِقُولَهُ (مِنَ الْفَجْرِ) وَمِنْ ذَلِكَ قُولَهُ تَعَالَى (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
يَسْتَقِيمَ) فَلَمَّا اثْبَتَ لَهُمْ مُشَيْثَةً فَلَعِلَّ مِنْهُمْ يَتَوَهَّمُ أَسْتِقْلَالَهُمْ بِهَا فَازَالَ  
سَبَّحَانَهُ ذَلِكَ بِقُولَهُ (وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) وَنَظِيرُ ذَلِكَ قُولَهُ تَعَالَى

(كَلَّا لِنَهَا تَدْكُرَةً هَنَّ شَاءَ ذَكْرَهُ وَمَا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْتَّعْوِيْ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) ومن ذلك قوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) فلعل متواهاً أن يتوجه أن الله يجوز عليه ترك الوفاء بما وعد به فأزال ذلك بقوله (وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) ومن ذلك قوله تعالى (هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) فلما ذكر اتيانه سبحانه ربما توجه متواه أن المراد اتيان بعض آيات ربك فصار أزال هذا الوهم ورفعه بقوله (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) فصار الكلام مع هذا التقسيم والتنوع نصا صريحا في معناه لا يحتمل غيره  
 وإذا تأملت أحاديث الصفات رأيت هذا لأنجح على صفحاتها بادياً  
 على الفاظها، كقوله صلى الله عليه وسلم «انكم ترون ربكم عيناً كالزرى الشمس في الظبرة صحوًّا ليس دونها سحاب ، وكما يرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » وقوله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بيته وينته ترجمان يترجم له ولا حاجب يحجبه » فلما كان كلام الملوك قد يقع بواسطة الترجمان ومن وراء الحجاب أزال هذا الوهم من الافهام، وكذلك لما قرأ صلى الله عليه وسلم (وَكَانَ اللَّهُ كُلُّمَا بَصِيرًا) وضع إبهامه على اذنه وعينه ، رفعاً لتوجه متواه أن السمع والبصر غير العينين المعلومتين وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة، كما في الحديث الصحيح انه قال « يقبض الله سمواته بيده الارض بيده الأخرى » ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض بيده ويحيط بها ، تحقيقاً لاثبات اليدي وإثبات صفة القبض . ومن هذا اشارته الى السماء حين استشهد به تبارك وتعالى على

الصحابيَّةَ أَنَّهُ بَلَغَهُمْ<sup>(١)</sup> تَحْقِيقًا لِأَثْبَاتِ صَفَةِ الْعَلُوِّ، وَإِنَّ رَبَّ الظُّلُمَاتِ اسْتَشَبَدَهُ فَوْقَ الْعَالَمِ مَسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشِهِ.

وَهَذِهِ امْثَلَةٌ يَسِيرَةٌ لِيُعْرَفُ الْفَهْمُ الْمُنْصَفُ الْقَاصِدُ لِلْهَدِيِّ وَالنِّجَاةِ مِنْهَا مَا يَقْبِلُ التَّأْوِيلُ وَمَا لَا يَقْبِلُهُ. وَاللَّهُ الْمَسْتَعْنَانُ

### فصل

فِي بِيَانِهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِي الْمُعْطَلُ لِلتَّوْهِيدِ الْعُلُمِيِّ الْخَبْرِيِّ بِتَأْوِيلٍ إِلَّا أَمْكَنَ

الشُّرُكُ الْمُعْطَلُ لِلتَّوْهِيدِ الْعُلُمِيِّ إِنَّهُ يَأْتِي بِتَأْوِيلٍ مِنْ هُنْسِهِ

وَقَدْ اعْتَرَفَ حَذَاقُ الْفَالَّاسِفَةِ وَفَضَلَّوْهُمْ فَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

فِي (كِتَابِ الْكَشْفِ عَنْ مَنَاهِجِ الْأَدَلَةِ) الْقَوْلُ فِي الْجَهَةِ. وَأَمَّا هَذِهِ الصَّفَةِ فَلَمْ

يَزُلْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ يَثْبِتُونَهَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّى نَفْتَهَا الْمُعْتَزَلَةُ ثُمَّ اتَّبَعُهُمْ عَلَى

نَفْتِهَا مَتَّا خَرُوا إِلَيْهِ كَبِيَ الْمَعَالِيِّ وَمَنْ اقْتَدَى بِقَوْلِهِ. وَظَوَاهِرُ الشَّرِيعَةِ

كَلَّا تَقْتَضِيَ أَثْبَاتَ الْجَهَةِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَرَأَمُنْ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِيَ)

وَمِثْلُ قَوْلِهِ (وَسَعَ كُرْسِيهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَحْمِلُ عَرْشَ

رَبِّكَ فَوْقَهِمْ يَوْمَئِنَانِيَّةَ) وَمِثْلُ قَوْلِهِ (يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ

ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ الْفَسْنَةُ مَا تَعْدُونَ) وَمِثْلُ قَوْلِهِ (تَعْرُجُ

أَمْلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ) وَمِثْلُ قَوْلِهِ (أَمْنِيتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ

مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي إِنْ سَلْطَتُ التَّأْوِيلَ عَلَيْهَا عَادَ الشَّرِيعَ كَمَا مَتَّا وَلَا، وَإِنْ قِيلَ

فِيهَا إِنْهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ، عَادَ الشَّرِيعَ كَمَا مَتَّا بِهَا. لَانَ الشَّرِيعَ كَلَّا مِنْ يَنْتَهِي

(١) فِي خطبته في حجة الوداع كان يقول «قد باعْت» فيقولون : نعم ،

فيقول «اللهُمَّ اشْهِدْ» ويشير بأصبعه إلى السماء

أن الله في السماء ، ومنه تنزل الملائكة إلى النبي بالوحى ، وان من السماء  
نزلت الكتب ، واليها كان الارسال بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب  
من سدرة المنتهى ، وجميع الحكاء قد اتفقا على ان الله والملائكة في السماء  
كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التي فادت نفاة الجهة الى نفيها  
هي انهم اعتقادوا ان إثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، وإثبات المكان  
يوجب إثبات الجسمية . ونحن نقول : ان إثبات هذا كله غير لازم ، فالجهة  
غير المكان ، وذلك أن الجهة : اما سطوح الجسم نفسه المحيط به وهي ستة  
وبهذا نقول : ان العيوان فوق ، واسفل ، وعیناً ، وشمالاً ، واماً ، وخلفاً  
واما سطوح جسم آخر يحيط بالجسم ذي الجهات الست . فاما الجهات التي  
هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان لجسم نفسه أصلاً . واما سطوح  
الاجسام المحيطة فهي لمكان مثل سطوح الهواء المحيط بالانسان وسطوح  
الفالك المحيط بسطوح الهواء هي ايضاً مكان للهواء . وهكذا الأفلاك بعضها  
محيطة ببعض ومكان له . واما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن انه ليس  
خارجه جسم ، لأن لو كان كذلك لوجب ان يكون خارج ذلك الجسم جسم  
آخر ، وينتقل الى غير نهاية . فاذن سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً  
إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم ، فاذن ان قام البرهان على وجود موجود  
في هذه الجهة فواجب ان يكون غير جسم . والذي يمنع وجوده هناك هو  
عكس ما ظنه القوم ، وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم .  
وليس لهم ان يقولوا : ان خارج العالم خلاء ، وذلك ان الخلاء قد تبين في

العلوم النظرية امتناعه ، لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيئاً أكثر من البعد ليس فيها جسم ، أعني طولاً وعرضًا وعمقًا ، لأنه إن رفعت الأ بصار عنه عاد عدمًا . وإن فرضت الخلاء موجوداً لزم أن يكون أعراضًا موجودة في غير جسم ، وذلك أن الأ بعاد هي اعراض من باب الكمية ولا بد ، ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة والشراط الغابرة : إن ذلك الموضع ليس بمكان ولا يحويه زمان ، وكذلك إن كان كل ما يحويه المكان والزمان فاسداً فقد يلزم أن يكون ما هناك غير فاسد ولا كائن . وقد بين هذا المعنى ما أقوله . وذلك أنه لم يكن هنالك إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم ، وكان من المعروف بنفسه أن الموجود شيء إنما يناسب إلى الوجود ، أعني أنه يقال : موجوداً أي في الوجود ، فإذا يمكن أن يقال : أنه موجود في العدم ، فإن كان موجود هو أشرف الموجودات فواجب أن يناسب من الموجود المحسوس إلى الحيز الأشرف وهي السموات ، ولشرف هذا الحيز قال تعالى (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وهذا كله يظهر على تمام للعلماء الراسخين في العلم

فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأنه الذي جاء به الشرع وابتني عليه ، فإن إبطال هذه القاعدة إبطال الشراط وإن وجه العسر في تفهم هذا المعنى مع نفي الجسمية هو أنه ليس في المشاهد مثال له ، فهو بعينه السبب في أنه لم يصرح الشرع بنبي الجسم عن الخالق

سبحانه وتعالى ، لأن الجمُور إنما يقع لهم التصديق بحكم الغائب متى كان ذلك معلوم الوجود في الشاهد ، مثل العلم بالصانع ، فإنه لما كان في الشاهد شرطاً في وجوده كان شرطاً في وجود الصانع الغائب ، وأما متى كان الحكم الذي في الغائب غير معلوم الوجود في الشاهد عند الأكثر ولا يعلمه إلا العلامة الراسخون كان الشرع يزجر عن طلب معرفته إن لم يكن بالجمهور حاجة إلى معرفته . مثل العلم بالنفس ، لم يضر له مثال في الشاهد ، إذ لم يكن بالجمهور حاجة إلى معرفته في سعادتهم ، والشبهة الواقعه في نفي الجهة عند الذين نفواها ليس يتفطن الجمهور إليها . لاسيما إذا لم يصرح لهم بأنه ليس بجسم ، فيجب أن يتمثل في هذا كله فعل الشرع ، وإن لا يتأنى ما لم يصرح الشرع بتأنيه . والناس في هذه الأشياء في الشرع على ثلاثة مراتب : صنف لا يشعرون بالشكوك العارضة في هذا المعنى خاصة ، متى تركت هذه الأشياء على ظاهرها في الشرع . وهؤلاء هم إلا كثرون وهم الجمهور ، وصنف عرروا حقيقة الأشياء ، وهم العلامة الراسخون في العلم ، وهؤلاء هم الأقل من الناس . وصنف عرضت لهم في هذه الأشياء شكوك ولم يقدروا على حلها ، وهؤلاء فوق العامة ودون العلامة . وهذا الصنف هم الذين يوجد في حقهم التشابه في الشرع ، وهم الذين ذمهم الله . وأما عند العلامة والجمهور فليس في الشرع تشابه . فعلى هذا المعنى ينبغي أن يفهم التشابه ومثال ما عرض لهذا الصنف مع الشرع ما يعرض في خنزير البر مثلاً الذي هو الغذاء النافع لأكثر الأبدان إن يكون لأقل الأبدان ضاراً

وهو نافع لا كثُر . وكذا التعليم الشرعي هو نافع لا كثُر ، وربما ضر للاقل . والى هذا الاشارة بقوله تعالى ( وَمَا يُفْلِي إِلَّا أَنَّاسٌ ) لكن هذا انتها يعرض في آيات الكتاب العزيز في الأقل منه وللاقل من الناس ، واكثر ذلك هي الآيات التي تتضمن الاعلام في انه في الغائب ليس لها مثال في الشاهد ، فيعبر عنه بالشاهد الذي هو أقرب الموجودات اليها واكثرها شبهاً بها ، فيعرض بعض الناس أن يأخذ المثل به هو المثال نفسه ، فييلزمه الحيرة والشك ، وهو الذي سمي متشابها في الشرع . وهذا ليس يعرض لاعماء ولا الجمهر ، وهم صنفا الناس في الحقيقة ، لأن هؤلاء هم الاصحاء وأما أولئك ففرضي ، والفرضي هم الأقل . ولذلك قال الله تعالى ( فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَغَّ رَغْبَةً فِي مَتَّعٍ وَّمَا تَشَابَهَ مِنْهُ ) وهؤلاء اهل الكلام

واشد ما عرض على اشرعة من هذا الصنف انهم تأولوا كثيرآ مما ظنوه ليس على ظاهره ، فقالوا ان هذا التأويل هو المقصود به ، وإنما أني الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختبارا لهم ، فنعود بالله من هذا الظن بالله . بل نقول : ان كتاب الله العزيز انجاجه معجزاً من جهة الوضوح والبيان فاذما أبعده عن مقصد الشرع من قال فيما ليس بمتشابه انه متشابه ، ثم أول ذاك المتشابه بزعمه ، وقال جمیع الناس : ان فرضكم اعتقاد هذا التأويل . مثل ما قلوا في آيات الاستواء على العرش وغير ذاك ، مما قالوا ان ظاهره متشابه

وبالجملة فاكثر التأويلاط التي ذعم القائلون بها انها المقصود من الشرع اذا تؤملت وجدت ليس يقوم عليها برهان ولا يعقل فعل الظاهر في

قبول الجمهور لها وعمليهم بها . فان المقصود الاول بالعلم في حق الجمهور انما هو العمل ، ها كان النفع في العمل كان اجدر ، واما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الامر ان جميعا ، اعني العلم والعمل

مثال من اول شيئاً من الشرع وزعم ان الذي اوله هو الذي قصدته الشرع وصرح بذلك التأويل الجمهور مثال من انى الى دواء قدر كبه طبيب ماهر ليحفظ صحة جميع الناس او الا كثيرون جاءه رجل فلم يلأنمه ذلك الدواء المركب الاعظم ، لرداة مزاج كان به ليس يعرض الا للاقل من الناس ، فزعم ان بعض الادوية الذي صرح باسمه الطبيب الاول في ذلك الدواء العام المنفعه المركب ، لم يرد به ذلك الدواء الذي جرت العادة في الانسان ان يدل بذلك الاسم عليه . وانما اراد به دواء آخر مما يمكن ان يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة . فزال الدواء الاول من ذلك المركب الاعظم وجعل فيه بدل له الدواء الذي ظن انه قصدته الطبيب ، وقال لناس: هذا هو الذي قصدته الطبيب الاول ، فلستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه ذلك المتأول ، ففسدت به امزجة كثير من الناس ، جاء آخرون فشعروا بفساد امزجة الناس من ذلك الدواء المركب فراموا اصلاحه باز ابدلوا بعض ادويته بدواء آخر غير الدواء الاول ، فعرض الناس نوع من المرض غير النوع الاول . جاء ثالث فتاول في ادوية ذلك المركب غير التأويل الاول والثانوي ، فعرض للناس نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين . جاء متاؤل رابع فتاول دواء آخر غير الادوية المتقدمة

فعرض للناس نوع رابع من الامراض غير الاصراض المقدمة . فلما طال  
الزمان بهذا الدواء المركب الاعظم وسلط الناس التأويل على ادويته وغيروها  
وبدلوها عرض لاناس امراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك  
الدواء المركب في حق اكثرب الناس . وهذه هي حال الفرقـة الحادـة في الشـريـعـة  
مع الشـريـعـة . وذـلك ان كل فـرـقـة مـنـهـم تـأـوـلـتـ فـيـ الشـريـعـةـ تـأـوـيلـاـ غـيرـ  
التأويل الذي تأولـتهـ الفـرـقـةـ الاـخـرـىـ وـزـعـمـتـ اـنـهـ الـذـيـ قـصـدـهـ صـاحـبـ  
الـشـرـعـ حـتـىـ تـزـقـ الشـرـعـ كـلـ هـزـقـ ، وـبـعـدـ جـدـاـ عـنـ مـوـضـوـعـهـ الـاـولـ  
وـمـاـعـلـمـ صـاحـبـ الشـرـعـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ هـذـاـ سـيـعـرـضـ فـيـ شـرـيـعـتـهـ قـالـ  
«ـسـتـفـرـقـ اـمـتـىـ عـلـىـ ثـلـاثـ وـسـبـعـ فـرـقـةـ كـلـهـاـ فـيـ النـارـ الـاـوـاـحـدـةـ»ـ يـعـنـىـ بـالـواـحـدـةـ  
اـتـىـ سـلـكـتـ ظـاهـرـ الشـرـعـ وـلـمـ تـؤـولـهـ ، وـاـنـتـ اـذـاـ تـأـمـلـتـ مـاـعـرـضـ فـيـ هـذـهـ شـرـيـعـةـ  
فـيـ هـذـاـ وـقـتـ مـنـ فـسـادـ عـارـضـ فـيـهـاـ مـنـ قـبـلـ تـبـيـنـتـ اـنـ هـذـاـ مـثـالـ صـحـيـحـ  
وـاـوـلـ مـنـ غـيرـ هـذـاـ دـوـاءـ الـاـعـظـمـ اـخـوارـجـ ، ثـمـ العـزـلـةـ بـعـدـهـمـ ، ثـمـ  
الـاشـعـرـيـةـ ، ثـمـ الصـوـفـيـةـ ، ثـمـ جـاءـ اـبـوـ حـامـدـ فـطـمـ الـوـادـيـ عـلـىـ الـفـرـىـ ، وـذـكـرـ  
كـلـاـمـاـ بـعـدـمـ تـعـلـقاـ بـكـتـبـ لـيـسـ لـنـاـ غـرـضـ فـيـ حـكـاـيـتـهـ . اـهـ

## فصل

فـيـ اـنـقـاسـمـ اـنـاسـ فـيـ نـهـرـوـصـ الـوـهـىـ اـلـىـ اـصـحـابـ تـأـوـيلـ وـاـصـحـابـ  
نـجـيـلـ ، وـاـصـحـابـ ظـيـلـ ، وـاـصـحـابـ نـجـرـيـلـ ، وـاـصـحـابـ وـوـاـ السـيـلـ  
الـصـنـفـ الـاـوـلـ اـصـحـابـ تـأـوـيلـ ، وـهـمـ اـشـدـ اـنـاسـ اـضـطـرـابـاـ ، اـذـلـمـ يـشـبـهـ  
هـمـ قـدـمـ فـيـ فـرـقـ بـيـنـ ماـيـتـأـوـلـ وـمـاـلـاـ يـتـأـوـلـ . وـلـاـ ضـابـطـ مـطـرـدـ مـنـعـكـسـ

يجب مراعاته ومتى نعم مخالفته بخلاف سائر الفرق فإنهم جروا على ضابط واحد ، وإن كان فيهم من هو أشد من أصحاب التأويل

الصنف الثاني أصحاب التخييل ، وهم الذين اعتقدوا أن الرسل لم يفصحوا بالخلق بالحقائق ، إذ ليس في قواهم إدراً كها ، وإنما أبرزوا لهم المقصود في صورة المحسوس ، قالوا : ولو دعت الرسل إنهم إلى الأفراح برب لا داخل العالم ، ولا خارجه ، ولا محايه ، ولا مبادئ له ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، ولا فوقه ، ولا تحته ، ولا عن عينه ، ولا عن يساره لنفترت عقولهم من ذلك ولم تصدق بامكان هذا الموجود ، فضلاً عن وجوب وجوده ، وكذلك لو أخبروهم بحقيقة كلامه وأنه فيض فاض من المبدأ الأول على العقل الفعال ثم فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة إلى كيكة المستعدة لم يفهموا ذلك . ولو أخبروهم عن المعاد الروحاني بما هو عليه لم يفهموه ، فقرروا لهم الحقائق المعقولة بابرازها في الصور المحسوسة وضربوا لهم الأمثال بقيام الأجساد من القبور في يوم العرض والنشور ومصيرها إلى جنة فيها أكل وشرب ولحم وخر وجوار حسان ، أو نار فيها أنواع العذاب ، تفهموا نذات الروحانية بهذه الصورة وللام الروحاني بهذه الصورة . وهكذا فعلوا في وجوب رب تعالى وصفاته وافعاله ، ضربوا لهم الأمثال بوجود عظيم جداً أكبر من كل موجود ، وله سرور عظيم وهو مستو على سريره ، يسمع ويبصر ويتكلم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب ، ويأتي ويجيء ، وينزل ، ولهم يدان ووجهه ويفعل بمشيئة ، وإذا تكلم

العباد سمع كلامهم ، و اذا تحرى كوا رأى حركاتهم ، و اذا هبس في قلب احمد منهم  
هاجس نامه ، و انه ينزل كل ليلة اليهم الى سمائهم هذه فيقول « من يسألني  
فاعطيه من يستغفرني فاغفر له » الى غير ذلك مما نطق به الكتب  
الاَلهية ، قالوا : ولا يحمل لاحد ان يتاول ذلك على خلاف ظاهره الجمود  
لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الاَلهية . وأما الخاصة فانهم  
يعلمون ان هذه امثال مفروبة لامور عقلية تعجز عن ادراكها عقول  
الجمود فتاوياً يلها جنائية على الشريعة والحكمة

وحقيقة الامر عند هذه الطائفة ان الذي اخبرت به الرسل عن الله  
واسمائه وصفاته وافعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له تطابق ما اخبروا  
به ، ولكن امثال وتخيل وتفہيم بضرب الامثال . وقد ساعدتهم ارباب  
التاویل على هذا المقصود في باب معرفة الله واسمائه وصفاته ، ودرحوها  
في ذلك بمعنى ما صرحت به هؤلاء في باب المعاد وحشر الاجساد ، بل نقلوا  
كلامهم بعينها إلى نصوص الاستواء والفوقيه ، ونصوص الصفات الخبرية  
لكن هؤلاء اوجبوا أو سوغوا تاویلها بما يخرج جبًا عن حقائقها وظواهرها  
وظنوا أن الرسل قصدت ذلك من المخاطبين تعرضاً لهم الى الشواب  
الجزيل ببذل الجهد في تاویلها ، واستخراج معانٍ تليق بها او لئلا حرموا  
التاویل ورأوه عائدًا على الشريعة بالابطال . والطائفتان متفقتان على ابطال  
حقائقها المفهومة منها في نفس الامر

والصنف الثالث أصحاب التجبيل الذين قالوا : نصوص الصفات الفاظ  
لاتعقل معانيها ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرؤها ،

الفاظاً لامعاني لها ، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه الا الله ، وهي عندنا بمنزلة  
(كبيعص) و (جمسق) و (المص) . فلو ورد علينا منها ما ورد لم  
نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ، ولم نعرف معناه ، وننكر على من تأوله ،  
ونكل علمه الى الله تعالى . وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأئمهم  
لم يكونوا يعرفون حقائق الاسماء والصفات ، ولا يفهمون معنى قوله  
(لما خلقتُ يَدَيَ ) وقوله ( وَالْأَرْضُ جِيءَ مَاقْبَضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) وقوله  
( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ) وامثال ذلك من نصوص الصفات  
وبنوا هذا المذهب على أصلين : أحدهما ان هذه النصوص من  
المتشابه . والثاني أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه الا الله ، فنتيج من هذين الأصلين  
استجهال السابقين الاولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة  
والتابعين لهم بمحسن . وانهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات  
ولا يعرفون معنى ذلك ولا ماء اريد به . ولا زم قولهم : أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه . ثم تناقضوا أقبح تناقض ،  
فقالوا : تجرى على ظواهرها . وتتأويها بما يخالف الظواهر باطل . ومع  
ذلك فلها تأويلاً لا يعلمه الا الله . فكيف يثبتون لها تأويلاً ويقولون  
تجرى على ظواهرها ويقولون الظاهر منها مراد والرب منفرد بعلم تأويلاها  
وهل في التناقض اقبٍ من هذا ؟

وهو لاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه .  
وفي كون المتشابه لا يعلم معناه الا الله . فاختلطوا في اقدمات الثلاث .  
واضطربوا الى هذا التخاص من تأويلات البطلين وتحريفات المطلين .

وسدوا على نفوسهم الباب . وقلوا : لا ترضى بالخطأ ، ولا وصول لنا الى الصواب . فتركوا التدبر انما مر به والتعقل اعاني النصوص . وتعبدوا باللّفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك ، وظنوا أنها انزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معاناتها وتدبرها والتفكير فيها . وآؤلئك جماؤها عرضة للتأويل والتحريف كما جعلها أصحاب التخييل أمثلاً لا حقيقة لها وقابلهم الصنف الرابع وهو صنف التشبيه والتخييل . ففهموا منها ممثل ما للمخلوقين ، وظنوا أن لاحقيقة لها الا ذلك . وقلوا : محال أن يخاطبنا الله تعالى لا نعقله . ثم يقول ( أَعْلَمُكُمْ تَعْقِلُونَ ) ( لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) ( لِيَدْبِرُوا آيَاتِهِ ) ففي هذه الفرق لا يزال يبدع بعضهم بعضاً ويضلله ويجعله وقد تصادمت كـ ترى . فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا ، كما قال أعمى البصيرة منهم :

ونظيري في العلم مثل اعمى فكلانا في حندس تصادم  
وهدى الله أصحاب سوء السبيل لطريقه اهلي ، فثبتوا حقائق  
الاسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبها بين  
مذهبين وهدى بين ضلالتين ، يثبتون له الاسماء الحسنى والصفات العليا  
بحقائقها ولا يكيفون شيئاً منها . فإن الله تعالى ايتها لنفسه . وان كان  
لا سبيل لنا الى معرفة كنهها وكيفيتها . فإن الله تعالى لم يكفل كل عباده بذلك  
ولا أراده منهم ولا جعل لهم اليه سبيلاً . بل كثير من مخلوقاته أو كثر هالم يجعل  
لهم سبيلاً الى معرفة كنهه وكيفيته . وهذه ارواحهم التي هي ادنى اليهم من كل

دان قد حجبت عنهم معرفة كنهها وكيفيتها وقد اخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيمة وما في الجنة والنار ، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهده عقولهم ولم يعرفوا كنهه . فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهاراً من خمر وأنهاراً من عسل وأنهاراً من لبن ، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته . إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخز إلا ما اعتصر من الأعشاب ، والعسل إلا ما قدف به النحل في يومها ، والابن إلا ما خرج من الفروع ، والحرير إلا ما خرج من دود القرز ، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلاً لما في الدنيا ، كما قال ابن عباس « ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء والصفات » ولم ينفعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك . فهكذا الأسماء والصفات لم ينفعهم انتفاء نظيرها ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها . وهذا هو المثل الأعلى الذي أبته الله تعالى لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن ، أحدها قوله تعالى ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَذْلُولُ السُّوءِ وَلَهُ أَمْثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) الثاني قوله تعالى ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا خَلْقَهُمْ يُعَيِّدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ أَمْثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) الثالث قوله تعالى ( لَيْسَ كَوْنِلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) فنفي سبحانه وتعالي المثل عن هذا المثل الأعلى ، وهو ما في قلوب أهل سماته وأرائه من معرفته والاقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته وذاته . فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن به المؤمنون ، وأنس به العارفون

وَقَامَتْ شَوَاهِدُهُ فِي قَوْبَاهُمْ بِالتَّعْرِيفَاتِ الْفَطَرِيَّةِ الْكَمْلَةِ بِالْكُتُبِ الْأَطْهَرِ  
الْمُضْبُوطةِ بِالْبَرَاهِينِ الْعُقْلَيَّةِ، فَاتَّفَقَ عَلَى الشَّهَادَةِ بِثَبَوَتِهِ الْعُقْلُ وَالسَّمْعُ  
وَالْفَطْرَةِ. فَإِذَا قَالَ الْمُثْبِتُ: يَا اللَّهُ، قَامَ بِقَلْبِهِ رَبُّ قَيْوَمٍ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، مَسْتَوْيِ  
عَلَى عَرْشِهِ، مُكَلِّمٌ، سَامِعٌ، قَدِيرٌ، مُرِيدٌ، فَعَالٌ لَا يُرِيدُ، يُسْمَعُ  
دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيَقْغِي حَاجَاتِ السَّائِلِينَ، وَيُفْرِجُ عَنِ الْمُكَرَّوِينَ، تَرْضِيهِ  
الطَّاعَاتُ، وَتَغْضِبُهُ الْمَعَاصِي، تَرْجُعُ الْمَلَائِكَةُ بِالْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَتَنْزَلُ بِالْأَمْرِ  
مِنْ عَنْدِهِ

وَإِذَا شَئْتَ زِيَادَةً تَعرِيفَ بِهَذَا الْمَثَلِ الْأَعْلَى فَعُدْقُوكَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ  
اجْتَمَعَتْ لَوْاْحِدَتِهِمْ، ثُمَّ كَانَ جَمِيعَهُمْ عَلَى قُوَّةِ ذَلِكِ الْوَاحِدِ، فَإِذَا نَسِيَتْ  
قُوَّتِهِمْ إِلَى قُوَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى لَمْ تَجِدْ نَسْبَةَ إِلَيْهَا أَبْيَتَةً، كَمَا لَا تَجِدْ نَسْبَةَ بَيْنَ  
قُوَّةِ الْبَعُوضَةِ وَقُوَّةِ الْأَسْدِ، وَإِذَا قَدِرْتَ عِلْمَ الْخَلَائِقِ اجْتَمَعَتْ لَوْاْحِدَةُ  
ثُمَّ قَدِرْتَ جَمِيعَهُمْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ كَانَ عِلْمُهُمْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى كَنْفَرَةً  
عَصْفُورٌ فِي بَحْرٍ، وَكَذَا فِي حِكْمَتِهِ وَكَالَّهُ. وَقَدْ نَبَهْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذَا  
الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ (وَكَوْنَ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ  
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فَقَدْرَ الْبَحْرِ الْحَيْطَ  
بِالْعَالَمِ مَدَادًا وَوَرَاءَهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ تَحْيِطُ بِهِ كَلِمَاتُ اللَّهِ يَكْتُبُ بِهِ  
كَلِمَاتُ اللَّهِ، نَفَدَتْ الْبَحَارُ وَنَفَدَتْ الْأَقْلَامُ الَّتِي لَوْ قَدِرْتَ جَمِيعَ اشْجَارِ  
الْأَرْضِ مِنْ حِينَ خَلَقَتْ إِلَى آخِرِ الدِّنَيَا وَلَمْ تَنْفَدِ كَلِمَاتُ اللَّهِ. وَقَدْ  
أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فِي الْكَرْسِيِّ كَعَلْقَةٍ

ملاقاة بارض فلأة والكرسي في العرش كحاقنة ملاقاة في ارض فلأة، والعرش  
لا يقدر قدره إلا الله» وهو سبحانه فوق عرشه يعلم ويرى ما عباده عليه.  
فهذا هو الذي قام بقلوب المؤمنين المصدقين العارفين به سبحانه المثل الاعلى ،  
فعرفوه به وعبدوه به وسألوه عنه ، فأحبوه وخافوه ورجوه ، وتوكلوا عليه  
وأنابوا إليه ، واطأ نوابذكراه وأنسو احببه بواسطه هذا التعريف . فلم يصعب  
عليهم بذلك معنى استواه على عرشه وسائر ما وصف به نفسه من صفات  
كالله . إذ قد احاط عالمهم بأنه لأنظير لذلك ولا مثل له ، ولم يخطر بقلوبهم مائة  
شيء من الخلقين . وقد أعلمهم الله سبحانه على لسان رسوله « انه يقبض  
سمواته بيده والارض باليد الاخرى ثم يهزهن » « وأن السموات السبع  
والارضين السبع في كفه كخردلة في كف احدهم » « وأنه يضع السموات  
على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ،  
وسائر المخلوقات على اصبع » فأي يد لخالق وأي اصبع تشبه هذه اليدين  
وهذه الاصبع حتى يكون اثباتها تشبها وتمثيلا ؟؟

فقاتل الله أصحاب التحريف والتبديل ، ماذا حرمونه من الحقائق  
الإيمانية والمعارف الأكية ، وماذا تعوضوا به من زباله الذهان ،  
ونخالة الأفكار ؟ وما اشبههم بمن كان غذاؤهم المن والساوى بلا تعب  
فأترروا عليه الفوم والعدس والبصل . وقد جرت عادة الله سبحانه ان  
يذل من آثر الأدنى على الاعلى ، ويجعله عبرة للعقلاء  
فأول هذا الصنف ابليس لعنه الله ، ترك السجود لا دم كبيراً فابتلاه الله  
تعالى بالقيادة لفساق ذريته . وعباد الاصنام لم يقرروا بنبي من البشر

وَرَضُوا بِآلَهَةٍ مِّنَ الْحَجَرِ . وَالْجَمِيعَ نَزَّهُوا اللَّهُ عَنْ عَرْشِهِ لَثَلَاثَ يَخْوِيهِ مَكَانٌ  
 ثُمَّ قَالُوا : هُوَ فِي الْأَبَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ . وَهَكُذا طَوَافُ الْبَاطِلِ  
 لَمْ يَرْضُوا بِنَصْوُصِ الْوَحْيِ فَابْتَلُوا بِزَبَالَةِ اذْهَانِ الْمُتَحِيرِينَ ، وَوِرَثَةِ الصَّابِئِينَ  
 وَأَفْرَادُ الْفَلَاسِفَةِ الْمَاحِدِينَ

### فصل

#### في قول النّاؤيل له أسباب

منها أن يأتى به صاحبه مموهًا بزخرف من القول مكسوا حلة الفصاحة  
 والعبرة الرشيقه فتسرع العقول الضعيفه الى قبوله واستحسانه قال الله  
 تعالى (وَكَذَّلَكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا لِشَيَاطِينَ الْأَنْسِيَّ وَأَجْنَنْ يُوْحَنْ بِعَضُّهُمْ  
 إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَكُوْشَاءَ رَبْكَ مَا فَعَلُوهُ فَدَرَّهُمْ وَمَا يَهْتَرُونَ)  
 فذكر سبحانه انهم يستعينون على مخالفه أمر الانبياء بما يزخرفه  
 بعضهم بعض من القول ، ويفترى به الاغمار وضعفاء العقول . فذكر السبب  
 الفاعل وهو ما يغرس السامع من زخرف القول . فلما أصغت اليه ورضيته  
 اقترفت ما تدعوه اليه من الباطل قوله ولا عملا

فتأمل هذه الآيات وما تحتمها من هذا المعنى العظيم القدر الذي فيه  
 بيان اصول الباطل والتنبيه على م الواقع الحذر منها ، وإذا تأملت مقالات  
 اهل الباطل رأيهم قد كسوها من العبارات المستحسنة ما يسرع إلى  
 قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة ، فيسمون ام الخباث أم الافراح  
 ويسمون الاقمة الماعونة التي هي الحشيشة : لقيمة الذكر والفكر التي

تثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن . ويسمون مجالس الفجور : المجالس الطيبة<sup>(١)</sup> حتى إن بعضهم لما عدل عن شيء من ذلك قالوا له : ترك المعاصي والتلخواف منها اساءة ظرف برجمة الله وجراة على سعة عفوه ومغفرته ، فانظر ما تفعل هذه الكلمة في قلب ممتلىء بالشهوات ، ضعيف العلم والبصيرة

(السبب الثاني) ان يخرج المعنى الذي يريد ابطاله في صورة مستحبنة تنفر عنها القلوب ، وتنبو عنها الأسماء ، فيسمى عدم الانبساط الى الفساق : سوء خلق . والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة وشرا وفضولًا . ويسمون إثبات الصفات لکمال الله تعالى : تمجيئها ، وتشبيها وتمثيلها . ويسمون العرش : حيزا وجهة . ويسمون الصفات اعراضا ، والافعال : حوادث . والوجه واليدين : أبعاضنا . والحكم والغايات التي يفعل لاجلها : أعراضنا . فلما وضعوا بهذه المعاني الصحيحة تلك الالفاظ المستكرهة تم لهم تعطيلها ونفيها على ما ارادوا

فقالوا لضعفاء العقول : إعلموا ان ربكم منزه عن الاعراض ، والأغراض والابعاض ، والجهات ، والتركيب ، والتجسيم ، والتشبيه . ولم يشك احد

(١) ومثله تسمية ضلال هذا الزمن مجالس الرقص والخلague وهز الاعطاف بحالة جنونية : حلقات ذكر ، وتسميتهم عبادة الاموات والاوثان تبركا واستشفاعاً وتوسلا . واتخاذ الانداد الذين يحبونهم كحب الله ويقدمون طاعتهم وقوفهم على طاعة الله ورسوله وقوفهم : تكريعاً ومعرفة للفضل . إلى غير ذلك مما حال بين الناس وبين الهدى ووصلت به الشياطين الى ما يبتغون من إضلال كثير من هذه الامة وإكفارهم وإرجاعهم الى الجاهلية الاولى

الله في قلبه وقار وعظمة في تزييه الرب تعالى عن ذاك . وقد اصطاحوا على  
تسمية سمعه ، وبصره ، وعلمه ، وقدره ، وارادته ، وحياته : اعراضا . وعلى  
تسمية وجهه الكريم ، ويديه المسوطتين : ابعاضا . وعلى تسمية استواره  
على عرشه ، وعلوه على خلقه : تحيزا . وعلى تسمية نزوله الى سماء الدنيا ،  
وتكميله بقدرته ومشيئته اذا شاء ، وغضبه بعد رضاه ، ورضاه بعد غضبه :  
حوادث . وعلى تسمية الغاية التي يتكلم وي فعل لاجلها : غرضا . واستقر  
ذلك في قلوب المبلغين عنهم . فلما صرحو لهم بنفي ذلك بقى السامع متحيرا  
اعظم حيرة بين نفي هذه الحقائق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له جميع رسله  
وسلف الأمة بعدهم ، وبين اثباتها . وقد قام معه شاهد نقيبا بما تقاده عنهم  
فأهل السنة هم الذين كشفوا زيف هذه الالفاظ وينوا زخرفها  
وزغلها ، وانها الفاظ مموهة بمنزلة طعام طيب الرائحة في اداء حسن الاون  
والشكل ، ولكن الطعام مسموم ، فقالوا ما قاله إمام أهل السنة احمد بن  
حنبل رحمه الله « لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المنشعين »  
ولما اراد المتألون المعطalon تعم هذا الغرض اخترعوا أهل السنة  
ألقاباً قبيحة ، وسموهم حشوية ، ومحizza ، ومجسمة ، ومشببة . ونحو ذلك .  
فتولد من تسميمهم لصفات الرب ، وافعاله ، ووجهه ، ويديه بتلك الاسماء ،  
وتلقيب من اثبته الله بهذه الالقاب ، ولعن اهل الابيات من اهل السنة ،  
وتبييعهم ، وتضليلهم ، وتکفيرهم ، وعقوبتهم . ولقوا منهم ما في الانبياء  
وابيائهم من اعدائهم . وهذا الامر لا يزال حتى يرث الله الارض ومن عليها

(السبب الثالث) ان يعز و المتأول تأويلاه الى جليل القدر نبيل الذكر من العقلاء او من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، او من حصل له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق ، ليحله بذلك في قلوب الجهل . فانه من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم حتى انهم ليقدمون كلامه على كلام الله و رسوله ، ويقولون هو اعلم بالله منا . وبهذا الطريق توصل الرافضة والباطنية والاسعاعية والنصيرية الى تنفيق <sup>(١)</sup> باطلهم وتأويا لهم ، حين اضافوها الى أهل بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما عاملوا اذ المسميين متتفقون على محبتهم وتعظيمهم . فاتمموا اليهم واظهروا من محبتهم واجلالهم وذكر مناقبهم ما خيل الى السامع انهم اولياؤهم . ثم نفقوا بالتهم بنسبته اليهم . فلا إله الا الله ، كم من زندقة وإلحاد وبدعة قد نفقت في الوجود بسبب ذلك ، وهم برآء منها

و اذا تأملت هذا السبب رأيته هو الغالب على اكثـر النـفـوس . فـليـس معـهم سـوى اـحسـانـ الـظنـ بالـقـائـلـ بلاـ بـرهـانـ منـ اللهـ قادرـهـ الىـ ذـلـكـ . وـهـذـا مـيرـاثـ بـالـتعـصـيـبـ منـ الـذـينـ عـارـضـواـ دـيـنـ الرـسـلـ بـماـ كـانـ عـلـيـهـ الـآـباءـ وـالـآـسـلـافـ . وـهـذـا شـانـ كـلـ مـقـلدـ لـمـنـ يـعـظـمـهـ فـيـماـ خـالـفـ فـيـهـ الحـقـ الـىـ

يوم القيمة

## فصل

فِي سَيَارَةِ إِهْلِ التَّأْوِيلِ لِدُمَكْرَزِّعِمْ إِقَامَةِ الدِّبَلِ السَّمِعِ عَلَى  
مِبْطَلِ ابْدَأِ . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ آفَاتِ التَّأْوِيلِ

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ مِبْطَلٍ أَنْكَرَ عَلَى خَصْمِهِ شَيْئًا مِنَ الْبَاطِلِ قَدْ  
شَارَكَهُ فِي بَعْضِهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُتَمَكَّنُ مِنْ دَحْضِ حِجْتَهُ لِأَنَّ خَصْمِهِ  
تَسْلِطُ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا تَسْلِطُ هُوَ بِهِ عَلَيْهِ

مَثَالُهُ : أَنْ يَحْتَجُ مِنْ يَتَأَوَّلُ الصَّفَاتَ الْخَبْرِيَّةَ وَآيَاتَ الْفَوْقَيَّةِ وَالْعَلُوِّ  
عَلَى مَنْ يَنْكِرُ ثَبَوتَ صَفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِالآيَاتِ وَالْاَحَادِيثِ الدَّالَّةِ  
عَلَى ثَبَوْتِهَا ، فَيَقُولُ لَهُ خَصْمُهُ : هَذِهِ عَنِّي مَؤْوِلَةٌ كَأَوْلَتْ نَصْوَصَ الْأَسْتَوَاءِ  
وَالْفَوْقَيَّةِ ، وَالْوَجْهِ ، وَالْيَدِينِ ، وَالتَّزُولِ ، وَالْفَضْحَكِ ، وَالْفَرَحِ ، وَالْغَضْبِ ،  
وَالرَّضْنِ ، وَنَحْوِهَا . فَمَنْ ذَيْكَ جَعَلَكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِكَ مَنِي ؟ فَلَا يَذَكُرُ  
سَبِيلًا عَلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا أَنَّهُ خَصْمُهُ بِسَبِيلٍ مِنْ جَنْسِهِ أَوْ أَقْوَى مِنْهُ أَوْ دُونَهُ .

وَإِذَا اسْتَدَلَ الْمُتَأَوِّلُ عَلَى مُنْكِرِي الْمَعَادِ وَحْشَرِ الْأَجْسَادِ بِنَصْوَصِ الْوَحْيِ ابْدَأُوا  
لَهُ تَأْوِيلَاتٍ تَخَالُفُ ظَاهِرُهَا وَحَقَاقِقُهَا . وَقَالُوا مَنْ اسْتَدَلَ بِهَا عَلَيْهِمْ : تَأْوِيلُنَا  
لِهَذِهِ الظَّواهِرِ كَتَأْوِيلِكَ لِنَصْوَصِ الصَّفَاتِ ، وَلَا سِيمَا فَانِّا كَثُرَوا صَرْحًا  
فَإِذَا تَطَرَّقَ التَّأْوِيلُ إِلَيْهَا فَهُوَ إِلَى مَا دُونَهَا أَقْرَبُ تَطَرِّقاً . وَإِذَا اسْتَدَلَ  
بِنَصْوَصِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِ الشِّيَخِينَ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ تَأْوِيلُوهَا بَاعْهُو مِنْ جَنْسِ  
تَأْوِيلَاتِ الْجَهْنَمِ . وَإِذَا احْتَجَ الْجَهْنَمِ عَلَى الْخَارِجِيِّ بِنَصْوَصِ الدَّالَّةِ عَلَى  
إِيمَانِ مَرْتَكِبِ الْكَبَائِرِ ، وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ ، وَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ ، وَاحْتَجَ بِهَا عَلَى

الوعيدية القائلين بنفوذ الوعيد والتخليد . قلوا : هذه متأولة ، وتأويلاً  
اقرب من تأويل نصوص الصفات . وإذا احتج على المرجئة بالنصوص  
الدالة على أن اليمان قول وعمل ونية يزيد وينقص . قالوا هذه النصوص  
قابلة للتآويلاً كما قبلته نصوص الاستواء والفوقية والصفات الخبرية ،  
فتعمل فيها ما عملتم أنتم في تلك النصوص

فقد بان انه لا يمكن اهل التأويلاً ان يقيموا على مبطل حجة من  
كتاب ولا سنة . ولم يبق لهم الا تنتائج الافكار وتصادم الآراء . لاسيما  
وقد اعطى الجهمي من نفسه ان أكثر اللغة مجاز وان الادلة اللفظية لاتفاق  
اليقين ، وان العقل اذا عارض السمع وجب تقديم العقل . بل نقول :  
انه لا يمكن ارباب التأويلاً ان يقيموا على مبطل حجة عقلية ابداً  
وهذا عجب من الاول . وبيانه : أن الحجج السمعية مطابقة للمعقول .

والسمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصريح بل هما اخوان وصل الله تعالى بينها  
 فقال تعالى (ولَقَدْ كُنَّا فِي أَنْتَ كُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا  
وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا  
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِرُونَ) فذكر ما يتناول  
به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل . وقال تعالى  
(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْدِ) فاخبروا  
أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل وقال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَسْمَعُونَ) (إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وقل تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ  
النَّزْعَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ) فدعائهم الى اسماعهم وتدبره بعقولهم

ومثله قوله (أَفَلَمْ يَدْبَرُوا الْقَوْلَ) وقال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَّمْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) جمع سبحانه بين السمع والعقل وأقام بها حجته على عباده فلا ينفك احد هماعن صاحبه أصلا فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجة الله على خلقه . وكتابه هو الحجة العظمى ، فهو الذي عرفناه لم يكن لعقوتنا سبيل الى استقلالها بادرها كه أبداً وليس لاحد عنه مذهب ولا الى غيره مفزع في مجھول يعلمه ومشكل يستبينه .

فـ ذهب عنه فالـ يرجع ، ومن دفع حكمـ فـ يـ بـ حـ خـ حـ إـ ذـ كـ

بالحقيقة هو المرشد الى الطرق العقلية ، والمعارف اليقينية . فـ من رد من مدعـ الـ بـ حـ وـ النـ حـ حـ كـ حـ مـ ؛ وـ دـ فـ قـ حـ ؛ فـ قـ دـ كـ بـ رـ وـ عـ آندـ وـ لـ يـ كـ

لاحدـ سـ بـ يـ اـ لـ اـ فـ هـ اـ مـ . وـ لـ يـ لـ اـ حـ اـ نـ يـ قـ : اـ نـ غـ يـ رـ اـ ضـ بـ حـ كـ

بـ لـ بـ حـ كـ العـ قـ لـ . فـ اـ نـ هـ مـ تـ رـ دـ حـ كـ فـ قـ دـ رـ دـ حـ كـ العـ قـ الـ صـ رـ يـ عـ اـ نـ اـ دـ الـ كـ تـ اـ بـ

وـ العـ قـ وـ الـ دـ زـ عـ وـ اـ مـ قـ اـ صـ رـ يـ العـ قـ وـ السـ مـ اـ نـ العـ قـ يـ بـ حـ تـ قـ دـ يـ

عـ لـ اـ سـ مـ عـ نـ دـ تـ عـ اـ رـ ضـ هـ اـ نـ اـ تـ اوـ اـ مـ منـ جـ هـ لـ يـ بـ حـ كـ العـ قـ وـ مـ قـ تـ ضـ يـ السـ مـ

فـ ظـ نـ وـ مـ اـ لـ يـ بـ عـ قـ وـ لـ فـ هـ وـ فـ حـ قـ اـ لـ حـ قـ شـ هـ اـ تـ تـ وـ هـ اـ نـ عـ قـ صـ رـ يـ

وـ لـ يـ سـ تـ كـ ذـ لـ كـ ؛ اوـ مـ منـ جـ هـ لـ يـ بـ سـ مـ اـ مـ اـ بـ سـ بـ يـ هـ اـ نـ بـ سـ بـ يـ هـ اـ مـ تـ فـ رـ يـ هـ

عـ لـ يـ وـ سـ لـ مـ اـ مـ لـ يـ قـ لـ ؛ اوـ نـ بـ يـ هـ اـ مـ اـ مـ لـ يـ رـ دـ بـ قـ وـ لـ ؛ وـ اـ مـ اـ لـ دـ تـ فـ رـ يـ هـ

يـ بـ يـ مـ اـ لـ اـ يـ دـ رـ كـ بـ الـ عـ قـ وـ بـ هـ وـ اـ رـ بـ اـ عـ بـ اـ رـ اـ مـ اـ وـ جـ بـ تـ هـ ظـ نـ التـ عـ اـ رـ ضـ يـ بـ

الـ سـ مـ وـ الـ عـ قـ . وـ اـ لـ لـ هـ سـ بـ جـ اـ نـ حاجـ عـ بـ اـ دـ عـ لـ اـ اـ لـ سـ نـ رـ سـ لـ هـ فـ بـ اـ اـ رـ اـ دـ تـ قـ رـ بـ هـ

بـ وـ اـ لـ زـ اـ مـ هـ اـ يـ اـ يـ بـ اـ قـ بـ الـ طـ رـ كـ بـ الـ عـ قـ وـ اـ سـ هـ لـ هـ اـ تـ نـ اـ وـ لـ اـ ، وـ اـ قـ لـ هـ اـ تـ كـ لـ فـ اـ

وـ اـ عـ ظـ مـ هـ اـ غـ نـ وـ نـ فـ مـ اـ

فحججه سبحانه العقلية التي في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحه قليلة المقدمات ، مثل قوله تعالى فيما حاج به عباده من اقامه التوحيد وبطان الشرك وقطع اسبابه وحسم مواده كلها (قُلِّ ادْعُوا الَّذِينَ رَسَّخْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلُكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَفْعَلُ الشَّفَاعَةُ عَنْهُمْ إِلَّا كَمَنْ أَذِنَ اللَّهُ ) فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجتمع الطرق التي دخلوا منها الى الشرك وسد بها عليهم أبلغ سد وأحكمه ، فان العابد إنما يتبع بالعبود لما يرجو من نفعه ، وإلا فلو كان لا يرجو منفعة لم يتعلق قلبه به ، وحينئذ فلا بد ان يكون العبود مالك الالباب التي ينفع بها عابده ، او شريكا مالكه ، او ظهيرا او وزيرا او معاونا له ، او وجها عن آلهمة وقدر يشفع عنده . فاذا انتفت هذه الامور الاربعة من كل وجه انتفت اسباب الشرك وانتقطعت مواده . فنفي سبحانه عن آلهتهم ان تملك مثقال ذرة في السموات والارض . فقد يقول المشرك : هي شريكه الملاك الحق ، فنفي شرك الله . فيقول المشرك : قد يكون ظهيرا او وزيرا او معاونا فحال ( وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ) ولم يبق الا الشفاعة فنفها عن آلهتهم ، وأخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا باذنه فان لم يأذن الشافع لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين ، فان المشفوع عنده يحتاج الى الشافع ومعاونته له ، فيقبل شفاعته وان لم يأذن له فيها . واما من كل ما سواه فقير إليه بذاته ، فهو الغني بذاته عن كل ما سواه ، فكيف يشفع عنده أحد غير أذنه ؟

وكذا قوله سبحانه مقررًا برهان التوحيد أحسن التقرير وابلغه وأوجزه (فُلْ تَوْكَانَ مَعَهُ آتِهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَغَوَّلُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَيِّلًا) فان الاَلهُ الَّتِي كَانُوا يَبْتَوِنُونَهَا مَعَهُ كَانُوا يَعْرَفُونَ بِأَنَّهَا عَبْدِهِ وَمَالِيْكِهِ وَمُحْتَاجَةُ إِلَيْهِ . فَلَوْ كَانُوا آتِهٌ كَمَا يَقُولُونَ لَعَبْدِهِ وَتَقْرِبُوا إِلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَكَيْفَ يَعْبُدُونَهُمْ دُونَهِ ؟ وَقَدْ افْصَحَ سَبْحَانَهُ بِهَذَا بَعْيِنَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أَوَإِنَّكُمْ لَذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ) أَيْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِنِي شَمْ عَبْدِي كَمَا أَنْتُمْ عَبْدِي ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي ، فَلَمَاذَا تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِنِي ؟

وقال تعالى (مَا أَنْتَ بِاللهِ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٌ إِذَا لَذَّهَبَ سَكُلَ اللَّهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ)

فتتأملُ هَذَا البرهان الباهر بِهَذَا اللفظ الوجيز البين فان الاَللَّهُ الْحَقُّ لا بد ان يكون خالقاً فاعلاً ، يوصل الى عابده النفع ويدفع عنه الضر . فلو كان معه سبحانه إِلَهٌ لكان له خلق و فعل ، و حينئذ فلا يرضى شركة الاَللَّهِ الاَخر معه ، بل ان قدر على قهره وتفرده بالاَلهية دونه فعل وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلاقه وذهب به . كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض . بِمَالِيْكِهِمْ اذْلَمْ يَقْدِرُ الْمُنْفَرِدُ نَلِيْقُ قَهْرِ الاَخْرِ وَالْعَلُوِ عَلَيْهِ . فَلَا بد من احد امور ثلاثة : إِمَّا ان يذهب كل إِلَهٌ بخلاقه وسلطانه ، و إِمَّا ان يعلو بعضهم على بعض ، و إِمَّا ان يكونوا كالمتحتم تحت قهر إِلَهٗ واحد ، يتصرّف فيهم ولا يتصرّفون فيه . و يمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه فيكون وحده

هُوَ إِلَهٌ وَّمَا عَبَدَ الْمُرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ . وَاتِّظَامُ امْرِ الْعَالَمِ الْعُلُوِّيِّ وَالسُّفْلَى  
وَارْتِبَاطُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَجْرِيَانُهُ عَلَى نَظَامٍ مُحَكَّمٍ لَا يَخْتَافُ وَلَا يَفْسُدُ مِنْ أَدْلِيلٍ  
دِلْيَلٌ عَلَى أَنَّ مَدْبِرَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، كَمَا دَلَّ دِلْيَلُ التَّحَانُعِ عَلَى أَنَّ خَالِقَهُ  
وَاحِدٌ لَرَبِّ غَيْرِهِ . فَذَاكَ تَحَانُعٌ فِي الْفَعْلِ وَالْإِبْحَادِ . وَهَذَا تَحَانُعٌ فِي الْغَايَا  
وَالْأُلُوهِيَّةِ فِيهَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رِبَّانِيًّا خَالِقَانِ مُتَكَافِثَانِ يَسْتَحِيلُ  
أَنْ يَكُونَ لَهُ إِلْهَانٌ مَعْبُودَانِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ( هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُونَى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ )  
فَلَلَّهِ مَا أَحْلَى هَذَا الْلَّفْظُ وَأَوْجَزْهُ وَأَدْلَهُ عَلَى بَطْلَانِ الشَّرْكِ : فَإِنَّهُمْ أَنْ زَعَمُوا  
أَنَّ آلَهَتْهُمْ خَلَقُوا مِنْ شَيْءٍ مَعَ اللَّهِ طَوْلَبُوا بَانِيَرُوهُ إِيَاهُ وَانْاعْرَفُتْ أَنَّهَا  
أَعْزَزُ وَأَضْعَفُ وَأَقْلَى مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ آلَهَتْهَا بَاطِلًا وَمَحَالًا

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ( قُلْ أَفَرَأَيْتُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونَى مَاذَا  
خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَمْ يُشْرِكُ فِي السَّمَوَاتِ ؟ أَئْتُو نَفْسِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ  
هَذَا أَوْ أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ إِنْ كَذَّبُوا صَادِقِينَ ) فَطَالِبُهُمْ بِالْدَلِيلِ السَّمِعِيِّ وَالْعُقْلِيِّ  
وَقَالَ تَعَالَى ( قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ قُلِ اللَّهُ . قُلْ أَفَتَخَذُونَ مِنْ  
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ فَعَمَّا وَلَا ضَرَّا ؟ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى  
وَالْبَصِيرُ ؟ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظَّلَمَاتُ وَالنُّورُ ؟ أَمْ جَعَلُوا اللَّهَ شَرِكَاءَ خَلَقُوا  
كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ أَنْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ )  
فَاحْتَاجُ عَلَى تَفْرِدِهِ بِالْأَلْهَمِيَّةِ بِتَفْرِدِهِ بِالْخَلْقِ ، وَعَلَى بَطْلَانِ إِلَهِيَّةِ مَاسِوَاهِ  
بِعْجَزِهِمْ عَنِ الْخَلْقِ ، وَعَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ بِأَنَّهُ قَهَّارٌ . وَالْقَهَّارُ التَّامُ يَسْتَلِزمُ الْوَحدَةَ  
فَإِنَّ الشَّرْكَةَ تَنَافِي تَعَامِلَ الْقَهَّارِ

وقل تعالى (بَمَا أَيْمَانَ النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلُهِ فَأَسْتَعِمُوْلَهُ . إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقِدُوهُ مِنْهُ . ضَعْفُ الطَّالِبِ وَأَمْطَلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ )<sup>(١)</sup> فتأمل هذا المثل الذي امر الناس كلهم باستعماله فلن  
لم يسمعه فقد عصى أمره ، كيف تضمن ابطال الشرك واسبابه باوضحة  
برهان في اوجز عبارة واحسنها واحلاها وسجل على جميع آلهة المشركين  
انهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وعاون بعضهم بعضاً باللغ العاونة  
لعجزوا عن خلق ذباب واحد ثم بين عجزهم وضعفهم عن استنقاذ ما يسلبهم  
الذباب إياه حين يسقط عليهم ، فاي شئ اضعف من هذا الا له المطلوب ومن  
عابده الطالب نفعه وحده ؟ فهل قدر القوي العزيز حق قدره من اشرك  
معه آلهة هذا شأنها ، فاقام سبحانه حجة التوحيد وبين ذلك بأعذب الفاظ  
وأحسنها ، لم يستنكروا<sup>(٢)</sup> غموض . ولم يشنها تطويل ، ولم يعبها تقصير ،  
ولم يزد بها زيادة ولا نقص . بل بافت في الحسن والفصاحة والبيان والايحاز  
مالا يتوجه متوجه ولا يظن ظان أن يكون ابلغ في معناها منها ، وتحتها من  
المعنى الجليل القدر العظيم الشان البالغ في النفع ما هو أجل من الالفاظ  
ومن ذلك احتجاجه سبحانه على نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم  
وصححة ما جاء به من الكتاب وانه من عنده وكلامه الذي تكلم به وانه  
ليس من صنع البشر بقوله (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا أَخْ) .

(١) بهامش الاصل ما نصه : قال المصنف في كتاب الاعلام حقيق على كل عبد مسلم ان يسمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فانه يقطع مواد الشرك من قلبه اه (٢) كذا بالاصل ولعاتها (يشبهها)

فأمر من ارتتاب في هذا القرآن الذي أنزله على عبده وانه كلام الله أَن يأتِي  
بسورة واحدة مثله ، وهذا يتناول اقصر سورة من سوره : ثم فسح له ان  
محز عن ذلك ان يستعين بمن امكنته الاستعامة به من المخلوقين . وقال تعالى  
( أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةِ مِثْلَهِ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطِعُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) وقال تعالى ( أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرَ  
سُورَ مِثْلَهِ مُفْتَرِيَاتِ - الآية ) وقال تعالى ( أَمْ يَقُولُونَ تَقُولَهُ بَلْ لَا يُوْمِنُونَ  
فَلَمَّا تَوَافَرَتِ الْمَحَدِيثَ مِثْلَهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ) ثم سجل عليهم تسجيلا  
عاماً في كل مكان وزمان بمحزهم ولو ظاهر عليه التقلان فقال  
تعالى ( قُلْ لَئِنِّي أَجْتَمَعَتِ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ  
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بِعِصْمِهِ لِعَضِ ظَهِيرَاً )

فانظر إلى أي موقع يقع من الاسماع والقلوب هذا الحجاج الجليل  
القاطع الواضح الذي لا يجد طالب الحق ومؤثره ومربيه عنه محيداً ،  
ولا فوقه مزيداً ، ولا وراءه غاية ، ولا أظهر منه آية ، ولا أوضح منه برهاناً  
ولا أبلغ منه بياناً . وقال في اثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله  
ودعوه ومجاءه به ( أَفَلَمْ يَدْبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءُهُمْ مَا كَمِيَاتٍ أَبَاهُمُ الْأَوَّلُونَ  
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ يَهُ جِنَّهُ بَلْ جَاءُهُمْ  
بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ )

فدعى سبحانه الى تدبّر القول وتأمل حال القائل فان كون القول كذلك  
وزوراً يعرف من نفس القول تارة . وتارة من تناقضه واضطرابه وظهوره  
شواهد الكذب عليه ، ويعرف من حال القائل تارة . فان المعروف

بالكذب والفجور والمنكر والخداع والمكر لا نكمن أقواله إلا مناسبة لأفعاله ، ولا يأتي منه من القول والفعل ماتأني من البار الصادق من كل فاحشة وغدر وفجور وكذب ، بل قلب هذا وقصده وعمله وقوله يشبه بعضه بعضاً ، وقلب ذلك و قوله و عمله وقصده يشبه بعضه بعضاً .  
قد عاشر سبعاته الى تدبر القول وتأمل سيرة القائل واحواله وحيثئذ يتحقق لهم ويتبين حقيقة الامر وان ما جاء به أعلى مراتب الصدق  
قال تعالى ( قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوَّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيهِمْ عُرَمًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) فتأمل هاتين الحجتين القاطعتين بهذه  
اللفظ الوجيز : احدهما ان هذا من الله لا من قبلي ، ولا هو مقدوري ،  
ولا من جنس مقدوري البشر ، وان الله لو شاء لامسكم عنه قابي ولساني  
واسماعكم وافهامكم فلم يتمكن من تلاوته عليكم ولم تتمكنوا من درايته  
وفيه . الحجة الثانية اني قد لبست فيكم عمري الى حين اتيتك به وانت  
شاهدوني وتعرفوني واصبحوني حضرا وسفرا وتركت دقيق  
امری وجليله وتحتها قبور سيرتي ، هل كانت سيرة من هو اكذب  
اخلاق واجرهم واظلمهم ؟ فانه لا اكذب ولا اظلم ولا اقع سيرة من  
جاهر ربه بالكذب والفرية عليه ، وطلب افساد العالم وظلم النفوس  
والبغى في الارض بغير الحق هذا وانت تعلمون اني لم اكن احفظ  
كتابا ولا اخذه يميني ولا صاحبت من اتعلم منه ، بل صاحبتم انت في  
اسفاركم من تعلمون منه وتسألونه عن اخبار الامم والملوك وغيرها ماما  
اشاركم فيه بوجه ، ثم جئتكم بهذا النباء العظيم الذي فيه علم الاولين

وَالآخَرِينَ، وَعُلِمَ مَا كَانَ وَمَا سِكُونٌ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَإِنْ بَرَهَانَ أَوْضَعَ  
مِنْ هَذَا وَإِنْ عِبَارَةً أَفْصَحَ وَأَوْجَزَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ المُتَضْمِنَةِ لِهِ وَقَالَ تَعَالَى  
( قُلْ إِنَّمَا أَعِظُّكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا إِلَيْهِ مَتَّنِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا  
بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِنْنَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) وَمَا كَانَ  
لِإِنْسَانٍ الَّذِي يُطَابِ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ حَالَتَانِ : أَحَدُهُمَا إِنْ يَكُونَ مَنَاظِرًا مَعَ  
نَفْسِهِ . الْثَّانِيَةُ إِنْ يَكُونَ مَنَاظِرًا مَعَ غَيْرِهِ ، فَأَمْرُهُمْ بِنَخْصَلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ إِنْ  
يَقُومُوا إِلَهًا ثَنَيْنِ ، فَيَتَنَاظِرُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ يَنْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ، يَقُومُ كُلُّ  
وَاحِدٍ مَعَ نَفْسِهِ ، فَيَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِ هَذَا الدَّاعِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَسْتَدِعُ أَدَلةَ  
الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ وَيُعَرِّضُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَيْهَا لِيَتَبَيَّنَ لَهُ حَقِيقَةُ الْحَالِ . فَهَذَا هُوَ  
الْحِجَاجُ الْجَلِيلُ وَالْأَنْصَافُ الْبَيْنُ وَالنَّصْحُ الْتَامُ

وَقَالَ سَبِّحَانَهُ فِي تَبَيْدِتِ امْرِ الْبَعْثِ ( وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ  
مَنْ يُحْكِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْكِيَهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ  
عَلَيْمٌ ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَلَوْ رَامَ أَفْصَحَ الْبَشَرَ وَاعْلَمَهُمْ وَاقْدَرَهُمْ عَلَى الْبَيَانِ  
إِنْ يَأْتِي بِأَحْسَنِ مِنْ هَذِهِ الْحِجَاجَةِ أَوْ مِثْلَهَا فِي الْفَاظِ تَشَابَهُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي  
الْإِبْحَازِ وَالْأَخْتَصَارِ وَوَصْفِ حِينَئِذِ الدَّلَالَةِ وَصَمَةِ الْبَرَهَانِ لِأَلْفَاظِ ظَاهِرِ  
الْعِجزِ عَنْ ذَلِكَ . فَإِنَّهُ سَبِّحَانَهُ افْتَحَ هَذِهِ الْحِجَاجَةَ بِسُؤَالٍ أَوْرَدَهُ الْمَاحِدُ  
اقْتَضَى جَوَابًا ، وَكَانَ فِي قَوْلِهِ سَبِّحَانَهُ ( وَنَسِيَ خَلْقَهُ ) مَا وَفَى بِالْجَوَابِ وَاقْتَامَ  
الْحِجَاجَةَ وَازْدَالَ الشَّبَهَةَ لَوْلَا مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَأْكِيدِ حِجَّتِهِ وَزِيَادَةِ تَقْرِيرِهَا  
وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا السَّائِلَ الْمَاحِدَ لَوْ تَبَيَّنَ خَلْقُ نَفْسِهِ وَبَدَءَ كَوْنَهُ  
لَكَانَتْ فَكْرَتْهُ فِيهِ كَافِيَةً . ثُمَّ أَوْضَعَ سَبِّحَانَهُ مَا تَضْمِنَهُ قَوْلِهِ ( وَنَسِيَ خَلْقَهُ )

وصرح به جواباً له عن مسئلته بقوله (قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً) فاحتاج بالابداء على الاعادة وبالنشأة الاولى على النشأة الاخرى ، اذ كل عاقل يعلم عالما ضروريا ان من قدر على هذه قدر على هذه ، وانه لو كان عاجزا عن الثانية عجز عن الاولى بل كان اعجز واعجز . ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخالقه وعامة تفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) فهو عليم بالخلق الاول وتفاصيله ومواده وصوره وكذلك هو عليم بالخلق الثاني . فاذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتذر عليه ان يحيي العظام وهي رميم ؟ اكد الامر بحجة تتضمن جواباً عن سؤال ماحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميمها عادت طبيعتها باردة يابسة ، والحياة في الابدان تكون مادتها طبيعة حارة ، فقال (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) فاخبر سبحانه باخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الاخضر الممتليء بالرطوبة والبرودة . فالذي يخرج الشيء من صده هو الذي يفعل ما انكره الماحد من احياء العظام وهي رميم . ثم اكد الدلاله بالتنبيه على أن من قدر على الشيء الاعظم الاكبر فهو على ما دونه اقدر واقدر فقال تعالى (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟) فاخبر سبحانه ان الذي ابدع السموات والارض على جلالتها وعظم شأنها وكبر اجسامها وسعتها وعجب خلقها اقدر على ان يخلق عظاماً صارت رميمها فيردها الى حالتها الاولى ، كما قال تعالى في موضع آخر

(خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَلَمْ يَعْلَمُ بِخَلْقِهِنَّ يَقَادِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ؟ إِلَئِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)  
ثُمَّ يَبْيَنُ ذَلِكَ يَيْنًا آخَرَ يَتَضَمَّنُ مَعَ اقْتَامَةِ الْحِجَةِ دَفْعَ شَبَهِ كُلِّ مَا يَحْدُثُ  
وَجَاهِدُ، وَهُوَ أَنَّهُ سَبِّحَهُ نَيْسٌ فِي فَعْلَهِ بَعْزَلَةٌ غَيْرُهُ يَفْعَلُ بِالْآلاتِ وَالْكَلْفَةِ  
وَالتَّعبِ وَالْمَشْقَةِ وَلَا يَعْكِنُهُ الْإِسْتِقْلَالُ بِالْفَعْلِ، بَلْ لَا يَبْدُ مَعَهُ مِنْ آلَةٍ  
وَمُشَارِكٍ وَمَعِينٍ، بَلْ يَكْفِي فِي خَاقَ مَا يَرِيدُ خَلْقَهُ كَمْ فَيَكُونُ . فَلَخَبِرْ  
أَنَّ نَفْوَذَ ارَادَتِهِ وَمُشَيَّطَتِهِ وَسُرْعَتِهِ تَكْوِينَهُ وَاتِّقِيَادَ الْكَوْنَ لَهُ . ثُمَّ خَتَمَ  
هَذِهِ الْحِجَةَ بِأَخْبَارِهِ أَنَّ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ يَسِدُهُ فِي تَصْرِيفِ فِيهِ بِفَعْلِهِ وَقَوْلِهِ  
(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فَسَبِّحَانَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي جَمَعَ مَعَ وَجَازَهُ  
وَفَصَاحَتِهِ وَصَحَّةَ بُرْهَانِهِ كُلُّ مَا تَدْعُوا إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ وَجَوابِ  
الشَّبَهَةِ بِالْفَاظِ لَا أَعْذَبُ مِنْهَا لِلْسَّمْعِ وَلَا أَحْلِي مِنْ مَعَانِيهَا لِلْقُلْبِ وَلَا افْعَنَّ  
مِنْ ثُمَّ رَاهِمَهَا لِلْعَبْدِ

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَئْتَمْبَعُو ثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟  
قُلْ كُوُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسِيمَقُولُونَ  
مَنْ يُعِيدُنَا؟ قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَةً فَسِينَغَضُوتَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ  
وَيَقُولُونَ مَتَّ هُوَ؟ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا . يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيْبُونَ  
بِحَمْدِهِ وَتَقْلُنُونَ إِنْ لَمْ تَنْتَمْ إِلَّا قَلِيلًا) فَتَأْمَلُ مَا أَجْبَيْوَا بِهِ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ  
عَلَى التَّفْصِيلِ فَانْهَمُوا قَلُوَا (إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَئْتَمْبَعُو ثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)  
فَقَيْلَ لَهُمْ فِي جَوابِ هَذَا السُّؤَالِ : أَنْ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ أَنْ لَا خَالِقٌ لَكُمْ وَلَا

ولا رب ، فهلا كنتم خلقاً لا يصيبه التعب كالحجارة وال الحديد وما هو اكبر في صدوركم من ذلك ؟ فان قلتم : لنا رب خالق خلقنا على هذه الصفة وأنشأنا بهذه النشأة التي لا تقبل البقاء ولم يجعلنا حجارة ولا حديدا فقد قامت عليكم الحجة باقراركم ؟ فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وإعادتكم خلقاً جديداً

والحجة تقرير آخر وهو : انكم لو كنتم من حجارة أو من حديد أو خلق اكبر منها لكان قادرًا على ان يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال الى حال ومن قدر على التعرف في هذه الاجسام مع صلابتها وشدها بالاففاء والا حالة ، فما يعجزه عن التصرف فيما هو دونها باففائه وإحالته ونقله من حال الى حال ؟ فالخبر سبحانه انهم يسألون سؤالا آخر بقولهم من يعيدهما اذا استحال اجسامنا وفنيت ؟ فاجابهم بقوله ( قُلِ اللَّهُمَّ فَطَرْتَنَا مُولَّةً مَوْرَةً ) وهذا الجواب نظير جواب قول السائل ( مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ دَمِّرَةً ) فلما اخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا الى سؤال آخر يتعلمون به كما يتعاقق المقطوع بالحجاج بذلك وهو قوله ( مَنْ هُوَ ؟ ) فاجيبوا بقوله ( عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا . يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَذَسْتَهُمْ بِمُهَمَّدٍ وَتَظَنُّونَ إِنْ كَبَثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) ومن هذا قوله تعالى ( أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَى ؟ أَلَمْ يَكُنْ نُطْعَمَةً مِنْ مَنِيَّ يُنْفَى مِنْ كَانَ عَلَقَةً تَخْلُقَ فَسَوَى أَجْعَلَ مِنْهُ الرُّوْجَيْنِ الَّذِي كَرَّ وَالْأَنْتَ أَلَيْسَ ذَلِكَ يُقَادِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ )

فاحتج سبحانه على أنه لا يترك الانسان مهملًا معطلاً عن الامر والنهي والثواب والعقاب وان حكمته وقدرته تابي ذلك فان من نقله من نصفة

مني ، ومن المني الى العاقلة ، ثم الى المضفة ، ثم خلقه ، وشق سمعه وبصره وركب فيه الحواس القوى والمعظام والمنافع والاعصاب والرباطات التي هي اشد ، واتقن خلقه واحكمه غاية الاحكام ، واخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي اتم الصور واحسن الاشكال ، كيف يعجز عن اعادته وانشائه مرة ثانية ؟ ام كيف تقتفي حكمته وعنایته ان يتركه سدى ؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته . فانظر الى هذا الحاجاج العجيب بالقول الوجيز والبيان الجليل الذي لا يتوجه اوضح منه ، ومأخذة القريب الذي لا تقع الظنون على اقرب منه

وكذاك ما احتاج به سبحانه على النصارى مبطلا لدعوى إلهية المسيح كقوله (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَخَذَ لَهُوا لَا نَخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) فاخبر تعالى ان هذا الذي اضافه من نسب الولد إلى الله من مشركي العرب والنصارى غير سائع في العقول إذا تأمله المتأمل . ولو اراد الله ان يفعل هذا لكان يصطفى لنفسه ويجعل هذا الولد المتخد من الجوهر الأعلى السماوي الموصوف بالخلوص والنقاء من عوارض البشر المحبول على الثبات والبقاء ، لا من جواهر هذا العالم الفاني الكثير الاذناس والواسخ والاقدار . وما كان هذا الحاجاج كما ترى في هذه القوة والجلالة اتبعه بقوله (بَلْ نَقْدِفُ يَا لَكُنْ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَمْدُغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)

ونظير هذا قوله تعالى (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا دِشَاءٌ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) وقل تعالى (مَا الْمَسِيحُ أَبْنُ مُرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّهُ صِدِيقَةٌ كَانَتِيَا كَلَانِ الطَّعَامَ ،

انظر كيف تبين لهم الآيات ثم انظر أنني يرثون ( وقد تضمنت هذه الحجة دليلين يبطلان إلهية المسيح وأمه احدهما : حاجتها إلى الطعام والشراب وضعف بنيتها عن القيام بنفسها ، بل هي محتاجة فيما يعينها إلى الغذاء والشراب ، والحتاج إلى غيره لا يكون لها أذن من لوازم الآلة أن يكون غنياً ( الثاني ) إن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القدرة التي يستحبى الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه ، بل يستحبى من التصرع بذكرها . وهذا - والله أعلم - عبر الله سبحانه عنها بلازمها من أكل الطعام الذى ينتقل الذهن منه الى ما يلزم من هذه الفضلة ، فكيف يليق بالرب سبحانه أن يتخذ صاحبة ولدا من هذا الجنس ؟ ولو كان يليق به ذلك أو يمكن لكان الاولى به ان يكون من جنس لا يأكل ولا يشرب ولا يكون منه الفضلات المستقدرة

ومن ذلك قوله تعالى ( وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُمْ بِعَاصَرَبَ لِرَحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِدًا وَهُوَ كَفِيلُمْ . أَوْمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْخُلُلِيَّةِ وَهُوَ فِي أَنْتِصَامِ غَيْرِ مُبِينِ ) احتج سبحانه على هؤلاء الذين جعلوا له البنات بأن أحدهم لا يرضى بالبنات وإذا بشر أحدهم بالاثنى حصل له من الحزن والكآبة ما ظهر منه السواد على وجهه ، فإذا كان أحدهم لا يرضى بالإناث بناتاً فكيف تجعلونها لي كما قال تعالى ( وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ ) . ثم ذكر سبحانه ضعف هذا الجنس الذي جعلوه لله وأنه أقص الجنسين ولهذا يحتاج في كماله الى الخلية وهو أضعف الجنسين بياناً فقال تعالى ( أَوْمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْخُلُلِيَّةِ

وَهُوَ فِي إِلْحَصَامِ عَبْرُ مِينِ ) فَلَا شَارِبَ شَاهِنَ فِي الْحَلِيَّةِ إِلَى أَهْنَ نَاقَصَاتِ  
فِي حَتْجَنِ إِلَى حَلِيَّةِ يَكْلِنَ بِهَا . وَأَهْنَ عَيَّاتِ فَلَا يَنْ حَجَمَهُنَّ وَقَتِ  
إِلْحَصُومَةِ مَعَ أَنْ فِي قَوْلِهِ ( أَوْمَنْ يُنَشَّا فِي الْحَلِيَّةِ ) تَعْرِيضاً بِمَا وَضَعَتِ  
لَهُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْبَزَنِ لَمْ يَفْتَرَشَهُنَّ وَيَطَاهَنَ وَتَعْرِيضاً بِأَهْنَ لَا يَثْبَتَنَ  
فِي الْحَرْبِ فَذَكَرَ الْحَلِيَّةُ الَّتِي هِيَ عَالَمَةُ الْضَّعْفِ وَالْعَجْزِ

وَمِنْ هَذَا مَا حَكَاهُ سَبِحَانَهُ مِنْ مَحَاجَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ بِقَوْلِهِ  
( وَحَاجَهُ قَوْمُهُ ، قَالَ أَنْتَ حَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ وَلَا أَخَافُ مَا تُشَرِّكُونَ  
يَهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءُ رَبُّ شَيْءٍ وَسَعَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ عَلَمًا أَفَلَا تَقْدَرُونَ ؟ وَكَيْفَ  
أَخَافُ مَا أَشَرَّكُتُمْ وَلَا تَخَفُونَ أَنْكُمْ أَشَرَّكُتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ  
سُلْطَانًا ؟ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ  
يَكُنُوا إِلَيْعَابَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَمْ يَأْمُرُوهُمْ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) فِيهَا الْكَلَامُ لِمَخْرَجِ  
فِي ظَاهِرِهِ مَخْرَجُ كَلَامِ الْبَشَرِ الَّذِي يَتَكَلَّفُهُ أَهْلُ النَّظَرِ وَالْجَدَالِ وَالْمَقَايسَةِ  
وَالْمَعَارِضَةِ . بَلْ خَرْجُهُ فِي صُورَةِ كَلَامِ خَبْرِي يَشْتَمِلُ عَلَى مُبَادَىِ الْحَجَاجِ ،  
وَيُشَيرُ إِلَى مَقْدِمَاتِ الدَّلِيلِ وَتَتَأْبِحُهُ بِأَوْضَعِ عَبَارَةٍ وَأَفْصِحَّهَا . وَالغَرْضُ مِنْهِ  
أَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِقَوْمِهِ مُتَعْجِبًا مَا دَعَوْهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ ( أَنْتَ حَاجُونِي فِي اللَّهِ )  
وَتَطْمَعُونَ أَنْ تَسْتَزِلُونِي عَنْ تَوْحِيدِهِ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي ، وَتَأَكِّدُتْ بِصَيْرَتِي  
وَاسْتَحْكَمَتْ مَعْرِفَتِي بِتَوْحِيدِهِ بِالْهَدَىِ الَّتِي رَزَقْنِيَّا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ مِنْ  
كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ فِي اعْتِقَادِهِ أَمْرًا مِنَ الْأَمْوَرِ عَنْ بَصِيرَةِ لَا يَعْارِضُهُ فِيهَا  
رِبُّ فَلَا سَبِيلٌ إِلَيْهِ اسْتَزِلَالُهُ عَنْهَا . وَإِيْضًا فَإِنَّ الْحَاجَةَ بَعْدَ وَضُوحِ الشَّيْءِ  
وَظُهُورِهِ نَوْعٌ مِنَ الْعَبْثِ بِمَنْزِلَةِ الْحَاجَةِ فِي طَلَوْعِ الشَّمْسِ وَقَدْ رَأَاهَا مِنْ يَحْاجِهِ

بعينه . فكيف يؤثر حجاجكم له أتماً لم تطلع ، ثم قال ( وَلَا أَخَافُ مَا تُشَرِّكُونَ  
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّ شَيْئًا ) فكان أنه صوات الله وسلامه عليه يذكر انهم  
خوفوه آلهتهم أن يناله منها معرة كا قاله قوم هود ( إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكَ  
بَعْضُ أَرْهَمَتِنَا إِسْوَهُ ) فقال ابراهيم ان أصابني مكروره فليس ذلك من قبل  
هذه الاصنام التي عبدتموها من دون الله ، وهي اقل من ذلك فانها ليست  
من يرجى أو يخاف ، بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحلي الفعال  
الذى يفعل ما يشاء بيده الفر والنفع يفعل ما يشاء ويخصم ما يريد . ثم ذكر  
سعه عالمه سبحانه في هذا المقام منها على موقع احتراز لطيف وهو ان  
الله تعالى عالما في وفيكم وفي هذه الآلة لا يصل اليه علمي ، فادا شاء  
أمراً من الامور فهو أعلم بما يشاءه فإنه وسع كل شيء عالماً فان اراد ان  
يصيبني بـ مـ كـ روـهـ لاـ عـ لـ مـ لـ يـ منـ ايـ جـ هـ اـ تـ اـ نـ فـ عـ اـ مـ هـ مـ حـ يـ طـ بـ عـ اـ مـ اـ عـ لـ مـ هـ . وهذا  
غاية التفويض والتبرير من الحول والقوة واسباب النجاة وانها يـ بـ دـ اللهـ  
لا يـ بـ دـ يـ

وهكذا قول شعيب صلى الله عليه وسلم لقومه ( قَدِ افْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَقَكُمْ بَعْدَ إِذْ تَجَنَّبَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا . وَرَسَّعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَلَمًا . عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا وَرَبَّنَا  
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ) فردت الرسل بما يفعله  
الله وادا شاء شيئاً فهو اعلم بما يشاءه ولا علم لنا باهتماعه  
ثم رجع الخليل اليهم مقرراً لـ الحـ جـ هـ فقال ( وَكـ يـ كـ يـ فـ أـ خـ اـ فـ مـ أـ شـ رـ كـ كـ مـ  
وَلـَا تـ خـ اـ فـ وـ نـ أـ نـ كـ كـ مـ أـ شـ رـ كـ كـ مـ يـ بـ اللـ هـ ) يعني في إلهيتـهـ ( مـ الـ مـ يـ نـ زـ لـ بـ هـ عـ لـ يـ كـ سـ اـ طـ اـ نـ )

فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالآمِنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْدِسُوا  
إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لِئِكَ لَمْ أَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول لقومه : كيف  
يسوغ في عقل انت أخاف ما جعلتموه لله شريكا في الالهية وهي  
ليست موضع نفع ولا ضر ، وأنتم لا تخافون انكم اشرکتم بالله في  
الالهية أشياء لم ينزل بها حجة عليكم . والذى اشرك بخالقه وفانره  
فاطر السموات والارض ورب كل شيء ومليكه آلهة لا تخلق  
 شيئاً وهى مخلوقة ولا تملك لا نفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا ولا موتا  
ولا حياة ولا نشورا ، وجعلها نذاله ومثلا في الالهية ، احق بالخوف من  
لم يجعل مع الله اله آخر ، بل وحده واقرده بالالهية والربوبية والقهر  
والسلطان والحب والخوف والرجاء ، فاي الفريقيين احق بالامن ان كنتم  
تعالمون ؟ فحكم الله تعالى بينها باحسن حكم خضعت له القلوب واقررت به  
الفطر فقال تعالى ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْدِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لِئِكَ لَمْ أَمْنُ  
وَهُمْ مُهْتَدُونَ )

فتأمل هذا الكلام وعجب موقعه في قطع الخصوم ، وإحاطته بكل  
ما وجب في العقل أن يرد به مادعوه اليه بحيث لم يبق اطاعن مطعن ولا  
سؤال ، وما كانت بهذه المتابة عظمها باضافتها إلى نفسه الكريمة فقال تعالى  
( وَتِلْكَ حُجَّتَنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفِيعٌ دَرَجَاتٌ مَّنْ نَشَاء ) وكفى  
بحجة يكون الله تعالى ملقاها خليله ان تكون قاطعة لوارد العناود قامعة  
لاهل الشرك والاخاد

وشيء بهذه القصة قوله تعالى ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ  
فِي رَبِّهِ أَنَّ أَتَاهُ اللَّهُ أَمْلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيُّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ . قَالَ أَنَا  
أَحْيِي وَأَمِيتُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ أَمْلَقِ الْمَرْقِ فَأَتَ رَبَّهَا مِنْ  
الْمَغْرِبِ . فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) لما جلب إبراهيم  
صلى الله عليه وسلم الحاج له في الله بان الذي يحيي ويميت هو الله أخذ عدو الله  
في المغالطة والمعارضة بأنه يحيي ويميت ، بأنه يقتل من يريد ويستبق من  
يريد ، فقد احياءهذا وأمات هذا ، فألزمته إبراهيم على طرد هذه المعارضه  
ان يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها بزعمه ،  
فأنه ادعى أنه يساوي الله في الاحياء والاماوه ، فان كان صادقا فليتصرف  
في الشمس تصرفاتصح به دعوه ، وليس هذا انتقالا من حجة إلى حجة  
اوصح منها كما زعم بعض النظار ، وإنما هو إلزام للمدعى في طرد حجته  
ان كانت صحيحة

ومن ذلك احتجاجه سبحانه على إثبات عامله بالجهات كلها باحسن  
دليل واوضحه وأصحه ، حيث يقول ( وَأَبْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ أَنَّهُ  
عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) ثم قرر عالمه بذلك بقوله ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الظَّيِّفُ  
الْخَيْرُ ؟ ) وهذا من ابلغ التقرير . فان اخلاق لا بد ان يعلم مخلوقه ، وإذا  
كنتم مقررين بأنه خالقكم وخلق صدوركم وما تضمنته فكيف تخفي عليه  
وهي خلقه ؟ وهذا التقرير مما يصعب على القدرة فهمه ، فإنه لم يخلق عندم  
ما في الصدور . فلم يكن في الآية على أصولهم دليل على عالمه بها . وهذا  
طرد غلاة القوم ذلك ونفوا عالمه ، فكفرتهم السلف قاطبة . وهذا التقرير

من الآية صحيح على التقديرين ، اعني تقدير أن يكون من في محل رفع على الفاعلية أو في محل نصب على المفعولية . فعل التقدير الأول الأيم الرب مخلوقه ومصنوعه ؟ ثم ختم الحجة باسمين مقتضيين لثوبتها وهما الاطيف الذي اطاف صنعه وحكمته ودق حتى عجزت عنه الافهام ، والخير الذي انتهى علمه إلى الاحاطة ببواطن الاشياء وخفاياها كما احاط بظواهرها ، فكيف يخفي على الاطيف الخير ما تخفيه الفهار وتجنه الصدور

ومن هذا احتجاجه سبحانه على الشركين بقوله تعالى (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ  
شَيْءٍ أَمْ هُمْ إِذَا قِيلُوا إِنَّكُمْ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِلَا يُوقِنُونَ) فتأمل  
هذا الترديد والحصر المتضمن لاقامة الحجة باقرب طريق واوضح عباره  
يقول تعالى : هؤلاء مخلوقون بعده ان لم يكونوا افضل خلقوا من غير خالق خلقهم ؟  
فهذا من الحال الممتنع عند كل عاقل . ثم قال تعالى (أَمْ هُمْ إِذَا قِيلُونَ)  
وهذا أيضاً من المستحيل أن يكون العبد خالقاً لنفسه ، فان من لا يقدر  
أن يزيد في حياته بعد وجوده وتعاطيه اسباب الحياة ساعة واحدة ، كيف  
يكون خالقاً لنفسه ؟ وإذا بطل القسمان تعين ان لهم خالقاً خلقهم فهو  
الآء ، الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر ، فيكيف يشركون إلهاماً  
غيره وهو وحده الخالق لهم ؟

فان قيل : فما موقع قوله تعالى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) من هذه  
الحججه ؟ فيل : أحسن موقع ، فإنه بين بالقسمين الاولين أن لهم خالقاً اطرأ  
ويبين بالقسم الثالث أنهم بعد أن وجدوا وخلقوا فهم عاجزون غير خالقين

فأئمهم لم يخلقوا نفوسهم ولم يخلقوا السموات والارض ، وان الواحد القهار الذي لا إله غيره ولا رب سواه هو الذي خلقهم وخلق السموات والارض ، فهو المفرد بخالق المسكن والساكن

ومن هذا ما حكاه الله سبحانه من محاجة صاحب يس لقومه ، بقوله ( يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا أَمْرِي سَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) فنبه على وجوب الاتباع ، وهو كون المتبوع رسولًا لمن ينبغي أن لا يخالف ولا يعصى ، وأنه على هداية . ونبه على انتفاء المانع ، وهو عدم سؤا الاجر فلا يريد منكم دنيا ولا رائدة . فوجوب الاتباع كونه مهتميا والمانع منه متنف ، وهو طلب العلو والفساد وطلب الاجر ، ثم قال : ( وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الدِّيْنَ فَطَرَّ فِي وَإِلَيْهِ تُرْجَمُونَ ؟ ) أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفاً لهم ، ونبه على أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول ، فأن خلقه لعبد أصل إنعامه عليه ، وإنعامه كلها تابعة لا يجاده وخلقها . وقد جبل الله العقول والفتراء والشريائع على شكر المنعم ومحبة المحسن . ولا يلتفت إلى ما يقوله نفاة التحسين والتقبيل في ذلك ، فإنه من أفسد الأقوال وابطأها في العقول والفتراء والشريائع . ثم أقبل عليهم مخوفا تخويف الناصح فقال ( وَإِلَيْهِ تُرْجَمُونَ ) ثم أخبر عن الآلهة التي تعبد من دون الله أنها باطلة فقال ( أَءْتَنَحْذَدُ مِنْ دُونِهِ آلهَةً إِنْ بُرِدْنِي الرَّحْمَنُ رَبُّنِي لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْفِدُونَ ) فأن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت حاجته إليه ، وأنه إذا أرادني الرحمن الذي

فطري بضر لم يكن لهذه الـآلهـة من القدرة ما ينقدرني بها من ذلك  
الضر ، ولا من الجاه والمكانة عنده ما يشفع لي اليه ، ولا يخالص من ذلك  
الضر ، فبأي وجه تستحق العبادة ؟ (إنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) إنْ عَبَدْتَ  
مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ هَذَا شَأْنَهُ

وهذا الذي ذكرناه من حجاج القرآن يسير من كثير  
والمقصود أنه يتضمن الأدلة العقلية والبراهين القطعية التي لا مطمع في  
التشكيك فيها والاسئلة عليها إلا اعائد مكابر ، والتأول لا يمكنه أن يقيم  
على مبطل حجة تقليدية ولا عقلية . أما النقل فإنه عنده قابل للتأويل ، وهو  
لا يفيد اليقين . وأما العقل فلا أنه قد خرج عن صريحه وموجبه بالقواعد  
التي قادته إلى تأويل النصوص وإخراجها عن ظواهرها وحقائقها ، فصارت  
تلك القواعد الباطلة حجابة بينه وبين العقل والسمع . فإذا احتج على  
خصمه بحجة عقلية نازعه خصميه في مقدماتها بما سلم له من القواعد التي  
تخالفها . فالمقصود الصريح هو مادلت عليه النصوص فإذا أبطله بالتأويل لم  
يبق معه صحيح يحتاج به على خصميه كما لم يبق معه منقول صريح ، فإنه قد  
عرض المنقول لتأويل ، والمعقول الصريح خرج عنه بالذى ظن أنه معقول  
ومثال هذا ان العقل الصحيح الذي لا يكذب ولا يغاط قد حكم حكم  
لا يقبل الغلط ان كل ذاتين فائتين بنفسها إما ان تكون كل منها مبائية  
لآخر أو محايدة لها . وأنه يمتنع ان تكون هذه الذات قائمة بنفسها  
ووهذه قائمة بنفسها ، واحداها ليست فوق الأخرى ، ولا تتحتها ، ولا عن

يinها ، ولا عن يسارها ، ولا خلفها ، ولا امامها ، ولا متصلة بها ، ولا منفصلة عنها ، ولا مجاورة لها ، ولا محاية ، ولا داخلة فيها ، ولا خارجة عنها ، فاذا خولف مقتضى هذا المعمول الصريح ودفع موجبه ، فاي دليل عقلي احتاج به المخالف بعد هذا على مبطل امكنته دفعه بما دفع هو به حكم هذا العقل

فاذ قال الجهمي <sup>(١)</sup>

الوجه الاربعون : ان الادلة القاطعة قد قامت على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به ، ودلائلها على صدقه أبين وأظهر من دلالة الشبه العقلية على تقييض ما أخبر به عند كافة العقلاة . ولا يسترب في ذلك إلا مصاب في عقله وفطرته ، فain الشبه النافية لعلوه على خلقه ، وتكلمه بمشيئته ، وتکلیمه خلقه . وصفات کاله ، ولرؤيته بالابصار في الآخرة ولقيام افعاله به ، الى براہین نبوته التي زادت على الالف وتنوعت كل التنوع ، فكيف يقدح في البراهين العقلية الفضورية بالشبه الخيالية المتناقضة ؟ وهل ذلك إلا من جنس الشبه التي أوردوها في التشكيك في الحسيات والبدويات ، فانها وان عجز كثير من الناس عن حلها فهم يعلمون أنها قدح فيما علموا بالحس والاضطرار . فمن قدر على حلها وإلا لم يتوقف جزء منه بما علمه بمحسنه واضطراره على حلها وكذا الحال في الشبه التي عارضت ما أخبر به الرسول صلى الله

(١) هنا بياض بالاصل مقدار صفحة ونصف من الاصل

وسلم سواه ، فان المصدق به وبما جاء به يعلم انها لا تقدر في صدقه ولا في الاعيان به ، فان عجز عن حلها فان تصديقه بما جاء به الرسول ضروري . وهذه الشبهة عنده لا تزيل ما عالمه بالضرورة ، فكيف اذا تبين بطلانها على التفصيل ؟ يوضحه :

الوجه الحادى والاربعون وهو : أن الرسول صلى الله عليه وسلم يبن مراده . وقد تبين اكثراً مما تبين لنا كثير من دقائق المقولات الصحيحة ، ومعرفتنا بمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه فوق معرفتنا بتلك الدقائق اذا كانت صحيحة المقدمات في نفسها صادقة النتيجة غير كاذبة ، فكيف اذا كان الامر فيها بخلاف ذلك ؟ فتلك التي تسمى مقولات قد تكون خطأ ولكن لم يتقطن لخطئها . واما كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم فقد قام البرهان القاطع على صدقه ، ولكن قد يحصل الغلط في فهمه فيه منه ما يخالف صريح العقل ، فيقع التعارض بين ماقفهم من النقل وبين ما يقتضاه صريح العقل ، فهذا لا يدفع . ولكن اذا تأمله من وذهبه الله حسن القصد وصحة التصور تبين له أن المعارضة واقعة بين ماقفهمه النفاوة من النصوص وبين العقل الصريح ، وانها غير واقعة بين مادل عليه النقل وبين العقل . ومن اراد معرفة هذا فليوازن بين مدلول النصوص وبين العقل الصريح ليتبين له مطابقة أحدهما للآخر ، ثم يوازن بين أقوال النفاوة وبين العقل الصريح ، فإنه يتبيّن له حينئذ ان النفاوة أخطأوا خطأين ، خطأ على السمع ، فانهم فهموا منه خلاف مراد المتكلم وخطأ على العقل بخروجهم عن حكمه

الثاني والرابعون: أن المعارضين بين العقل والنفsel الذي أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعترفوا بأن العلم بانتفاء المعارض مطلقاً لا سبيل إليه، إذ مامن معارض نفسه الا ويحتمل ان يكون له معارض آخر . وهذا مما اعتمد صاحب نهاية العقول وجعل السمعيات لا يحتاج بها على العلم بحال . وحاصل هذا : إن لأنعلم ثبوت ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نعلم انتفاء ما يعارضه . ولا سبيل إلى العلم بانتفاء المعارض مطلقاً ، لما تقدم . وأيضاً فلا يلزم من انتفاء العلم بالمعارض العلم بانتفاء المعارض . ولا ريب أن هذا القول افسد اقوال العالم ، وهو من أعظم اصول اهل الاحاد والزندقة وليس في عزل الوحي عن رتبته ابلغ من هذا

الثالث والرابعون: إن الله سبحانه قد أخبر في كتابه أن ما على الرسول إلا البلاغ المبين فقال تعالى ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا بَلَاغُ الْمُبَيِّنِ ) وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) وقل تعالى ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونْ ) وقد شهد الله له وكفى بالله شهيداً بالبلاغ الذي أمر به ، فقال ( فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِعَلُومٍ ) وشهد له أعقل الخلق وأعمدهم وأفضلهم بأنه قد بلغ ، فأشهد الله عليهم بذلك في أعظم شمع وأفضلها ، فقال في خطبته في عرفات في حجة الوداع « انكم مستولون عليكم فما أنتم قاتلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد باعْت وأديت ونصحت . فرفع أصبعه إلى السماء مستشهدًا بربه الذي فوق سمواته ، وقال

«الاَّمِن اشْهِد» فلولم يكن عرف المسلمون وتقنوا ما ارسل به وحصل لهم منه العلم واليقين لم يكن قد حصل منه البلاغ المبين ، وما رفع عنه اللوم . وغاية ما عند النهاة أنه بالغم الفاظاً لا تفيدهم عاماً ولا يقيناً . وأحالم في طلب العلم واليقين على عقولهم وفطراهم وآرائهم ، لاعلى ما اوحى اليه وهذا معاوم البطلان بالضرورة

الرابع والاربعون : ان عقل رسول الله عليه السلام كل عقول أهل الارض على الاطلاق ، فلوزن عقله بعقولهم لرجحها . وقد اخبر الله انه قبل الوحي لم يكن يدرى مالايات ، كما لم يكن يدرى ما الكتاب ، فقال تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أُمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاكَ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا ) وقل تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتَّمِمَا فَأَوَى ، وَوَجَدْكَ ضَالًا فَهَدَى ، وَوَجَدْكَ عَاقِلًا فَأَغْنَى ؟) . وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى . فاذا كان اعقل اخلق على الاطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى (قُلْ إِنِّي خَلَقْتُ فَيَا أَنْتَ أَفْلَى عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدِي فَبِمَا يُوْحِي إِلَيْكَ رَبُّكَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) فكيف يحصل لسفهاء العقول واخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الایمان ب مجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بتلك الهدایة الى المعارضۃ بين العقل ونصوص الانبياء (لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِذًا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا )

الخامس والاربعون : ان الله سبحانه اقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله ، فقال تعالى ( تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا ) وَقَالَ تَعَالَى ( وَأَوْحَى إِلَيْهَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ يَهُ وَمَنْ بَلَغَ )  
فَكُلُّ مَنْ بَالَغَ هَذَا الْقُرْآنَ فَقَدْ أَنْذَرَ رَبَّهُ وَقَامَتْ عَلَيْهِ حِجَةُ اللَّهِ . وَقَالَ تَعَالَى  
( رُسُلُّنَا مُبَشِّرُينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ ) وَقَالَ  
تَعَالَى ( وَمَا كَنَا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ) وَقَالَ تَعَالَى ( كُلُّمَا أَقْرَبَ فِيهَا أَفْوَجُ  
سَآَلَهُمْ خَزَنَتِهَا أَلْمَ يَا تَكُمْ نَذِيرًا ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا  
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ  
مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِرِ . فَمَا عَنَّرُوْفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْنًا لِأَصْحَابِ السَّعْيِرِ )  
فَلَوْ كَانَ كَلَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ وَالْعِلْمَ وَالْعُقْلَ مَعَارِضُ لَهُ ، فَإِنِّي  
حِجَةٌ تَكُونُ قَدْ قَامَتْ عَلَى الْمُكَافِفِينَ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ ؟ وَهُلْ هَذَا  
الْقَوْلُ إِلَّا مُنَاقِضٌ لِاقْتَامَةِ حِجَةِ اللَّهِ بِكِتَابِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ

الْوَجْهُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونُ : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ لَعْبَادِهِ بَيْنَ يَبْيَنِهِمْ  
غَايَةُ الْبَيَانِ وَأَمْرُ رَسُولِهِ بِالْبَيَانِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ لِيَبْيَنَ لِلنَّاسِ  
وَهُدًى قَالَ الزَّهْرِيُّ « مِنَ اللَّهِ الْبَيَانُ ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ ، وَعَلَيْنَا  
الْتَّسْلِيمُ » فَهَذَا الْبَيَانُ الَّذِي تَكْفُلُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَأَمْرُهُ بِرَسُولِهِ إِمَّا إِنْ  
يَكُونُ الْمَرْادُ بِهِ بَيْانُ الْأَلْفَاظِ وَحْدَهُ ، أَوْ الْمَعْنَى وَحْدَهُ ، أَوْ الْأَلْفَاظُ وَالْمَعْنَى جَيْعَانًا .  
وَلَا يَحُوزُ أَنْ يَكُونُ الْمَرْادُ بَيْانُ الْأَلْفَاظِ دُونَ الْمَعْنَى ، فَإِنْ هَذَا لَا فَائِدَةُ فِيهِ  
وَلَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُ الرِّسَالَةِ . وَبَيْانُ الْمَعْنَى وَحْدَهُ بِدُونِ دَلِيلٍ ، وَهُوَ الْأَلْفَاظُ  
الْدَّالُ عَلَيْهِ ، مُمْتَنَعٌ ، فَعَلِمَ قَطْعًا أَنَّ الْمَرْادَ بَيْانُ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْنَى فَكَمَا تَقْطَعُ وَنَعْلَمُ  
أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْانُ الْأَلْفَاظِ فَكَذَّاكَ تَنْتَقِنَ أَنَّهُ بَيْنَ  
الْمَعْنَى ، بَلْ كَانَتْ عَنْيَاتِهِ بَيْانُ الْمَعْنَى اشْدَدُ مِنْ عَنْيَاتِهِ بَيْانُ الْأَلْفَاظِ . وَهَذَا

هو الذي ينبغي ، فان المعنى هو المقصود ، وأما اللفظ فهو سيلة اليه ، فكيف تكون عنایته بالوسيلة اثم من عنایته بالمقصود ؟ وكيف يتيقن يیانه للوسيلة ولا يتيقن يیانه للمقصود ؟ وهل هذا إلا من این الحال ؟ فان جاز عليه ان لا يیین المراد من الفاظ القرآن ، وجاز عليه ان لا يیین بعض الفاظه . فلو كان المراد منها خلاف حقائقها وظواهرها دون مدلولاتها . وقد كتمه عن الامة ولم يیینه لها ، كان ذلك قدحافي رسالته وعصمته وفتحاً لازم نادقة من الرافضة وغيرهم باب كمان بعض ما انزل الله وهذا مناف للإعان به وبرسالته . يوضحه :

الوجه السابع والاربعون : ان القائل بان الأدلة اللفظية لا تقييد اليقين ، إما أن يقول : انها تقييد ظننا أو لا تقييد علاماً ولا ظننا . فان قال : لا تقييد علاماً ولا ظننا فهو مع مكابرته لعقل والسمع والفطرة الإنسانية من أعظم الناس كفراً وإلحاداً . وإن قال : بل تقييد ظننا غالباً وإن لم تقد يقيناً ، قيل له : فالله تعالى قد ذم الظن المجرد وأهله ، فقال تعالى (إِنْ يَتَبَيَّنُ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحُقْقِ شَيْئاً) فأنخبر ان الظن لا يوافق الحق ولا يطابقه ، وقال تعالى (إِنْ يَتَبَيَّنُ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا يَهْوِي إِلَّا نَفْسٌ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهَدَى) وقل أهل النار (إِنَّ ظَنَّ إِلَّا ظَنَّا وَمَا كَنَّا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) فلو كان ما اخبر الله به عن أسمائه وصفاته واليوم الآخر واحوال الامم وعقوباتهم لا تقييد إلا ظننا لكان المؤمنون ان يظنون إلا ظننا وما هم بمستيقنين ، ولكان قوله تعالى (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

يُوقِنُونَ) خبراً غير مطابق ، فإن علمهم بالآخرة إنما استفادوه من الأدلة اللفظية ، لا سيما وجوه التكاليف يصرحون بأن المعاد إنما علم بالنقل . فإذا كان النقل لا يفيده يقيناً لم يكن في الأمة من يؤمن بالآخرة إذ الأدلة العقلية لامدخل لها فيها ، وكفى بهذه بطلاناً وفساداً . والله تعالى لم يكتف من عباده بالظن بل أصر لهم بالعلم كقوله (فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) و قوله (أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) و قوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ) و نظائر ذلك ، وإنما يجوز اتباع الظرف في بعض الموضع الحاجة ، كحاجة يخفى على المجتهد حكمها ، أو في الأمور الجزئية كتقسيم السالم ونحوه . وأما ما يينه الله في كتابه على لسان رسوله فلن لم يتيقنه بل ظنه ظناً ، فهو من أهل الوعيد ليس من أهل الإيمان ، فلو كانت الأدلة اللفظية لا تفيده اليقين لكان ما يينه الله ورسوله بالكتاب والسنة لم يتيقنه أحد من الأمة

الثامن والاربعون : قوله إن العلم بدلول الأدلة اللفظية موقف على نقل اللغة ، كلام ظاهر البطلان ، فإن دلالة القرآن والسنة على معانيها من جنس دلالة لغة كل قوم على ما يعرفونه ويعتادونه من تلك اللغة وهذا لا يختص بالعرب ، بل هو أمر ضروري لجميع بني آدم إنما يتوقف العلم بدلول الفاظهم على كونهم من أهل تلك اللغة التي وقع بينهم بها التخاطب وهذا لم يرسل الله رسول إلا بسان قومه ليبيس لهم ، فتقوم عليهم الحجة بما فهموه من خطابه لهم . فدلالة اللفظ هي العلم بقصد المتكلم به . ويراد

بالدلالة امران : فعل الدال . وكون اللفظ بحيث يفهم معنى . ولهذا يقال  
دله بكلامه دلالة ، ودل الكلام على هذا دلالة ، فالمتكلم دال بكلامه  
وكلامه دال بنظامه ، وذلك يعرف من عادة المتكلم في الفاظه ، فإذا كانت  
عادة انه يعني بهذا اللفظ هذا المعنى عالمنا متى خاطبنا به انه اراده من  
وجهين : احدها ان دلالة اللفظ مبناهما على عادة المتكلم التي يقصدها  
بالفاظه وكذا على مراده باعنته التي عادته ان يتكلم بها . فإذا عرف السامع  
ذلك المعنى وعرف ان عادة المتكلم اذا تكلم بذلك اللفظ ان يقصد ، علم  
انه مراده قطعاً ، والا لم يعلم مراد متكلم ابداً ، وهو محال . الثاني : ان  
المتكلم اذا كان قصده إفهام المخاطبين كلامه وعلم المخاطب السامع من  
طريقته وصفته ان ذلك قصده ، لا ان قصده التلبيس افاده مجموع العالمين  
اليقين بمراده ولم يشك فيه ، ولو تخلف عنه العلم لكان ذلك قد حا  
في احد العالمين ، اما قدحه في عالمه في موضوع ذلك اللفظ واما في عالمه  
بعباره المتكلم به وصفاته وقصده ، فتى عرف موضوعه وعرف عادة  
المتكلم به افاده ذلك القطع . يوضحه :

الناسع والرابعون : ان السامع متى سمع المتكلم يقول بست  
ثوباً ، وركبت فرساً ، وأكلت حماً ، وهو عالم بدلول هذه الالفاظ من  
عرف المتكلم ، وعلم ان المتكلم لا يقصد بقوله بست ثوباً معنى ذبحت  
شاة ، ولا من قوله ركبت فرساً معنى بست ثوباً ، علم مراده قطعاً  
فأنه يعلم ان من قصد خلاف ذلك عد مابسأ مدلساً لا مبيناً مفهها . وهذا

مستحيل على الله ورسوله أعظم استحالة . وإن جاز على أهل التخاطب فيما يفهم . فادأً افادة كلام الله ورسوله اليقين فوق استفادة ذلك من كلام كل متكلم . وهذا ادل على كلام الله ورسوله من دلالة كلام غيره على مراده وكلما كان السامع اعرف بالمتكلم وقصده وبيانه وعادته كانت استفادته للعلم بمراده اكمل واتم

الحسون : ان قوله ان فهم الدلالة اللفظية موقوف على نقل النحو والتصريف . جوابه ان القرآن قد نقل اعرابه كما نقلت الفاظه ومعانيه لا فرق في ذلك كله . فأفاظه متواترة واعرابه متواتر ونقل معانيه اظهر من نقل الفاظه واعرابه كما تقدم بيانه . ونقل جميع ذلك بالتواتر أصح من نقل كل لغة نقلها ناقل على وجه الأرض . وقواعد الاعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه مأخوذة من اعرابه وتصريفه ، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتاج له بها . فهو الحجة لها والشاهد ، وشواهد الاعراب والمعاني منه أقوى واصح من الشواهد من غيره . حتى ان فيه من قواعد الاعراب وقواعد المعاني والبيان ما لم يستعمل عليه ضوابط النحو وأهل علم المعاني . فبطل قول هؤلاء : ان الادلة اللفظية تتوقف دلالتها على عصمة رواة مفردات تلك الالفاظ . يوضحه :

الحادي والحسون : هب انه يحتاج الى نقل ذلك لكن عامة الفاظ القرآن منقول معناها واعرابها بالتواتر لا يحتاج الناس فيه الى نقل عن عدول أهل العربية كالخليل ، وسيبويه ، والاصمعي ، وابي عبيدة

والكسائي ، والفراء ، حتى الالفاظ الغريبة في القرآن مثل (أَبْسِلُوا)  
 (وَقِسْمَةٌ ضِيزَى) (وَعَسْعَنَ) ونحوها ، معانيها منقولة في اللغة بالتواتر  
 لا يختص بنقلها الواحد والاثنان ، فلم تتوقف دلالتها على عصمة رواة  
 معانيها ، فكيف في الالفاظ الشهيرة كالشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار  
 والبر ، والبحر ، والجبار ، فهذه الدعوى باطلة في الالفاظ الغريبة  
 والشهيرة . يوضحه :

الوجه الثاني والخمسون : إن أصحاب هذا القانون قالوا : اظهر الالفاظ  
 لفظ ( الله ) . وقد اختلف الناس فيه اعظم اختلاف ، هل هو مشتق  
 ام لا ؟ وهل هو مشتق من التاله أو من الوله أو من لاه اذا احتجب .  
 وكذلك اسم الصلاة ، وفيه من الاختلاف ما فيه ، هل هو مشتق من  
 الدعاء أو من الاتباع ، أو من تحريك الصلوين <sup>(١)</sup> ؟ فإذا كان هذا في اظهير  
 الاسماء ، فالظن بغيره ؟ فتأمل هذا الوهم والايهام والابس والتabis ، فان  
 جميع اهل الارض عالمون به وجها لهم ومن يعرف الاشتقاد ومن لا يعرفه  
 وعبر بهم وعمهم يعلمون ان ( الله ) اسم رب العالمين خالق السموات والارض  
 الذي يحيي ويميت وهو رب كل شيء ومليكه . فهم لا يختلفون في أن  
 هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو اظهر عندهم واعرف وأشهر من كل  
 اسم وضع لكل مسمى ، وان كان الناس متنازعين في اشتقاده فليس ذلك  
 بنزاع منهم في معناه . وكذلك الصلاة لم يتنازعوا في معناها الذي اراده

(١) عرقان يتدان من الفاجر حتى يكتنفا عجب الذنب

الله ورسوله وان اختلفوا في اشتقاقها ، وليس هذا نزاعا في وجه الدلالة عليه . وكذلك قوله تعالى ( يُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ) يقدره البصريون كراهة ان تضلوا ، والکوفيون لأن لا تضلوا . وكذلك اختلافهم في التنازع وامثال ذلك ، إنما هو نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على ان المعنى واحد وهذا اللفظ لا يخرج اللفظ عن افادته السامع اليقين بمساهمة

الثالث والأخسون : ان نقول هذه الوجوه العشرة مدارها على حرف واحد ، وهو : أن الدليل اللفظي يحتمل ازيد من معنى واحد فلا يقطع بارادة المعنى الواحد فنقول : من المعلوم أن أهل اللغة لم يشرعوا للمتكلم ان يتكلم بما يريد به خلاف ظاهره إلا مع قرينة تبين المراد ، والمجاز إنما يدل مع القرينة بخلاف الحقيقة ، فانها تدل مع التجدد ، وكذلك الحذف والاضمار لا يجوز الا اذا كان في الكلام ما يدل عليه . وكذلك التخصيص ليس لأحد أن يدعيه الامر القرنية تدل عليه ، فلا يسوغ العقلاء لأحد ان يقول : جاءني زيد ، وهو يريد ابن زيد إلا مع القرينة ، كما في قوله تعالى ( وَآسْئَلُ الْفُرَيْدَ ) . ( واستئسل العير ) عند من يقول إنه من هذا الباب ، فإنه يقول : القرية والعير لا يسئلان ، فعلم أنه أراد أهلها . ومن جعل القرية لاسكان والمسكن ، والعير اسماللار كبان والمرکوب لم يحتاج الى هذا التقدير . واذا كانت هذه الانواع لا تجوز مع تجدد الكلام عن القرائن المبينة المراد ، فيحيث تجدد عامنا قطعا أنه لم يرد بها

ذلك ، وليس لقائل أن يقول : قد تكون القرآن موجودة ولا علم لنا بها ، لأن من القرآن ما يجب أن يكون لفظيا كخصصات الأعداد وغيرها . ومنها ما يكون معنويا كالقرآن الحالية والعقلية . والنوعان لا بد أن يكونا ظاهرين للمخاطب ليفهم مع تلك القرآن مراد المتكلم ، فإذا تجرد الكلام عن القرآن فأن معناه المراد عند التجرد ، وإذا اقتربنا بذلك القرآن فهم معناه المراد عند الاقتران ، فالم يقع ببس في الكلام المجرد ولا في الكلام المقيد ، إذ كل من النوعين مفهوم معناه المختص به . وقد اتفقت اللغة والشرع أن اللفظ المجرد إنما يراد به ما ظهر منه وإنما يقدر من أحوال مجاز أو اشتراك أو حذف أو اضمار ونحوه وإنما يقع مع القراءة ، أما مع عدمها فلا . وإنما معلوم على التقديرین . يوضحه :

الرابع والخمسون : إن غاية ما يقال في القرآن الفاظ استعملت في معانٍ لم تكن العرب تعرفها وهي الأسماء الشرعية كالصلوة والزكوة والاعتكاف ونحوها ، والأسماء الدينية كالإيمان والاسلام والكفر والنفاق ونحوها ، وأسماء مجملة لم يرد ظاهرها كالسارق والسارقة والزاني والزانية ونحوها ، وأسماء مشتركة كالقرء وعسوس ونحوها ، فهذه الأسماء لا تقييد اليقين بالمراد منها ، فيقال : هذه الأسماء جارية في القرآن على ثلاثة أنواع : نوع ي بيانه معه ، فهو مع ي بيانه يقييد اليقين بالمراد منه ، ونوع ي بيانه في آيات أخرى فيستفاد اليقين من مجموع الآيتين ، ونوع ي بيانه موكول إلى الرسول ﷺ ، فيستفاد اليقين من المراد منه ببيان الرسول ﷺ .

ولم نقل نحن ولا احد من المقلاء : ان كل لفظ فهو مفيد اليقين بالمراد منه بعجرده من غير احتياج الى لفظ آخر متصل به او منفصل عنه ، بل نقول : ان مراد المتكلم يعلم من لفظه المجرد منه والمقرون تارة ، ومنه ومن لفظ آخر يفيد ان اليقين بمراده تارة . ومنه ومن بيان آخر بالفعل او القول يحيل المتكلم عليه تارة ، وليس في القرآن خطاب اريد منه العلم تدلوله إلا وهو داخل في هذه الاقسام . فالبيان المقترن كقوله تعالى ( حَتَّىٰ يَذَبَّنَ لَكُمْ أَنْجِيظُ الْأَيْضُ مِنْ أَنْجِيظِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ) وكقوله ( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِكَ الْفَرَّارُ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَا مُؤْمِنُوْهُمْ وَأَنْتُمْ ) وقوله ( فَلَمَّا تَبَعَّدُوا عَنْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَسِيبُهُمْ عَامًا ) ونظائر ذلك . والبيان المنفصل كقوله ( وَالْأَوَالِدَاتُ يُرْضِعُنَّ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَمَا مِلِئْنِ ) وقوله ( وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ) مع قوله ( وَسَهْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ) فأفاد مجموع اللفظين البيان بأن مدة افل العمل ستة اشهر . وكذلك قوله ( وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ أُمْرَأٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا السُّدُسُ ) مع قوله ( يَسْتَغْفِرُونَكَ قَلِيلًا اللَّهُ يُغْنِي كُمْ فِي الْكَلَالَةِ ) وأنه من لا ولده وإن سفل ولا والدله وإن علا . وكذلك قوله ( أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ) مع قوله ( فَإِذَا بَلَغُنَّ أَجْلَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِثُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ) أفاد مجموع الخطابين في الرجميات دون البوائن . ومنه قوله تعالى ( وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ) مع قوله ( كَلَأَ وَالقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ) فان مجموع الخطابين يفيد أن العلم بان الرب سبحانه انه أقسم بادبار هذا وإقبال هذا أو اقبال كل منها . على

من فسر ادبر انه دبر النهار أى جاء في دبره وعسوس باقبل . فعلى هذا القول يكون القسم باقبال الليل واقبال النهار ، وقد يقال : وقع الاقسام في الآيتين بالنوعين . واما البيان الذي يحيل المتكلم عليه ، فكما احال الله سبحانه عليه في بيان ما امر به من الصلاة والزكاة والحج وفرائض الاسلام التي إنما عامت مقاديرها وصفاتها وهياتها من بيان الرسول عليه . فلا يخرج خطاب القرآن عن هذه الوجوه الاربعة . فصار الخطاب مع بيانه مفيدا لليقين بالمراد منه . وان لم يكن بيانه متصلا به الخامس والخمسون : ان هذا القول الذي قاله اصحاب هذا القانون لم يعرف عن طائفه من طوائف بني آدم ولا طوائف المسلمين ولا طوائف اليهود والنصارى ، ولا عن أحد من أهل الملل قبل هؤلاء ، وذاك لظهور العلم بفساده ، فإنه يقدح فيما هو اظاهر العلوم الضرورية لجميع الخلق . فان بني آدم يتكلمون ويخاطب بعضهم بعضاً مخاطبة ومكاتبة وقد أنطق الله تعالى بعض الجمادات وبعض الحيوانات بمثل ما أنطق بني آدم فلم يسترب سامع النطق في حصول العلم واليقين به بل كان ذلك عنده من اعظم العلوم الضرورية ، فقالت الجمالة لأمة النمل ( يَا أَيُّهَا النَّمْلُ اذْخُلُوا مَسَكِينَكُمْ لَا يَحْظِمْنَكُمْ سَلِيمَانٌ وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) فلم يشك النمل ولا سليمان في مرادها وفهموه يقينا . ولما علم سليمان مرادها يقينا تبسم ضاحكا من قولها . وخطبه المدهد ، فحصل للدهد العلم اليقين بمراد سليمان من كلامه . وارسل سليمان الهدية والكتاب وفعل ما حكى الله لما حصل له

اليقين ببراد المهد من كلامه . وانطق سبحانه الجبال مع داود بالتسبيح ،  
وعلم سليمان منطق الطير واسمع الصحابة تسبيح الطعام مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، واسمع رسوله تسليم الحجر عليه . افيقول مؤمن  
أو عاقل ان اليقين لم يحصل لسامع بشيء من مدلول هذا الكلام  
السادس والخمسون : أن أرباب هذا القانون الذين منعوا استفادته  
اليقين من كلام الله ورسوله مضطربون في العقل الذي يعارض النقل  
أشد الاضطراب . فالفلسفه مع شدة اعتقادهم بالاعقولات أشد الناس  
اضطرابا في هذا الباب من طوائف اهل الملل . ومن اراد معرفة ذلك  
فليقف على مقالاتهم في كتب أهل المقالات كالمقالات الكبيرى للاشعري  
والآراء والديانات للنوبختى ، وغير ذلك . واما المتكلمون فاضطربوا  
في هذا الباب من أشد اضطراب  
فتأمل اضطراب فرق الشيعة والخوارج والمعزلة وطوائف اهل  
الكلام ، وكل منهم يدعي ان صريح العقل معه ، وان مخالفه قد خرج عن  
صريح العقل ، ونحن نصدق جميعهم ونبطل عقل كل فرقهم بعقل الاخرى  
ثم تقول للجميع : بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله صلى الله  
عليه وسلم ؟ فما وافقه قبل وافق عليه ، وما مخالفه أول أو فوض الى  
عقولكم [ هو احدى المقدمات العشرة التي يتوقف افاده كلام الله ورسوله  
لاليقين على العلم بعدم معارضته ] ؟ <sup>(١)</sup> : اعقل إرسطو وشيعته ، ام عقل

(١) الجملة التي بين المربعين غير ملائمة مع السياق ، فلعلها زائدة

افلاطون أم فيثاغورس ، أم بقراط ، أم الفارابي ، أم ابن سينا ، أم محمد بن  
 زكريا ، أم ثابت بن فرقة ، أم جهم بن صفوان ، أم النظام ، أم الملاف ، أم  
 الجبائي ، أم بشر المرسي ، أم الاسكافي ؟ أم توصون بعقول المتأخرین الذين  
 هذبوا العقلیات ومخضوا زبدها واختاروا لانفسهم ، ولم توصوا بعقول سائر  
 من تقدم ؟ فهذا افضلهم عندکم محمد بن عمر الرازي ، فبأی معقول لا يزبون  
 نصوص الوحي واتم ترون اضطرابه فيها في كتبه أشد الاضطراب ولا  
 يثبت على قول ؟ ام ترضون عقول القراءمة والباطنية والاسماعیلية ، أم  
 عقول الاتحادية ؟ فكل هؤلاء وأضعاف أضعافهم يدعی أن العقل العبریج  
 معه . وان مخالفيه خرجوا عن دریج العقول ، وهذه عقولهم تنادي  
 عليهم ، ولو لا الاطلة لعرضناها على السامع عقلا عقلا ، وقد عرضها  
 المعنون بذكر المقالات . وهذه العقول انما تقید الريب والشك والخبرة  
 والجهل المركب . فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح  
 ورمي بهذه العقول تحت الاقدام وحطت حيث حطها الله واصحابها  
 السابع والخمسون : ان أدلة القرآن والسنة نوعان : أحدهما يدل  
 بمجرد الخبر . والثاني يدل بطريق التنبيه على الدليل العقلي . والقرآن ملأه  
 من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة على ربوبيته ووحدانيته  
 وعلمه وقدره وحكمته ورحمته ، فآياته العيانية المشهودة في خلقه تدل على  
 صدق النوع الأول وهو مجرد الخبر ، ولم يتجرد اخباره سبحانه عن آية  
 تدل على صدقها ، بل قد بين لعباده في كتابه من البراهين الدالة على صدقه

وصدق رسوله ما فيه هدى وشفاء . فقول القائل : ان تلك الادلة لانفينا  
اليقين ، إن أراد به النوع المتضمن لذكر الأدلة العقلية . فهذا من اعظم  
البهتان والواهية ، فان آيات الله التي جماعتها أدلة وحججاً على وجوده ووحدانيته  
وصفات كماله ان لم تقدر يقيناً لم يفرد دليلاً يقيناً بمدلول ابداً ، وان اراد به  
النوع الاول بمجرد الخبر فقد اقام الله سبحانه الادلة القطعية على ثبوته  
فلم يحلف عباده فيه على خبر مجرد لا يستفيدهون ثبوته إلا من الخبر المجرد  
نفسه دون الدليل والدلال على صدق الخبر ، وهذا غير الدليل العام الدال  
على صدقه فيما اخبر به ، بل هو الادلة المتعددة الدالة على التوحيد واثبات  
الصفات والنبوات والمعاد وأصول الاعمال ، فلا تجده كتاباً قد تضمن من  
البراهين والادلة العقلية على هذه المطالب ما تضمنه القرآن . فأدانته القطعية  
عقلية وان لم تقدر اليقين (فِيَّا يُحَدِّثُ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ؟) في هذا  
كسر الطاغوت الاول ، وهو قوله : ان الادلة اللفظية لانفينا اليقين

## كسر الطاغوت الثاني

وهو قوله : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل . لانه  
لا يمكن الجمع بينها ولا إبطالها ، ولا يقدم النقل ، لأن العقل اصل النقل  
فلو قدمنا عليه النقل ليبطل العقل ، وهو أصل النقل ، فلزم بطلان النقل  
فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل ، فتعين القسم الرابع وهو  
تقديم العقل

فهذا الطاغوت أخوه ذلك القانون . فهو مبني على ثلاثة مقدمات :

الاولى: ثبوت التعارض بين العقل والنقل . الثانية: انحصر التقسيم في الاقسام الاربعة التي ذكرت فيه . الثالثة: بطلان الاقسام الثلاثة

#### لابعين ثبوت الرابع

وقد اشفي شيخ الاسلام في هذا الباب بما لا مزید عليه ، وبين بطلان هذه الشبهة وكسر هذا الطاغوت في كتابه الكبير<sup>(١)</sup> فنحو نشير إلى كلامات يسيرة هي قطرة من بحره تتضمن كسره وذلك يظهر من وجوه:

الوجه الاول ان هذا التقسيم باطل من أصله . والتقسيم الصحيح ان يقال : إذا تعارض دليلان سمعيان او عقليان ، او سمعي وعقلي ، فاما ان يكونا قطعيين ، وإما ان يكونا ظنيين ، وإنما ان يكون احدهما قطعياً والا آخر ظنياً . فاما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الاقسام الثلاثة ، لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعياً ، ولو تعارضا لزم الجماع بين النقيضين . وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاة . وإن كان احدهما قطعياً والا آخر ظنياً تعين تقديم القطع سواء كان عقلياً او سمعياً ، وإن كانا ظنيين صرنا الى الترجيح ووجب تقديم الراجم منها . وهذا تقسيم راجح متفق على مضمونه بين العقلاة . فاما اثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي مطابق خطأ واضح معلوم الفساد

الوجه الثاني : ان قوله اذا تعارض العقل والنقل ، فاما ان يريده به القطعيين فلا نسلم امكان التعارض ، وإنما ان يريده به الظنيين فالتقديم

(١) كتاب العقل والنقل الخ

لاراجح مطلقاً . و اذا قدر ان العقلي هو القطعي كان تقديميه لأنه قطعي  
لا لأنه عقلي . فعلم ان تقديم العقلي مطلقاً خطأ وأن جعل جهة الترجيح  
كونه عقلياً خطأ ، وان جعل سبب التأخير والاطراد كونه تقلياً خطأ  
الوجه الثالث : قوله ان قدمتنا النقل لزم الطعن في أصله من نوع . فان  
قوله : العقل اصل النقل ، إما ان يريد به أنه أصل في ثبوته في نفس  
الامر وأصل في علمنا بصحته ، فالاول لا يقوله عاقل ، فاما هو ثابت في  
نفس الامر ليس موقوفاً على علمنا به ، فعدم علمنا بالحقائق لا ينافي  
ثبوتها في نفس الامر ، فما اخبر به الصادق المصدق هو ثابت في نفسه  
سواء علمناه بعقولنا ام نعماه ، وسواء صدقه الناس ام لم يصدقوه ، كما  
انه رسول الله حقاً وإن كذبه من كذبه ، كما ان وجود الرب تعالى  
وثبوت اسمائه وصفاته حق سواء علمناه بعقولنا او لم نعماه ، فلا يتوقف  
ذلك على وجودنا فضلاً عن علومنا وعقولنا . فالشرع المنزلي من عند الله  
مستغن في نفسه عن علمنا وعقولنا . ولكن نحن محتاجون اليه وإلى ان  
نعلمه . فإذا علم العقل ذلك حصل له كمال لم يكن له قبل ذلك واذا فقد  
كان ناقصاً جاهلاً . وأما ان اراد أن العقل اصل في معرفتنا بالسمع ودليل على  
صحته وهذا هو مراده ، فيقال له : اتعني بالعقل القوة الغرائزية التي فيينا ، أم  
العلوم المستفادة بتلك الغرائز ؟ فالاول لم يبرده ، ويكتنع ارادته . لأن تلك الغريرة  
ليست علماً يمكن معارضته للنقل ، وان كانت شرطاً في كل علم عقلي أو سمعي  
وما كان شرطاً في الشيء امتنع ان يكون منافياً له . وان اردت العلم

والمعرفة الحاصلة بالعقل ، قيل لك : ليس كل ما يعرف بالعقل يكون  
أصلاً لاسمع ودليلًا على صحته . فإن المعرف العقلية أكثر من ان تختصر .  
والعلم بصحبة السمع غايته يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول من العقليات  
وليس كل العلوم العقلية يعلم بها صدق الرسول ، بل ذلك بالأيات  
والبراهين الدالة على صدقه . فعلم ان جميع المقولات ليست اصلاً للنقل  
لا يعني توقف العلم بالسمع عليها ، ولا يعني توقف ثبوته في نفس الامر  
عليها ، لا سيما واكثر متكلمي أهل الابيات كالاشعرى في احد قوله ،  
و اكثرا اصحابه يقولون : ان العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم  
عند ظهور المعجزات الحادثة ضروري فما يتوقف عليه العلم بصدق  
الرسول من العلم العقلي سهل يسير ، مع ان العلم بصدقه له طرق كثيرة  
متنوعة وحيثئذ فاذا كان المعارض لاسمع من المقولات ما لا يتوقف  
العلم بصحبة السمع عليه لم يكن القدح فيه قدحاً في اصل السمع .  
وهذا بحمد الله بين واضح . وليس القدح في بعض العقليات قدحاً  
في جميعها ، كما انه ليس القدح في بعض السمعيات قدحاً في جميعها .  
فلا يلزم من صحة المقولات التي تبني عليها معرفتنا بالسمع صحة غيرها من  
المقولات ، ولا من فساد هذه فساد تلك . فلا يلزم من تقديم السمع على  
ما يقال انه معقول في الجملة القدح في أصله

الرابع ، ان يقال : اما ان يكون عالماً بصدق الرسول وثبوت ما الخبر  
بده في نفس الامر ، واما ان لا يكون عالماً بذلك . فان لم يكن عالماً امتنع التعارض

عنه لان العقول ان كان معلوما لم يتعارض معلوم ومحظوظ ، وان لم يكن معلوما لم يتعارض فهو لان . وان كان عالما بصدق الرسول صلي الله عليه وسلم امتنع الاعلام بثبوت ما اخبر به في نفس الامر ، اذا علم أنه أخبر به وهو عالم بصدقه لزم ضرورة ان يكون عالما بثبوت مخبره . واذا كان كذلك استحال ان يقع عنده دليل يعارض ما أخبر به ويكون ذلك المعارض واجب التقاديم ، اذ مضمون ذلك ان يقال : لا تعتقد ثبوت ما عامت أنه أخبر به ، لان هذا الاعتقاد ينافي ما عامت من ان الخبر صادق ، وحقيقة ذلك : لا تصدقه في هذا الخبر ، لان تصديقه يستلزم عدم تصديقه ، فيقول : وعدم تصديقه له فيه هو عين اللازم المحذور ، فإذا قيل لي لا تصدقه لثلا يلزم عدم تصديقه كان كما لو قيل كذبه لثلا يلزم تكذيبه . فهكذا حال من امر الناس ان لا يصدقوا الرسول فيما علمه انه أخبر به بعد عاشرهم انه رسول لثلا يفضي تصديقهم الى عدم تصديقه . يوضحه :

الوجه الخامس : وهو ان المنهي عنه من قبول هذا الخبر وتصديقه فيه هو عين المحذور فيكون واقعاً في المنهي عنه سواء أطاع أو عصى ، ويكون تاركاً للمأمور به سواء أطاع أو عصى ، ويكون وقوعه في المخوف المحذور على تقدير الطاعة أجل وأسبق منه على تقدير المعصية ، والمنهي عنه على هذا التقدير هو التصديق والمأمور به هو التكذيب . وحينئذ فلا يجوز النهي عنه سواء كان محذوراً أو لم يكن فان لم يكن محذوراً لم يجز ان ينهي عنه واذا كان محذوراً فلا بد منه على التقادير

الوجه السادس : انه اذا قيل له : لا تصدقه في هذا كان آمراً له بما ينافق ما عالم به صدقه ، فكان آمراً له بما يوجب ان لا يتحقق بشيء من غيره ، فإنه متى جوز كذبه او غلطه في خبر جوز ذلك في غيره . ولهذا أفضى الامر من سلك هذا الطريق الى انهم لا يستفيدون من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً من الأمور الخبرية المتعاقبة بصفات الرب سبحانه وتعالى وافعاله ، بل ولا باليوم الآخر عند بعضهم ، لاعتقادهم ان هذه الاخبار على ثلاثة انواع : نوع يجب رده وتکذيبه ، ونوع يجب تأويلاه واجراجه عن حقيقته ، ونوع يقر . وليس لهم في ذلك أصل يرجعون اليه . بل يقول : ما أثبتته عقلك فأثبتته ، وما نفاه عقلك فأنفه وهذا يقول : ما أثبتته كشفك فأثبتته ومالم فلا . وجود الرسول عندكم كعدمه في المطالب الالهية ومعرفة الربوية ، بل على قولهم واصولهم وجوده أضر من عدمه ، لأنهم لا يستفيدون من جهته عالماً بهذا الشأن واحتاجوا الى دفع ما جاء به ، إما بتکذيب ، وإما بتأويلاً ، وأما باعراض وتفويض

فان قيل : لا يمكن انه يعلم انه اخبر بما ينافي العقل فانه منزه عن ذلك ومحظى عليه ذلك . قيل : فهذا اقرار باستحالة معارضة العقل للسمع واستحالت السائلة وعلم ان جميع اخباره لاتنافق العقل قعد النقل سالماً من مناف « واسترحننا من الصداع جميعاً فان قيل : بل المعارضه ثابتة بين العقل وبين ما يفهمه ظاهر اللفظ ،

وليس ثابتة بين العقل وبين نفس ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فالعارضة ثابتة بين العقل وبين ما يظن انه دليل وليس بدليل او يكون دليلاً ظن التطرق للظن الى بعض مقدماته اسناداً او امتناعاً؟ قيل: وهذا رفع صورة المسألة ويحيلها بالكلية، ويصير صورتها هكذا: اذا تعارض الدليل القولي وما ليس بدليل صحيح وجوب تقديم العقل، وهو كلام لافتائدة فيه ولا حاصل له، وكل عاقل يعلم ان الدليل لا يترك لما ليس بدليل، ثم يقال: اذا فسرتم الدليل السمعي بما ليس بدليل في نفس الامر بل اعتقاد دلالته جهل، او بما يظن انه دليل وليس بدليل . فان كان السمع في نفس الامر كذلك لكونه خبراً مكذوباً او صحيحاً، ولكن ليس فيه ما يدل على معارضته العقل بوجه وأيتم التعارض والتقدم بين هذين النوعين فساعدناكم عليه وكنا اسعد بذلك منكم ، فانا اشد منكم نفياً للاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد ابطالاً لما تحمله من المعاني الباطلة ، وان كان الدليل السمعي صحيحاً في نفسه ظاهر الدلالة بنفسه على المراد لم يكن ما عارضه من العقليات الا خياليات فاسدة

السابع: ان يقال: لو قد عارض العقل لشرع لوجب تقديم الشرع لان العقل قد صدق الشرع . ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل . ومعالم ان هذا المسلك اذا سلك أصح من مسلكهم كما قال: بعض اهل الاعيال ، يكفيك من العقل ان يعرفك

صدق الرسول ومعاني كلامه ثم يخلي بيتك ويمنه ، وقال آخر : العقل سلطان ولـيـ الرسـولـ ثمـ عـزلـ نـفـسـهـ ، ولاـنـ العـقـلـ دـلـ عـلـ أـنـ الرـسـولـ يـحـبـ تـصـدـيقـهـ فـيـماـ اـخـبـرـ وـطـاعـتـهـ فـيـماـ اـمـرـ ، ولاـنـ العـقـلـ يـدـلـ عـلـ صـدـقـ الرـسـولـ دـلـالـةـ عـامـةـ مـطـلـقـةـ ، ولاـيـدـلـ عـلـ صـدـقـ قـضـيـاـ نـفـسـهـ دـلـالـةـ عـامـةـ ، ولاـنـ العـقـلـ يـغـلطـ كـاـ يـغـلطـ الحـسـ . وـأـكـثـرـ مـنـ غـلـطـهـ يـكـثـيرـ ، فـإـذـاـ كـانـ حـكـمـ الحـسـ مـنـ أـقـوـىـ الـاحـکـامـ وـيـعـرـضـ فـيـهـ مـنـ الغـلطـ مـاـ يـعـرـضـ ، فـاـ الـظـنـ بـالـعـقـلـ ؟

الثامن : ان الدليل المدار على صحة الشيء او ثبوته او عدالته او قبول قوله لا يجب ان يكون اصلا له بحيث اذا قدم قول المشهود له والمدلول عليه على قوله يلزم ابطاله . وهذا لا يقوله من يدرى ما يقول . غايته ان العلم بالدليل اصل العلم بالمدلول ، فإذا حصل العلم بالمدلول لم يلزم من ذلك تقديم الدليل عليه في كل شيء . فإذا شهد الناس الرجل بأنه خبير بالطب او التقويم او القيافة دونهم ثم تنازع الشهود والمشهود له في ذلك وجوب تقديم قول المشهود له . فلو قالوا ، نحن شهدنا لك وزكيناك وبشهادتنا ثبتت اهليةك ، فتقديم قولك علينا والرجوع إليك دوننا يقدح في اصل الذي ثبت به قولك ؟

قال لهم : أنتم شهدتم بما علمتم اني اهل لذلك دونكم وان قولي فيه مقبول دونكم . فلو قدمت اقوالكم على قولي فيما اختلفنا فيه لكان ذلك قدح في شهادتكم وعلمكم بأني اعلم منكم وحينئذ فهذا وجه تاسع مستقل بكسر هذا الطاغوت . وهو ان

تقديم العقل على الشرع يتضمن القدر في العقل والشرع لأن العقل قد شهد لشرع الوحي بأنه أعلم منه ، وأنه لا نسبة له إليه وأن نسبة علومه و المعارفه إلى الوحي أقل من خرده بالاضافة إلى جبل ، فلو قدم حكم العقل عليه لكان ذلك قدحًا في شهادته . وإذا بطلت شهادته بطل قبول قوله . فتقديم العقل على الوحي يتضمن القدر فيه وفي الشرع . وهذا ظاهر لا خفاء به . يوضحه :

الوجه العاشر : وهو أن الشرع ماؤخذ عن الله بواسطة الرسولين الملك والبشر يائمه ويزعم عباده ، مؤيداً بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ويقتضيه تارة ويستحسنها تارة ويحوزه تارة ويکع<sup>(١)</sup> عن دركه تارة . فلا سبيل له إلى الاحاطة به ، ولا بد له من التسليم له والانقياد لحكمه والاذعان والقبول . وهناك يسقط ( لم ) ويبطل ( كيف ) وتزول ( هلا ) وتذهب ( لو ، وليت ) في الرح لآن اعتراض المعارض عليه مردود واقتراح المقترن أنه أولى منه سفه ، وجملة الشريعة مشتملة على أنواع الحكمة علماً و عملاً ، حتى لوجعت حكم جميع الأمم ونسبة إليها لم تكن لها إليها نسبة . وهي متضمنة لأعلى المطالب بأقرب الطرق واتم البيان . فهي متكتفة بتعريف الخلية ربها وفاطرها الحسن إليها بأنواع الاحسان باسمائه وصفاته وافعاله وتعريف الطريق الموصى إلى رضاه . ويرقاب ذلك تعريف حال الداعي إلى الباطل والطرق الموصولة إليه وحال السالكين

(١) يجبن ويضعف

ذلك الطريق وإلى ابن تنتهي بهم . ولهذا تقباها العقول الكاملة أحسن تقبل  
بالتسليم والاذعان وتستدير حولها بمحاجة حوزتها والذب عن سلطانها .  
فمن ناصر باللغة الشاعرة ، وحام بالعقل الصريح ، وذاب عنه بالبرهان ، ومجاهد  
بالسيف والرمح والسنان ، واتفقه في الحلال والحرام ، ومعتن بتفسير  
القرآن ، وحافظ المتون والسنن وأسانيدها ، ومفتش عن احوال رواها ،  
وناقد لصحيحها من سقيمها وعمولها من سليمها  
فهذه الشريعة ابتدأوها من الله وانتهاؤها إليه ، ليس فيها حديث  
المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك وهيئاتها ومقادير  
الأجرام ، ولا حديث التريع والتليل والتسديس والمقارنة . ولا حديث  
صاحب الطبيعة الناظر في آثارها واشتباك الاستفاضات وامتزاجها  
وقواها ، وما يتعاقب بالحرارة والبرودة والرطوبة والبؤس . وما الفاعل منها  
وما التفعل . ولا فيها حديث لمهندس ولا لباحث عن مقادير الأشياء  
وتقطعها وخطوطها وسطوحها واجسامها واضلاعها وزواياها ومعاطفها وما  
الكرة وما الدائرة والخلط المستقيم والمنجني ، ولا فيها هذيان المنطقين  
ونحوهم في النوع والجنس والفصل والخاصة والعرض العام والقولات  
العشر والمخالطات والموجهات : الصادر عن رجل مشرك من يونان كان  
يعبد الاوثان ولا يعرف الرحمن ولا يصدق بعاد الابدان ولا ان الله  
يرسل رسولا بكلامه الى نوع الانسان . فجعل هولاء المعارضون بين العقل  
والنقل عقل هذا الرجل معياراً على كتب الله المنزلة وما ارسل به رسلاً .

فاز كاه منطقه وآلنه وقانونه الذي وضعه بعقله قبلوه وما لم يز كه تركوه .  
ولو كانت هذه الاadle التي افسدت عقول هؤلاء صحيحه لكان صاحب  
الشريعة يقوّم شريعته بها ويكمّلها باستعمالها ، وكان الله تعالى ينبه عليها  
ويحصن على التمسك بها . فيما العقول ، اين الدين من الفلاسفة ؟ وain كلام  
رب العالمين من آراء اليونان والمجوس وعباد الاصنام والصابئين ؟ والوحى  
حاكم والعقل محكوم عليه ، فان قالوا : انما نقدم العقل الصرح الذي لم  
يختلف فيه اثنان على نصوص الانبياء فقد رمو الانبياء بما هم ابعد اخلاق  
منه . وهو انهم جاؤا بما يخالف العقل الصرح . هذا وقد شهد الله وكفى  
بالله شهيدا ، وشهد بشهادته الملائكة واولوا العلم ان طريقة الرسول ﷺ هي  
هي الطريقة البرهانية المتضمنة لاحكمة كما قال تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ  
جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ) و قال تعالى ( وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ) فالطريقة البرهانية هي الواردة  
بالوحى الناظمة للرشد ، الداعية الى الخير ، الوعادة لحسن المآب المبينة لحقائق  
الانبياء ، المعرفة بصفات رب الارض والسماء . وان الطريقة التقليدية  
التخمينية هي المأخوذة من المقدمتين والنتيجة والدعوى التي ليس مع  
اصحابها الا الرجوع الى رجل من يونان وضع بعقله قانوناً يصح به  
برزغه علوم اخلاق وعقولهم ، فلم يستفاد به عاقل تصحيح مسألة واحدة  
في شيء من علومبني آدم بل ماوزن به علم إلا أفسده وما برع فيه احد  
إلا انسان من حقائق الاعيان كان سلاح القميص عن الانسان

الحادي عشر : ان الله تعالى قد تم الدين بنبيه صلى الله عليه وسلم وكمله به ولم يحوجه هو ولا امته بعده الى عقل ولا نقل سواه . ولرأي ولا منام . ولا كشف قال الله تعالى ( أَلَيْوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ يُعْمَلُ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ) وأنكر على من لم يكتف بالوحى فقال ( أَوَّلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرْجَمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُوْمِنُونَ ) ذكر هذا جوابا لطابهم آية تدل على صدقه فأخبر أنه يكفيهم من كل آية . فلو كان ما تضمنه من الاخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر ينافق العقل لم يكن دليلا على صدقه فضلا عن أن يكون كافيا . وسيأتي في الوجه الذي بعد هذا بيان ان تقديم العقل على النقل يبطل كون القرآن آية وبرهانا على صحة النبوة

والملصود ان الله سبحانه وتم الدين وأكمله بنبيه صلى الله عليه وسلم وما بعثه به فلم يحوجه امته الى سواه . فلو عارضه العقل وكان اولى بالتقديم منه لم يكن كافيا للامة ولا تاما في نفسه . وفي مراسيل أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ييد عمر ورقه فيها شيء من التوراة فقال « كفى بقوم ضلاله ان تبعوا كتابا غير كتابهم ، أنزل على نبى غير نبئهم » فأنزل الله تعالى ( أَوَّلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرْجَمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُوْمِنُونَ ) وقال تعالى ( فَلَا وَرَبَّكَ لَا يَوْمَنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَدِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُو اِنْفُسَهُمْ حَرَجًا مَا قَضَيْتَ وَيَسُلُّمُوا تَسْلِيمًا ) فاقسم سبحانه أنا لا نؤمن حتى تحكم رسوله في جميع ما شجر ينتنا وتنسع صدورنا لحكمه ، فلا يبقى فيها حرج ، ونسلم لحكمه

تسابقاً ، فلا يعارضه بعقل ولا رأي ، فقد أقسم الله سبحانه ونفسي على نفي  
الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول ، وقد  
شهدوا في على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه . وقال  
تعالى (وَمَا أَخْتَلَفُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَيَّ اللَّهِ) وهذا نص صريح في أن  
حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده ، فهو الحكم فيه على لسان  
رسوله . فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو الحكم بكتابه . وقال تعالى  
(إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْتَعِنُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَدِيلًا  
مَا تَذَكَّرُونَ) فامر باتباع الوحي المنزل وحده ونهى عمما خالفه ، وخبر  
ان كتابه ينارة وهدى وشفاء ورحمة ونور مفصل وبرهانا وحججا وبيانا .  
فلو كان في العقل ما يعارضه ويجب تقادمه على القرآن لم يكن فيه شيء  
من ذلك ، بل كانت هذه الصفات : [عقل دونه]

الثاني عشر : أن ما عالم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاة  
لا يتصور أن يعارضه الشرع أبداً . ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاة فيه من  
المسائل الكبار وجد مخالف النصوص الصريحة الصحيحة شبهات فاسدة  
يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت تقديرها . فتأمل ذلك في مسائل  
التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد ، تجده ما يدل عليه  
صريح العقل لم يخالفه سمع فقط ، بل السمع الذي يخالفه أما ان يكون حديثا  
موضوعا ، أو لا تكون دلالته مخالفة لما دل عليه العقل . ونحن نعلم قطعا ان  
الرسل لا يخبرون بحالات العقول وإن أخبروا بمجازات العقول ، فلا  
يخبرون بما يحييه العقل

الثالث عشر : ان الشبهات القادحة في نبوات الانبياء ووجود الرب ومعاد الابدان التي يسمى بها اربابها حججا عقلية في كل معارضة لنقل وهي اقوى من الشبه التي يدعى النفاوة لاصفات انما معقولات خالفت النقل ومن جنسها او قريب منها كاً قيل

دع الحذر يشربها الغواة فانني \* رأيت اخاهما مغنيا عن مكانها  
 فان لم يكنها او تكونه فانه \* اخوها غذته امه بلباهمها  
 وقد اورد على القدح في النبوات <sup>ثمانين</sup> شبهة او اكثراً، وهي كلها عقلية  
 واورد على اثبات وجود الصانع سبحانه نحو اربعين شبهة ، واورد على  
 المعاد مثل ذلك ، والله يعلم ان هذه الشبهة من جنس شبه نفاة الصفات  
 وعلو الله على خلقه وتکلیمه وتکلمه ورؤيته بالابصار عيانا في الآخرة اکن  
 نفقت هذه الشبهة بیجاد نسبه اربابها الى الاسلام وان القوم يذبون عن  
 دین الله وينزهون الرب عملاً یليق به . والاف عند التحقيق القاع عرفة<sup>(١)</sup>  
 ولا فرق بين الشبه المعارض لأصل نبوة الرسول صلی الله عليه وسلم  
 وبين الشبه المعارض لما اخبر به . ومن تأمل هذا وهذا تبين له حقيقة الحال  
 وربما وجد الشبه القادحة في اصل النبوة اکثراً من الشبه المعارض لما اخبرت  
 به الرسل . فنقول ، من قدم المعقول على ما اخبر به الرسول : هل تقدم

(١) القاع الارض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها وهي مستوية ، وليس فيها تطامن ولا ارتفاع . والعرفج نبات طيب الريح أغير إلى الحضرة وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك . اه لسان . وهو ممثل يضرب للتشابه

المعقول المعارض لاصح الرسالة والتبوة وانت قد اورده واجبته عنه بما  
تعلم ان صدرك لم ينثلاج له ، فان تلك الاجوبه مبنية على قواعد قد اضطرب  
فيها قولك ، فرة تثبيتها ، ومرة تنفيتها ، ومرة تقف فيها ؟ ام تطرح تلك  
المعقولات وتشهد بفسادها ؟ فهلا سلكت في المعقولات المعارضه لنخبر  
الرسول ما سلكت في تلك ، فكانت السبيل واحدة ؟ . يوضحه :

الوجه الرابع عشر : وهو ان ارباب تلك الشبه اما استطاعوا على النفأة  
الجميئية بما ساعدوهم عليه من تلك الشبه ، وقلوا : كيف يكون رسول  
صادقا من يخبر بما يخالف صريح العقل ، وانتم قد سلتم لنا ذلك وساعدتونا  
عليه ؟ وهو ان صانع العالم لا يختص بمكان ، ولا يتكلم ، ولا يرى ، ولا  
يشار اليه ، ولا ينتقل من مكان الى مكان ، ولا تحمله الحوادث ، ولا له  
وجه ، ولا يد ولا اصبع ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا علم ، ولا حياة ،  
ولا قدرة زائدة على مجرد ذاته . ومن اصولنا واسواعكم انه لم يتم بذاته  
فعل ولا وصف ، ولا حرکة ، ولا استواء ، ولا نزول ، ولا غضب  
ولا رضى ، فضلا عن الفرح والضحك . ونحن وانتم متفقون في نفس  
الامر انه لم يتكلم بهذا القرآن ولا بالتوراة ولا بالانجيل . واما ذلك كلام  
شيء عنه باذنه عندكم وبواسطة العقل الفعال عندنا . ونحن وانتم متفقون  
على انه لم يره أحد ، ولا رأه ، ولا يسمع كلامه احد ، وان هذا محال  
 فهو عندنا وعندكم بمنزلة كونه يأكل ويشرب وينام . فعند التحقيق نحن  
وانتم متفقون على الاصول والقواعد التي نفت هذه الامور وهي بعينها

تني صحة نبوة من اخبر بها ، فكيف يمكن ان يصدق من جاء بها ،  
وقد اعترفتم معناباً العقل يدفع خبره ويرده ؟ فما الحرب يتنا وينكم  
وجه ، فكما تساعدنا نحن واياكم على ابطال هذه الاخبار التي عارضت  
صرح العقل فساعدونا على ابطال الاصل بنفس ما اتفقنا جميعاً على ابطال  
الادلة النقلية به

فانظر هذا الاخاء ، ما أصلصه ، والنسب ما اقربه . وإذا اردت ان  
تعرفحقيقة الحال فانظر حالم مع هؤلاء الزنادقة في ردتهم عليهم  
وبخوتهم معهم وخضوعهم لهم فيها

الخامس عشر : ان الرجل اما ان يكون مقرأ بالرسل اولا ، فان  
كان منكرًا فالكلام معه في اثبات النبوة ، فلا وجہ للكلام معه في تعارض  
العقل والنقل ، فان تعارضها فرع الاقرار بصحة كل واحد منها لو  
تجبرد عن المعارض . وان كان مقرأ بالرسالة فالكلام معه في مقامات :  
احدها صدق الرسول عليه السلام فيما اخبر به ، فان انكر ذلك انكر الرسالة  
والنبوة . وان زعم انه مقر بها وان الرسل خاطبوا الجمود بخلاف الحق  
تقريباً لافهامهم ، ومضمون هذا انهم كذبوا للمساعدة . وهذه حقيقة  
قول هؤلاء . وهو عندهم كذب حسن . وان اقر بأنه صادق فيما اخبر به  
فالكلام معه في المقام الثاني ، وهو انه هل يقر بأنه اخبر به اولاً يقربه . فان  
لم يقر به جهلاً عرف ذلك بما يعرف به انه دعا الى الله وحارب اعداءه ، فان  
اصر على انكار ذلك فقد انكر الامور الغروريه كوجود بغداد ومكة ،

وان اقر انه اخبر بذلك فالكلام معه في المقام الثالث . وهو انه هل اراد  
ما دل عليه كلامه ولفظه او اراد خلافه ؟ فان ادعى انه اراد فالكلام معه  
في المقام الرابع ، وهو ان هذا المراد هل هو حقيقة في نفسه أم باطل ، فان  
كان حقاً لم يتصور ان يعارضه دليل عقلي أبنته ، وإن كان باطلًا انتقلنا معه  
إلى مقام خامس ، وهو انه هل يعلم الحق في نفس الامر او لا يعلمه ؟  
فان قال : لم يكن عالماً به فقد نسبه إلى الجهل ، وان قال : كان عالماً به انتقالنا  
معه إلى مقام سادس . وهو انه هل يمكنه التعبير والافصاح عن الحق  
كافعiem انتم بزعيكم ، أم لم يكن ذلك ممكناً له ؟ فان لم يكن ذلك ممكناً له  
كان تعجيزاً له عن امر قدر عليه افراح الفلاسفة وتلامذة اليهود واقواح  
المعزلة والجهمية . وان كان ممكناً له ولم يفعل كان ذلك غشًا لأمته  
وتوريطاً لها في الجهل بالله واسمائه وصفاته واعتقاد ما لا يليق بعظمته فيه  
وان الجهمية وافراح الصابئة واليونان نزهو الله عمما لا يليق به وتكلموا  
بالحق الذي كتبه الرسول . وهذا امر لا مجيد لكم عنه . فاختاروا اي قسم  
شئمن من هذه الاقسام . والظاهر انكم متباذعون في الاختيار وان  
عقلاهكم يختارون ان الرسول عليه السلام كان يعرف الحق في خلاف ما اخبر به  
وأنه كان قادرًا على التعبير عنه ولكن ترك ذلك خشية التنفير خاطب  
الناس خطاباً جهوريًا بما يناسب عقولهم بما الامر بخلافه . وهذا احسن  
افوالكم اذا آمنتم بالرسول وأقررتם بما جاء به  
السادس عشر : ان طرق العلم ثلاثة : الحس ، والعقل ، والمركب منها

فالمعلومات ثلاثة أقسام . احدها : ما يعلم بالعقل . والثاني : ما يعلم بالسمع . والثالث : ما يعلم بالعقل والسمع ، وكل منها ينقسم إلى ضروري ونظري ، والى معلوم ومظنون وهو موهوم ، فليست كل ما يتحقق به العقل يكون علماً ، بل قد يكون ظناً أو وهماً كاذباً كأن ما يدركه السمع والبصر كذلك ، فلا بد من حاكم يفصل بين هذه الأنواع . فإذا اتفق العقل والسمع ، والعقل والحس على قضية كانت معلومة يقينية . وإذا انفرد بها الحس عن العقل كانت وهمية ، كما ذكر من أغلاط الحس في رؤية المتحرك أشد الحركة وأسرعها سأكنا ، والساكن متتحرك ، والواحدان ، والاثنان واحداً ، والعظيم الجرم صغيراً ، والصغير كبيراً ، والنقطة دائرة ، وامثل ذلك . وهذه الأمور يجزم بغلظتها انفرد الحس بها عن العقل . وكذلك حكم السمع قد يكون كاذباً وقد يكون صادقاً ، ضرورة ونظراً . وقد يكون ظنياً . فإذا قارن العقل كان حكمه عاماً ضرورياناً ونظرياً ، كالعلم بمحابر الأخبار المتواترة . فإنه حصل بواسطته السمع والعقل . فإن السمع أدى إلى العقل ما سمعه من ذلك والعقل حكم بأن الخبرين لا يمكن توافقهما على الكذب فأفاده عالماً ضرورياناً ونظرياً على الاختلاف في ذلك بوجود الخبر به ، والتزاع في كونه ضرورياناً أو نظرياً أو مفيدة فيه . وكذلك الوهم يدرك أموراً لا يدركها صحيحة هي أم باطلة ، فيردها إلى العقل الصريح ، فاصححة منها قبله وما حكم ببطلانه رد . فهذا اصل يعبر الاعتبار به ، وبه يعرف الصحيح من

اذا عرف هذا فعما واجه السمع الذي دل العقل على صحته أصح من السمع  
الذى لم يشهد له عقل . ولهذا كان الخبر المتواتر اعرف عند العقل من  
الآحاد ، ومما ذاك الا لان دلالة العقل قد قدمت على ان الخبرين لا يتواطئون  
على الكذب وان كان الذى اخبروا به مختلف لما اعتناده الخبر وألفه وعرفه  
فلا نجد محيدا عن تصديقهم ، والدلالة العقلية البرهانية على صدق الرسل  
اضعاف الادلة المدالة على صدق الخبرين خبر التواتر . فان اوائلهم لم يقم  
على صدق كل واحد منهم دليل ، ولكن اجماعهم على الخبر دليل على  
صدقهم ، والرسل عليهم الصلاة والسلام قد قامت البراهين اليقينية على  
صدق كل فرد منهم . فقد اتفقت كلهم وتواترت اخبارهم على اثبات العلو  
والفوقية لله تعالى وأنه تعالى فوق عرشه ، فوت سماواته بائن من خلقه ، وانه متكلم  
متكلماً امر ، ناه يرضى ويغضب ، ويثيب ويعاقب ، ويحب ويبغض ، فأفاد  
خبرهم العلم بالخبر عنه اعظم من الاخبار المتواترة لخبرها . فان الاخبار  
المتواترة مستندة الى حس قد يغلط ، واخبار الانبياء مستندة الى  
وحى لا يغلط . فالقدر فيها بالعقل من جنس شبهة السوفياتية القادحة  
في الحس والعقل . ولو التفتنا الى كل شبهة يعارض بها الدليل القطعي لم يبق  
لنا وثيق بشيء نعلم بحس او عقل او بها . يوضحه :

الوجه السابع عشر : ان المعلومات المعاينة التي لا تدرك إلا بالخبر  
اضعاف اضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل ، بل لا نسبة بينها  
بوجه من الوجوه وهذا كان ادراك السمع اعم واشمل من ادراك البصر ،

فـأـهـ يـدـرـكـ الـأـمـوـرـ الـمـدـوـمـةـ وـالـمـوـجـوـدـةـ وـالـمـحـافـرـةـ وـالـغـائـبـةـ ،ـ وـالـمـعـلـومـاتـ  
اـتـيـ لـاـ تـدـرـكـ بـالـحـسـ .ـ وـهـذـاـ حـجـةـ مـنـ فـضـلـ السـمـعـ عـلـىـ الـبـصـرـ ،ـ وـرـجـعـ  
آـخـرـونـ الـبـصـرـ لـقـوـةـ اـدـرـاـكـهـ وـجزـمـهـ بـأـنـهـ يـدـرـكـهـ ،ـ وـبـعـدـهـ مـنـ الغـلطـ .ـ وـفـصـلـ  
الـزـاعـ يـنـهـاـ اـنـ مـاـ يـدـرـكـ بـالـسـمـعـ أـعـمـ وـأـشـلـ ،ـ وـمـاـ يـدـرـكـ بـالـبـصـرـ اـنـهـ مـاـ كـلـ  
وـالـمـقـصـودـ اـنـ الـأـمـوـرـ الـغـائـبـةـ عـنـ الـحـسـ نـسـبـةـ الـمـحـسـوسـ إـلـيـهاـ كـقـطـرـةـ  
مـنـ بـحـرـ ،ـ وـلـاـ سـبـيلـ إـلـىـ الـعـلـمـ بـهـاـ إـلـاـ بـاـخـبـرـ الصـادـقـ ،ـ وـقـدـ اـصـطـفـيـ اللـهـ مـنـ  
خـلـقـهـ أـنـبـيـاءـ أـنـبـيـاءـ مـنـ أـنـبـيـاءـ الـغـيـبـ بـمـاـ يـشـاءـ وـأـطـلـعـهـمـ مـنـهـاـ عـلـىـ مـاـ لـمـ يـطـلـعـ  
عـلـيـهـ غـيـرـهـ كـاـقـالـ تـعـالـىـ (ـمـاـ كـانـ اللـهـ لـيـدـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ مـاـ أـنـتـ عـلـيـهـ حـقـ  
يـبـزـ اـلـخـمـيـثـ مـنـ الـطـيـبـ وـمـاـ كـانـ اللـهـ لـيـطـلـعـكـمـ عـلـىـ الـغـيـبـ وـلـكـنـ اللـهـ  
يـجـتـيـبـ مـنـ رـسـلـهـ مـنـ يـشـاهـ) وـقـالـ تـعـالـىـ (ـعـالـمـ الـغـيـبـ فـلـاـ يـظـهـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ  
أـحـدـاـ إـلـاـ مـنـ أـرـضـيـ مـنـ رـسـوـلـ قـائـمـ يـسـلـكـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـمـنـ خـلـفـهـ  
رـصـداـ) وـقـالـ تـعـالـىـ (ـالـلـهـ يـصـطـفـيـ مـنـ أـمـلـاـكـهـ رـسـلاـ وـمـنـ النـاسـ إـنـ اللـهـ  
مـكـيـعـ بـصـيرـ) فـهـوـ سـبـحـانـهـ يـصـطـفـيـ مـنـ يـطـاعـهـ مـنـ اـنـبـيـاءـ الـغـيـبـ عـلـىـ مـاـ لـمـ يـطـلـعـ  
عـلـيـهـ غـيـرـهـ .ـ وـكـذـاكـ سـمـيـ نـبـيـاـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ ،ـ وـهـوـ الـأـخـبـارـ لـاـنـهـ مـخـبـرـ مـنـ  
جـهـةـ اللـهـ وـمـخـبـرـعـنـهـ .ـ فـهـوـ مـنـبـاـ ،ـ وـمـنـبـيـ .ـ وـلـيـسـ كـلـ مـاـ الـخـبـرـ بـهـ الـأـنـبـيـاءـ يـكـنـ  
مـعـرـفـتـهـ يـدـوـنـ خـبـرـهـ بـلـ وـلـاـ أـكـثـرـهـ .ـ وـلـهـذـاـ كـانـ اـكـلـ الـأـمـمـ عـلـمـاـ اـتـبـاعـ  
الـرـسـلـ وـاـنـ كـانـ غـيـرـهـ اـحـدـقـ مـنـهـمـ فـيـ عـلـمـ الـنـجـوـ وـالـهـنـدـسـةـ ،ـ وـعـلـمـ الـكـمـ الـتـحـلـ  
وـالـنـفـصـلـ ،ـ وـعـلـمـ الـنـبـضـ وـالـقـارـوـرـةـ وـالـأـبـوـالـ وـمـعـرـفـةـ قـوـامـهـاـ ،ـ وـنـحـوـهـاـ مـنـ الـعـلـومـ  
اـتـيـ مـاـ جـاءـهـمـ رـسـاـمـ بـالـبـيـنـاتـ فـرـحـوـ بـمـاـنـدـهـ مـنـ الـعـلـمـ بـهـ وـآـثـرـوـهـاـ عـلـىـ عـاـوـمـ

الرسل . وهي كا قال الواقف على نهاياتها « ظنون كاذبة ، وان بعض الفتن اثم » وهي علوم غير نافعة . فنعود بالله من علم لا ينفع ، وان نفعت فنفعها بالنسبة الى علوم الانبياء كنفع العيش العاجل بالنسبة الى الآخرة ودومها . فيليس العلم في الحقيقة الا ما اخبرت به الرسل عن الله عز وجل طلبا وخبرا ، فهو العلم المزيكي لانفوس المكمل للفطر المصحح لاعقول الذي خصه الله باسم العلم وسي ما عارضه ظنا لا يغنى من الحق شيئا وخرصا وكذبها فقال تعالى ( فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ) وشهد لا هلاهم اولوا العلم فقال سبحانه وتعالى ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْأَيُّوبَ لَقَدْ لَمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ ) وقال تعالى ( شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّاهُو الْعَزِيزُ أَحْكَمُ ) والمراد بهم اولوا العلم بما انزله على رسله ليس المراد بهم اولى العلم بالمنطق والفلسفة وفروعها وقال تعالى ( وَلَا تَمْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِي إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا ) فالعلم الذي امره باستزادة هو علم الوحي لا علم الكلام والفلسفه وقال تعالى ( لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ عِلْمًا ) اي انزله وفيه عالمه الذي لا يعلمه البشر فالباء للمصاحبة مثل قوله ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ ) اي انزل وفيه علم الله وذلك من اعظم ابراهيم على صدق نبوة من جاء به . ولم يصنع شيئا من قال : ان المعنى انزله وهو يعلمه . وهذا وان كان حقا فان الله يعلم كل شيء في ذلك دليل وبرهان على صحة الدعوى ، فان الله يعلم الحق والباطل

بخلاف ما اذا كان المعنى انزله متضمنا لعلمه الذي لا يعلمه غيره الا من اطلعه الله واعلمه به ، فان هذا من اعظم اعلام النبوة والرسالة . وقال فيما عارضه من الشبه الفاسدة التي يسمىها اربابها قواطع عقایة (إِنْ يَتَّمِعُونَ إِلَّا  
الظُّنُونَ وَإِنَّ الظُّنُونَ لَا يُغَيِّرُ مِنْ أَحَقَّ شَيْئًا) (وقال تعالى) (إِنْ يَتَّمِعُونَ إِلَّا الظُّنُونَ وَإِنَّ  
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) وقال من انكر المعاد بعقله (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَا تَنَا الَّذِينَ  
مُوتُونَ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الْدَّهْرُ وَمَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ)  
والظن الذي اثبته سبحانه للمعارضين نصوص الوحي بعقوتهم ليس هو الاعتقاد الراجح بل هو اكذب الحديث وقال (فَتُلَقَّلَ أَخْرَاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي  
غَمَرَةٍ سَاهُونَ) وأنت اذا تأملت ما عند هؤلاء المعارضين لنصوص  
الأنبياء بعقوتهم رأيت كله خرصاً وعلمت أنهم هم الخراصون وان العلم في الحقيقة ما نزل به الوحي على الأنبياء والمرسلين وهو الذي أقام الله به حجته وهدى به أنبياءه ورسله واتباعهم واثني عليهم فقال (كَمَا أَرْسَلْنَا  
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَرَبَّكُمْ كُلُّكُمْ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (وقال تعالى) (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُنُ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ عَظِيمًا)  
(وقال تعالى) (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ  
أَنفُسِهِمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَبَّكُمْ يَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ - الآية)  
في هذه النعمة والتزكية انا هي من عرف ان ما جاء به الرسول واحبر به  
عز وجل عن صفاته وافعاله هو الحق كما اخبر به لا من زعم ان ذلك مخالف  
اصريح العقل وان العقول مقدمة عليه . والله المستعان

الثامن عشر : ان العقل تحت حجر الشرع فيما يطابه ويأمر به وفيما يحكم به ويخبر عنه . فهو مجوز عليه في الطاب والذبirs . وكما أن من عارض أمر الرسل بعقله لم يؤمن بهم وبما جاءوا به فكذاك من عارض خبرهم بعقله . ولا فرق بين الامررين اصلا . بوضخه : ان الله سبحانه حكم عن الكفار معارضته أمره بعقولهم كما حكم عنهم معارضته خبره بعقولهم . أما الاول في قوله ( الَّذِينَ يَا كُلُونَ الرَّبِّ لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُونَ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرَّبِّ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرَّبِّ ) فعارضوا تحريره لربى بعقولهم التي سوت بين ربى والبيع . فهذا معارضته النص بالرأي . ونظير ذلك معارضوا به تحرير المية من قياسها على المذكرة وقلوا : تأكلون ما قاتلتم ولا تأكلون ما قتل الله . وفي ذلك أنزل الله ( وَإِنَّ الشَّيْئَ طَيْنَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَئِكَ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشَرِّكُونَ ) وعارضوا أمره بتحويل القبلة وقالوا : ان كانت القبلة الاولى حقا فقد تركت الحق . وان كانت باطلة فقد كنت على باطل . وإمام هؤلاء شيخ الطريقة إبليس عدو الله ، فإنه أول من عارض أمر الله بعقله وزعم أن العقل يقتضي خلافه . وأما الثاني فهو معارضة خبره بالعقل فكما حكم الله سبحانه عن منكري المعاد ( وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَبَيَّنَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْكِمُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ) وأخبر سبحانه أنهم عارضوا ما أخبر به من التوحيد بعقولهم ، وعارضوا أخباره عن النبوات بعقولهم ، وعارضوا بعض الأمثال التي ضربها

بعقولهم ، وعارضوا أدلة نبوة رسوله عليه السلام بعقولهم فقالوا ( لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا<sup>١</sup>  
الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٌ ) وأنت إذا صفت هذه المعاشرة صوغًا  
من خرقاً وجدتها من جنس معاشرة المعمول للمنقول . وكذلك قولهم  
( مَا كَلَّهَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ  
فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَثُرًا وَتَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَا كُلُّ مِنْهَا )  
أي لو كان رسولاً خالق السموات والارض لما احوجه ان يعشى  
يتننا في الاسواق في المعيشة ، ولا غناه عن أكل الطعام ، ولارسل معه  
ملكاً من الملائكة أو ألي اليه كثراً يغنىه عن طلب الكسب . وعارضوا  
شرعه ودينه الذي شرعه لهم على لسان رسوله وتوحيده بمعاصرة عقلية ،  
واستندوا فيها إلى القدر . فقال تعالى ( سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ  
مَا أَشْرَكَنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟ إِنْ تَدْعُونَ  
إِلَّا الظُّلْمُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شاءَ هَذَا كُمْ  
أَجْمَعِينَ ) وحكى مثل هذه المعاشرة في سورة النحل ، وفي سورة الزخرف  
وإذا تأملتها حق التأمل رأيتها أقوى بكثير من معاشرة آيات الصفات  
بعقولهم ، فإن إخوانهم عارضوا ب夷ئة الله للكائنات وال夷ئة ثابتة في  
نفس الامر ، والنفاة عارضوا بأصول فاسدة هي وضعوها من تلقاء أنفسهم  
أو تلقواها عن أعداء الرسل من الصابئة والمجوس وال فلاسفة ، وهي  
خيالات فاسدة

وبالجملة فعارضه أمر الرسول أو خبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار . فهم سلف الخلق بعدهم ، فيئس السلف والخلف . ومن تأمل معارضه المشركين للرسل بالعقل وجدتها أقوى من معارضة الجهمية والنفاة خبرهم عن الله وصفاته وعلوه على خلقه وتکلیمه ملائكته ورسله بعقولهم . فان كانت تلك المعارضة باطلة فهذه أبطل وأبطل . وان صحت هذه المعارضة فتلك أولى بالصحة منها . وهذا لا يحيد لهم عنه . يوضحه : التاسع عشر : ان القرآن مملوء من ذكر الصفات والعلو على الخلق والاستواء على العرش ، وتکلم الله وتکلیمه للرسل ، واثبات الوجه واليدين والسمع والبصر والحياة والمحبة والغضب والرضا للرب سبحانه ، وهذا عند النفاة مثل وصفه بالأكل والشرب والجوع والعطش والنوم ، كل ذلك مستحيل عليه . ومعلوم ان اخبار الرسول بما هو مستحيل عليه تعالى من اعظم المنفات عنه ، ومعارضته فيه اسهل من معارضته فيما عداه ، ولم يعارضه أعداؤه في حرف واحد من هذا الباب مع حرثهم على معارضته بكل ما يقدرون عليه ، فهلا عارضوه بما عارضته به الجهمية والنفاة ، وقالوا قد أخبرتنا بما يخالف العقل العريج ، فكيف يمكننا تصدقك ؟ بل كان القوم على شركهم وضلالهم أعرف بالله وبصفاته من النفاة والجهمية وأقرب الى اثبات الاسماء والصفات والقدر والمشيئة والفعل من شيوخ هؤلاء الفلاسفة واتباعهم من السيناوية والفارابية والطوسية <sup>(١)</sup>

(١) نسبة الى ابن سينا وأبي نصر الفارابي ، ونصر الدين الطوسي ، وكلهم من رؤساء المتكلمين

العشرون : ان دلالة السمع على مدلوله متفق عليها بين العقلاة وان  
اختلفوا في جهتها ، هل هي ظنية او قطعية ؟ وأرادت الرسل افهام  
مدلولها واعتقاد ثبوته ، أم ارادت الرسل افهام غيره وتاویل تلك الادلة  
وصرفها عن ظاهرها ؟ فلا نزاع بين العقلاة في دلالتها على مدلولها . ثم قال  
اتباع الرسل : مدلولها ثابت في الامر وفي الارادة ، وقالت النفاۃ اصحاب  
التاویل : مدلولها منتف في الامر في بعض الارادة . وقل اصحاب  
التخیل : مدلولها ثابت في الارادة منتف في الامر . واما دلالة  
ما عارضها من العقليات على مدلوله فلم يتفق ادبارها على دليل واحد  
منها بل كل طائفة منهم تقول في أدلة خصومها : ان العقل يدل على فسادها  
لا على صحتها . وأهل السمع مع كل طائفة في دلالة العقل على فساد قول  
تلك الطائفة الاخرى الخالفة للسمع . فكل طائفة تدعى فساد قول  
خصومها بالعقل يصدقهم اهل السمع على ذلك ، ولكن يكذبونهم في  
دعواتهم صحة قولهم بالعقل . فقد تضمنت دعوى الطوائف فساد ما يفهم  
العقل بشهادة بعضهم على بعض وشهادة اهل الوحي والسمع معهم . ولا  
يقال : هذا ينقلب عليكم باتفاق شهادة الفرق كلها على بطلان ما دل عليه  
السمع وان اختلفوا في أنفسهم . لأن المطلوب انهم كلهم متفقون على ان  
السمع دل على الایجاب ولم يتتفقوا على أن العقل دل على نقبيضه ، فيمتنع  
تقديم الدلالة التي لم يتفق عليها على الدلالة المتفق عليها . وهو المطلوب

الحادي والعشرون : أن الأمور السمعية التي يقال إن العقل عارضها كثبات علو الله على خلقه ، واستوائه على عرشه ، وتكلمه ، ورؤيه العباد له في الآخرة ، واثبات الصفات له ، هي مما علم بالاضطرار أن الرسول جاء بها وعلم بالاضطرار صحة نبوته ورسالته ، ومما علم بالاضطرار امتنع ان يقوم على بطلانه دليل ، وامتنع ان يكون له معارض صحيح . لانه لو قام على بطلانه دليل لم يبق لنا وثيق بعلوم أصلا لا حسي ولا عقلي . وهذا يبطل حقيقة الإنسانية ، بل حقيقة الحيوانية المشتركة بين الحيوانات . فان لها تيزنا وادراما كالمحائق بحسبها . وهذا الوجه في غاية الظهور ، غني بنفسه عن التأمل . وهو مبني على مقدمتين قطعيتين : احدهما أن الرسول أخبر عن الله بذلك . والثانية انه صادق . في أي المقدمتين يقدح المعارض بين العقل والنقال ؟

الثاني والعشرون : أن دليل العقل هو إخباره عن الذي خلقه وفطره أنه وضع فيه ذلك وعلمه إياه وأرشده إليه ، وذلك السمع هو الخبر عن الله انه قال ذلك وتكلم به وأوحاه وعرف به الرسول ، فامره ان يعرف الامر ونخبر ثم به . ولا يكون احدها صحيحا حتى يكون الآخر مطابقا لخبره ، وان الامر ما أخبر به وحينئذ فقد شهد العقل خبر الرسول بأنه صدق وحق . فعامتنا مطابقته لخبره بمحموص الامرين ، بخبر الرسول به وشهاده العقل الصريح بأنه لا يكذب في خبره . واما خبر العقل عن الله بما ينفي ذلك بان الله وضع فيه ذلك وعلمه إياه فلم يشهد له الرسول بصحة

هذا الخبر ، بل شهد بطلانه . فليس معه الاشهادته لنفسه بأنه صادق في الخبر به ، فكيف تقبل شهادته لنفسه مع عدم شهادة الرسول ، فكيف مع تكذيبه ايام ؟ فكيف مع تكذيب العقل الصرح المؤيد بتور الوحي ، فكيف مع اختلاف سائر اصحابه وتكلفهم وتناقضهم ؟ يزيده ايضاً : الثالث والعشرون : وهو أن الأدلة <sup>السمعية</sup> نوعان : نوع دل بطرق التنبيه والارشاد على الدليل العقلي . فهو عقلي سمعي . فمن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد . وما لا يقوم التنبيه على الدليل العقلي منه فهو يسير جداً . واذا تدبرت القرآن رأيت هذا أغلب النوعين عليه وهذا النوع يمتنع ان يقوم دليل صحيح على معارضته لاستلزماته مدلوله وانتقال الذهن فيه من الدليل الى المدلول ضرورة . وهو أصل النوع الثاني الحال بمجرد الخبر . والقبح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة : اما الاول فاما قدم . واما الثاني فلا استلزم القبح فيه القبح في العقل الذي اثبته واذا بطل العقل الذي اثبت السمع بطل ما عارضه من العقليات كما تقدم تقريره . يوضحه :

الوجه الرابع والعشرون : انه ليس في القرآن صفة الا وقد دل العقل الصرح على اثباتها لله تعالى ، فقد توافق عليها دليل العقل والسمع . فلا يمكن ان يعارض ثبوتها دليل صحيح <sup>أثبت</sup> ، لا عقلي ولا سمعي . بل ان كان المعارض سمعياً كان كذباً مفترى او مما اخطأ المعارض به في فهمه .

وان كان عقلياً فهي شبهة خيالية

واعلم ان هذه دعوى عظيمة ينكرها كل جهمي وناف وفياسوف ،  
ويعرفها من نور الله قلبه بالایمان وباثر قلبه معرفة الذي دعت اليه الرسل  
وأقرت به الفطر ، وشهدت به العقول الصحيحة المستقيمة لامنكوبة  
المركوبة . وقد نبه سبحانه في كتابه علي ذلك في غير موضع ، وبين أن  
ما وصف به نفسه هو الحال الذي لا يستحقه سواه ، بخلافه جاحد لحال  
الرب تعالى . فإنه ت مدح بكل صفة وصف بها نفسه واثني بها على نفسه ومجده بها  
نفسه وحمد بها نفسه ، فذكرها سبحانه على وجه المدح له والتعظيم  
والتجيد ، ولتعرف بها الى عباده ليعرفوا كماله ومجده وعظمته وجلاله .  
وكثيرا ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها من دونه . فذكر  
 سبحانه من صفات كماله وعلوه على عرشه وتكلمه وتكليمه واحاطة عالمه ونفوذه  
مشيئته ما هو متنفس عن آلهتهم . فيكون ذلك من أدل دليل على بطلان  
إلهيتها وفساد عبادتها . ويدرك ذلك عند دعوه عباده الى ذكره وشكره  
وعبادته ، فيذكر لهم من أوصاف كماله ونحوت جلاله ما يجدون قلوبهم الى  
المبادرة الى دعوه والمسارعة الى طاعته ، ويدرك صفاتهم لهم عند ترغيبهم  
وترهيبهم لتعرف القلوب من تخافه وترجوه . ويدرك صفاتهم ايضا عند  
أحكامه وأوامره ونواهيه . فقل ان تجدة آية حكم من احكام المكلفين  
الا وهي مختتمة بصفة من صفاته او صفتين . وقد يذكر الصفة في اول  
الآية ووسطها وآخرها كقوله ( قد سمعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَاجِدُكَ فِي زَوْجِهَا  
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) ويدرك

صفاته عند سؤال عباده لرسوله صلى الله عليه وسلم عنه . ويدركها عند سؤالهم له عن أحكامه ، حتى إن الصلاة لا تعمد إلا بذكر أسمائه وصفاته فذكر اسمائه وصفاته روحها وسرها ، يصحبها من أو لها إلى آخرها . وإنما أمر باقامتها ليذكر باسمائه وصفاته ، وأمر عباده أن يستلواه باسمائه وصفاته ففتح لهم باب الدعاء رغباً ورهباً ليذكره الداعي باسمائه وصفاته فيتوسل إليه بها . ولهذا كان أفضل الدعاء ما توسل فيه الداعي إليه باسمائه وصفاته قال الله تعالى ( وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ) وكان اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين . آية الكرسي ، وفاتحة آل عمران . لاشتمالها على صفة الحياة المصححة لجميع الصفات وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال . ولهذا كانت سيدة آي القرآن وأفضلها . ولهذا كانت سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها اخترت الاخبار عن الرب تعالى وصفاته دون خلقه وأحكامه وثوابه وعقابه . وسمع النبي عليه السلام رجلاً يدعوه « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والا كرام يحيى في يوم » وسمع آخر يقول « اللهم إني أسألك بأنيأشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » فقال لأحددهما « لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » وقال للآخر « سل تهظه » وذلك لما تضمنه هذا الدعاء من أسماء الرب وصفاته ، وفي الحديث الصحيح عنه عليه السلام أنه قال « ما أصاب عبد قط هم ولا

حزن ، فقال : الاهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك . ناصيتي بيده  
 ما مض في حكمك ، عدل في قضاوتك ، اسألتك بكل اسم هو لك سميت به  
 نفسك ، او انزلته في كتابك ، او علمنته احد من خلقك ، او استأثرت به  
 في علم الغيب عندك ، لأن تجعل القرآن العظيم ربيع قابي ونور صدري وجلاء  
 حزني وذهاب همي وغمي ، إلا اذهب الله همه وأبدل مكانه فرحا » قالوا  
 أفلاتعلمون يارسول الله ؟ قال « بلى ، ينبعي من سمعهن ان يتعلمون ». وقد  
 نبه سبحانه على اثبات صفاتة وأفعاله بطريق المقول . فاستيقظت لتبنيه  
 العقول الحية ، واستمرت على رقادها العقول الميتة ، فقال في صفة العلم  
 (الآ يَعْلَمُ مِنْ خَلَقَ وَهُوَ الظَّيْفُ اتَّخِذِيرُ ) فتأمل صحة هذا الدليل مع غاية ايجاز  
 افظه واختصاره . وقال (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟)  
 فاصح هذا اليقين وما اوجزه . وقال تعالى في صفة الكلام ( وَاتَّخَذَ قَوْمٌ  
 مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلَيْبِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارًا لَمْ يَرَوْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ  
 وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ؟ ) نبه بهذا الدليل على ان من لا يكلم ولا يهدي  
 لا يصلح ان يكون إلهًا . وكذلك قوله في الآية الاخرى عن العجل  
 (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ، وَلَا يَعْلَمُ لَهُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا ؟ ) فجعل  
 امتناع صفة الكلام والتکليم وعدم ملك الفر والنفع دليلا على عدم  
 الالهية . وهذا دليل عقلي سمعي على ان الاله لا بد ان أن يكلم ويتكلم  
 ويملك لعباده الفر والنفع وإلا لم يكن إلهًا . وقال تعالى ( أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ  
 عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا ، وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ التَّجْهِيدَنِ ؟ ) نبه بهذا الدليل العقلي

القاطع ان الذي جعلك تصرف وتتكلم وتعلم أولى ان يكون بصيرا متكلما عالما . وأي دليل عقلي قطعى أقوى من هذا واين واقرب الى العقول ؟

وقل تعالى في آلة المشركين المعطلين (أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشِيُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَيْدِي يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنْ يُبْعِرُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ؟)

جعل سبحانه عدم البطش والسمع والمشي والبصر لهم دليلا على عدم إلهية من عدلت منه هذه الصفات . وقد وصف الله سبحانه نفسه بضد صفة اوثانهم وبضد ما وصفه به المغسلة والجحيمية . فوصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والجبي والآتian . وذكر ضد صفات الاسماء التي جعل امتناع هذه الصفات فيها دليلا على عدم إلهيتها . فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها تتجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها وأنه المتفرد بذلك الكمال ، فليس له فيه شبيه ولا مثيل . وأي دليل في العقل أوضح من اثبات الكمال المطلق خالق هذا العالم ومديره وملك السموات والارض وقيومها ؟ فإذا لم يكن في العقل اثبات جميع الكمال له فأي قضية تصح في العقل بعد هذا ؟ ومن شك في أن صفة السمع والبصر والكلام والحياة والارادة والقدرة والغضب والرضا والفرح والرحمة كمال فهو من سلب خاصة الإنسانية وانسانخ من العقل . بل من شك أن اثبات الوجه واليدين وما ابته لنفسه معها كمال فهو مصاب في عقله . ومن شك ان كونه يفعل باختياره ماشاء ويتكلم اذا شاء ، وينزل الى حيث يشاء ، وينجي الى حيث

شاء غير كمال فهو جاهم بالكمال . والجحاد عنده أكمل من الحي الذي تقوم به الافعال الاختيارية ، كما أن عند الجهمي أن الفاقد لصفات الكمال أكمل من الموصوف بها ، كما ان عند استاذها وشيخها الفيلسوف ان من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا له حياة ولا قدرة ولا ارادة ولا فعل ولا كلام ، ولا يرسل رسولا ولا ينزل كتابا ، ولا يتصرف في هذا العالم بتحويل وتغيير وازالة ونقل وامامة واحياء أكمل من يتصف بذلك . فهو لا ، كلام قد خالفوا صريح العقول وسلبوا الكمال عنمن هو احق بالكمال من كل ماسواه . ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا الكمال نقصا . فتأمل نسبتهم الباطلة التي عارضوا بها الوحي هل تصادم هذا الدليل الدال على اثبات الصفات والافعال للرب سبحانه ثم اختر لنفسك بعد ما شئت . وهذا قطرة من بحر نيمتنا عليه تنبئها يعلم به الابد ما وراءه . والا فلو أعطينا هذا الموضوع حقه ، وهيئات ان نصل الى ذلك ، لكتبتنا عدة اسفار . وكذا كل وجه من هذه الوجوه فانه لو بسط وفصل لاحتمل سفرا و اكثر .  
والله المستعان وبه التوفيق

الخامس والعشرون : ان غاية ما ينتهي اليه من ادعى معارضه العقل للوحي أحد امور اربعة لا بد له منها : اما تكذيبها وجحدها ، واما اعتقاد أن الرسل خاطبوا الخلق خطابا جهوريا لا حقيقة له ، واما ارادوا منهم التخييل وضرب الامثال . واما اعتقاد أن المراد تأويلاها وصرفها عن حقائقها بالمجازات والاستعارات ، واما الاعراض عنها وعن فهمها وتدبرها

واعتقاد أنه لا يعلم ما أريد بها الله . فهذه اربع مقامات وقد ذهب الى  
كل مقام منها طوائف من نبي آدم  
المقام الاول مقام التكذيب . وهؤلاء استراحوا من كلفة النصوص  
والوقوع في التشبيه والتجسيم وخلعوا ربقة الاسلام من اعناقهم  
المقام الثاني مقام اهل التخييل ، قلوا : ان الرسل لم يمكنهم مخاطبة  
الخلق بالحق في نفس الامر خاطبوا بهما يخليل اليهم ، وضربوا لهم الامثال  
وعبروا عن المعاني المعقولة بالامور القريبة من الحس ، وسلكوا ذلك  
في باب الاخبار عن الله واسمائه وصفاته واليوم الآخر ، واقروا بباب الطلاق  
على حقيقته . ومنهم من سلك هذا المسلوك في الطلاق ايضا وجعل الامر  
والنهي اشارات وامثالا . فهم ثلاثة فرق . هذه احدهما ، والثانية سلكت  
ذلك في الخبر دون الامر ، والثالثة سلكت ذلك في الخبر عن الله وعن صفاتيه  
دون المعاد والجنة . وذلك كله إلحاد في اسماء الرب وصفاته ودينه واليوم  
الآخر . والما يحدلا يمكن من الرد على الماحدو قد وافقه في الاصل وان خالفه  
في فروعه . ولهذا استطاع على هؤلاء ان لا حدة بن سينا واتباعه غاية  
الاستطالة ، وقلوا : القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص الصفات ،  
قالوا : بل الامر فيها أسهبل من نصوص الصفات ، لكثرتها وتنوعها  
وتعدد طرقها واثباتها على وجه يتعدز معه التأويل . فإذا كان الخطاب بها  
خطابا جهوريانا فنصوص المعاد أولى . قال : فان قلتم : نصوص الصفات  
قد عارضها ما يدل على انتقامها من العقل . قلنا : ونصوص المعاد قد عارضها

من العقل ما يدل على انتقامها . ثم ذكر العقليات المعارضه للمعاد ما يعلم به العاقل ان العقليات المعارضه لاصفات من جنسها او اضعف منها المقاصد الثالث مقام أهل التأويل ، قالوا : لم يرد منا اعتقاد حقائقها وانما اريد منا تأويلاً لها بما يخرجها عن ظاهرها وحقائقها ، فتكلفوها لها وجوه التأويلات المستكرونة والمحازات المستنكرة التي يعلم العقلاً انها أبعد شيء عن احتمال الفاظ النصوص لها ، وأئمها بالتحريف اشبه منها بالتفسير والطائفتان اتفقتا على ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين الحق للامة في خطابه لهم ولا أوضحه بل خاطبهم بما ظاهره باطل ومحال . ثم اختلفوا ، فقال اصحاب التخييل : اراد منهم اعتقاد خلاف الحق والصواب وان كان في ذلك مفسدة فالصلاحية المترتبة عليه اعظم من المفسدة التي فيه . فقال اصحاب التأويل : بل اراد منا أن نعتقد خلاف ظاهره وحقيقةه ، ولم يبين لنا المراد تعرضاً الى حصول الثواب بالاجتهد والبحث والنظر واعمال الفكر في معرفة الحق بعقولنا ، وصرف تلك الالفاظ عن حقائقها وظواهرها لتنال ثواب الاجتهد والسعى في ذلك . فالطائفتان متفقتان ان ظاهر خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ضلال وباطل ، وانه لم يبين الحق ولا هدى اليه اخلقاً

المقصود الرابع : مقام اللا ادرية الذين يقولون لا ندرى معانى هذه الالفاظ ، وينسبون طریقهم الى السلف ، وهى التي يقول المتأولون انها اسلم ، ويحتجون بقوله تعالى ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) ويقولون : هذا هو

الوقف التام عند جهور السلف ، وهو قول أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وغيرهم من السلف والخلف . وعلى قول هؤلاء يكون الانبياء والمرسلون لا يعلمون معانى ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا اصحابهم ولا التابعون لهم بحسان بل يقرؤن كلما لا يعلقون معناه . ثم هم متناقضون أخف تناقض فلنهم يقولون : تبحري على ظاهرها ، وتأوilyها باطل . ثم يقولون : هاتأوين لا يعلمه الا الله . وقول هؤلاء باطل ، فان الله سبحانه أمر بتدبر كتابه وتقديره وتعقله ، وخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . ومن اعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والافعال . واللفظ الذي لا يعلم ما اراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدى ولا شفاء ولا بيان . وهؤلاء طرقوا الاهل الاخلاق والزندقة والبدع ان يستنبطوا الحق من عقوتهم ، فان النفوس طالبة لمعرفة هذا الامر اعظم طلب والمقتضى التام لذلك فيها موجود . فاذا قيل لها : ان ان الفاظ القرآن والسنة في ذلك لها تأويل لا يعلم الا الله ولا يعلم احد معناها فترت اليه عقولهم وفطرم وآرائهم ، فسد هؤلاء بباب المهدى والرشاد وفتح اولئك بباب الزندقة والبدعة والاخلاق . وقالوا : قد اقررتם بان ما جاءت به الرسل في هذا الباب لا يحصل منه علم بالحق ولا يهدى اليه فهو في طريقتنا لا في طريقة الانبياء ، فانا نحن نعلم ما تقول ونثبته بالادلة العقلية والانبياء لم يعلموا تأويلا ما قالوه ولا يبنوا مراد المتكلم به .

واصاب هؤلاء من الغلط على السمع ما اصاب أولئك من الخطأ في العقل  
وهو لاء لم يفهموا مراد السلف بقولهم : لا يعلم تأويل المتشابه الا  
الله . فالتأويل في مثل قوله تعالى ( هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْتِيَهُ يَوْمَ يَأْتِي  
تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) وقوله تعالى  
( ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) وقول يوسف ( يَا أَبَتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ  
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبُّ حَقًّا ) وقول يعقوب ( وَلَعِدْتُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ  
وَقَالَ تَعَالَى ( وَقَالَ الَّذِي تَجَاهَ مِنْهُمَا وَأَدَّ كَرَّ بَعْدَ أَمَةً أَنَا أَنْبَشُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ  
فَارْسِلُونَ ) وقول يوسف ( لَا يَأْتِي كُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا بَعْثَقَ كَمَا يَأْتِيَهُ  
قَبْلَ أَنْ يَأْتِي كُمَا ) فتأويل الكلام الطابي هو نفس فعل المأمور به وترك  
المنهي عنه كما قال ابن عيينة « السنة تأويل الامر والنهي » وقالت عائشة  
رضي الله عنها « كان رسول صلي الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده :  
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ، يتأنى القرآن » واما تأويل  
ما اخبر به الله تعالى عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي  
اخبر الله عنها . وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعدها غيره  
ولهذا قال مالك وربيعة « الاستواء معلوم والكيف مجهول » وكذلك  
قال ابن الماجشون والامام احمد وغيرهم من السلف « انا لا نعلم كيفية  
ما اخبر الله به عن نفسه وان كنا نعلم تفسيره ومعناه » وقد فسر الامام  
احمد الآيات التي احتاج بها الجهمية من المتشابه وقال « انهم تأولوها على غير  
تأويها » وبين معناها . وكذلك الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا  
المراد بآيات الصفات كما علموا المراد من آيات الامر والنهي ، وان لم يعماوا

الكيفية ، كما عاumo معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار وان لم يعماوا حقيقته  
كنه وكيفيته . فن قال من السلف : ان تأویل المتشابه لا يعلمه الا الله  
بهذا المعنى فهو حق . واما من قال : ان التأویل الذي هو تفسيره وبيان  
المراد منه لا يعلمه الا الله فهو غلط ، والصحابة والتابعون وجهمور الأمة  
على خلافه . قال مجاهد « عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى  
خاتمته أقهه عند كل آية وسائله عنها » وقال عبد الله بن مسعود « ما في  
كتاب الله آية الا وانا اعلم فم أنزلت » وقال الحسن البصري « ما نزل الله آية  
 الا وهو يحب أن يعلم ما اراد بها » وقال مسروق « مسائل اصحاب محمد  
صلى الله عليه وسلم عن شيء الا وعلمه في القرآن ولكن ، عالمنا قصر عنه »  
وقال الشعبي « ما ابتدع قوم بدعة الا وفي كتاب الله بيامها »  
والمقصود ان معارضة العقل لاسمع لا بد لصاحبها ان يسلك احد  
هذه المسالك الاربعة الباطلة واسمها هذا المسالك الرابع . وقد عامت  
بطلانه ، وانما كانت اقلها بطلاً ناله لا يتضمن ان يخبر الكاذب على الله  
ورسوله ، فان صاحبه يقول : لا افهم من هذه النصوص شيئاً ولا اعرف  
الاراد بها . واصحاب تلك المسالك تتضمن اقوالاً لهم تکذيب الله ورسوله  
والاخبار عن النصوص بالكذب

السادس والعشرون : ان هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم  
التي هي في الحقيقة جهليات انما يبنون امرهم في ذلك على اقوال مشتبهه  
مجملة تحتمل معاني متعددة ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى

والاجال في اللفظ يوجب تأويلاً لها بحق وباطل . فبما فيها من الحق يقبل من لم يحط بها علماً بما فيها من الباطل لاجل الالتباس والاشتباه ، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الانبياء . وهذا من شأضلال من ضل من الام قبلنا وهو منشأ البدع كلها . فان البدع لو كانت باطلة محسنة لما قبلت ولبادر كل أحد الى ردها وانكارها . ولو كانت حقاً محسنة لم تكن بدعة وكانت موافقة لسنة . ولكنها تشتمل على الحق والباطل ويتبين فيها الحق والباطل كما قال تعالى (وَلَمْ تَلْبِسُنَ الْحُقْقَ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْتُمُنَ الْحُقْقَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فنهى عن لبس الحق بالباطل ، ولبسه به هو خلطه به حتى يتبع احدها بالآخر . ومنه التلبيس ، وهو التدليس والغش الذي ياطنه خلاف ظاهره فكذلك الحق اذا لبس بالباطل يكون فاعله قد اظهر الباطل في صورة الحق وتتكلم بلفظه معنيان ، معنى صحيح ومعنى باطل . فيتوهم السامع انه اراد المعنى الصحيح ومراده الباطل . فهذا من الاجال في اللفظ . وأما الاشتباه في المعنى فيكون له وجهاً ، هو حق من احدها وباطل من الآخر . فيتوهم ارادة الوجه الصحيح ويكون غرضه الباطل . فاصل خلل بني آدم من الالفاظ الجملة والمعاني المشتبهة . ولا سيما اذا صادفت أذهاناً سقيمة ، فكيف اذا اتضاف إلى ذلك هوى وتعصب ؟ فنسأل الله مثبت القلوب ان يثبت قلوبنا على دينه

قال الامام احمد في خطبة كتابه في الرد على الجهمية « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل ، بقايا من اهل العلم ، يدعون من اضل

إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموى ،  
ويبصرون بكتاب الله أهل العمى . فكم من قتيل لا بليس قد أحيوه .  
وكم من تائه ضال قد هدوه . فما أحسن أثرهم على الناس ، وما اقبح أثر الناس  
عليهم . ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، واتحالف المبطلين ، وتأويل  
الجاهلين ، الذين عقدوا الوبية البدعة ، واطلقوا عنان الفتنة ، فيهم مختلفون  
في الكتاب ، مخالفون لكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب ،  
يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالتشابه من  
الكلام ، وينخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعواذ بالله من فتن  
الضللين » وهذه الخطبة تلقاها الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه . وقد ذكرها محمد بن وضاح في أول كتابه في الحوادث والبدع . فقال :  
حدثنا أسد حدثنا رجل يقال له يوسف ثقة ، عن أبي عبد الله الواسطي  
رفعه إلى عمر بن الخطاب أنه قال « الحمد لله الذي امتن على العباد بإن جعل  
في كل زمان فترة من الرسل ، بقائياً من أهل العلم يدعون من ضل إلى  
الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموى ويبصرون  
بكتاب الله أهل العمى . كم من قتيل لا بليس قد أحيوه ، وتائه ضال قد  
هدوه . بنلو دمائهم وأموالهم دون هلكة العباد . فما أحسن أثرهم على  
الناس ، وما اقبح أثر الناس عليهم ، وما نسيهم ربكم ، وما كان ربكم نسياناً  
جعل قصصهم هدى ، وآخر عن حسن مقالياتهم . فلا تقصروا عنهم ، فازم  
في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضيعة

فالمتشابه ما كان له وجهان يخدعون به جهال الناس ، في والله كم قد ضل بذلك طوائف من بني آدم . واعتبر ذلك باظهر الالفاظ والمعاني في القرآن والسنة وهو التوحيد الذي حقيقته اثبات صفات **الكال الله** وتنزيهه عن اضدادها ، فاصطلاح أهل الباطل على وضعه ، ثم دعوا الناس الى التوحيد يخدعوا به من لم يعرف معناه في اصطلاحهم ، وظن أن ذلك التوحيد هو الذي دعت اليه الرسل

والتوحيد اسم لستة معان : توحيد الفلاسفة . وتوحيد الجهمية .

وتوحيد القدرية الجبرية ، وتوحيد الاتحادية . فهذه الاربعة انواع من التوحيد جاءت الرسل بباطلها ودل على بطلانها العقل والنقل . فأما توحيد الفلاسفة فهو انكار ماهية الرب الزائدة على وجوده ، وانكار صفات كماله وانه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين وليس فيه معيناً يتميز احدها عن الآخر أبداً . قالوا : لأنهم لو كان كذلك لكان مركباً وكان جسماً مؤلفاً ولم يكن واحداً من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده . فلما اصطاحوا على هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله (وَإِنْ هُمْ كُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) وقوله (وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) نزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي ، وقالوا : لو كان له صفة أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة وقدرة ، أو سمع ، أو بصر ،

لم يكن واحداً ، وكان مركيماً مولفاً . فسموا أعظم التعطيل بحسن الأسماء وهو التوحيد . وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب باقى الأسماء ، وهو التركيب والتأليف فتولد من بين هذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق اسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته وتکذيب رسالته ونشأ من نشأ على اصطلاحه ، مع اعراضه عن استفادة المهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلاحو عليه بعموه اصلاً لدينه . فلما رأى أن ماجاءت به الرسل يعارضه قال : اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل

التوحيد الثاني توحيد الجهمية . وهو مشتق من توحيد الفلاسفة . وهو في صفات الرب كعلمه ، وكلامه ، وسمعه ، وبصره وحياته ، وعلوته على عرشه ونفي وجهه . ويديه . وقطب رحي هذا التوحيد جحد حقائق اسمائه وصفاته التوحيد الثالث توحيد القدرية الجبرية ، وهو اخراج افعال العباد ان تكون فعلا لهم ، وان تكون واقعة بارادتهم وحسبهم ، بل هي نفس فعل الله تعالى . فهو الفاعل لها دونهم ونسبتها اليهم وانهم فعلاها ينافي

### التوحيد عندهم

الرابع توحيد القائلين بوحدة الوجود . وان الوجود عندهم واحد ليس عندهم وجود ان قدیم وحدث ، وخلق وملائكة ، وواجب ومحکم . بل الوجود عندهم واحداً بالعين ، والذي يقال له اخلق المشبه هو الخلق المنزه . والكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة

فهذه الانواع الاربعة سماها اهل الباطل توحيدا ، واعتاصموا بالاسم من انكار المسلمين عليهم ، وقالوا : نحن الموحدون ، وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسلاه : تركيبا وتجسيما وتشبيها ، وجملوا بهذه الالقاب لهم سهاما وسلاما يقاتلون بها اهله ، فترسوا بما عند أهل الحق من الاسماء الصحيحة وقايلوهم بالاسماء الباطلة . وقد قال جابر في الحديث الصحيح في حجة الوداع : فأهل " رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمه لك والملك . لا شريك لك » فهذا توحيد الرسول صلى الله عليه وسلم المتضمن لاثبات صفات الكمال التي يستحق عليها الحمد ، ولاثبات الافعال التي يستحق بها ان يكون منعا ، ولاثبات القدرة والمشيئة والارادة والتصرف والغضب والرضى والغنى والجود الذي هو حقيقة ملكه . وعند الجهمية والمعطلة والفالاسفة لا حمد له في الحقيقة ولا نعمة ولا ملك . والله يعلم انا لا نجاذف في نسبة ذلك اليهم ، بل هو حقيقة قوتهم . فأي حمد ان لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا يتكلم ولا يفعل ولا هو في العالم ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن يساره ؟ وأي نعمة من لا يقوم به فعل البتة ؟ وأي ملك ان لا وصف له ولا فعل ؟

فانظر الى توحيد الرسل وتوحيد من خالفهم

ومن العجب انهم سموا توحيد الرسل شركا وتجسيما وتشبيها مع انه غاية الكمال ، وسموا تعطیاتهم وإخادهم وبغيهم توحيدا ، وهو غاية

النفس . ونسبوا اتباع الرسل الى تقيص الرب وقد سلبوه كل كمال . وزعموا أنهم ابتو الله الكمال وقد نزهوه عنه . فهذا توحيد الجهمية والمعطلة وأما توحيد الرسل فهو اثبات صفات الكمال له واثبات كونه فاعلاً مشيئته وقدرته واختياره وان له فعلاً حقيقة ، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد وتحاف ويرجى ويتوكل عليه . فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل ، وليس خلقه من دونه وكيل ، ولا ولی ، ولا شفيع ، ولا واسطة يبنه وينعم في رفع حواجهم اليه ، وفي ترجيح كربلاهم وإجابة دعواتهم يبنه وينعم واسطة في تبليغ أمره ونبهه واخباره ، فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه ويعغضه ، ويسخطه ولا حقائق اسمائه وتفصيل ما يحب له ويتقنع عليه ويوصف به إلا من جهة هذه الواسطة . فإنهؤلاء الملاحدة فعكسوا الامر وقلبو الحقائق ، فنفوا كون الرسل وسائل في ذلك و قالوا : يكفي توسط العقل . ونفوا حقائق اسمائه وصفاته و قالوا : هذا التوحيد . ويقولون : نحن نزه الله عن الاعراض والاباض والحدود والجهات ، وحلول الحوادث . فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ فيتوبون منها انهم ينزعون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق والنقائص وال حاجة ، فلا يشك أنهم يجدونه ويعظموه . ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الاخاذ و تكذيب الرسل و تعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله . فتنزههم عن الاعراض هو من جحد صفاته كسمعة وبصره وحياته ، وعame ، وكماله ، وارادته ، فان هذه اعراض لا تقوم إلا بجسم ،

فلو كان متصفاً به الكان جسماً وكانت اعراضَ الله وهو منزه عن الاعراض .  
 وأما الأعراض فهي الغاية والحكمة التي لاجلها يخلق ويفعل ويفعل ويأمر وينهي  
 ويثيب ويعاقب وهي الغايات المحمودة المطلوبة له من أمره ونبهيه وفعله  
 فيسمونها أعراضانو لا ينزلهون عنها . وأما الأبعاض فرادهم بتنزيمه عنها انه  
 ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على أصبع والارض على أصبع  
 والشجر على أصبع والماء على أصبع فان ذلك كله أبعاض والله منزه عن الأبعاض  
 وأما الحدود والجهاز فرادهم بتنزيمه عنها انه ليس فوق السموات رب  
 ولا على العرش إله ، ولا يشار اليه بالاصبع الى فوق كما اشار اليه أعلم  
 الخلق به ، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا تعرج الملائكة  
 والروح اليه ، ولا رفع المسيح اليه ، ولا عرج برسول الله محمد صلى الله  
 عليه وسلم ، اليه اذا لو كان كذلك لزم انبات الحدود والجهاز له ، وهو منزه  
 عن ذلك . وأما حلول الحوادث فيريدون به انه لا يتكلم بقدرته ومشيئته  
 ولا ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ، ولا يأتي يوم القيمة ولا يحيي ولا يغصب  
 بعد ان كان راضيا ، ولا يرضى بعد ان كان غضبان ولا يقوم به فعل البتة  
 ولا امر مجده بعد ان لم يكن ، ولا يرید شيئاً بعد ان لم يكن مریدا له . فلا  
 يقول له كن حقيقة ، ولا استوى على عرشه بعد ان لم يكن مستويا ولا  
 يغصب يوم القيمة غضباناً يغصب قبله مثله ولن يغصب بعده مثله ، ولا  
 ينادي عباده يوم القيمة بعد ان لم يكن مناديا ، ولا يقول للمصلبي اذا قال  
 (الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ) حدني عبدي ، فاذا قال (الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ) قال اثنى

علي عبدي فاذا قال ( مَالِكُ يَوْمَ الدِّين ) قال مجدني عبدي . فان هذه كلها حوادث وهو متزه عن حلول الحوادث  
وقالت الجهمية : نحن ثبت قديما واحدا ، ومثبتو الصفات يثبتون  
عدة قدماء . قال : والنصارى اثبتوا ثلاثة قدماء مع الله تعالى ، فكفرهم ،  
فكيف من اثبت سبعة قدماء او اكثر ؟

فانظر الى هذا التدليس والتاييس الذي يوم السامع اثبتوا قدماء  
مع الله تعالى ، وانا اثبتوا قدما واحدا بصفاته ، وصفاته داخلة في مسمى  
اسمه ، كما انهم اثروا لها واحدا ولم يجعلوا كل صفة من صفاتها لها  
بل هو الاله الواحد بجميع اسمائه وصفاته . وهذا بعينه متلقى من عباد الاصنام  
المشركين بالله تعالى المكذبين لرسوله حيث قالوا : يدعون محمد الى الله واحد  
ثم يقول يا الله يا سميع يا بصير ، فيدعونا الله متعددة فأنزل الله ( فلادعوا  
الله او ادعوا الرحمن اي ما تدعوا فالله الاسماء الحسنى ) فرأى اسم دعوتهم  
به فانما دعوتم المسمى بذلك الاسم ، فلخبر سبحانه انه لا له واحد وان تعددت  
اسماؤه الحسنى المشتقة من صفاتة . ولهذا كانت حسنى ، والا فلو كانت كما  
يقول الجاحدون لكانه اسماء محضة فارغة من المعانى ليس لها حقائق لم تكن  
حسنى ، ولكن اسماء الموصوفين بالصفات والافعال احسن منها . فدللت  
الآية على توحيد الذات وكثرة النعم و الصفات . ومن ذلك قول هؤلاء :  
اخص صفات الآلة ، القديم . فاذا اثبتم له صفات قديمة لزم ان تكون آلة  
قديمة ، ولا يكون الاله واحدا ، فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على امثالهم

من اشباه الانعام : المذور الذي نفاه العقل والشرع والفتراة وأجمعوا  
الانبياء على بطلانه ان يكون مع الله آلة اخرى لأن يكون الله العالمين  
الواحد القهار حيا قيوما سميها بصيرا متكلما آمراً ناهيا فوق عرشه ، له  
الاسماء الحسنى والصفات العلي . فلم ينف العقل والشرع والفتراة ان يكون  
لله الواحد صفات كمال يختص بها لذاته

واعلم ان لفظ الجسم لم ينطوق به الوحي اثباتا فيكون له الاثبات ،  
ولا نفياف تكون له النفي . فمن اطلاقه نفيا أو اثباتا سئل عما اراد به . فان  
قال : اردت بالجسم معناه في اللغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى  
في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ولا للنار ولا للماء . فهذه  
اللغة وكتبها بين اظهرنا . فهذا المعنى منق عن الله عقولا وسمعنا . وان اردتم  
به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة . فهذا منق  
عن الله قطعا ، والصواب نفيه عن المكبات ايضا . فليس الجسم المخلوق  
مركبا من هذا ولا من هذا . وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى  
بالبصر ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويفضى ، فهذا المعنى  
ثابتة لله تعالى وهو موصوف بها ، فلا تنفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها  
جسما ، كما ان لا نسب الصحابة لاجل تسمية الروافض ان يحبهم ويؤاخذهم  
نواصبا ولا نفي قدر الرب ونكذب به لاجل تسمية القدرية من اثبتته  
جيриا . ولا نزد ما اخبر به الصادق عن الله واسمائه وصفاته وافعاله لتسمية  
اعداء الحديث لنا حشوية . ولا ننجده صفات خالقنا وعلوه على خلقه

واستواؤه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن اثبت ذلك بمحاجاته  
فإن كان تجسيما ثبوت استواؤه \* على عرشه أني اذا لجسم  
وان كان تشبهها ثبوت صفائه \* فن ذلك التشبيه لا اتكلم  
وان كان تزيمها جحود استواؤه \* واوصافه او كونه يتكلم  
فمن ذلك التزيم نزهت ربنا \* ب توفيقه والله أعلى وأعظم  
ورحمة الله على الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب في قوله :  
ياراكبا قف بالحصب من مني \* واهتف بقاعد خيفها والناهض  
ان كان رضا حب آل محمد \* فليشهد النقلات اني رافغي  
وهذا كله كانه مأخوذ من قول الشاعر الاول :

وعيرني الواشون اني احبها \* وذلك ذنب لست منه اتب  
وان اردتم بالجسم ما يشار اليه إشارة حسية فقد أشار اعرف الخلق  
به باصبعه رافعا بها الى السماء بتشهد الجماع الاعظم مستشهادا له ، لا للقبة  
وان اردتم بالجسم ما يقال : أين هو ؟ فقد سأله اعلم الخلق به بأين ، منبها  
على علوه على عرشه ، وسمع السؤال بأين ، واجاب عنه ، ولم يقل : هذا  
السؤال انما يكون عن الجسم . وان اردتم بالجسم ما يتحققه من ، والى . فقد  
نزل جبريل من عنده ، وعرج برسوله اليه ، واليه يصعد الكلم الطيب .

وعبده المسيح رفع اليه  
وان اردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر . فهو سبحانه موصوف  
بصفات الكمال جميعها ، من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة وهذه

صفات متميزة متغيرة . ومن قال إنها صفة واحدة فهو بالمجازين أشبه منه بالعقلاء . وقد قال أعلم أخلاق به « أَعُوذ بِرَضَاكَ مِنْ سُخْطَكَ ، وَاعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عَقْوبَتِكَ ، وَاعُوذُ بِكَ مِنْكَ » والمستعاذ به غير المستعاذ منه . وأما استعاذه صلى الله عليه وسلم به منه فباعتبارين مختلفين ، فإن الصفة المستعاذ بها والصفة المستعاذ منها صفتان لوصف واحد ورب واحد . فالمستعيذ بأحدى الصفتين من الأخرى مستعيذ بالوصف بها منه  
وان اردتم بالجسم ماله وجه ويدان وسمع وبصر ، فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره ، وغير ذلك من صفاته " التي اطلقها على نفسه

وان اردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويًا على غيره ، فهو سبحانه فوق عباده مستوٍ على عرشه . وكذلك ان اردتم من التشبيه والتركيب بهذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل فنفيكم لها بهذه الالقاب المنكرة خطأ في اللفظ والمعنى ، وجناية على ألفاظ الوحي . اما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك جسمًا مر كيامؤ لفامشبها بغيره ، وتسميتكم هذه الصفات تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً ، فكذلكتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته ألفاظاً منكم بدئت واليكم تعود . وأما خطأكم في المعنى فنفيكم وتعطيكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والألقاب ، فنفيكم المعنى الحق وسميتكم بالاسم المنكر ، وكنتم في ذلك بمنزلة من سمع اذ في العسل شفاء ولم يره ، فسأل عنه ، فقيل له : مائع رقيق أصفر يشبه

العذرة ، تقييؤه الزناير ، ومن لم يعرف العسل ينفر عنه بهذا التعريف ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف عنده الامية له ورغبة فيه . والله در القائل :  
تقول هذا جناء النحل تندحه \* وان شأ قلت ذا في الزناير  
مدحًا وذما وما جاوزت وصفها \* والحق قد يعتريه سوء تعبير  
واشد ما جادل أعداء الرسول في التتفير عنه سوء التعبير عمما جاء به  
وضرب الأمثال القبيحة له ، والتعبير عن تلك المعاني التي لا احسن منها  
بألفاظ منكرة ألقوها في مسامع المفترين المخدوعين ، فوصلت الى قلوبهم  
فنفرت عنه . واكثر العقول كما عهدت يقبل القول بعبارة وبرده بعبارة  
اخري . وكذلك اذا قال الفرعوني : لو كان فوق السموات رب او على  
العرش إله لكان مرکبا . قيل له : لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبته غيره  
في محله كقوله تعالى (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ، رَكَبَكَ) وقولهم : ركبت  
الأخشبة والباب ، وما يركب من الخلط واجزاء بحيث كانت اجزاءه مفرقة  
فاجتمعت وركبت حتى صار شيئا واحدا ، كقولهم ركبت الدواء من  
هذا وكذا

وان اردتم بقولكم : لو كان فوق العرش كان مرکبا ، هذا التركيب  
المعهود او انه كان متفرق ، فاجتمع ، فهو كذب وفريدة وبهت على الله وعلى  
الشرع وعلى العقل

وان اردتم انه لو كان فوق العرش لكان عاليًا على خلقه بائنا منهم  
مستوى على عرشه ليس فوقه شيء ، فهذا المعنى حق ، فكان ذلك قلت : لو كان

فوق العرش لكان فوق العرش ، فنفيت الشيء بتغيير العبارة وقلبها إلى  
عبارة أخرى . وهذا شأنكم في أكثر مطالعكم  
وان اردت بقولك كان مركبا انه يتميز منه شيء عن شيء فقد  
وصفته انت بصفات يتميز بعضها من بعض ، فهل كان عندك هذا تركيبا ؟  
فإن قلت : هذا لا يقال لي وإنما يقال له من اثبت شيئاً من الصفات ، فاما انا  
فلا اثبت له صفة واحدة فرارا من التركيب . قيل لك العقل لم يدل على  
نفي المعنى الذي سميتها انت هر كبا ، وقد دل الوحي والعقل والفتراة على  
ثبوته ، افتنت فيه مجرد تسميت الباطلة ؟ فان التركيب يطلق ويراد به خمسة  
معان (تركيب) الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها  
زائدا على ماهيتها ، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته وجودا مطلقا إنما هو  
في الذهان لا وجود له في الأعيان (الثاني) تركيب الماهية من الذات  
والصفات ، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتا مجردة عن كل وصف ،  
لا يصر ولا يسمع ، ولا يعلم ، ولا يقدر ، ولا يريد ، ولا حياؤله ، ولا مشيئة ،  
ولا صفة أصلا . فكل ذات في المخلوقات خير من هذه الذات . فاستفدت  
بهذا التركيب كفرك بالله وجحدك لذاته ولصفاته وافعاله (الثالث)  
تركيب الماهية الجسمية من الهيولي والصورة كما يقوله الفلاسفة (الرابع)  
التركيب من الجو اهر الفردة كما يقوله كثير من اهل الكلام (الخامس)  
تركيب الماهية من اجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وتركتب . فان اردت  
بقولك لو كان فوق العرش لكان مركبا كما يدعوه الفلاسفة والمتكلمون

(قيل لـ) جهور العقلاء عندـم ان الاجسام المحمدة المخلوقة ليست مركبة  
لا من هذا ولا من هذا . فلو كان فوق العرش جسم مخلوق أو محدث  
لم يلزم ان يكون مركبا بهذا الاعتبار ، فكيف يلزم ذلك في حق خالق  
الفرد والمركب ، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الاشياء  
غير كـها كـاشـاء . ؟ والعقل مـا دل على اثبات آله واحد ورب واحد لا شـريك  
له ولا شـبيـه له لم يـلد ولم يـولد ، لم يـدل على ان ذلك الـرب الـواحد لا اـسـم  
له ، ولا صـفة ، ولا وجـه ، ولا يـدـين ، ولا هو فوق خلقـه ، ولا يـصـعد  
الـيـهـ شـيء ، ولا يـنـزـلـ منهـ شـيء ، فـدعـوىـ ذلكـ عـلـىـ العـقـلـ كـذـبـ صـرـيحـ  
عـلـيـهـ كـاهـيـ كـذـبـ صـرـيحـ عـلـىـ الـوـحـيـ  
وكـذاـكـ قـوـلـهـ نـزـهـهـ عـنـ الجـهـةـ ، انـ اـرـدـتـمـ اـهـ مـنـزـهـ عـنـ جـهـةـ وـجـودـيـةـ  
تحـيطـ بـهـ وـتـحـوـيـهـ وـتـحـصـرـهـ اـحـاطـةـ الـظـرفـ بـالـظـرـفـ فـنـعـمـ ، هـوـ اـعـظـمـ مـنـ  
ذـاكـ واـيـكـرـ وـاعـلـىـ ، واـكـنـ لـاـ يـلـزـمـ مـنـ كـوـنـهـ فـوـقـ عـرـشـهـ هـذـاـ اـعـنـيـ ،  
وانـ اـرـدـتـمـ بـالـجـهـةـ اـمـرـاـ بـوـجـبـ مـبـاـيـنـةـ اـخـالـقـ الـمـخـلـوقـ وـعـلـوـهـ عـلـىـ خـالـقـهـ  
وـاسـتـوـاءـهـ عـلـىـ عـرـشـهـ فـنـفـيـكـ هـذـاـ اـعـنـيـ باـطـلـ ، وـسـمـيـتـهـ جـهـةـ اـصـطـلاحـ  
مـنـكـ توـسـلـتـ بـهـ الـىـ ذـيـ ماـ دـلـ عـلـيـهـ عـقـلـ وـنـقـلـ وـفـطـرـةـ ، وـسـمـيـتـ مـاـ فـوـقـ  
الـعـالـمـ جـهـةـ وـقـلـمـ مـنـزـهـ عـنـ الجـهـاتـ ، وـسـمـيـتـ عـرـشـ حـيـزاـ وـقـلـمـ لـيـسـ بـعـتـحـيزـ  
وـسـمـيـتـ الصـفـاتـ اـعـرـاضـاـ وـقـلـمـ الـرـبـ مـنـزـهـ عـنـ قـيـامـ الـاعـرـاضـ بـهـ ، وـسـمـيـتـ  
حـكـمـتـهـ غـرـضاـ وـقـلـمـ مـنـزـهـ عـنـ الـاـغـرـاضـ ، وـسـمـيـتـ كـلـامـهـ بـمـشـيـتـهـ ، وـنـزـولـهـ الـىـ  
سـماءـ الـدـنـيـاـ وـمـجـيـئـهـ بـوـمـ الـقـيـمةـ لـفـصـلـ الـقـضـاءـ وـمـشـيـتـهـ وـارـادـهـ الـقـارـةـ لـمـرـادـهـ

وادرأ كه المقارن لوجود المدرك ، وغضبه اذا عصي ، ورضاه اذا اطاع  
وفرجه اذا تاب اليه العباد ، ونداه لموسى حين اتى الشجرة ونداه للابوين  
حين اكلا من الشجرة ، نداء لعباده يوم القيمة ، ومحبته ملئ كان يبغضه  
حال كفره ثم صار يحبه بعدها مانه ، وربوبيته التي هو بها كل يوم في شأن .  
حوادث ، وقلّم هو منزه عن حلول الحوادث ، وحقيقة هذا التنزيه انه منزه  
عن الوجود وعن الروبيه وعن الملك وعن كونه فعالا لما يريد ، بل عن الحياة  
والقيومية . فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاية بقولهم : ليس بجسم ولا  
جوهر ولا مركب ، ولا تقويم بالاعراض ، ولا يوصف بالاعراض ، ولا يفعل  
بالاغراض ، ولا تحمله الحوادث ، ولا تحيط به الجهات ، ولا يقال في حقه اين  
وليس بتحيز ، كيف كسو احقائق اسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستواه  
على عرشه وتکاليمه خلقه ورؤیتهم له بالابصار في دار كرامته هذه  
الافاظ ، ثم توسلوا الى نفیها بواسطتها ، وكفر واوضوا وامن اثباتها ، واستحلوا  
منه مالم يستحلوه من اعداء الله من اليهود والنصارى . فالى الله الموعد  
والى المحتاج ، والى التحاكم ، وبين يديه التخاصم .

**نحو** وايام نوت ولا \* افتح يوم الحساب من ندما

### فصل

ومن ذلك لفظ العدل جعلته القدرة اسم لا انكار قدرة الرب على  
افعال العباد وخلقهم لها ومشيئته ، جعلوا اخراجها عن قدرته ومشيئته هو  
العدل وجعل سلفهم اخراجها عن تقدم عame وكتابته من العدل وسموا

انفسهم بالعدلية وعمدوا الى اثبات عموم قدرته على كل شيء من الاعيان والافعال  
وخلقها لكل شيء وشمول مشيئته ، فسموه جبرا ، ثم نفوا هذا المعنى  
الصحيح وعبروا عنه بهذا الاسم ، ثم سموا انفسهم اهل العدل وسموا من  
أثبت صفات الرب وأثبتت قدره وقضاءه أهل التشبيه والحيز . وكذلك  
قول الرافضة سموا موالة الصحابة نصبا ومعاداتهم موالة لاهل بيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك المرجئة سموا من قال في الاعيان  
بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال : إن المؤمن انشاء الله — شاكا .  
وهذا شأن كل مبطل ومبتدع يلقب الحق واهله بالألقاب الشنيعة  
المنفرة . فإذا أطلقوا لفظ الجسم صوروا في ذهن السامع خشبة من الخشب  
الكثيف ، أو بدناله حامل يحمله . وإذا قلوا مركب صوروا في ذهنه  
أجزاء متفرقة فركبها ، وهذا حقيقة المركب لغة وعرفا . وإذا قلوا : يلزم  
أن تحمله الحوادث صوروا في ذهنه ذاتاً تنزل بها الاعراض النازلة بالمخلوقين  
كما مثل النبي صلى الله عليه وسلم لابن آدم امله واجله والاعراض الى جانبه  
ان أخطأه هذا اصابه هذا . وإذا قلوا يقولون بالحيز والجهة صوروا في  
الذهن موجوداً محصوراً بالاحياز . وإذا قلوا لزم الحيز ، صوروا في  
الذهن قادرًا ظلماً يجبر الاخلاق على مالا يريدون ويعاقبهم على مالا يفعلون  
وإذا قلوا حشوية ، صوروا في ذهن السامع انهم حشووا في الدين ما ليس  
منه ، فتنفر القلوب من هذه الالقاب . ولو ذكروا حقيقة قولهم لما قبلت  
القلوب السليمة . والفتر المستقيمة سواه . فكيف يترك الحق لاسماء سموها

م واسلافهم ما انزل الله به من سلطان ، والقاب وضعوها من تلقاء أنفسهم  
لم يأت بها سنة ولا قرآن . وشبهات قدفت بها قلوب ما استنارت بنور الوحي  
ولا خالطها بشاشة الإيمان . وخيانات هي بتخييلات المرورين وأصحاب  
الهوس اشبه منها بقضاء العقل والبرهان ، ووهنيات نسبتها إلى العقل الصحيح  
كنسبة السراب في الأ بصار في القيعان . والفاظ بخلة ومعان مشتبه قد  
لبس فيها الحق بالباطل فصار ذا خفاء وكتمان . فدعونا من هذه الدعاوى  
الباطلة التي لا تقيد إلا اتعاب الإنسان . وكثرة المذيان . وحاجتنا إلى  
الوحي والقرآن . لا إلى منطق يونان . ولا إلى قول فلان ورأي فلان .  
فهذا كتاب الله ليس فوق شأنه مرتبة في البيان . وهذه سنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مطابقة له أعظم من مطابقة البيان للسان . وهذه أقوال  
أعقل الامم بعده والتبعين لهم بمحسان . لا يختلف منهم في هذا الباب  
اثنان . ولا يوجد عنهم فيه قولان متنافيان . بل قد تباعوا كلام على  
اثبات الصفات وعلو الله على خلقه واستوانه على عرشه واثبات تكلمه  
وتتكلمه وسائل ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم  
كتتابع الاسنان . وقلوا للأمة هذا عهد نبينا علينا وعدنا اليكم والى من  
بعدكم الى آخر الزمان . وهذا هو الذي نادى به المنادي وأذن على رؤس  
الملا في السر والاعلان . في على الصلاة وراء هذا الامام بأهل الإيمان  
وحي على الفلاح بمتابعته يا أهل القرآن . والصلاحة خير من النوم في ظلمة  
ليل الشكوك والافك والكفران . فلا تصح القدوة عن اقر على

نفسه وصدقه المؤمنون بأنه تأله في يداء الآراء والمذاهب حيران . وانه لم يصل الى اليقين بشيء منها لاهو ولا من قبله على تطاول الزمان . وان غاية ما وصلوا اليه الشك والتشكيك ولقلقة الانسان . فاتحدهم وسلام على عباده الذين اصطفى وخصهم بكمال العقول وصحمة الفطرة ونور البرهان . وجعلهم هداة مهتدين مستبصرين مبصرین أئمه للمتقين بهدون بأمره ويبصرون بنوره ويدعون الى داره ويجادلون كل مفتني فتان . في على خير العمل بتتابعه المبعوث بالفرنان . وتحكيمه وتلقي حكمه بالتسليم والقبول والاذعان ومقابلة ما خالف حكمه بالانكار والرد والهوان . ومطاعنة المعارضين له بعقوتهم بالسيف والسنان . والا بالعلم والانسان . فالعقل السليمة والفطر المستقيمة لنصوص الوحي يسجدان . ويصدقان بما شهدت به ولا يكذبان ويقران ان لها عليها اعظم السلطان . وانها انت خرجا عنها غالبا ولا ينتصران . والله المستعان . وعليه التكالذن

السابع والعشرون : أن المعارضة بين العقل ونصوص الوحي لا تتأتى على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبوة حقا . ولا على اصول احد من اهل الملل المصدقين بحقيقة النبوة ، ليست هذه المعارضة من الاعياد بالنبوة في شيء ، وانما تتأتى هذه المعارضة من يقر بالنبوة على قواعد الفلسفة ويجرها على اوضاعهم ، وأن الاعيان بالنبوة عندهم والاعتراف بموجود حليم له طالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون متبعا ، فإذا أخبرتم بحال تدركه عقوتهم عارضوا خبره بعقوتهم وقد موها على خبره

هؤلاء الذين عارضوا بين العقل ونصوص الانبياء ، فعارضوا نصوص الانبياء في باب الاعيـان بالـدومـلائـكـتهـ وكتـبـهـ ورـسـلـهـ والـيـوـمـ الـاـخـرـ فيـ هـذـهـ الـاـصـوـلـ الـخـمـسـةـ بـعـقـولـهـمـ ، فـلـمـ يـصـدـقـواـ بشـيـءـ مـنـهـاـ عـلـىـ طـرـيـقـةـ الرـسـلـ .ـ ثـمـ سـرـتـ مـعـارـضـهـمـ فـيـ الـمـنـتـسـبـيـنـ إـلـىـ الرـسـلـ ، فـتـقـاسـمـوـهـمـ تـقـاسـمـ الـورـاثـ اـتـرـكـةـ مـوـرـثـهـمـ ، فـكـلـ طـائـفـةـ كـانـتـ نـصـوـصـ الـوـحـيـ عـلـىـ خـلـافـ مـذـهـبـهـمـ جـئـواـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـعـارـضـةـ .ـ وـمـعـلـوـمـ أـنـ هـذـاـ يـنـاقـضـ الـإـيمـانـ بـالـنـبـوـةـ ، وـإـنـ تـنـاقـضـ الـقـاتـلـ بـهـ فـغـايـتـهـ أـنـ يـشـتـتـ كـوـنـ النـبـيـ رـسـوـلـاـ فـيـ الـعـمـلـيـاتـ لـاـ فـيـ الـعـلـمـيـاتـ أـوـ فـيـ بـعـضـ الـعـلـمـيـاتـ الـتـيـ اـخـبـرـ بـهـاـ دـوـنـ بـعـضـ .ـ وـهـذـاـ اـسـوـءـ حـالـاـ مـنـ جـعـلـهـ رـسـوـلـاـ إـلـىـ بـعـضـ النـاسـ دـوـنـ بـعـضـ .ـ فـإـنـ الـقـاتـلـ بـهـذـاـ يـجـعـلـهـ رـسـوـلـاـ فـيـ الـعـلـمـيـاتـ وـالـعـمـلـيـاتـ وـلـاـ يـعـارـضـ بـيـنـ خـبـرـهـ وـبـيـنـ الـعـقـلـ ، وـإـنـ تـنـاقـضـ جـحـدـهـ عـمـومـ رسـالـتـهـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ كـلـ مـكـلـفـ .ـ فـهـذـاـ جـحـدـ عـمـومـ رسـالـتـهـ إـلـىـ المـدـعـوـنـ وـذـاكـ جـحـدـ عـمـومـ رسـالـتـهـ فـيـ المـدـعـوـ إـلـيـهـ الـخـبـرـ بـهـ ، وـلـمـ يـؤـمـنـ فـيـ الـحـقـيقـةـ بـرسـالـتـهـ لـاـ هـذـاـ وـلـاـ هـذـاـ .ـ فـإـنـ يـقـالـ هـذـاـ :ـ إـنـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ إـلـىـ هـؤـلـاءـ حـقـاـ فـهـوـ رـسـوـلـهـ إـلـىـ الـآـخـرـينـ قـطـعاـ ،ـ لـأـنـهـ أـخـبـرـ بـذـاكـ .ـ وـمـنـ ضـرـورةـ تـصـدـيقـهـ الـإـيمـانـ بـعـمـومـ رسـالـتـهـ .ـ وـيـقـالـ لـلـآـخـرـ :ـ إـنـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ فـيـ الـعـمـلـيـاتـ وـأـنـهـ حـقـ منـ عـنـدـ اللهـ فـهـوـ رـسـوـلـهـ فـيـ الـعـلـمـيـاتـ ،ـ فـإـنـهـ أـخـبـرـ عـنـهـ بـهـذـاـ وـهـذـاـ

بـالـثـامـنـ وـالـعـشـرونـ :ـ وـهـوـ أـنـكـ إـذـ جـعـلـتـ الـعـقـلـ مـيزـانـاـ وـوـضـعـتـ فـيـ اـحـدـىـ كـفـتـيـهـ كـثـيرـاـ مـنـ الـأـمـوـرـ الـمـشـاهـدـةـ الـمـحـسـوـسـةـ الـتـيـ يـنـاـلـهـاـ الـعـيـانـ ،ـ

ووُضعت في الكفة الأخرى الأمور التي أخبرت بها الرسُل عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسُلِه واليوم الآخر وجدت ترجيحه لهذه الكفة فوق ترجيحه التي قبلها وتصديقه بها أقوى ، ولو لا الحس والمشاهدة يمنعه من انكار ذلك لأنكره . وهذه دعوى نعلم أنك تعجب من يدعىها وتتساءل إلى المجازفة وقلة التحصيل . ولعمَّ الله إن مدعيها ليعجب من انكار لثها ووقفك فيها بعد البيان

فنقول ، وبالله التوفيق : انسِب إلى العقل ، حيوان يرى ويسمع ومحس ويتكلم ويعمل ، فغشيه أمر القاه كأنه خشبة لاروح فيها ، وزال احساسه وادراكه وتواري عنه سمعه وبصره وعقله ، بحيث لا يعلم شيئاً فأدرك في هذه الحالة من العلوم العجيبة والأمور الغائبة مالم يدركه حال حضور ذهنه واجتماع حواسه ووفر عقله ، وعلم من أمور الغيب المستقبلة مالم يكن له دليل ولا طريق إلى العلم به . وانسب إليه أيضاً : حيوان خرج من أحليه بجهة ماء مستحيلاً عن حصول الطعام والشراب كالخطة ، فامتزجت بيتهما في مكان ضيق فأقامت هناك برهة من الدهر ، فانقلبت دماً قد تغير لونها وشكلها وصفاتها ، فاقامت كذلك مدة ، ثم انقلبت بعد ذلك قطعة لحم ، فاقامت كذلك مدة ، ثم انقلبت عظاماً واعصاماً وعروقاً واظفاراً مختلفة الأشكال والأوضاع ، وهي جاد لا احساس بها ، ثم عادت حيواناً يتحرك ويتجدد ويتنقل . ثم أقام ذلك الحيوان في مكان لا يجد فيه منفساً وهو داخل أوعية بعضها فوق بعض . ثم انفتح له باب يضيق

عنه مساك الذكر لا يسلكه الا بضفخته ، فوسع له ذلك الباب حتى خرج منه . وانسب اليه أيضاً : بقدر الحبة ترسله في مدينة عظيمة من اعظم المدن في كل المدينة وكل من فيها ثم يقبل على نفسه فيأكلها ، وهو النار . وانسب اليه شيئاً بقدر بزر اخششاش يحمله الانسان بين ثيابه مدة فينقلب حيواناً يتغذى بورق الشجر برهة ، ثم انه يبني على نفسه قبباً مختلفاً الالوان من ايض واصفر واحمر بناء محكماً متقدناً ، فيقيم في ذلك البناء مدة من الزمان لا يتغذى بشيء أبنته . فينقلب في القبة طائراً له اجنحة يطير بها بعد ان كان دوداً يتشي على بطنه فيفتح عن نفسه باب القبة . وذلك دود القز . الى اضعاف اضعف ما ذكرناه ، مما يشاهد بالعيان ، مما لو حكي لمن لم يره لعجب من عقل من حكااه له وقال : وهل يصدق بهذا عاقل ، وضرورة العقل تدفع هذا ، واقام الادلة العقلية على استحالته فقال : في النائم مثلاً : القوى الحساسة سبب الادراك للأمور الوجودية وآلة لها . فـ لم يدرك الاشياء مع وجودها واستجوابها ووفورها فـ لأن يتغذر عليه عدم ادراها مع عدمها وبطalan افعالها أولى واحرى . وهذا قياس انت تتجده اقوى من الاقيسة التي يعارض بها خبر الانبياء ، والحس والعيان يدفعه ، ومن له خبرة بمداد الادلة وترتيب مقدماتها وله ادنى بيان يمكنه أن ينظم أدلة عقلية على استحالاته كثير من الامور المشاهدة المحسوسة ، وتكون مقدمات تلك الادلة من جنس مقدمات الادلة التي تعارض بها النصوص او اصح منها

والنسب الى العقل : وجود ما اخبرت به الرسول عن الله وصفاته وافعاله وملائكته واليوم الآخر وثبت هذه الامور التي ذكرنا الي سير منها ، ومالم نذكره ولم يخطر لنا ببال اعجب من ذلك بكثير ، تجد تصديق العقل بما اخبرت به الرسول اقرب اليه من تصديق بهذه الامور ، ولو لا المشاهدة لكتابها . فيا الله العجب ، كيف يستجيب العقل لتكذيب ما أخبرت به الرسول بعد ان سمع ورأى وعاين ما لولا الحس لأنكره غاية الانكار ؟ ومن هنا قال من صح عقله واعيائه : ان نسبة العقل الى الوحي اقل وادق بكثير من نسبة مباديء التمييز الى العقل

الناسع والعشرون : أن هؤلاء المعارضين بين العقل والوحي لا يمكنهم اثبات الصانع ، بل يلزم من قولهم نفيه بالكلية لزوماً يتنا ولأن العالم مخلوق له ولا يمكنهم اقامة دليل على استحالة إلهين ، ولا إقامة دليل واحد على استحالة كون الصانع جسماً ، ولا اثبات كونه عالماً ولا قادرًا ، ولا ربا . ونقتصر من هذه الجملة على بيان عجزهم عن اثبات وجوده سبحانه وتعالى ، فضلاً عن تنزيهه عن صفات كالله فنقول :

المعارض بين العقل والنقل في الاصل هم الزنادقة المنكرون للنبوة وحدوث العالم والمعاد ، ووافقهم في هذا الاصل الجهمية المعطلة لصفات رب تعالى وافعاله ، والطائفتان لم تثبتا لعالم صانعاً أبلة . فان الصانع الذي اثبتوه وجوده مستحييل فضلاً عن كونه واجب الوجود قديماً . اما الزنادقة الفلاسفة فانهم اثبتوا لعالم صانعاً لفظاً لامعنى ، ثم لبسوا على الناس

وقالوا ان العالم صنعه و فعله و خلقه ، وهو في الحقيقة عندم غير مصنوع ولا مخلوق ولا مفعول ، ولا يمكن على اصلهم ان يكون العالم مخلوقا ولا مفعولا . قال ابو حامد : وذاك ثلاثة اوجه ، وجه في الفاعل ، وجه في الفعل ، وجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل . أما الذي في الفاعل فهو أنه لا بد ان يكون مريرا مختارا عالما بغير يده حين يكون فاعلا لما يريده ، والله تعالى عندم ليس مريدا ، بل لا صنعته اصلا ، وما يصدر عنه فيلزم لزوما ضروريا . والثاني ان العالم قديم عندم والفعل هو الحادث . والثالث أن الله تعالى واحد من كل وجه والواحد عندم لا يصدر عنه الا واحد ، والعالم مركب من مخلفات ، فكيف يصدر عنه ؟

قال : ولنتحقق وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع حاظهم في دفعه فنقول : الفاعل عبارة عمما يصدر عن الفعل مع الارادة للفعل على سبيل الاختيار ، مع العلم بالمراد . وعندم ان العالم مع الله كالعامل مع العلة ، يلزم لزوما ضروريا لا يتصور مع الله تعالى دفعه ، لزوم الظل لاشخص والنور لأشمس . وليس هذا من الفعل في شيء . بل من قال إن السراج يفعل الضوء والشخص يفعل الظل فقد جاوز وتوسع في التجاوز توسع اخارجا عن الحد ، واستعار اللفظ واكتفى بوقوع المشارك بين المستعار منه في وصف واحد ، وهو ان الفاعل سبب على الجملة والسراج سبب للضوء والشمس سبب للنور ، والفاعل لم يسم فاعلا صانعا بمجرد كونه سببا ، بل لكونه سببا على وجه الارادة والاختيار ، حتى لو قال قائل : الجدار

ليس بفاعل ، والحجر ليس بفاعل ، واجتاد ليس بفاعل ، وإنما الفعل  
للحيوان ، لم يذكر ذلك عليه ولم يكن قوله كذبا . والحجر فعل عندئم ، وهو  
الهوي إلى أسفل والميل إلى المركز ، كما أن للنار فعلا ، وهو التسخين ،  
والحائط فعلا وهو الميل إلى المركز ووقوع الظل ، لأن ذلك صادر عنه ،  
وهذا حال

قال ، فان قيل : كل موجود ليس بواجب الوجود لذاته بل هو موجود بغيره ، فانا نسمى ذاك الشيًّ مفعولاً ، ونسمى سببه فعلاً ولا نبالي ، كان المسبب فاعلاً بالطبع او بالارادة ، كما انكم لا تبالون إن كان فاعلاً بالآلة او بغير آلة ، بل الفعل جنس ينقسم الى ما يقع بالآلة وإلى ما يقع بغير آلة ، وكذلك هو جنس ينقسم الى ما يقع بالطبع والى ما يقع بالاختيار ، بدليل انما لو قلنا فعل بالطبع لم يكن قولهنا فعل بالطبع ضدًا لقولنا فعلاً ، ولا رفعًا له ، ولا تقضًا له ، بل كان بيانًا لنوع الفعل ، كما إذا قلنا : فعل مباشر بغير آلة لم يكن تقضًا ، بل كان تنويًا وبيانًا ، وإذا قلنا فعل بالاختيار لم يكن تكرارا بل كان بيانًا لنوع الفعل ، كقولنا : فعل بالآلة ، ولو كان قولهنا فعل يتضمن الارادة وكانت الارادة ثابتة للفعل من حيث انه فعل اسكنان قولهنا فعل بالطبع متناقضًا ، كقولنا فعل وما فعل . قلنا : هذه التسمية فاسدة ، فلا يجوز ان يسمى كل سبب باي فعل كان فاعلاً ولا كل سبب مفعولاً . ولو كان ذاك ماصح أن يقال : الجاد لا فعل له ، وإنما الفعل للحيوان ، وهذه من الكلمات المشهورة

الصادقة ، فإن سبي الجماد فاعلا فبالاستعارة كايسى طالبا مريدا على سبيل  
المجاز . ويقال : الحجر يهوى ، لأن يزيد المركزو يطبه ، والطاب والارادة  
هنا حقيقة ، لأنه لا يتصور إلا مع العلم بالمراد المطلوب فلا يتصور  
الامن الحيوان

واما قولكم : ان قولنا فعل عام وبنقسم الى ما هو بالطبع والى ما  
هو بالارادة غير مسلم ، وهو كقول القائل : قولنا اراد عام ، وينقسم  
الى من يريد مع العلم بالمراد ، والى من يريد ولا يعلم ما يريد ، وهو  
فاسد ، إذ الارادة تتضمن العلم بالضرورة . وكذلك الفعل يتضمن الارادة  
بالضرورة

واما قولكم : ان قولنا فعل بالطبع ليس بنقض للاول فليس كذلك  
فأنه نقض له من حيث الحقيقة ، ولكنه لا يسبق الى الفهم التناقض  
ولا يستد نفور الطبع عنه . فإنه لما ان كان سببا موجبا والفاعل ايضا  
سبباً سبي فعلا مجازا ، وإذا قال فعل بالاختيار فهو تكرر على التحقيق .  
كقوله : اراد ، وهو عالم بما اراد الا أنه لما تصور أن يقال : فعل وهو  
مجاز ، ويقال : فعل وهو حقيقة لن تنفر النفس عن قوله : فعل بالاختيار .  
وكان معناه فعل فعلا حقيقة لا مجازيا . كقول القائل : تكلم بسانده ،  
ونظر بعينه ، فإنه لما جاز ان يستعمل النظر في القلب مجازا والكلام في  
تحريك الرأس واليد مجازا لم يستقبح ان يقال : قال بسانده ونظر بعينه ،  
ويكون معناه نق احتمال المجاز . فهذه مزلة القدم

(فإن قيل) فتسمية الفاعل فاعلا إنما يعرف من اللغة والا فقد ظهر في العقل ان ما يكون سببا لشيء ينقسم الى ما يكون مربدا والى مالا يكون ، فوقع النزاع في ان اسم الفاعل يقع على كل من القسمين حقيقة ام لا ، اذ العرب تقول : النار محرق ، والثاج يبرد ، والسيف يقطع ، والخبز يشبع ، والماء يروي ، وقولنا يقطع معناه يفعل القطع ، وقولنا يحرق معناه يفعل الاحتراق . فإن قلتم : ان ذلك مجاز فانتم متتحكمون (قال : والجواب ) ان ذلك طريق ، وإنما الفعل الحقيقي ما يكون بالارادة ، والدليل عليه ان لو فرضنا حادثاً توقف حصوله على امر من احدهما ارادى والاخر غير ارادى أضاف العقل الفعل الى الارادى ، فكذا اللغة ، فإن من ألقى انسانا في نار فات يقال هو القاتل دون النار حتى اذا قيل ما قتله الا فلان كان صدقا ، واذا كان اسم الفاعل المريد وغير المريد على وجه واحد لا بضربيك كون احدهما اصلا والاخر مستعارا فلم ينضف القتل الى المريد لغة وعرفا وعقلا مع ان النار هي العلة القريبة في العقل ، وكان المأني لم يتعاط الا الجمجم يبنه وبين النار ، ولكن لما كان الجمجم بالارادة وتأثير النار بغير ارادة سمي قاتلا ولم تسم النار قاتلة الا يعني الاستعارة ، فعلم ان الفاعل من يصدر الفعل عن ارادته . واذا لم يكن الله مربدا عندهم ولا مختارا للفعل لم يكن صانعا ولا فاعلا الا مجازا (فإن قيل) نحن نعني بكون الله فاعلا انه سبب لوجود كل موجود سواء وان العالم قوامه به ولو لا وجود الباري لما تصور وجود العالم ، ولو

قدر عدم الباري لا نعدم العالم كالو قدر عدم الشمس لا نعدم الضوء .  
 فهذا ما نعنيه بكونه فاعلا . فان كان الخصم يأبى ان يسمى هذا المعنى فاعلا  
 فلا مشاحة في الاسامي بعد ظهور المعنى (قلنا) غررضنا ان نبين ان هذا  
 المعنى لا يسمى فعلا وصنعا ، وانما المعنى بالفعل والصنع ما يصدر عن  
 الارادة حقيقة . وقد نقييم حقيقة معنى الفعل ونطقهم بلفظه تجحلا  
 بالاسلام ، ولا يتم الدين باطلاق الالفاظ دون المعنى ، فصرحوا بان الله  
 لا فعل له حتى يتضح ان معتقدكم مخالف لاذهب المسلمين ، ولا تلبسو  
 بقولكم ان الله صانع العالم ، فان هذه لفظة اطلقتموها ونقييم حقيقتها .  
 ومقصود هذه المسألة الكشف عن هذا التلبيس فقط . ثم ساق الكلام - الى  
 ان قال : ان **أصو لهم** التي عارضوا ابها الوحي تبني وجود الصانع فضلا عن كونه  
 صانعا للعالم بل تجعله ممتنع الوجود فضلا عن كونه واجب الوجود ، لأن  
 الصفات التي وصفوه بها صفات معدوم ممتنعة في العقل والخارج ، فالعقل  
 لا يتصوره الا على سبيل الفرض الممتنع كا انفرض المستحييلات ، ولا يمكن  
 في الخارج وجوده ، فان ذاتاهي وجود مطلق لاماهية لها سوى الوجود  
 المطلق المجرد عن كل ماهية ولا صفة لها أبنته ، ولا فيها معنيان متغيران  
 في المفهوم ولا هي هذا العالم ، ولا صفة من صفاته ، ولا دخلة فيه ، ولا  
 خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، ولا محايبة له ، ولا مباینة  
 ولا فوقه . ولا تحته . ولا عن يمينه . ولا يساره ، ولا لزوى . ولا يمكن ،  
 ان ترى . ولا تدرك شيئاً . ولا تدرك هي بشيء من الحواس . ولا

متحركة . ولا ساكنة . ولا توصف بغير السلوب والاضفاف العدمية  
ولاتنعت بشيء من الامور الثبوتية ، هي بامتناع الوجود احق منها  
بامكان الوجود ، فضلا عن وجوده ، وتكليف العقل الاعتراف بوجود  
هذه الذات ووجوبها كتكليفه الجمع بين النقيضين . ومعולם ان مثل  
هذه الذات لا تصالح لفعل ولا ربوبية ولا إلهية . فأي ذات فرضت  
في الوجود فهي بكل منها فالذى جعلوه واجب الوجود هو اعظم  
استحاللة من كل ما يقدر مستحيلا . فلا يكثر بعد هذا عليهم  
انكارهم لصفاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعيه وبصره . ولا انكارهم  
لكلامه وتكليمه . فضلا عن استواه على عرشه ونزوله الى سماء  
الدنيا ، ومحبيه ، وآياته ، وفرجه ، وحبه ، وغضبه ، ورضاه ، فمن  
هدم قواعد البيت من اصلها كان عليه هدم السقف والجدران  
اهون . ولهذا كان حقيقة قول هؤلاء القول بالدهر وانكار الخالق  
بالكلية وقولهم ( مَا هِيَ إِلَّا حِيَاتُنَا الدُّنْيَا تَوْتُ وَتَنْحِيَّا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا  
الدَّهْرُ ) وإنما صانعوا المسلمين بالفاظ لا حقيقة لها ، واشتق اخوانهم  
الجهمية النفي والتعطيل من اصولهم ، فسدوا على أنفسهم طريق العلم  
باتيات الخالق وتوحيده بشاركتهم لهم في الاصل المذكور ، وان بابنوم  
في بعض لوازمهم ، كاتباتهم كون الرب تعالى قادر امر بـ فاعلا بالاختيار  
واثباتهم معاد الابدان ، والنبوة ، ولكن لم يثبتوا ذلك على الوجه  
الذى جاءت به الرسل ولا نفوه نفي اخوانهم الملاحدة ، بل اشتقوا

مذهبها بين المذهبين ، وسلكوا طريقاً بين الطريقين ، لا للملائحة فيه  
 وافقوا ، ولا للرسل اتبعوا . ولهذا عظمت بهم البالية على الاسلام وأهله  
 بابتسابهم اليه وظهورهم في مظاهر ينصرون به الاسلام ، فلا للإسلام  
 نصروا ولا لاعدائه كسروا ، فرقة يقولون : هي أدلة لفظية معزولة عن  
 افاده العلم واليقين ، ومرة يقولون هي مجازات واستعارات لا حقيقة لها  
 عند المارفين ، ومرة يقولون لا سبيل الى تحكيمها ، ولا التفاتات اليها .  
 وقد عارضها العقل وقواطع البراهين . ومرة يقولون اخبار آحاد فلا يحتاج  
 بها في المسائل القطعية التي يطلب منها اليقين . فارضيت بذلك اخوانكم  
 من الملائحة اعداء الدين . فهذه ثمرة عقولكم وحاصل عقولكم  
 فعلى عقولكم العفاء فانكم عادتكم العقول والمنقولا  
 وطلبتكم امراً محالاً ، وهو ادراك المهدى لا تتبعون رسولاً  
 وزعمتم ان العقول كفيلة بالحق ، اين العقل كان كفيلاً  
 وهو الذي يقضى فينقض حكمه عقل ترون كليعاً معقولاً  
 وتراء يجزم بالقضاء وبعد ذا يلقي لديه باطلاً معاولاً  
 لا يستقل العقل دون هداية بالوحى تصيلاً ولا تفصيلاً  
 كالطرف دون النور ليس بدرك حتى رأه بكرة واصيلاً  
 فاذا ظلام تلاطمته امواجه ولمعت بالابصار كنت محياً  
 واذا النبوة لم ينلك ضياؤها فالعقل لا يهديك قط سبيلاً  
 نور النبوة مثل نور الشمس لا عين بصيرة فانحذه دليلاً

طرق الهدى مسدودة الا على من ألم هدا الوحي والتزيلا  
فإذا عدلت عن الطريق عمدا فاعلم بذلك ما اردت وصولا  
يا طالباً درك الهدى بالعقل دون النقل لن تلقى لذلك دليلا  
كم رام قبلك ذلك من متلدد<sup>(١)</sup> حيران عاش مدى الزمان جهولا  
ما زالت الشبهات تغزو قلبك حتى تشحط ينهم فتيلا  
فتراه بالكلى والجزئي والذائني طول زمانه مشغولا  
فإذا أتاك الوحي لم يأبه له ويقوم بين يدي عدائه مثيلا  
ويقول تلك أدلة لفظية معزولة عن أن تكون دليلا  
وإذا تم عليه قال لها اذهب، نحو الجسم أو خذى التأويلا  
وإذا ابت إلا النزول عليه كان لها القرى التحرير والتبييلا  
فيجعل بالاعداء ما تلقاه من كيد يكون لحقها تعطيلا  
واضرب لهم مثلاً بعميان خلوا في ظلمة لا يهتدون سبيلا  
فتتصادموا باكفهم وعصيمهم ضرباً يدير رحي القتال طويلا  
حتى إذا ملوا القتال رأيتهم مشجوجاً ومبعوجاً أو مقتولا  
وتسامع العميان حتى أقبلوا للصلح فازداد الصياح عويلا  
يوضحه: الوجه الثالثون، وهو ان الطرق التي سلكها هؤلاء المعارضون  
بين الوحي والعقل في إثبات الصانع هي بعينها تبني وجوده لزوماً، فان  
المعارضين صنفان: الفلسفه والجمعيه، اما الفلسفه فاثبتو الصانع

(١) متلدد: تغير، وتلفت في المكان عيناً وشمالاً: والآدد الخصومة الشديدة

بطرق التركيب وهو ان الاجسام مركبة ، والمركب يفتقر الى اجزائه وكل مفتقر ممكن ، والممكן لا بد له من وجود واجب . ويستحيل الكثرة في ذات الواجب بوجه من الوجوه . اذ يلزم تركيبه وافتقاره . وذاك ينافي وجوبه . وهذا هو غاية توحيدهم . وبها ينبعوا الخالق على زعمهم . ومعهم ان هذا من اعظم الادلة على نفي الخالق ، فانه ينفي قدرته ومشيئته وعلمه وحياته ، اذ لو ثبت له هذه الصفات بزعمهم لكان مركبا ، والمركب مفتقر الى غيره ، فلا يكون واجبا بنفسه . وفي هذه الشبهة من التلبيس والتلبيس واللفاظ الجملة والمعنى المشتبه ما يطول وصفه . وقد اتى به لافسادها جنود الاسلام على اختلاف مذاهبهم ، فان المركب لفظ محمل برادبه ماركته غيره ، وما كان متفرقا فاجتمع اجزاءه ، وما يمكن تفريق بعضه عن بعض . والله تعالى منزه عن هذه انوار تركيب ، ويراد به في اصطلاح هؤلاء ماله ماهية خاصة يتميز بها عن سائر الماهيات ، وماله ذات وصفات بحيث يتميز بعض صفاتيه عن بعض ، وهذا ثابت للرب تعالى . وانما سماه هؤلاء تركيبا على ما تقدم . وكذلك لفظ الافتقار لفظ محمل براد به فقر الماهية الى موجود غيرها يتحقق وجودها به ، والله سبحانه غني عن هذا الافتقار . ويراد به ان الماهية مفتقرة في ذاتها ولا قوام لذاتها الا بذاتها وان الصفة لا تقوم بنفسها وانما تقوم بال موضوع . وهذا المعنى حق وان سماه هؤلاء الملبوسون فقرا . وكذلك لفظ الغير فيه اجمال ، براد بالغيرين ما جاز العلم باحدها دون الآخر ، وهذا المعنى حق في ذاته سبحانه

وصفاته وان سمها هؤلاء اغيارا ، فان المخلوق يعلم من الخالق صفة دون صفة . وقد قال اعلم الخلق به « لا احصي ثناء عليك انت كما ائنست على نفسك » وهذا لکثرة اسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله . وقال « اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقوبتك » والمستعاذ به غير المستعاذ منه . والقصد ان تسمية هذا تركيبا وافتقاراً وغيرأ وضع وضعه هؤلاء ، وليس الشأن في الالفاظ انما الشأن في المعاني

وقولهم : انه مفتقر الى جزئه تابيس ، فان القديم الوصوف بالصفات الالازمة لم يمتنع ان تفارق صفاتة وليست له حقيقة غير الذات الموصوفة حتى يقال ان تلك الحقيقة مفتقرة الى غيرها وان سميت تلك الصفة غيرا ، فالذات وصفات متلازمان لا يوجد احدها الا مع الآخر . وهذا الالتزام يقتضي حاجة الذات والصفات الى موجود او جده او فاعل فعلها ، والواجب بنفسه يمتنع ان يكون مفتقر الى ما هو خارج عن نفسه ، فاما ان لا يكون له صفة ولا ذات ولا يتميز منه امر عن امر ، فلا يلزم من وجوبه وكونه غنيا بنفسه عن كل ما سواه . فقول الملائكة انه مفتقر الى ذلك كقوله لو كان له ماهية لكان مفتقر الى ماهيته . والله تعالى اسم للذات المتصفه بكمال العلم والقدرة والحياة والمشيئة وسائر صفات الكمال ، ليس اسم لذات مجرد عن الاوصاف والنعوت ، فكل ذات اكمل من هذه الذات .

تعالى الله عن قول الماحدين في اسمائه وصفاته علوا كبيرا .

والقصد ان الطريق التي سلكها هؤلاء في اثبات الصانع هي اعظم

الطرق في نفيه وانكار وجوده ، ولذلك كان سالكوه لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسالته ولا باليوم الآخر وان صانع من صانع  
منهم اهل الملل بالفاظ لا حاصل لها

### فصل

واما المتكلمون فلما رأوا بطلان هذه الطريق عدلوا عنها الى طريق الحركة والسكنون والاجماع والافتراق وتماثيل الاجسام وتركها من الجواهر الفردية ، وانها قابلة لحوادث وما يقبل الحوادث فهو حادث . فالاجسام كلها حادثة . فاذن يجب ان يكون لها حدث ليس بجسم فبنوا العلم بآيات الصانع على حدوث الاجسام ، واستدلوا على حدوثها بانها مستلزمة لحركة والسكنون والاجماع والافتراق ، ثم قالوا : ان تلك اعراض ، والاعراض حادثة ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث واحتاجوا في هذه الطريق الى آيات الاعراض اولا ، ثم آيات لزومها بالجسم ثانيا ، ثم ابطال حوادث لا أول لها ثالثا ، ثم الزام بطلان حوادث لانهاية لها رابعا عندفريق منهم ، والزام الفرق عندفريق آخر . ثم آيات الجوهر الفرد خامسا ، ثم الزام كون العرض لا يبقى زمانين سادسا فيلزم حدوثه والجسم لا يخلو منه وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، ثم آيات تماثيل الاجسام سابعا . فيصح على بعضها ما يصح على جميعها . فعدهم بايات الخالق سبحانه مبني على هذه الامور السبعة . فلازمهم من سلوك

هذه الطريقة انكار كون الرب فاعلا في الحقيقة ، وإن سموه فاعلا  
بأنسنتهم ، فإنه لا يقوم به عندم فعل ، وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام ،  
وضارب بلا ضرب ، وعالم بلا علم . وضم الجهمية الى ذلك انه لو قام به  
صفة لكان جسما ، ولو كان جسما لكان حادثا ، فيلزم من اثبات صفاته  
انكار ذاته . فعطلا صفاتيه وافعاله بالطريق التي اثبتوا بها وجوده ، فكانت  
ابلغ الطرق في تعطيل صفاتيه وافعاله . وعن هذه الطريقة انكرروا علوه  
على عرشه وتکالمه بالقرآن وتکاليمه لموسى ورؤيته بالأبصار في الآخرة  
ونزوله الى سماء الدنيا كل ليلة ، ومجيئه لفصل القضاء بين الخلاقين ،  
وغضبه ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب مثله بعده ،  
وجميع ما وصف به نفسه من وصف ذاتي او معنوي او فعلي ، فانكرروا  
وجهه الاعلى ، وانكرروا أن له يدرين . وإن له سمعا وبصرا وحياة ، وإن  
يفعل ما يشاء حقيقة ، وإن سمي فاعلا فلم يستحق ذلك لفعل قام به . بل  
فعله هو عين مفعوله . وكذاك الطريق التي سلكوها في اثبات النبوة  
لم يثبتوا انها نبوة في الحقيقة . فانهم بنوها على مجرد طريق العادة وهو  
مشترك بين النبي وغيره . وحاروا في الفرق فلم يأتوا فيه بما تناجر له  
الصدور . مع ان النبوة التي اثبتوها لا ترجع الى وصف وجودي بل هي  
تعلق الخطاب الازلي بالنبي ، والتعليق عندم امر عدمي . فعادت النبوة  
عندم الى امر عدمي . وقد صرحوا بأنها لا ترجع الى صفة ثبوتيه قائمة  
بالنبي صلى الله عليه وسلم . وايضا خرقية النبوة والرسالة انباء الله لرسوله

وامره تبایغ کلامه الى عباده . وعندئم ان الله لا يتکلم ولا يقوم به کلام  
واما اليوم الآخر فان جھورهم بنوه على اثبات الجوهر الفرد .  
قالوا : لا ينافي التصديق بالمعاد الا باثباته . وهو في الحقيقة باطل لا  
اصل له . والثابتون له يعترفون ان القول به في غايه الاشكال . وادله  
معارضة ، وكثير منهم له قولان في اثباته ونفيه . وسلکوا في تقریر  
المعاد ما خالفوا فيه جھور العقلاه ولم يوافقوا ماجاءت به الانبياء ، فقالوا  
لو أن الله تعالى يعدم اجزاء العالم كلها حتى تصير عدما محسنا ثم يعيد  
المعدوم ويقلبه موجوداً حتى انه يعيد زمانه بعينه وينشئه لامن مادة كما قالوا  
في المبدأ ، بخنواعي العقل والشرع واغروا اعداء الشرع به ، وحالوا بينهم  
وبین تصدق الرسل

واما المبدأ فانهم قالوا : ان الله تعالى كان مطلقا في الازل ، والفعل غير  
ممكن ، مع قوتهم كان قادرا عليه ، ثم صار فاعلا بعد ان لم يكن فاعلا من  
غير تجدد امر اصلا ، وانقلب الفعل من الامتناع الذاتي الى الامكان  
الذاتي ، وذات الفاعل قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل واحدة .  
فهذا غاية عقولهم التي عارضوا بها الوحي . وهذه طرفة العقلية التي  
لم يثبتتوا بها دباولا رسالة ولا مبدأ ولا معادا

الوجه الحادي والثلاثون : ان معارضة الوحي بالعقل ميراث عن  
الشيخ ابي مصراة ، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه فان الله  
سبحانه لما امره بالسجود لآدم عارض امره بقياس عقلي مرکب من

مقدمتين حاليتين ، احداها قوله (أَنَا خَبِيرٌ مِّنْهُ) فهذه هي الصغرى ، والكبرى مهدوفة تقديرها : والفضل لا يسجد للمفضول . وذكروا سند القيادة الأولى ، وهو ايضاً قياس حمل حذف احدى مقدمتيه فقال (خَلَقَتِنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَتِهُ مِنْ طِينٍ) المقدمة الثانية كلها معلومة ، اي ومن خلق من نار خير من خلق من طين . فها قياسان متداخلان ، وهذه يسمى المنطقيون الاقيسة المتداخلة ، فالقياس الاول هكذا : أنا خير منه ، وخير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه . وهذا من الشكل الاول . والقياس الثاني هكذا : خلقتني من نار وخاقتني من طين . والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين . فنتيجة هذا القياس العقلي : أنا خير منه ، ونتيجة الاول : فلا ينبغي ان اسجد له . وانت اذا تأملاً مادة هذا القياس وصورة رأيته اقوى من كثير من قياساتهم التي عارضوا بها الوحي ، والكل باطل وقد اعتذر اتباع الشيخ أبي مرة باعذار (منها) انهما تعارض عنده العقل والنقل قدم العقل (ومنها) ان الخطاب بصيغة الضمير في قوله (اسجدوا) ولا عموم له فان الضمائر ليست من صيغ العموم (ومنها) انه وان كان اللفظ عاماً فإنه خصه بالقياس المذكور (ومنها) انه لم يعتقد ان الامر لا وجوب بل حمله على الاستعجابة لانه المتيقن ، او على الرجحان دفعاً للاشتراك والمحاذ (ومنها) انه حمله على التراخي ولم يحمله على الفور (ومنها) انه صان جناب الرب ان يسجد لغيره ورأى انه لا يليق به السجود لسواده . وبالله تأمل هذه التأوييلات ، وقابل بينها وبين كثير

من التأويلاط التي يذكراها كثير من الناس . وفي بني آدم من يصوب رأي البليس وقياسه ، وله في ذلك تصانيف ، وكان بشار بن برد الشاعر الاعجمي على هذا المذهب ، ولهذا يقول في قصيدة :

الارض مظامة سوداء معتمة \* والنار معبودة مذ كانت النار

ولما علم الشيخ انه قد اصيب من معارضته الوحي بالعقل وعلم انه لا شيء ابلغ في مناقضة الوحي والشرع وابطاله من معارضته بالمعقول أوحى الى تلامذته واخوانه من الشبهات الخيالية ما يعارضون بها

الوحي ، واوهم اصحابه انها قواطع عقلية ، وقال : ان قدمتم النقل عليها فسدت عقولكم (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَئِكَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَا تُشْرِكُونَ) وقل تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْأَنْسِ وَالْأَجْنَبِ بُوْحِي بِعَضِّهِمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلَ غَرُورًا . وَلَوْشَاءَ رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَهْرُونَ . وَلَتَصْنَعَنِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ . أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَنَّينَ . وَمَتَّ كَلَمَتَ رَبِّكَ حِدَقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيمُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ تُطْعِمْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلِلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَعْلَمُونَ إِلَّا الظُّلُمَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضْلِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَمَّدِينَ )

الوجه الثاني والثلاثون : في بيان فساد معقول الشيخ الذي عارض

به الوحي . وذلك من وجوه (احدها) انه قياس في مقابلة النص ، والقياس

اذا صادم النص وفابله كان قياسا باطلا، ويسمى قياساً ابليسيّا ، فانه يتضمن معارضنة الحق بالباطل . ولهذا كانت عقوبته ان افسد عليه عقله ودنياه وآخرته . وقد يتنا فيما تقدم انه ما عارض احد الوجوه بعقله إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك العقول ( الثاني ) ان قوله ( أنا خبر منه ) كذب ، ومستنده في ذلك باطل . فانه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة تفضيل المخلوق منها على المخلوق من الاخرى ، فان الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو افضل من المخلوق من غيرها ، وهذا من كمال قدرته فان محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى ونوح والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين افضل من الملائكة . ومذهب اهل السنة ان صالح البشر افضل من الملائكة ، وان كانت مادتهم نورا ومادة البشر ترابا . فالتفضيل ليس بالماء والاصول . ولهذا كان العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله خير وافضل عند الله من ليس منهم من قريش وبني هاشم ، وهذه المعارضة الابليسية صارت ميراثا في اتباعه في التقديم بالاصول والانساب على الاعيان والتقوى ، وهي التي ابطأها الله تعالى قوله ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنَّى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا بِأَوْقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ خَيْرٌ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله وضع عنكم عبيدة <sup>(١)</sup> الجاهلية ونفرها

(١) هي الكبر وتضم عينها وتكسر ، وهي فعولة او فعيلة ، فان كانت فعولة فهي من التعبية لأن المتكبر ذو تكاف وتعبية بخلاف المسترسل على سجيته ، وان كانت فعيلة فهي من عباب الماء وهو اوله وارتقاعه

بـالـأـباءـ . النـاسـ مـؤـمـنـ تـقـيـ وـفـاجـرـ شـقـ » وـقـالـ عـلـيـتـ **لـعـلـيـ** « لـا فـضـلـ لـعـربـيـ عـلـىـ عـجـيـ ، وـلـاـ لـعـجـيـ عـلـىـ عـرـبـيـ ، وـلـاـ لـاـيـضـ عـلـىـ اـسـوـدـ ، وـلـاـ لـاـسـوـدـ عـلـىـ ايـضـ الـاـ بـالـتـقـوـيـ . النـاسـ مـنـ آـدـمـ وـآـدـمـ مـنـ تـرـابـ » فـانـظـرـ إـلـىـ سـرـيـانـ هـذـهـ النـكـتـةـ الـاـبـلـيـسـيـةـ فـيـ نـفـوسـ أـكـثـرـ النـاسـ ، مـنـ تـفـضـيـلـهـمـ بـمـجـرـدـ الـاـنـسـابـ وـالـاـصـولـ (ـالـثـالـثـ) اـنـ ظـلـهـ اـنـ النـارـ خـيـرـ مـنـ التـرـابـ باـطـلـ ، مـسـتـنـدـهـ مـاـ فـيـهـاـ مـاـ اـضـاءـةـ وـاـخـلـفـةـ وـمـاـ فـيـ التـرـابـ مـنـ التـقـلـ وـالـظـلـمـةـ ، وـنـسـيـ الشـيـخـ مـاـ فـيـ النـارـ مـنـ الطـيـشـ وـاـخـلـفـةـ ، وـطـلـبـ الـعـلوـ وـالـاـفـسـادـ بـالـطـبـعـ حـتـىـ لـوـ وـقـعـ مـنـهـاـ شـوـاظـ بـقـدـرـ الـحـبـةـ فـيـ مـدـيـنـةـ عـظـيـمـةـ لـاـ فـسـدـهـاـ كـلـهـاـ وـمـنـ فـيـهـاـ ، بـلـ التـرـابـ خـيـرـ مـنـ النـارـ وـاـفـضـلـ مـنـ وـجـوـهـ مـتـعـدـدـةـ : مـنـهـاـ اـنـ طـبـعـهـ السـكـونـ وـالـرـزـانـةـ ، وـالـنـارـ بـخـلـافـهـ . وـمـنـهـاـ . اـنـهـ مـاـدـةـ الـحـيـوانـ وـالـنـبـاتـ وـالـاقـوـاتـ ، وـالـنـارـ بـخـلـافـهـ . وـمـنـهـاـ . اـنـهـ لـاـ يـكـنـ لـاـ حـدـ اـنـ يـعـيـشـ بـدـوـنـهـ وـدـوـنـ مـاـ خـاـقـ مـنـهـ أـلـبـتـةـ ، وـيـكـنـهـ اـنـ يـعـيـشـ بـرـهـةـ بـلـ نـارـ . قـالـ عـائـشـةـ « كـانـ يـرـ بـنـاـ الشـهـرـ وـالـشـمـرـ اـنـ مـاـ بـوـقـدـ فـيـ يـوـتـنـاـ نـارـ وـلـاـ نـرـىـ نـارـاـ » قـالـ لـهـ اـعـرـوـةـ : فـاـ عـيـشـكـمـ ? قـالـتـ « الـاـسـوـدـانـ التـرـوـالـمـاءـ » وـمـنـهـاـ أـنـ الـاـرـضـ تـؤـدـيـ اـلـيـكـ بـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ الـبـرـكـةـ أـضـعـافـ أـضـعـافـ مـاـ تـوـدـهـ مـنـ الـحـبـ وـالـنـوـيـ ، وـتـرـيـهـ لـكـ وـتـغـذـيـهـ وـتـنـمـيـهـ ، وـالـنـارـ تـفـسـدـهـ عـلـيـكـ وـتـمـحـقـ بـرـكـتـهـ . وـمـنـهـ : اـنـ الـاـرـضـ مـهـبـطـ وـحـيـ اللـهـ وـمـسـكـنـ رـسـلـهـ وـاـبـيـائـهـ وـأـوـلـيـائـهـ وـكـفـاتـهـ أـحـيـاءـ وـأـمـوـاتـاـ . وـالـنـارـ مـسـكـنـ اـعـدـائـهـ وـمـأـوـاـمـ . وـمـنـهـ أـنـ فـيـ الـاـرـضـ يـتـهـ الـذـيـ جـعـلـهـ اـمـامـاـ لـلـنـاسـ وـقـيـاماـ لـهـمـ وـجـعـلـ حـجـهـ مـحـطـاـ لـاـوـزـارـهـ وـمـكـفـرـاـ لـسـيـثـاـهـ

وَجَالَّا لَهُمْ مَصَاحِحَ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ . وَمِنْهَا أَنَّ النَّارَ طَبَعَهَا الْعُلُوُّ وَالْفَسَادُ .  
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَلَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ، وَالْأَرْضَ طَبَعَهَا الْخُشُوعُ  
وَالْأَخْبَاتُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُخْتَيِّنَ الْخَاشِعِينَ . وَقَدْ ظَهَرَ بِخَلْقِ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ  
وَمُوسَى وَعِيسَى وَالرَّسُولُ مِنَ الْمَادَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَخَلَقَ أَبِيلِيسَ وَجَنَوْدَهُ مِنَ  
الْمَادَةِ النَّارِيَّةِ ، نَعَمْ وَخَلَقَ مِنَ الْمَادَةِ الْأَرْضِيَّةِ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ وَمِنَ الْمَادَةِ  
النَّارِيَّةِ صَالِحُوا الْجَنُّ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي هُؤُلَاءِ مِثْلِ أَبِيلِيسَ ، وَلَيْسَ فِي أُولَئِكَ  
مِثْلِ الرَّسُولِ . فَعَلِمَ الْخَيْرَ مِنَ الْمَادَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، وَعَلِمَ الشَّرَّ مِنَ الْمَادَةِ النَّارِيَّةِ .  
وَمِنْهَا أَنَّ النَّارَ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا بَلْ لَابْدَ لَهَا مِنْ مَحْلٍ تَقُومُ بِهِ لَا تَسْتَغْنِي  
عَنْهُ ، وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْمَادَةِ التَّرَaiِّيَّةِ فِي قَوَامِهَا وَتَأْثِيرِهَا ، وَالْأَرْضُ قَائِمَةٌ  
بِنَفْسِهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَحْلٍ تَقُومُ بِهِ وَلَا تَفْتَقِرُ فِي قَوَامِهَا وَنَفْعُهَا إِلَى النَّارِ .  
وَمِنْهَا أَنَّ التَّرَابَ يُفْسِدُ صُورَةَ النَّارِ وَيُبَطِّلُهَا وَيُقْهِرُهَا وَانْ عَلَتْ عَلَيْهِ .  
وَمِنْهَا أَنَّ الرَّحْمَةَ تَنْزَلُ عَلَى الْأَرْضِ فَتَقْبِلُهَا وَتَحْيَا بِهَا وَتَخْرُجُ زِينَتَهَا وَاقْوَانَهَا  
وَتَشَكَّرُ رِبَّهَا ، وَتَنْزَلُ عَلَى النَّارِ فَتَأْبَاهَا وَتَطْفَئُهَا وَتَمْحُو هَا وَتَذَهَّبُ بِهَا ، فَيَنْهَا  
وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ مَعَادَةً ، وَبَيْنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ مَوَالَةً . وَمِنْهَا أَنَّ النَّارَ تَطْفَأُ  
عَنْدَ التَّكْبِيرِ وَتَضَمِّنُ مَحْلَ عَنْدَ ذِكْرِ كَبْرِيَاءِ الرَّبِّ ، وَلَهُذَا يَهْرُبُ الْمُخَلَّقُونَ  
مِنْهَا عَنْدَ الْأَذَافَ حَتَّى لَا يَسْمَعُهُ ، وَالْأَرْضَ تَبْهِيجُ بِذَلِكَ وَتَفْرِحُ بِهِ  
وَتَشَهِّدُ بِهِ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَيَكْفِي فِي فَضْلِ الْمُخَلَّقِ مِنَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ وَعَامَهُ اسْمَاءَ  
كُلِّ شَيْءٍ . فَهَلْ حَصَلَ لِلْمُخَلَّقِينَ مِنَ النَّارِ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ ؟

فقد تبين بذلك حال هذه المعارضه العقلية لاسمع وفسادها من هذه الوجوه  
واكثر منها ، وهي من شيخ القوم ورئاهم ومعلمهم الاول ، فما الظن  
بمعارضه التلامذة ؟

ونحن نقول قوله نقدم بين يديه مشيئة الله وحوله والاعتراف  
بمتنه علينا وفضله لدينا ، وانه مغض منته وجوده وفضله ، فهو المحمود اولاً  
وآخر على توفيقنا له وتعليمنا اياه :

ان كل شبهة من شبهه ارباب المعمولات عارضوا بها الوحي فعندها  
ما يبطلها بأكثر من الوجه التي ابطلنا بها معارضه شيخ القوم ، وان  
مد الله في الاجل افردنا في ذلك كتاباً كبيراً . ولو نعلم ان في الارض من  
يقول ذلك ويقوم به تبلغ اليه اكباد الابل اقتدينا في السير اليه بموسى  
عليه السلام في سفره الى الخضر وبمحابر بن عبد الله في سفره الى عبد الله  
ابن ابيس لسماع حديث واحد ، ولكن زهد الناس في علم قومه . وقد  
قام قبلنا بهذا الامر من برع على اهل الارض في عصره وفي اعصار قبله ،  
فادرك من قبله وحيداً وسبق من بعده سبقاً بعيداً (١)

الوجه الثالث والثلاثون : انه سبحانه وصف نفسه بأنه ليس كمثله  
شيء وأنه لا سمى له ولا كفؤ له . وهذا يستلزم وصفه بصفات السُّكَال  
التي فات بها شبه المخلوقين واستحق بقيامتها ان يكون (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)  
وهكذا كونه ليس له سمى ، أي مثيل يساميه في صفاته وافعاله ، ولا من

(١) هو شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله ورضي عنه . وله في هذا  
كتاب العقل والنقل طبع في مصر بهامش منهاج السنة وهو نفيس جداً

يكافيه فيها . ولو كان مسلوب الصفات والفعال والكلام والاستواء والوجه واليدين ومنفي عنهم ببيانه العالم ومحايته واتصاله به وانفصل عنه وعلوه عليه وكونه يعنته او يسرره او امامه او وراءه لكان كل عدم مثلا له في ذلك ، فيكون قد نفي عن نفسه مماثلة الموجودات واثبت لها مماثلة المعدومات فهذا النفي واقع على اكمل الموجودات وعلى العدم الحض ، فان العدم الحض لا مثل له ولا كفؤ ولا سبي ، فلو كان المراد بهذا نفي صفاتة وافعاله واستواه على عرشه وتتكلم بالوحى وتتكليمه من يشاء من خلقه لكان ذلك وصفاته بغاية العدم . فهذا النفي واقع على العدم الحض وعلى من كثرت اوصاف كاله حتى تفرد بذلك الكمال فلم يكن له شبيه في كماله ولا سبي ولا كفؤ . فاذا **أبطل** هذا المعنى الصحيح تعين ذلك المعنى الباطل قطعا ، وصار المعنى انه لا يوصف بصفة اصل ، فلا يفعل فعلا ، ولا وجده له ، ولا يد ، ولا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يعلم ، ولا يقدر ، تحقيقا لمعنى **(ليس كمثله شيء)** وقال اخوانكم من الملاحدة : ليس له ذات اصل . تحقيقا لهذا النفي . وقال غالاتهم : لا وجود له . تحقيقا لهذا النفي . واما الرسل واتباعهم فانهم قلوا : ان الله حي . وله حياة ، وليس كمثل شيء في حيائه . وهو قوي ، وله القوة ، وليس كمثل شيء في قوته (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) يسمع ويبصر . وليس كمثل شيء في سمعه وبصره . ومتكلم . وله يدان . ومستوى على عرشه . وليس له في هذه الصفات مثل . فهذا النفي لا يتحقق الا باثبات صفات الكمال فانه مدح له وثناء اثني به على نفسه . والعدم الحض

لا يدح به احد ولا يكون كالا له بل هو انقض النقص . وانما يكون  
 كالا اذا تضمن الاتهات كقوله تعالى ( لَا تَأْخُذْهُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا ) لكمال حياته  
 وقيوميته ، قوله ( مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يَادُنُهُ ) لكمال غناه وملكه وربوبيته  
 قوله ( وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّعَيْدِ ) ( وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) لكمال غناه وعدله  
 ورحمته ، قوله ( وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ) لكمال قدرته ، قوله ( وَمَا يَعْزُبُ  
 عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِيقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ ) لكمال علمه ، قوله  
 ( لَا تَدْرِكُهُ إِلَّا بِصَارُ ) لعظمته واحاطته بما سواه وانه اكبر من كل شيء  
 وانه واسع ، فيرى ولكن لا يحيط به ادراكا كما يعلم ولا يحيط به عالما  
 فيرى ولا يحيط به رؤية . وهكذا ليس كمثله شيء هو متضمن لاتهات  
 جميع صفات الكمال على وجه الاجمال . وهذا هو المقبول في فطر الناس .  
 فاذا قالوا : فلان عديم المثل او قد اصبح ولا مثل له في الناس . او ماله  
 شبيه ، ولا من يكافيه . فانما يريدون بذلك انه تفرد من الصفات والافعال  
 والجند بما لا يتحقق فيه غيره . فصار واحدا في الجنس لا مثيل له ، ولو اطلقوا  
 ذلك عليه باعتبار نفي صفاتة وافعاله ومجده لكان ذلك عندهم غاية الدهم  
 والنقص له . فاذا اطلقوا ذلك في سياق المدح والثناء لم يشك عاقل في انه انما  
 اراد كثرة اوصافه وافعاله واستثنائه التي لها حقائق تحمل عليها . فهل يقول  
 عاقل ان لا قدرة له ولا علم ولا بصر ولا يتصرف بنفسه ولا يفعل شيئا  
 ولا يتكلم ولا له وجه ولا يد ولا قوة ولا فضيلة من الفضائل انه  
 لا شبه له ولا مثل له ، وانه وحيد دهره وفريد عصره ونسيج وحده ؟  
 وهل فطر الله الامم واطلق السنن لهم ولغاتهم إلا على ضد ذلك ؟ وهل كان

رب العالمين اهل الثناء والحمد الا بآوصاف كاله ونحوت جلاله وافعاله واسمائه الحسنى ؟ والا فمما يثني عليه المثنون ولا ي Shiء يقول اعرف الخاق به « لا أخصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » ومعالوم ان هذا الثناء الذي أخبر أنه لا يخصيه لو كان بالمعنى لكان هؤلاء اعلم به منه واشد احصاء له فانهم نفوا عنه حقائق الاسماء والصفات نفيا مفصلا . وذلك مما يخصيه الحصي بلا كلفة ولا تعب . وقد فصله النفاوة واحصوه وحصروه . يوضحه : الوجه الرابع والثلاثون : ان الله سبحانه بما نفي عن نفسه ما ينافق الابيات ويضاد ثبوت الصفات والأفعال ، فلم يبق الأمر عدميا أو ما يستلزم عدم ، كنفي السنة والنوم المستلزم لعدم كمال الحياة والقومية ونفي العزوب والخلفاء المستلزم لنفي كمال القدرة . ونفي الظلم المستلزم لعدم كمال الغنى والعدل . ونفي الشرير والظاهر والشفيع المتقدم بالشفاعة المستلزم لعدم كمال الغنى والقهر والملك ، ونفي الشبيه والمشيل والكاف المستلزم لعدم كمال المطلق . ونفي ادراك الابصار له واحتاطة العلم به المستلزمين لعدم كمال عظمته وكبرياته وسعته واحتاطه . وكذلك نفي الحاجة والاكل والشرب عنه سبحانه لاستلزم ذلك عدم كمال غناه . و اذا كان نفي عن نفسه عدم او ما يستلزم عدم علم انه أحق بكل وجود وثبوت لا يستلزم عدما ولا نقصا . وهذا هو الذي دل عليه صريح العقل ، فإنه سبحانه له الوجود الدائم القديم الواجب بنفسه الذي لم يستفاده من غيره ، ووجود كل موجود مفتقر اليه ومتوقف في تتحققه عليه ، والكمال وجود كله ، والعدم نقص

كله . فان العدم كاسمه لا شيء ، فعاد النبي الصحيح الى نفي النقاوص ونفي المائنة في الكمال . وعاد الامر ان الى نفي النقص . وحقيقة ذلك نفي العدم وما يستلزم نفي العدم . فتأمل ، هل نفي القرآن والسنة عنه سبحانه سوى ذلك ؟ وتأمل ، هل ينفي العقل الصحيح غير ذلك ؟ وهو سبحانه قد وصف نفسه بأنه لم يكن له كفوا احد بعد وصفه نفسه بأنه الصمد . والصمد السيد الذي كمل في سؤدده . ولهذا كانت العرب تسمى أشرافها بهذا الاسم لكثرة الاوصاف المحمودة لسمعي به . قال شاعرهم :

ألا بكر الناعي بخير بن اسد \* بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد  
فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة ، وذلك لكثره  
خصال الخير فيه . ولهذا قال جهور السلف ، منهم ابن عباس : الصمد  
الذى كمل سؤدده . وهو العالم الذى كمل عالمه ، القادر الذى كمل قدرته  
الحليم الذى كمل حلمه ، الرحيم الذى كمل رحمة ، الجواد الذى كمل جوده  
ومن قال انه الذى لا جوف له فقوله لا ينافق هذا التفسير ، فان الافظة من  
الاجماع ، فهو الذى اجتمع في صفات الكمال ولا جوف له . فان ما لم  
يكن أحد كفوا له ما كان صمدا كاملا في صمدا نيته ، فلو لم يكن له صفات  
كامل ونعوت جلال ، ولم يكن له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا  
يقوم به فعل ولا يفعل شيئاً أبنته ، ولا له حياة ولا إرادة . ولا كلام ولا  
وجه ولا يد ، ولا هو فوق عرشه ولا يرضي ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض  
ولا هو قادر لما يريد ولا يرى ولا يمكن ان يرى ولا يشار اليه ولا يمكن

ان يشار اليه ، لكان العدم المفض كفوأله . فان هذه الصفة منطبقه على المعدوم ،  
 فلو كان ما يقوله المعطalon هو الحق لم يكن صمد او كان العدم كفوأله . وكذلك  
 قوله (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْمَلُهُ  
 سَيِّئًا ) فأخبرناه لا سي له عقب قول العارفين به (وَمَا نَتَزَلُ إِلَّا بِإِمْرَرْ بَكَ لَه مَا بَيْنَ  
 أَيْدِيهِنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْذَلَّ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسْيَارَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْمَلُهُ سَيِّئًا ؟) فهذا الرب الذي له  
 هذا الجند العظيم ولا يتنزلون الا بأمره . وهو المالك ما بين ايديهم وما  
 خلفهم وما بين ذاك ، وهو الذي كفلت قدرته وسلطانه وملكه ، وكل  
 عالمه . فلا ينسى شيئاً أبداً ، وهو القائم بتدير السموات والارض وما  
 ينبعها كما هو اخالق لذلك كله ، وهو ربها وملكها . فهذا الرب هو الذي  
 لا سي له لنفرده بكمال هذه الصفات والافعال . فاما من لا صفة له ولا  
 فعل ولا حقائق لامائه ، إن هي إلا الفاظ فارغة من المعنى فالعدم سي له  
 وكذلك قوله سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) فانه سبحانه  
 ذكر ذلك عقب ذكر نعمت كله وأوصافه فقال (جَعَسَقَ . كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ  
 وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَأَمْلَائِكَهُ  
 يُسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ  
 الْرَّحِيمُ . وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِوَكِيلٍ . إِلَى قَوْلِهِ - فَأَطْرَأَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
 أَزْوَاجًا مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

البَصِيرُ ) فهذا الموصوف بهذه الصفات والافعال والاموال والمعظمة والاحفظ  
والعزّة والحكمة والملك والحمد والغفرة والرحمة والكلام والمشيئة والولاية  
واحياء الموتى وانقدرة التامة الشاملة والحكم بين عباده وكونه فاطر  
السموات والارض وهو السميع البصير . فهذا هو الذي ليس كمثله شيء  
لکثرة نعمته وأوصافه وأسمائه وافعاله ، وثبوتها على وجه الكمال الذي  
لا يماثله فيه شيء . فالمثبت لصفات كماله هو الذي يصفه انه ليس كمثله شيء .  
واما المعطل النافي لصفاته وحقائق اسمائه فان وصفه بأنه ليس كمثله شيء  
مجاز لا حقيقة له ، كما يقول في سائر اوصافه واسمائه

الوجه الخامس والثلاثون : انه سبحانه وصف نفسه بان له المثل  
الاعلى فقال تعالى ( لَمَنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مِثْلُ السُّوْءِ وَلَهُ أَمْثَلُ الْأَعْلَى  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) و قال تعالى ( وَهُوَ الدِّيْنِ يَدْعُو أَنْخَلْقَ مِمْ لَعِيْدَهُ وَهُوَ  
أَهُونُ عَلَيْهِ وَلَهُ أَمْثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )  
فعمل مثل السوء المتضمن للعيوب والنواقص وسلب الكمال للمشركين  
واخبر ان المثل الاعلى المتضمن لاثبات الكمالات كله وحده . وبهذا كان  
المثل الاعلى ، وهو افضل تفضيل ، أي أعلى من غيره . فكيف يكون أعلى  
وهو عدم شخص ونفي صرف ، وأي مثل أدنى من هذا ؟ تعالى الله عن قول  
المعطليين علوًّا كبيرا . فمثل السوء العادم صفات الكمال . ولهذا جعله مثل  
الحاديدين لتوحيده وكلامه وحكمته ، لأنهم فقدوا الصفات التي منتصف  
بها كان كاملا . وهي الإيمان والعلم والمعرفة واليقين والأخلاق والعبادة  
للله والتوكّل عليه والانتباة اليه والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والصبر

والرضى والشکر ، وغير ذلك من الصفات التي من الصعب بها كان من  
آمن بالآخرة ، فلما سببت تلك الصفات عنهم وهي صفات كمال صار لهم  
مثل السوء . فمن سبب صفات الكمال عن الله تعالى وعلوه على خلقه  
وكلامه وعame وقدرته وسائر ما وصف به نفسه فقد جعل الله تعالى مثل  
السوء ونزعه عن المثل الاعلى ، وإن مثل السوء هو العدم وما يستلزم ،  
ونضده المثل الاعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للامور الوجودية والمعاني  
الثبوتية التي <sup>كلا</sup> كانت اكثرا في الموصوف واكمل كان أعلى من غيره .  
ولما كان الرب سبحانه هو الاعلى ووجهه الاعلى وكلامه الاعلى وسماته  
الاعلى وسائر صفاتة علينا ، كان له المثل الاعلى وهو احق به من كل ماسواه  
بل يستحيل أن يشتراك في المثل الاعلى اثنان ، لأنها ان تكفا لم يكن  
احدهما اعلا من الآخر ، وإن لم يتکفافاً فالموصوف بالمثل الاعلى احدهما  
وحده فيستحيل ان يكون له المثل الاعلى مثل أو نظير . وهذا برهان  
قاطع من اثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه ، فتأمله فإنه  
في غاية الظهور والقوة

ونظير هذا القهر المطلق مع الوحدة فانها متلازمان فلا يكون  
القهار الا واحدا اذ لو كان معه كفؤ له فان لم يقهره لم يكن قهاراً على  
الاطلاق وان قهره لم يكن له كفؤاً وكان القهار واحداً . فتأمل كيف كان  
قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقوله (وَلَهُ أَكْلَمُ الْأَعْلَى) من أعظم الأدلة  
على ثبوت صفات كماله سبحانه وتعالى

( فان قلت ) فاحقيقة المثل الاعلى ( قلت ) قد اشكل هذا على جماعة من المفسرين واستشكلا أقوال السلف فيه ، فان ابن عباس وغيره قالوا مثل السوء العذاب والنار ، والله المثل الاعلى : شهادة ( ان لا إله إلا الله ) قال قتادة : هو الاخلاص والتوحيد . وقال الواحدى هذا قول المفسرين في هذه الآية ولا أدرى لم قيل العذاب مثل السوء والاخلاص المثل الاعلى ؟ قال وقال قوم : المثل السوء الصفة السوء من احتياجهم لولد وكراهتهم للإناث خوف العيبة والعار ، والله المثل الاعلى الصفة العليا وتنزهه وبراءته من الولد ، قال : وهذا قول صحيح ، والمثل كثيراً يرد بمعنى الصفة وقاله جماعة من المتقدمين . وقال ابن كيسان : مثل السوء ما ضرب الله للإنسان وعبدتها من الأمثال ، والمثل الاعلى نحو قوله ( الله نور السموات والأرض - الآية ) وقال ابن جرير : وهو المثل الاعلى ، هو الأطيب والأفضل والاحسن والاجل ، وذلك التوحيد والاذعان له بأنه لا إله إلا هو قلت : المثل الاعلى يتضمن الصفة العليا ، وعلم العالمين بها ، وجودها العالمي ، وخبر عنها ، وذكرها ، وعبادة رب سبحانه وباسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذا كريه ، فبها نأى أربعة أمور : ثبوت الصفات العلي الله سبحانه في نفس الامر ، علمها العباد أو جعلوها . وهذا قول من فسره بالصفة ( الثاني ) وجودها في العلم والتصور ، وهذا معنى قول من قال من السلف وخالف : انه ما في قلوب عابديه وذا كريه من معرفته وذكره ومحبته واجلاله وتعظيمه . وهذا الذي في قلوبهم من المثل الاعلى

لا يشترك فيه غيره معه بل يختص به في ذاته ، وهذا معنى قول من قال من المفسرين : اهل السماء يحبونه ويعظمونه . واهل الأرض يبغضونه ويعظمونه ، وان اشترك به من اشرك وعصاه من عصاه وجحد صفاتهم من جحدها فكل اهل الأرض معظمون له بمحلون له خاضعون لعظمته قال تعالى ( وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَانِتُونَ ) فلست تجد أحداً من أوليائه واعدائه الا والله اكبر في صدره واعظم من كل ما سواه ( الثالث ) ذكر صفاتة وان الخبر عنها وتنزيهها عن النقاوص والعيوب والتشيل ( الرابع ) محبة الموصوف بها وتوحيده والخلاص له والتوكيل عليه وكلما كان الاعيان بالصفات اكمل كان هذا الحب والخلاص اقوى فعبارة السلف تدور حول هذه المعاني الاربعة لا تتجاوزها . وقد ضرب الله مثل السوء للاصنام بأنها لا تخلق شيئاً وهي مخلوقة ، ولا تملك لنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا

وقال الله تعالى ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقَنَاهُ مِنَ رِزْقَهُ سَعْدًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُلْ يَسْتَوْنَ ؟ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّهُ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يَوجِهُ لَيَاتٍ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْقَطٍ ؟ ) فهذا مثلان ضربها الله لنفسه وللاصنام للاصنام مثل السوء والمثل الأعلى وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرَبَ مَثَلًا فَآتَى مِنْهُ لَهُ . إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ . وَإِنْ يَسْلِمُوا إِذْبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدِمُوهُ مِنْهُ فَنَعْفُ عَنِ الطَّالِبِ وَأَمْلَأُوهُ بُشَرًا . مَا قَدَرُوا اللَّهُ

حقٌ قدره إنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ) فهذا المثل الأعلى الذي له سبحانه وال الأول مثل السوء للصنم وعابديه . وقد ضرب الله سبحانه للمعارضين بين الوحي وعقولهم مثل السوء بالكلب تارة وبالحمر تارة وبالانعام تارة وبأهل القبور تارة وبالعمي الصم وغير ذلك من أمثال السوء التي ضربها لهم ولا وثائقهم وآخر عن مثله الأعلى عاذ كره من اسمائهم وصفاته وافعاله وضرب لا ولیا لهم وعابديه احسن الأمثال . ومن تدبر القرآن فهم المراد بالمثل الأعلى ومثل السوء السادس والثلاثون : قوله تعالى (أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا) فهذا يبين أن الحكم بين الناس هو الله وحده بما أنزل من الكتاب المفصل ، كما قال في الآية الأخرى (وَمَا أَخْتَلَفُتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ حَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) و قال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ) و قال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُكْمِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّا أَرَكَ اللَّهُ) و قال تعالى (فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِنَّمَا قَضَيْتَ وَيَسِّلُوا تَسْلِيمًا) فقوله (أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا) استفهام انكار ، يقول كيف أبتغي حكم غير الله وقد أنزل كتابا مفصلا . فان قوله ( وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا) جملة في موضع الحال . و قوله ( مُفْصَلًا) يبين أن الكتاب الحاكم مفصل مبين ضد ما يصفه به من بزعم أن عقول الرجال تعارض بعض نصوصه أو ان نصوصه خيات أو أفهمت خلاف الحق لاصححة المخاطب ، أو أن لها معان لا تفهم ولا يعلم المراد منها ، أو

أن لها تأويلاً باطلة ، خلاف ما دلت عليه ظواهرها . فهؤلاء كلهم ليس الكتاب عندم مفصلا ، بل محمل مؤول ، ولا يعلم المراد منه ، والمراد منه خلاف ظاهره أو افهام خلاف الحق . ثم قال ( وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ) وذلك أن الكتاب الأول مصدق ل القرآن فمن نظر فيه علم عالماً يقينياً أن هذا وهذا من مشكاة واحدة ، لا سيما في باب التوحيد والاسماء والصفات ، فإن التوراة من ذلك ليس هو المبدل المحرف الذي انكره الله عليهم بل هو من الحق الذي شهد له القرآن وصدقه . وهذه لم ينكروا النبي عليهما مافي التوراة من الصفات ، ولا عليهم به ، ولا جعله تشابيها وتجسيماً وتشيلاً ، كافعل كثير من الفساة وقال : اليهود أئمه التشبيه والتجسيم ، ولا ذنب لهم في ذلك ، فانهم قراء وأما في التوراة . فالذي عاهم الله به من تأويلاً التحرير والتبديل لم يعدهم به المعطلة ، بل شاركوه فيه والذي استشهد الله على نبوة رسوله عليهما معاً به من موافقة ما عندم من التوحيد والصفات عابوه ونسبوه إلى التشبيه والتجسيم . وهذا ضد ما عليه الرسول وأصحابه ، فانهم كانوا اذا ذكروا له شيئاً من هذا الذي تسميه المعطلة تجسيماً وتشبيهاً صدقهم عليه وأقرهم ولم ينكروه ، كما صدقهم في خبر الخبر الذي ثبت من حديث ابن مسعود <sup>(١)</sup> وضحك تعجبوا وتصديقاً له ، وفي غير ذلك ثم قل ( وَأَتَتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ) مما اخبر به

(١) في صحيح البخاري في كتاب التوحيد

فهو صدق وما أُمر به فهو عدل . وهذا يبين أن ما في النصوص من الخبر فهو صدق ، علينا أن نصدق به لا نعارضه ولا نعرض عنه . ومن عارضه بعقله لم يصدق به ولو صدقه تصدقه بمثابة و لم يصدقه تصدقه بمثابة في أعيان ما أخبر به لم يكن مؤمناً . ولو أقر بالفظه مع جحد معناه أو صرفه إلى معان آخر غير ما أريد به لم يكن مصدقاً بل هو إلى التكذيب أقرب

**السابع والثلاثون :** إن الصحابة كانوا يستشكرون بعض النصوص ويوردون استشكالاتهم على النبي ﷺ فيجيبهم عنها . وكانوا يستلاؤه عن الجمجم بين النصوص التي يوم ظاهرها التعارض ، ولم يكن أحد منهم يورد عليه معقولاً يعارض النص أبداً ، ولا عرف فيهم أحد ، وثم أكل الأمة عقولاً ، عارض نصاً بعقله ، وإنما حكى الله تعالى ذلك عن الكفار كاتقدماً . وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « من نوتش الحساب عذب » فقلت عائشة : يا رسول الله ، أليس الله يقول ( فَأَمَّا مَنْ أَوْتَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ) فقال « بلى ، ولكن ذلك العرض . ومن نوتش الحساب عذب » فأشكل عليها الجمجم بين النصين حتى يبين لها النبي ﷺ أنه لا تعارض بينها وأن الحساب اليسير هو العرض الذي لا بد أن يبين الله فيه لكل عامل عمله ، كما قال تعالى ( يَوْمَئِذٍ تُعرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ) حتى إذا ظن أنه لا ينجو بجاه الله بعفوه ومغفرته ورحمته ، فإذا ناقشه الحساب عذبه ولا بد . ولما قال « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » قالت له حفصة : أليس الله

تعالى يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال «أولم تسمى قوله» ( ثم نسجى  
الذين آتُوا وَنَذَرُ الظالمينَ فِيهَا جِنِيًّا ) فأشكل عاليها الجم بين النصين ،  
وظلت الورود هو دخولها ، كما يقال : ورد المدينة إذا دخلها . فأجابها  
النبي عليه السلام بـان ورود المتقين غير ورود الظالمين ، فإن المتقين يردونها ورودا  
ينجون به من عذابها والظالمين يردونها ورودا يصيرون جنباً فيها . وقال  
له عمر : ألم تكن تحدثنا أنا نأي بالبيت ونطوف به ؟ فقال « هل قلت انك  
تدخله العام ؟ » قال : لا . قال « فانك آتيه ومطوف به » فأشكل  
على عمر رجوعهم عام الحديبية ولم يدخلوا المسجد الحرام ولا طافوا  
بالبيت ، وبين لهم ان اللفظ مطلق لا دليل فيه على ذلك العام بعينه  
فتزيشه على ذلك العام غلط ، فرجع عمر وعلم أنه قد غلط في فهمه .  
ولما نزل قوله تعالى ( لَيْسَ بِأَمَانِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ . مَنْ  
يَعْمَلَ سُوءًا يُبَحِّرَ بِهِ ) قال أبو بكر : يا رسول الله ، جاءت قاصمة الظهر ،  
فأينا لم يعملا سوءا ؟ فقال « يا أبو بكر ، ألسنت تنصب ؟ ألسنت تحزن ؟  
أليس يصيبك الاذى ؟ » قال : بلى ، قال « فذاك مما تجزون به » فأشكل  
على الصديق امر النجاة مع هذه الاية وظن ان الجزاء في الآخرة ولا بد .  
فأخبره النبي عليه السلام ان جزاءه وجزاء المؤمنين بما يعلوونه من السوء في الدنيا  
ما يصيبهم من النصب والحزن والمشقة فيكون ذلك كفارة لسيئاتهم فلا  
يعاقبون عليها في الآخرة . وهذا مثل قوله ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ  
فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ ) ولما نزل قوله تعالى ( الَّذِينَ آمَنُوا وَكُمْ يَكْفِيُو إِيمَانُهُمْ )

يَظْلِمُهُ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) قَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمْ يَبْلِسْ إِيمَانَهُ بِظَلْمٍ ؟ قَالَ « ذَلِكُ الشَّرْكُ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ » (إِنَّ الشَّرْكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ ؟) فَلَمَّا اشْكَلَ عَلَيْهِمُ الْمَرَادُ بِالظَّلْمِ وَظَنَّوْا أَنَّ ظَلْمَ النَّفْسِ دَاخِلٌ فِيهِ ، وَإِنْ مَنْ ظَانَ نَفْسَهُ أَيْ ظَلْمٍ كَانَ لَمْ يَكُنْ آمِنًا وَلَا مُهْتَدِيًّا ، أَجَابُوهُمْ عَلَيْهِ : إِنَّ الظَّلْمَ الرَّافِعَ لِلآمْنِ وَالْهُدَى عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الشَّرْكُ . وَهَذَا وَاللَّهُ هُوَ الْجَوَابُ الَّذِي يُشْفِي الْعَلِيلَ وَيُرَوِي الْغَلِيلَ ، فَإِنَّ الظَّلْمَ الْمُطْلَقَ التَّامَّ هُوَ الشَّرْكُ الَّذِي هُوَ وَضْعُ الْعِبَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَالآمْنُ وَالْهُدَى الْمُطْلَقُ هُوَ الْآمْنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْهُدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يَحْاسِنُكُمْ بِهِ اللَّهُ) أَشْكَلَ ذَلِكُ عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَظَنَّوْا إِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَكْلِيفِهِمْ بِمَا لَا يُطِيقُونَهُ ، فَأَمْرَهُمْ عَلَيْهِ إِنْ يَقَابِلُوا النَّصَرَ بِالْقِبْوَلِ . فَبَيْنَ أَنْ يَسْبِحُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكْلُفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ، وَإِنَّهُ لَا يَؤَاخِذُهُمْ بِمَا نَسُوهُ أَوْ أَخْطَأُوا فِيهِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ إِصْرًا كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُمْ مَلَاءَ طَاقَةِ لَهُمْ بِهِ وَإِنَّهُمْ أَنْ قَصَرُوا فِي بَعْضِ مَا أَمْرَوْا بِهِ أَوْ نَهَوْا عَنْهُ ثُمَّ أَسْتَغْفَرُوا عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ وَرَحْمَهُمْ . فَانْظُرْ مَاذَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا قَابَلُوا بِهِ بِالرَّضِيِّ وَالْتَّسْلِيمِ وَالْقِبْوَلِ وَالْأَنْقِيادِ دُونَ الْمَعَارِضَةِ وَالرَّدِّ . وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ عَائِشَةَ لَمْ سَمِعْتْ قَوْلَهُ عَلَيْهِ « إِنَّ الْمَيْتَ يُعَذَّبُ بِمَا كَانَ أَهْلَهُ عَلَيْهِ » عَارِضَتْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرًا أُخْرَى) وَلَمْ تَعَارِضْهُ بِالْعُقْلِ ، بَلْ غَلَطَتِ الرِّوَاةِ .

والصواب عدم المعارضه وتصويب الرواوه ، فلهم من لا يفهم ، وثم عمر  
وابنه ، والمغيرة بن شعبه وغيرهم ، والعذاب الحاصل للميت بسبب  
بكاء أهله تألمه وتأذيه بيكلمهم عليه ، والوزر المنفي حمل غير صاحبه له هو  
عقوبة البريء وأخذته بمحربة غيره . وهذا لا ينافي تأذى البريء السليم  
بعصبية غيره . فالقوم لم يكونوا يعارضون النصوص بعقولهم وأرائهم ،  
وان كانوا يطابون الجمع بين النصين يوم ظاهرها التعارض . ولهذا لما  
عارض بلال بن عبد الله <sup>(١)</sup> قوله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله  
مساجد الله » برأيه وعقله وقال : والله لمنعهن أقبل عليه أبوه عبد الله فسبه  
سباً ما سبها مثله ، وقال : احدثك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : والله  
لمنعهن ؟ . ولما حدث عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ بقوله « ان الحياة  
خير كلها » فعارضه معارض بقوله « ان منه وقارا ومنه ضعفاً » فاشتد غضب  
عمران بن حصين ، وقال : احدثك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : ان منه  
كذا ومنه كذا ؟ وظن ان المعارض زنديق . فقيل له : يا أبا نجید ، انه  
لا بأس به . ولما حدث عبادة بن الصامت بقول النبي ﷺ « الفضة بالفضة  
ربا الاهاء وهاء — الحديث » قال معاوية : ما أرى بهذه أبداً ، يعني بع آنية  
الفضة بالفضة متفاضلاً ، غضب عبادة ، وقال : أقول قال رسول الله ﷺ ،  
وتقول ما أرى بهذه أبداً ؟ وقال : لأنك أنت بها أبداً . ومعاوية  
لم يعارض النص بالرأي . وكان أتقى الله من ذلك ، وإنما خص عمومه وقيد  
مطلقه بهذه الصورة وما يشاعها ، ورأى انت التفاضل في مقابلة أمر

(١) هو بلال بن عبد الله بن حمر بن الخطاب والقصة في صحيح مسلم

الصنعة فلما يدخل في الحديث . وهذا مما يسوغ فيه الاجتهد ، وانما انكر عليه عبادة مقابلته نارواه بهذا الرأي . ولو قال له : نعم ، حديث رسول الله عليه عليه على الرأس والعين ، ولا يجوز مخالفته ، ولكن هذه الصورة لا تدخل في لفظه ، فإنه انما قال « الفضة بالفضة مثلاً بمثل وزناً بوزن » وهذه الزيادة ليست في مقابلة الفضة ، وإنما هي في مقابلة الصنعة ، ولا تذهب الصنعة هدرا ، لما انكر عليه عبادة ، فإن هذا من تمام فهم النصوص وبيان ما أريد بها كأنه هو <sup>(١)</sup> ومعاذ بن جبل وغيرهما من الصحابة لما ورثوا المسلم من الكافر ولم يورثوا الكافر من المسلم لم يعارضوا قوله عليه عليه « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » بعقولهم وأرائهم بل قيدوا مطلق هذا اللفظ وخصوصوا عمومه ، وظنوا أن المراد به الحربي ، كما فعل ذلك بعض الفقهاء في قوله عليه عليه « لا يقتل مسلم بكافر » حيث جلوه على الحربي دون الذمي والمعاهد . والصحابة في هذا التقييد والتخصيص أעדوا من هؤلاء من وجوه كثيرة ، ليس هذا موضعها .

وقد كان السلف يستند عليهم معارضه النصوص بأراء الرجال ، ولا يقررون على ذلك . وكان ابن عباس يحتج في مسألة الحج <sup>(٢)</sup> بسنة رسول الله عليه عليه وأمره لاصحابه بها ، فيقولون له : إن ابا بكر وعمر افردا الحج ولم يتمتعوا ، فاما اكثروا عليه قال « يوشك أن تنزل عليكم حجارة

(١) اي عبادة (٢) كذا بالاصل (مسندة) والظاهر أنها (المتعة) وهي ان المتعة وهو الاحرام بالعمره في اشهر الحج ثم الاحرام بالحج من مكة - مقدم على الافراد والقرآن

من السماء . أقول قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر ؟ فرحم الله ابن عباس ، كيف لورأى قوما يعارضون قول رسول الله ﷺ بقول ارسطو وأفلاطون وابن سينا والفارابي وجهم بن صفوان وبشر المرسي وابي الهدیل العلاف واضر ابهم ؟ ولقد سئل عبد الله بن عمر عن متعة الحج فأصر بها ، فقيل له : إن أباك نهى عنها ، فقال : إن أبي لم يرد ما تقولون ، فلما كثروا عليه ، قال : أمر رسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا أم أمر عمر ؟ وما حديث حميد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى ( فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِجَبَلِ ) قال « وضع اصبعه على طرف خنصره فساح الجبل » انكر عليه بعض الحاضرين . وقال : أتحدث بهذا ؟ فضرب حميد في صدره ، وقال : أحدثك عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ وتقول : أتحدث بهذا ؟ فكانت تصوّص رسول الله ﷺ أجل في صدورهم واعظم في قلوبهم من أن يعارضوها بقول أحد من الناس ، ولا تثبت قدم أحد على الإيمان الا على ذلك

الثامن والثلاثون : ان المعقولات ليس لها ضابط ولا هي محصورة في نوع معين ، فإنه ما من أمة من الأمم الا وله عقليات يختصمون بها ويختصرون بها ، فللفرس عقليات ، ولالمند عقليات ، وللمجوس عقليات ، وللصادقة عقليات . وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات ، بل ينفهم فيها من الاختلاف ما هو معروف عند المعنيين به . ونحن نعفيكم من هذه المعقولات واضطربها ونحاكم الى المعقولات

التي في هذه الامة ، فإنه ما من مدة من المدد إلا وقد ابتدعت فيها بدع  
يزعم اربابها أن العقل دل عليها . ونحن نسوق لك الامر من أوله الى  
أن يصل اليك بعون الله فنقول :

لما اظلمت الارض وبعد عدها بنور الوحي فكانوا كما قال النبي  
عليه السلام فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال « اني خلقت عبادي حنفاء ، وإنهم  
أئتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم <sup>(١)</sup> وحرمت عليهم ما احللت لهم  
وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا . وان الله نظر الى أهل  
الارض ففهم عربهم وعجمهم الا بقائيا من أهل الكتاب » فكان اهل  
العقل كلهم في مقته الا بقائيا متمسكين بالوحي . فلم يستفيدوا بعقولهم حين  
فقدوا نور الوحي الا عبادة الاوثان والصلبان والتيران والكواكب  
والشمس والقمر والجيرة والشبك ، او السحر او تعطيل الصانع والكفر  
به . فأطلع الله شمس الرسالة في تلك الظلمة سراجا منيرا ، وأنعم بها على  
أهل الارض في عقولهم وقوتهم ومعاشهم ومعادهم نعمة لا يستطيعون  
لها شكوراً ، فابصروا بنور الوحي مالم يكونوا بعقولهم يتصرون ،  
ورأوا في ضوء الرسالة ما لم يكونوا يرون ، فكانوا كما قال الله تعالى  
( الله ولِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا )

(١) قال في التهذيب : يقال للقوم إذا تركوا القصد والهدف اجتازهم  
الشيطان وقال الصاغاني : ومنه الحديث القدسى « اني خلقت عبادي اخ » أي  
استخفتهم فالوامعها في الضلاله . وقال الصاغاني : أي ذهبوا بهم وساقوهم . اه  
ناج العروس (٢) كأمير الجماعة من الرجال والقطعة من الخيل

أَوْلِيَاؤُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الدَّارِ  
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ كِتَابَ أُنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِنْ رَبَّهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) وَقَالَ تَعَالَى  
(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوْحًا مِنْ أَنْفُسِكُنَّ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا  
الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ رَأْيَهُدِي بِهِ مِنْ نَشَاءِ مِنْ عِبَادِنَا) وَقَالَ (أَوْمَنْ  
كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَعْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ  
لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) فَضَى الرَّاعِيلُ الْأُولُ (١) وَضَوءُ ذَلِكَ النُّورِ لَمْ يَنْطَفِئْ  
عَوَاصِفُ الْأَهْوَاءِ، وَلَمْ يَلْتَبِسْ بِظَلَمِ الْأَرَاءِ، وَأَوْصَوْا مِنْ بَعْدِهِمْ أَلَا يَفَارِقُوا  
ذَلِكَ النُّورَ الَّذِي اقْبَسُوهُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوْاخِرِ عَصْرِهِمْ حَدَثَتْ  
الشِّيَعَةُ وَالخُوارِجُ وَالْقَدْرِيَّةُ وَالْمَرْجِيَّةُ، فَبَعْدُوا عَنِ النُّورِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ  
أَوَّلَ الْأَمْمَةِ وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَفَارِقُوهُ بِالْكَلِيَّةِ، بَلْ كَانُوا لِلنَّصُوصِ مَعْظَمَهُنَّ  
وَبِهَا مُسْتَدِلِينَ، وَلَهَا عَلَى الْأَرَاءِ وَالْمَقْوُلِ مُقْدَمَينَ. وَلَمْ يَدْعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ  
عَنْهُ دَعَّى قَلِيلَيَّاتٍ تَعَارَضُ الْوَحْيَ وَالنَّصُوصُ، وَانْتَهَى أَنْتَهَا مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ فِيهَا.  
فَصَاحُ بَهُمْ مِنْ أَدْرِكَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَكُبارِ التَّابِعِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ، وَرَمَوْهُمْ  
بِالْعَظَائِمِ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ وَحَذَرُوا مِنْ سَبِيلِهِمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَكَانُوا لِلْأَرْوَنَ  
السَّلَامُ عَلَيْهِمْ وَمَجَالِسُهُمْ. وَلَا كَثُرَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي آخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ كَانُوا  
هُمُ اُولُو مِنْ عَارِضِ الْوَحْيِ بِالرَّأْيِ، وَمَعَ هَذَا فَكَانُوا قَلِيلَيَّنِ اذْلَاءَ  
مَذْمُومَيْنَ. وَأَوْلَهُمْ وَشِيخُهُمْ الْجَعْدُ بْنُ دَرْهَمٍ، وَانْتَهَى نَفْقَهُ عِنْدَ النَّاسِ لَاهَ

(١) آخر خلفاء بنى أمية المعروف بالحار قتل سنة ١٣٣ هـ

كان معلم مروان بن محمد وشيخه ، ولهذا يسمى مروان الجعد . وعلى رأسه سلب الله بني امية الملك والخلافة وشتمهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ييرك شيخ العطالة النفا . ولما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد الله القسري وكان اميرا على العراق حتى ظفر به نخطب الناس في يوم الاضحى ، وكان آخر ما قال في خطبته « ايمها الناس ضمروا ، تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، فإنه زعم ان الله لم يكلم موسى تكلما ولم يتتخذ ابراهيم خليلا . تعالى الله عن ما يقول الجعد علوا كبيرا » ثم نزل فذبحه في اصل المنبر ، وكان ضحيته . ثم طافت تلك البدعة والناس اذ ذاك عنق واحد <sup>(١)</sup> ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال ، وأنه كلام عبده ورسوله موسى تكلما وتجلى للجبل بفعله دكا هشيا . الى ان جاء أول المائة الثالثة وولي على الناس عبد الله المأمون ، وكان يحب انواع العلوم ، وكان مجلسه عامراً <sup>(٢)</sup> بانواع المتكلمين في العلوم ، فغلب عليه حب المقولات ، فامر بتعبير كتب يونان ، وأقدم لها المترجمين من البلاد ، فترجمت له وعبرت ، فاشتغل بها الناس . والملك سوق ما ينفق فيه جلب اليه فغاب على مجلسه جماعة من الجهمية من كان اخوه الامين قد اقصاه وتبعهم بالحبس والقتل ، فخشوا بدعة التجميم في اذنه وقلبه فقبلها واستحسنها ودعا الناس اليها وعاقبهم عليها . فلم تطل مدة ، فصار الامر بعده الى المعتصم ، وهو الذي ضرب احد بن

(١) العنق الجماعة من الناس ومراده مجتمعين على أمر واحد

(٢) أي بترجمتها ونقلها الى العربية

حنبل ، فقام بالدعوة بعده ، والجهمية تصوب فعله وتدعوا عليه ، وتخبره ان ذلك هو تزية الرب عن التشبيه والتجسيم . وهم الذين غلبوا على مجلسه وقربه ، والقضاة والولاة منهم . فانهم تبع ملوكهم ، ومع هذا فلم يكونوا يتجاوزون على إلغاء النصوص وتقديم العقول والآراء عليها . فان الاسلام كان في ظهور وقوه ، وسوق الحديث نافقة ، وأعلام السنة على ظهر الارض . ولكن كانوا على ذلك يحومون وحوله ينددون ، وأخذوا الناس بالرغبة والرهبة ، فمن بين أعمى مستجيب ، ومن بين مكره مفتدى بنفسه منهم باعطاء ماسأله . وقلبه مطمئن ، بالاعيان . وثبت الله اقواما جعل قلوبهم في نصر دينه اقوى من الصخر واشد من الحديد ، فأقامهم لنصر دينه ، وجعلهم أئمه يقتدي بهم المؤمنون لما صبروا و كانوا باياته يوقنون . فإنه بالصبر واليقين تناال الامامة في الدين . قال تعالى ( وَجَعَلْنَاكُمْ  
أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِمَا أَرْسَلْنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) فصبروا من الجهمية على الاذى الشديد ، ولم يتركوا سنة رسول الله ﷺ ما رغبوا به من الوعد ولا لما أربعوا به من الوعيد . ثم أطفأ الله برحمته تلك الفتنة وأحمد تلك الكلمة ، ونصر السنة نصرا عزيزا ، وفتح لاهلها فتحا مبينا ، حتى صرخ بها على رؤوس المنابر ، ودعى اليها في كل باد وحاضر ، وصنف في ذلك الزمان في السنة مالا يمحصيه الا الله . ثم انقرض ذلك العصر وأهلها ، وقام بعدهم ذريتهم يدعون الى كتاب الله وسنة رسوله على بصيرة الى ان جاء مالا قبل لاحد به وهم جنود ابليس حقا ، المعارضون لما جاءت

بـه الرسـل يـعـقـوـلـهـم وـآـرـاهـم . وـهـم الـقـرـامـطـة وـالـبـاطـنـيـة وـالـمـلاـحـدـة ، وـدـعـوهـم  
إـلـى العـقـلـ الـجـرـد ، وـأـنـ أـمـور الرـسـل تـعـارـضـ المـعـقـول ، فـهـم الـقـائـمـون بـهـذـه  
الـطـرـيقـةـ حـقـ الـقـيـامـ بـالـقـوـلـ وـالـفـعـلـ ، بـغـرـىـ عـلـى الـاسـلـامـ وـاـهـلـهـ مـنـهـمـ  
مـا جـرـىـ ، وـكـسـرـوا عـسـكـرـ الـخـلـيـفـةـ مـرـاـءـ دـيـدـةـ ، وـقـتـلـوا الـحـاجـ قـتـلـاـ ذـرـيـعـاـ  
وـانـهـوا إـلـى مـكـةـ فـقـتـلـوا بـهـاـ مـنـ وـصـلـ مـنـ الـحـاجـ إـلـيـهـ ، وـقـلـعـوا الـحـجـرـ الـأـسـوـدـ  
مـنـ مـكـانـهـ ، وـقـوـيـتـ شـوـكـتـهـ ، وـاسـتـفـحـلـ اـمـرـهـ ، وـعـظـمـتـ بـهـمـ الرـزـيـةـ  
وـاشـتـدـتـ بـهـمـ الـبـلـيـةـ

وـاـصـلـ طـرـيـقـهـ اـنـ الـذـي اـخـبـرـتـ بـهـ الرـسـلـ قـدـعـارـضـهـ الـقـلـ وـاـذاـ  
تـعـارـضـ الـقـلـ وـالـنـقـلـ قـدـمـنـاـ الـقـلـ . وـفـي زـمـانـهـمـ اـسـتـوـلـى الـكـفـارـ عـلـىـ  
كـثـيرـ مـنـ بـلـادـ الـاسـلـامـ بـالـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ ، وـكـادـ الـاسـلـامـ اـنـ يـنـهـمـ رـكـنـهـ  
لـوـلـ دـفـاعـ الـذـي ضـمـنـ حـفـظـهـ اـلـىـ اـنـ يـرـثـ اللهـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـاـ . ثـمـ  
خـمـدـتـ دـعـوـةـ هـوـلـاءـ فـيـ الـمـشـرـقـ ، وـظـهـرـتـ مـنـ الـمـغـرـبـ قـلـيلـاـ قـلـيلـاـ ، حـتـىـ  
اـسـتـفـحـلـتـ وـتـمـكـنـتـ ، وـاـسـتـوـلـىـ اـهـلـهـاـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ . ثـمـ  
أـخـذـوـنـ يـطـأـوـنـ الـبـلـادـ حـتـىـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ بـلـادـ مـصـرـ ، فـلـكـوـهـاـ وـبـنـوـهـاـ  
الـقـاهـرـةـ ، وـاقـامـوـاـ عـلـىـ هـذـهـ دـعـوـةـ . مـعـرـحـينـ بـهـمـ وـوـلـاـهـمـ وـقـضـاـهـمـ  
وـفـيـ زـمـانـهـمـ صـنـفـتـ رـسـائـلـ اـخـوـانـ الصـفـاـ وـالـاـشـارـاتـ وـالـشـفـاـ<sup>(١)</sup> وـكـتـبـ  
ابـنـ سـيـنـاـ ، فـاـنـهـ قـالـ : كـانـ اـبـيـ مـنـ اـهـلـ الدـعـوـةـ الـحـاكـمـيةـ<sup>(٢)</sup> وـعـطـلـتـ فـيـ زـمـانـهـمـ  
الـسـنـةـ وـكـتـبـهـاـ وـالـأـنـارـ جـمـلةـ إـلـاـ فيـ الـخـفـيـةـ ، وـشـعـارـ هـذـهـ دـعـوـةـ تـقـدـيمـ الـقـلـ عـلـىـ  
الـوـحـيـ ، وـاـسـتـوـلـوـاـ عـلـىـ بـلـادـ الـغـرـبـ ، وـمـصـرـ ، وـالـشـامـ ، وـالـحـجازـ ، وـاـسـتـوـلـوـاـ

(١) الاـشـارـاتـ وـالـشـفـاـ لـابـنـ سـيـنـاـ (٢) نـسـبةـ إـلـىـ الـحـاكـمـ اـحـدـ خـلـفـاءـ الـفـاطـمـيـيـنـ

على العراق سنة ، واهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين ، بل كان لأهل الذمة من الامان والجاه والعز عندهم ما ليس لأهل السنة . فكم انحدر من سيفهم في اعناق العلماء ، وكم مات في سجونهم من ورثة الانبياء ، حتى استنقذ الله الاسلام والمسلمين من ايديهم في ايام نور الدين وابن أخيه صلاح الدين <sup>(١)</sup> فأجل الاسلام من عنته ، بعد ما وطن نفسه على العزاء ، وانتعش بعد طول الخمول حتى استبشر اهل الارض والسماء . وابدر هلاله بعد ان دخل في الحق . وثبتت اليه روحه بعد ان باغت الترق . وقيل من راق . واستنقذ الله بعده وجنوده بيت المقدس من ايدي عبادة الصليب . واخذ كل من انصار الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب . وعلت كلمة السنة واذن بها على رؤوس الاشهاد ، ونادي المنادي يا انصار الله لا تنكروا عن الجهاد ، فإنه أبلغ الزاد ليوم المعاذ . فعاش الناس في ذلك النور مدة . حتى استولت الظامة على بلاد الشرق ، فقدموا الآراء والعقول والسياسة والاذواق على الوحي وظهرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوابعها . فبعث الله عليهم عباداً أولى بأُس شديد بخاسو اخلاق الديار ، وعأموا في القرى والامصار ، وكاد الاسلام أن يذهب اسمه

(١) قوله نور الدين وابن أخيه صلاح الدين هذا من أعظم الغلط فانه لا قرابة في النسب بين نور الدين وصلاح الدين فان نور الدين تركي وصلاح الدين كردي وهو نور الدين محمود بن زكي بن آقسنقر وأما صلاح الدين فهو يوسف بن أيوب وهذا الغلط من غير المصنف بلا شك . **﴿تنبيه﴾** اقول هذا التنبيه الذي في الهاشم بخط الشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى ، نبهني الى ذلك الشيختين محمد التوسيجري وسليمان بن حمدان

ويسمى رسما . وكان مشار هذه الفئة وعاليها الذي يرجع اليه ، وزعيمها المول فيها عليه شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل . وإمامهم في وقته نصير الشرك والكفر الطوبي . فلم يعلم في عصره أحد عارض بين العقل والنقل معارضة رام بها إبطال النقل بالكلية مثله . فإنه أقام الدعوة الفلسفية ، واتخذ الإشارات عوضا عن السور والآيات . وقال : هذه عقليات قطعية برهانية قد قابلت تلك التقلبات الخطابية . واستعرض أهل الإسلام وعلماء أهل الإيمان والقرآن والسنة على السيف . فلم يبق منهم إلا من قد أبغزه ، قصدًا لإبطال الدعوة الإسلامية . وجعل مدارس المسلمين وأوقافهم للنجسية السحرة والنجومين والفلسفه والملائكة والمنظرين . ورأى إبطال الأذان وتحويل الصلوة إلى القطب الشمالي . خال بيته وبين ذلك من تكفل بحفظ الإسلام ونصره ، وهذا كله من ثمرة المعارضين بين الوحي والعقل . ولتكن قصة شيخ هؤلاء القدماء <sup>(١)</sup> منك على ذكر كل وقت . فإنه أول من عارض بين العقل والنقل . وقدم العقل . فكان من أمره ما قص الله . وورث الشيخ تلاميذه هذه المعاشرة . فلم يزل يجري على الانبياء واتباعهم منها كل محن وبلية . واصل كل بلية في العالم كما قال محمد الشهرستاني : من معاشرة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع . والناس إلى اليوم في شرور هذه المعاشرة . ثم ظهر مع هذا الشيخ المتأخر المعارض أشياء لم تكن تعرف قبله : حست <sup>(٢)</sup> العميدى ،

(١) أبايس لعن الله (٢) كذلك بالاصل ولعلها حسيات

وحقائق ابن عربي ، وشكوك الرازى . وقام سوق الفلسفة والمنطق  
وعلوم اعداء الرسل

ثم نظر الله الى عباده واتصر لكتابه ودينه واقام جندا يغزو  
ملوك هؤلاء بالسيف والسنان ، وجندا يغزو علماءهم بالحجۃ والبرهان .  
ثم نبغت نابغة منهم في رأس القرن السابع فاقام الله لدينه شیخ الاسلام  
أبا العباس احمد بن تیمیة قدس الله روحه ، فاقام على غزوهم مدة حياته  
باليد والقلب والاسان ، وكشف للناس باطلمهم وبين تلیسمهم وتدلیسمهم ،  
وقاربهم بصریح المقول وصحیح المنقول ، وشغی واشتغی ، وبين تناقضهم  
ومفارقهم لحكم العقل الذي به يدللون والیه يدعون ، وانهم ارث الناس  
لا حکامه وقضایاه ، فلا وحي ولا عقل . فأردام في حفرهم ، ورشقهم  
بسهامهم ، وبين ان صحیح معقولاتهم خدم لنصوص الانبیاء . بجزء الله  
عن الاسلام واهلہ خیرا

الوجه التاسع والثلاثون : انه قد ثبت بالعقل الصریح والنقل  
الصحيح ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه . وانه أحق بالكمال من كل  
ما سواه . وانه يجب ان تكون القوة كلها لله ، وكذا العزة والعلم والقدرة  
والكلام ، وسائر صفات الكمال ، وقام البرهان السمعي والمعقلي على انه  
يمتنع ان يشترک في الكمال التام اثنان ، وان الكمال التام لا يكون إلا  
لواحد ، وهاتان مقدمتان يقینيتان معلومتان بصریح العقل . وجاءت  
نصوص الانبیاء مفصلة بما في صریح العقل ادراكه قطعا . فاتفق على ذلك

العقل والنقل قال الله تعالى ( وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ  
الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) وقد اختلف في تعلق قوله ( أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) بماذا ؟  
فقالت طائفة : هو مفعول يرى أي فلو يرون أن القوة لله جميعاً لما عصوه ولما  
كذبوا رسلاه وقدموا عقولهم على وحيه . وقالت طائفة : بل المعنى لاز  
القوة لله جميعا ، وجواب لمعذوف على التقدير . أي ولو يرى هؤلاء حالم  
وما أعد الله لهم إذ يرون العذاب لرأوا امراً عظيما . ثم قال ( أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ  
جَمِيعًا ) وقال ( إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ) وقال النبي عليه السلام في دعاء الاستفتاح  
« لبيك وسعديك وانخير كله في يديك » وفي الآخر الآخر « الاهم لك  
الحمد لكه ، والملك كلها ، ويدك انخير كلها ، واليتك يرجع الامر كله » فلما  
سبحانه كل صفة كال وهو موصوف بتلك الصفات كلها . ونذكر من ذلك  
صفة واحدة يعتبر بها في سائر الصفات : وهو انك لوفرضت جمال الخلق  
كلهم من أولهم الى آخرهم اجتمع لشخص واحد منهم ، ثم كان الخلق  
كلهم على جمال ذلك الشخص لكان نسبته الى جمال الرب تبارك وتعالى دون  
نسبة سراج ضعيف الى جرم الشمس . وكذلك قوته سبحانه وعلمه وسعه  
وبصره وكلامه وقدرته ورحمته وحكمته وجوده وسائر صفاته . وهذا  
مما دلت عليه آياته الكونية والسمعية واطلعت به رسله عنه كافي الصحيح  
عنه عليه السلام « ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ، بخوض القسط ورفعه  
يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل . حجا به  
النور لو كشفه لأحرقت سبات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه »

فإذا كانت سبعات وجهه الاعلى لا يقوم لها شيء من خلقه ولو كشف حجاب النور عن تلك السبعات لاحرق العالم العاوي والسفلي ، فما اظن بمحال ذلك الوجه الكريم وعظمته وكرياته وكماله وجلاله وجماله ؟ واذا كانت السموات مع سعتها وعظمتها يجعلها على اصبع من اصابعه والارض على اصبع والبحار على اصبع والجبال على اصبع فما اظن باليد الكريمة التي هي صفة من صفات ذاته ؟ واذا كان يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفاصن الحاجات بأقطار الارض والسموات فلا تشتبه عليه ولا تختلط عليه . ولا يغاظه سمع عن سمع . ويرى دبيب الملة السوداء على الصخرة الصماء تحت اطباق الارض في الليلة الظلماء . ويعلم ماتسره القلوب واخفى منه . وهو مالم يخطر لها ان يخطر لها . ولو كان البحر المحيط بالعالم مداداً ومحيط به من بعده سبعة ابحار كلها مداداً وجميع اشجار الارض . وهو كل نبت قام على ساقه ما يحصد وما لا يحصد ، اقلام يكتب بها نفدت الاقلام والبحار ولم ينفد كلامه . وهذا وغيره بعض ما تعرف به الى عباده من كماله ، وإلا فلا يمكن لاحد قط ان يحصي ثناء عليه ، بل هو كما اثني على نفسه . فكل الثناء وكل الحمد وكل الجد ، وكل السكال له سبحانه . هو الذي وصلت اليه عقول اهل الايثبات وتلقوه عن الرسل ولا يحتاجون في ثبوت عالمهم وجزءهم بذلك الى الجواب عن الشبه القادحة في ذلك واذا وردت عليهم لم تقدح فيما عاشهوا وعرفوه ضرورة من كون ربهم تباركاً وتعالى كذلك وفوق ذلك فلو قال قائل : هذا الذي عاشهوا لا يثبت إلا بالجواب عن ما عاشره

من العقليات . قالوا ، لقائل هذه المقالة : هذا كذب وبهت . فان الامور الحسية والمقلية اليقينية قد وقع فيها شبهات كثيرة تعارض ما علم بالحس والعقل . فلما توافق عالمنا بذلك على الجواب عنها وحاجها لم يثبت لنا ولا احد علم بشيء من الاشياء ، ولا نهاية لما تقدف به النقوس من الشبه الخيالية وهي من جنس الوساوس والخطرات والخيالات التي لا زالت تحدث في النقوس شيئاً فشيئاً ، بل اذا جزمنا بثبوت الشيء جزمنا ببطلان ما ينافق ثبوته . ولم يكن ما يقدر من الشبه الخيالية على تقديره مانعاً من جزمنا به ، ولو كانت الشبهة ما كانت . فما من موجود يدركه الحس إلا ويمكن كثير من الناس ان يقيم على عدمه شبهة كثيرة يعجز السامع عن حلها . ولو شئنا لذكرنا لك طرفاً منها تعلم انه اقوى من شبه الجهمية النفافة لعلو الرب على خلقه وكلامه وصفاته . وقد رأيت او سمعت ما اقاموه كثير من المتكلمين من الشبه على ان الانسان تتبدل نفسه الناطقة في الساعة الواحدة اكثر من الف مرة ، وكل لحظة تذهب روحه وتقاربها وتتحدث له روح أخرى غيرها أبداً ، وما اقاموه من الشبه على ان السموات والارض والجبال والبحار تتبدل كل لحظة ، ومخالفها غيرها . وما اقاموه من الشبه على ان روح الانسان ليست فيه ولا خارجة عنه . وزعموا ان هذا اصح المذاهب في الروح . وما اقاموه من الشبه ان الانسان اذا انتقل من مكان الى مكان لم يتر على تلك الامكنته الأخرى التي من مبدأ حركته ونهايتها ولا قطعها ولا حاذتها وهي مسألة طفرة النظام واضعاف

اضعاف ذلك

وهو لاء طائفة الملاحدة من الانجذابية كلهم يقولون ان ذات الخالق هي عين ذات المخلوق ولا فرق بينها أبنته ، وان الاثنين واحد وانما الحس والوهم يغلط في التعدد ، ويقيمون على ذلك شبهًا كثيرة قد نظمها ابن الفارض في قصيده ، ووذكرها صاحب الفتوحات في فصوصه وغيرها وهذه الشبه كلها من واد واحد ، وهي خزانة الوساوس ولو لم نجزم بما علمناه الا بعد العلم برد تلك الشبهات لم يثبت لنا علم ابدا . فالعقل اذا علم ان هذا الخبر صادق علم ان كل ما عارضه فهو كذب ولم يحتاج لان يعرف اعيان الاخبار المعارضة له ولا وجوهها . والله المستعان

الوجه الأربعون : ان الطريق التي سلكها نفأة الصفات والعلو والتسلك من معارضته النصوص الالهية بآرائهم هي بعينها الطريق التي سلكها اخوانهم من الملاحدة في معارضته نصوص العـاد بآرائهم وعقولهم ومقدمةـتها . ثم نقلواها بعينها الى ما امرـوا به من الاعمال كالصلوات الحس والزكـاة والحجـ والصيام ، فـعلـواـهاـ لـعـامـة دون اخـاصـةـ ، فـآلـ الـامرـ بهـمـ الىـ انـ اـلـحدـواـ فيـ الـاـصـولـ الثـلـاثـةـ الـتـيـ اـنـقـقـ عـلـيـهاـ جـيـعـ المـلـلـ وـجـاءـتـ بهاـ جـيـعـ الرـسـلـ ، وـهـيـ الـايـانـ بـالـلـهـ ، وـالـيـوـمـ الـاـخـرـ ، وـالـاعـمـالـ الصـالـحةـ قالـ تعالى ( إـنـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـالـذـيـنـ هـاـدـواـ وـالـنـصـارـىـ وـالـصـابـرـىـ مـنـ آـمـنـ مـنـهـمـ يـاـ اللـهـ وـالـيـوـمـ الـاـخـرـ وـعـلـىـ صـالـحـاـفـتـهـمـ أـجـرـهـمـ عـنـدـ رـبـهـمـ وـلـأـخـوـفـ عـلـيـهـمـ وـلـأـمـ يـحـزـنـونـ ) فـهـوـ لـاءـ المـلاـحـدـ يـحـتـجـونـ عـلـىـ نـفـأـةـ الصـفـاتـ بـمـاـ وـفـقـوـهـ عـلـيـهـ

من الاعراض عن نصوص الوحي ونفي الصفات ، كما ذكر ابن سينا في رسالته الاخبوية ، فانه قال فيها ، لما ذكر حجة من اثبتت معادل البدن ، وان الداعي لهم الى ذلك ما ورد به الشرع منبعث الاموات . فقال : واما امر الشرع فينبغي ان يعلم فيه قانون واحد ، وهو ان الله الآية على لسان نبي من الانبياء يرام بها خطاب الجمбор كافة ، ثم من المعلوم الواضح ان التحقيق الذي ينبغي ان يرجع اليه في صحة التوحيد من الاقرار بالصانع موحدا مقدسا عن الكم والكيف والابن ومتى والوضع والتغير ، حتى يصير الاعتقاد به انه ذات واحدة لا يمكن ان يكون لها شريك في النوع ، او يكون جزءا وجودي كي او معنوي ، ولا يمكن ان تكون خارجة عن العالم ولا دخلة فيه ، ولا حيث تصح الاشارة اليها بانها هنا او هناك ، وهذا متنع القاوه الى الجمبور ، ولو أتي هذا على هذه الصورة الى العرب العاربة والعبرانيين الاجلاف لسارعوا الى العناد واتفقوا على ان الائمان المدعو اليه ايمان بمعصوم لا وجود له اصلا ، ولهذا ورد ما في التوراة تشبيها كلها . ثم انه لم يرد في الفرقان من الاشارات الى هذا الامر الا ثم شيء ، ولا الى تصریح ما يحتاج اليه في التوحيد بيان مفصل ، بل اني بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر وبعضه جاء تزيها مطلاقا عاما جدا لا تخصيص ولا تفسير له . وأما الآحاد التشبيهية فاكثر من ان تختص ولكن ابى القوم الا ان يقبلوها فاذا كان الامر في التوحيد هذا ، فكيف بما بعده من الامور الاعتقادية ؟ ولبعض الناس ان يقول : ان للعرب توسع في الكلام ومجازا . وان

الالفاظ التشبيهية مثل الوجه واليد والاتيان في ظلل الغام والجبي والذهب  
والضحك والحياء صحيحة ، ولكن مستعملة استعارة ومجازا ، قال : ويبدل  
على استعمالها غير مجازية ولا مستعارة أن الموضع التي يوردونها حجة في  
أن العرب تستعمل هذه المعاني بالاستعارات والمجاز على غير معانها  
الظاهرة مواضع منها يصلاح أن تستعمل على غير هذا الوجه ولا يقع  
فيه تأييس . وأما قوله في (فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) قوله (هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ  
تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَنَّ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) على القسمة  
المذكورة وما جرى مجرىه . فليس تذهب الاوهام فيه أبداً الى ان العبارة  
مستعارة أو مجازية ، فان كان اريد فيها ذلك اضماراً فقد رضي بوقوع  
الغاط والتشبيه والاعتقاد الموج بالاعمال بظاهرها تصرح . قوله (يَدَ اللَّهِ  
هُوَ قَوْمٌ أَيْدِيهِمْ) قوله (مَا فَرَطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ) فهو موضع الاستعارة والمجاز  
والتوسيع في الكلام ، ولا يشك في ذلك اثنان من فصيحاء العرب ، ولا تأييس  
على ذي معرفة في لغتهم ، كما تلتبس في تلك الامثلة ، فان هذه الامثلة لا  
يقع شبهة أنها مستعارة مجازية ، كذلك في تلك لا يقع شبهة في أنها  
ليست استعارية ولا مجازية ، ولا يراد فيها شيء غير الظاهر . ثم هب  
ان هذه كلها موجودة على الاستعارة ، فلين التوكيد والعبارة المشيرة  
باتصرح الى التوحيد الحض الذي يدعو اليه حقيقة هذا الدين المعترف  
بمحالاته على لسان حكماء العالم قاطبة ؟ ثم قال في ضمن كلامه : ان الشريعة  
الخالية على لسان نبينا جاءت افضل ما يمكن ان تجني بمنزل الشرائع واكمله .

ولهذا صاحت أن تكون خاتمة الشرائع وأخر الملل . قال : وain الاشارة إلى الدقيق من المعاني الميسرة إلى علم التوحيد ، مثل انه عالم بالذات ، او عالم بعلم ، قادر بالذات ، او قادر بقدرة ، واحد بالذات على كثرة الاوصاف او قابل للكثرة ، تعالى عنها بوجه من الوجوه ، متغير الذات او متزه عن الجهات ، فانه لا يخلو إما ان تكون هذه المعاني واجباً تتحققها واقتان المذهب الحق فيها ، او يسع الصدوف عنها واغفال البحث والرواية فيها ، فان كان البحث فيها مغفوا عنه وغاط الاعتقاد الواقع فيها غير ما خود به بخل مذهب هؤلاء القوم المخاطبين بهذه الجملة تكلف وعنده غنية ، وان كان فرضاً محكماً فواجب او يكون بما صرح به في الشريعة ، وليس التصرع المعنى او الملبس او المقتصر بالاشارة والاباء ، بل التصرع المستقصى فيه والمنبه عليه والموقى حق البيان والايضاح والتعریف على معانیه . فان البرزین المنفقین أيامهم وليلاليهم وساعات عمرهم على تمرین اذهانهم وتذکیة افهامهم وترشیح نفوسهم لسرعة الوقوف على المعانی الفاصلة يحتاجون في تفهم هذه المعانی الى فضل بيان وشرح عبارة ، فكيف <sup>عُثم</sup><sup>(١)</sup> العبرانيين (١) واهل الورب من العرب ؟ لعمري لو كلف الله رسوله من الرسل ان يلقي حقائق هذه الامور الى الجمهور من العامة الغليظة طباعهم ، المنغلقة بالمحسوسات الصرفة او هامهم ، ثم سامه ان يستنجز منهم الایمان والاجابة غير متمهل فيه ، وسامه ان يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة حتى تستعد للوقوف عليها لكتفه شططاً ، وان يفعل ما ليس في قوته

(١) الاغتم من لا ي Finch شينا

البشر . الاهم إلا ان تدركهم حالة إلهية ، وقوة علوية ، وإلهام سماوي  
فتكون حينئذ ساطعة الرسول مستغنى عنها وتبليغه غير محتاج اليه . وهب  
ان الكتاب العزيز جاء على لغة العرب وعادة لسانهم في الاستعارة والمجاز ،  
فما يقوهم في الكتاب العبراني ، وكما من أوله الى آخره تشبيه صرف ؟ وليس  
لائقاً ان يقول ذلك الكتاب محرف ، وانني بحرف كلية كتاب منتشر  
في الام لا يطاق تعدادكم ؟ وبالادم متباعدة ، واوهامهم متباعدة ، منهم يهودي  
ونصراني ، وهم امتنان متعددة . فظاهر من هذا كله ان الشرائع واردة  
بخطب الجمهور بما يفهمون ، مقربة ما لا يفهون بالتشليل والتشبيه  
 ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع أربتها ، قال : فكيف يكون ظاهر  
الشرع حجة في هذا الباب ، يعني امر المعاد ؟ ولو فرضنا الامور الاخروية  
روحانية غير مجسمة كان بعيداً عن ادراك بدائه الادهان تحقيقها ، ولم  
يكن سبيلاً لشرع الماد الى الدعوة اليها والتحذير عنها الا بالتعبير عنها بوجوه  
من المثيلات المقربة الى الافهام ، فكيف يكون وجود شيء آخر لو لم  
يكن الشيء الآخر على الحالة المفروضة لكان الشيء الأول على حالته ؟  
فهذا هو الكلام على تعريف من طلب ان يكون خاصاً من الناس لا عاماً  
ان ظاهر الشرائع غير محتاج به في مثل هذه الابواب  
فتتأمل هذا المأخذ ، بل رأس ملاحظة الملة ، ودخوله في الاتحاد من  
باب نفي الصفات ، وتساطعه في إلحاده على المعطلة النفاوة بما وافقوه عليه من  
النبي وإذامه لهم ان يكون الخطاب بالعاد جهوريأ أو مجازاً أو استعارة ،

كما قالوا في نصوص الصفات التي اشتركت هو وهم في تسميتها تشبيهاً وتجسيماً مع أنها أكثر تنوعاً وأظهر معنى واين دلالة من نصوص المعاد . فإذا ساعيكم أن تصرفوها عن ظاهرها بحال تحتمله اللغة فصرف هذه عن ظواهرها أسهل . ثم زاد هذا الماء على عبادتهم باعترافه بأن نصوص الصفات لا يمكن حملها كله على الاستعارة والمجاز ، وإن يقال إن ظاهرها غير مراد ، وإن لذلك الاستعمال مواضع تليق به حيث يكون دعوى ذلك في غيرها غالباً معاً كفي مثل قوله ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ أَمْلَائِكَةً أُوْيَاتِ رَبِّكَ أُوْيَاتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) فع هذا التقسيم والتسبيع يمتنع المجاز ، فاما أريد ما دل اللفظ عليه ظاهراً ، ومع هذا فقد ساعدتم على امتناعه لقيام الدليل العقلي عليه ، فهكذا نفعل نحن في نصوص المعاد سواء . فهذا حاصل كلامه وإزامه ودخوله إلى الاختلاف

من باب نفي الصفات والتجم

وطريق الرد المستقيم في إبطال قوله وقول المعطلة جميعاً إن يقال : لا يخلو ما يكون الرسول يعرف ما دل عليه العقل بزعمكم من انكار علو الله على خلقه واستوارائه على عرشه ، وتکلیمه لرسله وملائكته ، أو لم يعرف ذلك ؟ فان قلت : لم يكن يعرفه ، كانت الجهمية المعطلة والملاحدة والمعزلة والقرامطة والباطنية والنصرانية والاسمية والاسمية وأمثالهم اعلم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له ويمتنع عليه من رسنه واتباعهم . وإن كان يعرفه امتنع ان لا يتكلم به يوماً من الدهر به مع احد من خاصته واهل سره

ومن العلوم قطعاً ان رسول الله ﷺ لم يتكلم مع احد بما ينافى ما أظهره  
لناس ، ولا كان خواص اصحابه يعتقدون فيه نقىض ما أظهر للناس ،  
بل كل من كان به أخص وبحاله اعرف كان اعظم موافقه له وتصديقاً له  
على ما اظهره وينه وخبر به . فلو كان الحق في الباطن خلاف ما اظهره  
لزم احد الامرين : اما ان يكون جاهلاً به ، او كاتماً له عن الخاصة وال العامة  
ومظاهر خلافه لل خاصة وال العامة . وهذا من اعظم الامور امتناعاً ، ومدعى  
في غاية الوقاحة وال بهت . ولهذا لما علم هؤلاء انه يستحيل كتمان ذلك عن  
خواصه وضعوا احاديث يبنوا فيها انه كان له خطاب مع خاصته غير  
الخطاب العامي ، مثل الحديث المتفق عن عمر انه قال « كان رسول  
الله ﷺ يتحدث مع ابي بكر وكنت كالزنجي بينها » ومثل ما يدعى  
الرافضة أنه كان عند علي علم خاص يخالف هذا الظاهر . ولما علم الله تعالى  
ان ذلك يدعى في علي وفق من سأله : هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء  
خصكم به دون الناس ؟ فقال « لا ، والذي فاق الحبة وبرأ النسمة ما أسر  
النبي ﷺ اليهَا شيشاً كتمه عن غيرنا الا فهذا يؤتيه الله عبده في كتابه وما  
في هذه الصحيفة ، وكان فيها العقول <sup>(١)</sup> والديات وفکاك الاسير ، وان  
لا يقتل مسلم بكافر » وهذا الحديث في الصحيحين

وما ذكره ابن سينا من انه لم يرد في القرآن من الاشارة الى توحيد  
شيء ، فكلام غير صحيح . وهذا دليل على انه باطل لا حقيقة له ، وان من

(١) العقل الدية ، لأن الابل كانت تعقل بفناء أولياء القتيل أى شدتها  
فعقلها ليس لها عليهم ، سميت بالمصدر

وافقهم عليه فهو جاهل ضال . وكذاك ما ذكره من ان من الموضع التي ذكرت فيها الصفات مالا يحتمل المفظ فيه الا معنى واحدا كما ذكر في قوله ( هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ أَمْلَائِكُهُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ) فهو حجة على من نفي حقيقة ذلك ومدلوله من المعطلة نفاة الصفة ، وهو حجة عليه وعليهم جميعا ، وموافقتهم له على التعطيل لا تنفعه ، فان ذلك حجة جدلية لا عالمية ، اذ تسليمهم له ذلك لا يوجب على غيرهم ان يسلم بذلك له . فاذا تبين بالعقل الصرخ ما يوافق النقل الصحيح دل ذلك على فساد قوله وقولهم جميعا . وكذاك قوله : هب ان هذه كلها موجودة على الاستعارة فain التوحيد ، والدلالة والتصرخ على التوحيد الحض الذي تدعوا اليه حقيقة هذا الدين القيم المعترف بمحالته على لسان حكام العالم قاطبة ؟ كلام صحيح لو كان ما قاله النفاحة حقا ، فانه على قولهم لا يكون هذا الدين القيم قد يين التوحيد الحق اصلا . وحينئذ فنقول : ان التوحيد الذي دعا اليه هؤلاء الملحدة هو من اعظم الالحاد في اسماء الرب وصفاته وافعاله ، وهو حقيقة الكفر وتعطيل العالم عن صانعه ، وتعطيل الصانع الذي اثبتوه عن صفات كاله . فشرک عباد الاصنام والاواني والشمس والقمر والكواكب خير من توحيد هؤلاء بكثير ، فانه شرك في الالهية مع اثبات صانع العالم وصفاته وافعاله وقدرته ومشيئته وعلمه بالكليات والجزئيات ، وتوحيد هؤلاء تعطيل لربوبيته وآلهيته وسائر صفاته ، وهذا التوحيد ملازم لاعظم انواع الشرك ، ولهذا كما كان الرجل اعظم تعطيلا كان اعظم شركا . وتوحيد

الجهمية وال فلاسفة من اقضى لتوحيد الرسل من كل وجه . فان مضمونه انكار حياة الرب ، وعame ، وقدرته ، وسمعيه ، وبصره ، وكلامه ، واستواره على عرشه ، ورؤيه المؤمنين له بابصارهم عياذ من فوقهم يوم القيمة ، وانكار وجهه الاعلى ويديه ومجيئه وإتيانه ومحبته ورضاه وغضبه وضنكه وسائر ما اخبر به الرسول عنه . وملعون ان هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول بما اخبر به عن الله ، فلستعار له اصحابه اسم التوحيد . ثم يقال : لو كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة المعطلون لكان قبول الفطر له اعظم من قبولها للادبات الذي هو ضلال وباطل عندهم ، فان الله تعالى نصب على الحق الادلة والاعلام الفارقة بين الحق والباطل ، وجعل فطر عباده مستعدة لادراك الحقائق . ولو لا ما في القلوب من الاستعداد لعمرفة الحقائق لم يمكن النظر والاستدلال والخطاب والكلام والفهم والافهام ، كما انه سبحانه جعل الابدان مستعدة للاعتماد بالطعام والشراب ولو لا ذلك لما امكن تعذيتها وتربيتها ، فكما اذ في الابدان قوة تفرق بين الغذاء الملازم والمنافي ، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل اعظم من ذلك ، وخاصة العقل التفريق بين الحق والباطل ، كما ان خاصية السمع التفريق بين الاصوات حسنه وقييمها ، وخاصة البصر المميز بين المرئيات واشكالها والوانها ومقاديرها . فاذا ادعيم على العقول انها لا تقبل الحق وأنها لو صرحت بها لانكرت ولم تذعن الى الاعيان . فقد سلبتم العقول خاصتها وقلبتم الحقيقة التي خلقها الله وفطرها عليها ، وكان نفس

ما ذكرت ان الرسل لو خاطبت به الناس لنفروا عن الاعيال من اعظم  
الحجج عليكم ، وانه مخالف العقل والفترة ، كما هو مخالف السمع والوحى .  
فتتأمل هذا الوجه فإنه كاف في ابطال قولهم . ولهذا اذا اراد اهله ان  
يدعوا الناس اليه ويقبلوه منهم وظاؤوا اليه توطئيات وقدموا له مقدمات  
يلبسوها في القلب درجة بعد درجة ، ولا يصرحون به أولاً ، حتى اذا  
احکموا ذلك البناء استعاروا له الفاظاً من خرفة واستعاروا لخافته الفاظاً  
شذيعة فتجتمع تلك المقدمات التي قدموها وتلك الالفاظ التي زخرفوها  
وتنك الشناعات التي على من خالفهم شنعواها . فهناك ان لم يمسك الاعيال  
من يمسك السموات والارض ان تزولاً والا ترحل عن القلب ترحل  
الغيث استدبره الرحيم

الوجه الحادي والاربعون : ان لوازم هذا القول معلومة البطلان  
بالضرورة من دين الاسلام ، وهي من اعظم الكفر . وبطلان الازام  
يستلزم بطلان ملزمته ، فان من لوازمه انه لا يستفاد من خبر الرسول عن الله  
في هذا الباب علم ولا هدى ولا بيان الحق في نفسه . ومن لوازمه ان  
يكون كلامه متضمناً لضد ذلك في ظاهره وحقيقةه . ومن لوازمه القدح  
في معرفته وعلمه ، او في فصاحته وبيانه ، او في نصحه وارادته كما تقدم تقريره  
صاراً . ومن لوازمه ان يكون المعطلة النفاوة اعلم بالله منه او انصح . ومن  
لوازمه ان يكون أشرف الكتب واشرف الرسل قد قصر في هذا  
الباب غاية التقصير وافتراض في التجسيم والتشبيه غاية الافراط ، وتنوع فيه

غاية التنوع . فمرة يقول « اين الله؟ » ومرة يقر عليها من سأله ولا ينكرها ومرة يشير باصبعه ، ومرة يضع يده على عينه وأذنه حين يخبر عن سمع الرب وبصره ، ومرة يصفه بالجبي والنزول والاتيان والانطلاق والمشي والهرولة ، ومرة يثبت له الوجه والعين واليد والاصبع والقدم والرجل والضحك والفرح والرضا والغضب والكلام والتكليم والنداء بالصوت والمناجاة ورؤيته مواجهة عيانا بالابصار من فوقهم ومحاضر لهم ماضرة ، ورفع الحجاب بيده ويأنهم ، وتجليه لهم واستدعاهم لزيارة وسلامه عليهم سلاماً ماحتيقيا (قولاً من رب رحيم) واستماعه واذنه (١) لحسن الصوت اذا تلا كلامه ، وخلقه ما يشاء بيده ، وكتابته كلامه بيده . ويصفه بالارادة والمشيئة والقدرة والقوه والحياة والحياة ، وقبض السموات وطيها بيده والارض بيده الاخرى ، ووضعه السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع ، الى اضعف ذاك مما اذا سمعه المعلولة سبحوا الله ونرزوه جحوداً وانكاراً لا اياناً وتصديقاً ، كما ضحك منه رسول الله عليه تعجبوا وتصديقا لفائه (٢) وما شهد لفائه بالايان شهد له هؤلاء بالكفر والضلال ، وما أوصى بتبلیغه الى الامة واظهاره ، بوصي هؤلاء بكلماته واحفائه ، وما اطلقه على ربہ لثلا يطلق عليه ضده ونقضه يطلق عليه هؤلاء ضده ونقضه ، وما نزه ربہ عنه من العيوب والنقائص يسكنون عن تنزيهه عنه ، وان اعتقدوا انه منزه عنه ، ويبالغون في تنزيهه عما وصف به نفسه . فتراهم يبالغون اعظم المبالغة في تنزيهه عن استواره على عرشه وعلوه

(١) بفتح الهمزة والذال المعجمة ، اي استماعه (٢) كما تقدم في خبر الخبر

على خلقه ، وتكلمه بالقرآن حقيقة واثبات الوجه واليد والعين له ، مالا يبالغون مثله ولا قريبا منه في تزكيته عن الظلم والعبث وال فعل لاحكمة والتكلم بما ظاهره ضلال ومحال . وتراءى اذا أثبتوا اثبتوا مجملًا لا تعرفه القلوب ولا تميز بينه وبين العدم ، وادا نفوا نفياً مفصلاً يتضمن تعطيل ما أثبته الرسول حقيقة

فيما واصغر اضعافه من لوازمه قول المعطلة . ومن لوازمه انت القلوب لا تتجبه ولا تریده ولا تبتغي له ولا تشتق اليه ولا تلتذ بالنظر الى وجهه الکريم في دار النعيم ، صرحووا بذلك كله ، وقالوا : هذا كله انما يصح تعلقه بالحدث لا بالقديم . قالوا : وارادته وعنته محال لأن الارادة انما تتعلق بالمدعوم لا بالموجود ، والمحبة انما تكون لمناسبة بين الحب والمحبوب ولا لمناسبة بين القديم والحدث . ومن لوازمه اعظم العقوق لا بיהם آدم ، فان من خصائصه ان الله خلقه بيده ، فقالوا : إنما خلقه بقدرته فلم يجعلوا له مزية على ابديس في خلقه . ومن لوازمه ، بل صرحو ابه ، جحد خلة ابراهيم الخليل ، وقالوا : هي حاجته وفقره وفاقته الى الله ، فلم يثبتوا له بذلك مزية على احد من الخلق ، اذ كل احد فقير الى الله بالذات وان غاب شعوره بفقره عن قلبه احيانا ، فهو يعلم انه فقير اليه في كل نفس وظرفة عين . ومن لوازمه ، بل صرحو ابه ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليمانا وانما خلق كلاما في الهواء أسمعه ايه ، فكلمه في الرحيم لأن الله اسمه كلامه الذي هو صفة من صفاته قائم بذاته ، لا يصدق الجهمي بهذا ابداً . ومن لوازمه بل صرحو ابه ، ان رسول الله ﷺ لم يعرج به الى الله حقيقة ولم يدّن من ربه

حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، ولم يرفع من عند موسى إلى عند ربِه  
مراراً يسألُه التخفيف لأمته . فان من ، والي ، عندهم في حق الله تعالى  
محال ، فلهم استلزم المكان ابتداء واتهاء . ومن لوازمه ان الله تعالى لم يفعل  
 شيئاً ولا يفعل شيئاً أبداً ، فإن الفعل عندهم عين المفعول ، وهو غير قائم  
بالرب ، فلم يقم به عندهم فعل أصلاً ، وسموه فاعلاً من غير فعل يقوم به ،  
كما سموه مريداً من غير ارادة تقوم به ، وسموه متتكلماً من غير كلام يقوم  
به ، وسماه زعيمهم المتأخر عن الله وعند عباده عالماً من غير علم يقوم به  
حيث قال : العلم هو المعلوم كما قالوا الفعل هو المفعول . ومن لوازمه انه  
لا يسمع ولا يبصر ولا يرضى ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض ، فإن ذلك  
من مقوله : إن ينفك ، وهذه المقوله لا تتعلق به وهي في حقه محال كما نفوا  
ع فهو على خلقه واستواءه على عرشه بكون ذلك من مقوله الain وهي  
متتبعة عليه ، كما نفوا استواءه على عرشه ، لان ذلك من مقوله الوضع  
المستحيل ثبوتها له . ولو الزم قولهم اضعاف اضعف ما ذكرناه  
الوجه الثاني والأربعون : إن هؤلاء المعارضين لا وحي بارآتهم جعلوا كلام الله  
ورسوله من الطرق الضعيفة المزيفة التي لا يتمسك بها في العلم واليقين  
قال الرازي في نهایته : الفصل السابع في تزييف الطرق الضعيفة  
وهي اربع : فذكر نفي الشيء لاتفاقه دليلاً ، وذكر القياس ، وذكر  
الالزامات . ثم قال : والرابع هو التمسك بالسمعيات ، وهذا اصرى به بأن  
التمسك بكلام الله ورسوله من الطرق الضعيفة المزيفة ، واحد في تقرير

ذلك ، فقال : المطالب على اقسام ثلاثة : منها ما يستحيل العلم بها بواسطة السمع ، ومنها ما يستحيل العلم بها الا من السمع ، ومنها ما يصح حصول العلم بها من السمع نارة ومن العقل أخرى . قال : أما القسم الاول فكل ما يتوقف العلم بصححة السمع على العلم بصحته استحال تصحيحة بالسمع من قبل العلم بوجود الصانع ، وكونه مختاراً و عالما بكل المعلومات وصدق الرسول . قال : وأما القسم الثاني فهو ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر اذا لم يوجده الانسان من نفسه ولا يدركه بشيء من حواسه ، فان حصول غراب على قلة جبل قاف إذا كان جائز الوجود والعدم مطلاقاً وليس هناك ما يقتضي وجوب أحد طرفيه أصلاً وهو غائب عن الحس والنفس استحال العلم بوجوده الا من قول الصادق  
 واما القسم الثالث : فهو معرفة وجوب الواجبات وامكان المكنات واستحالات المستحيلات الذي يتوقف العلم بصححة السمع على العلم بوجوبها وامكانيها واستحالاتها ، مثل مسئلة الرؤية والصفات ، الوحدانية وغيرها . ثم عدد امثلة . ثم قال : اذا عرفت ذلك فنقول : اما ان الادلة السمعية لا يجوز استعمالها في الاصول في القسم الاول فهو ظاهر ، والا وقع الدور ، وأما انه يجب استعمالها في القسم الثاني فهو ظاهر كما سلف . واما الثالث فبني جواز استعمال الادلة السمعية فيه اشكال ، وذلك لأننا لو قدرنا قيام الدليل القاطع العقلي على خلاف ما اشعر به ظاهر الدليل السمعي فلا خلاف بين اهل التحقيق بأنه يجب تأويل الدليل السمعي لانه اذا لم يكن الجم

يُبَيَّنُ ظَاهِرُ النَّفْلِ وَيُبَيَّنُ مَقْتَضِيُ الدَّلِيلِ الْعُقْلِيِّ ، فَإِمَّا أَنْ يَكْذِبَ بِالْعُقْلِ وَإِمَّا  
أَلَا يَؤْوِلُ النَّفْلَ ، فَإِنْ كَذَبْنَا الْعُقْلَ مَعَ أَنَّ النَّفْلَ لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالْعُقْلِ  
فَإِنْ طَرِيقُ الْأَثِيَّاتِ الصَّانِعِ وَمَعْرِفَةُ النَّبُوَّةِ لَيْسَ إِلَّا عُقْلٌ خَيْرٌ  
تَكُونُ صَحَّةُ النَّفْلِ مُتَفَرِّعَةً عَلَى مَا يَحْوزُ فَسَادَهُ وَبَطْلَانَهُ ، فَإِذَا لَا يَكُونُ  
الْعُقْلُ مَقْطُوْعَ الصَّحَّةِ ، فَإِذَا تَصْحِيحَ النَّفْلِ يَرْدُ الْعُقْلَ وَيَتَضَمَّنُ الْقَدْحَ  
فِي النَّفْلِ . وَمَا أَدَى ثَبَوَتِهِ إِلَى اِتْفَاءِهِ كَانَ بِاطْلَانَهُ ، وَتَعْنِي تَأْوِيلُ النَّفْلِ ، فَإِذَا  
الْدَلِيلُ السَّمِعِيُّ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ بِوْجُودِ مَدْلُولِهِ إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَوْجِد دَلِيلٌ  
عُقْلِيٌّ عَلَى خَلَافِ ظَاهِرِهِ ، خَيْرٌ لَا يَكُونُ الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ مُفِيدًا لِمَا مُطلَبُ  
إِلَّا إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعُقْلِ مَا يَقْتَضِيُ خَلَافُ ظَاهِرِهِ ، وَلَا سَبِيلٌ لِنَا  
إِلَى أَثِيَّاتِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَقْيِيمَ دَلَالَةِ عُقْلِيَّةٍ عَلَى صَحَّةِ مَا اشْعَرَ  
بِهِ ظَاهِرُ الدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ وَخَيْرٌ يَصِيرُ الْاسْتِدْلَالُ بِالنَّفْلِ فَضْلَةً غَيْرُ مُحْتَاجٍ  
إِلَيْهِ . وَإِمَّا بِأَنْ تَزْرِيفَ أَدَلَّةَ الْمُنْكَرِينَ لِمَا أَدَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ النَّفْلِ ، وَذَلِكَ  
ضَعِيفٌ ، لِمَا يَنْتَهِيُ إِلَيْهِ لَا يَلْزَمُ مِنْ فَسَادِ مَا ذُكِرَوْهُ إِلَّا يَكُونُ هَنَالِكَ  
مَعَارِضٌ أَصْلًا ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ أَنَّهُ لَا دَلِيلٌ عَلَى هَذِهِ الْمَعَارِضَاتِ ، فَوُجُوبُ نَفْيِهِ  
لَكَنَّا زَيَّفْنَا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، يَعْنِي اِتْفَاءَ الشَّيْءِ لَا تَفَاءُ دَلِيلُهُ ، أَوْ تَقْيِيمُ  
دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى أَنَّ الْمَقْدِمَةَ الْفَلَانِيَّةَ غَيْرُ مَعَارِضَةٍ لِهَذِهِ النَّصِّ وَلَا الْمَقْدِمَةَ  
الْآخِرِيَّةَ . وَخَيْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى إِقْامَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ  
الْمَقْدِمَاتِ الَّتِي لَا نَهَايَةَ لَهَا غَيْرُ مَعَارِضَةٍ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ . فَبَيْنَ أَنْ لَا يَعْلَمُ  
حُصُولُ الْيَقِينِ بِعَدْمِ مَا يَقْتَضِيُ خَلَافُ الدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ ، وَبَيْنَ أَنْ الدَّلِيلُ

النطلي توقف افادته لايقين على مقدمة غير يقينية وهي عدم دليل عقلي ، وكل ماتنبني صحته على مالا يكون يقينيا لا يكون هو ايضا يقينيا . فثبت ان الدليل النطلي من هذا القسم لا يكون مفيداً لايقين . قال : وهذا بخلاف الادلة العقلية ، فانها مركبة من مقدمات لا يكتفى منها باذ لا يعلم فسادها ، بل لا بد وان يعلم بالبديهة صحتها ، اذ يعلم بالبديهة لزومها مما علم صحته بالبديهة ، ومتي كان كذلك استحال ان يوجد ما يعارضه لاستحالة التعارض في العلوم البديهية . ثم قال : فان قيل : ان الله سبحانه لما أسمع المكلف الكلام الذي يشعر ظاهره بشيء ، فلو كان في العقل ما يدل على بطلان ذلك الشيء وجب عليه سبحانه ان يخطر ببال المكلف ذلك الدليل وإلا كان ذلك تلبيساً من الله تعالى ، وانه غير جائز . قلنا : هذا بناء على قاعدة الحسن والقبح وانه يجب على الله سبحانه شيء ، ونحن لا نقول بذلك . سمعنا ذلك ، فلم قاتم انه يجب على الله ان يخطر ببال المكلف ذلك الدليل العقلي ؟ وبيانه : ان الله تعالى انما يكون ملسا على المكلف لو اسمعه كلاما يتنزع عقولا ان يريد به إلا ما اشعر به ظاهره ، وليس الامر كذلك ، لان المكلف اذا سمع ذلك الظاهر فبتقدير ان يكون الامر كذلك لم يكن مراد الله من ذلك الكلام ما اشعر به الظاهر ، فعلى هذا اذا اسمع الله المكلف ذلك الكلام فلو قطع المكلف بحمله على ظاهره مع قيام الاحتمال الذي ذكرنا كان ذلك التقصير واقعاً من المكلف ، لا من قبل الله تعالى ، حيث قطع لا في موضع القطع . فثبت انه لا يلزم من عدم

اخطر الله تعالى بحال المكافف ذلك الدليل العقلي المعارض للدليل السمعي  
ان يكون مكاففاً ملبيساً . قال : نخرج بما ذكرنا ان الادلة النقاية لا يجوز  
التمسك بها في باب المسائل العقلية . نعم يجوز التمسك بها في المسائل النقلية  
نارة لافادة اليقين كافي مسئلة الاجماع وخبر الواحد ، ونارة لافادة الظن  
كافي الاحكام الشرعية . انتهى كلامه

فليتذر المؤمن بهذا الكلام أوله على آخره وآخره على أوله ليتبين  
له ما ذكرناه عنه من العزل التام لقرآن والسنة ، من أن يستفاد منها عالم  
او يقين في باب معرفة الله وما يجب له وما يمتنع عليه ، وانه لا يجوز ان  
يحتاج بكلام الله ورسوله في شيء من هذه المسائل . وان الله تعالى يجوز  
عليه التدلیس والتلبیس على اخلاقه وورديطم في طرق الضلال ، وتعريفهم  
لاعتقاد الباطل والمحال ، وان العباد مقصرون غایة التقصير اذا حملوا كلام  
الله ورسوله على حقيقته ونطقوا بمضمون ما اخبرا به ، حيث لم يشكوا  
في ذلك ، او قد يكون في العقل ما يعارضه ويناقضه ، وان غایة ما يمكن  
ان يحتاج بكلام الله ورسوله عليه من الجزئيات ما كان مثل الاخبار بان  
على قلة جبل قاف غرابة صفتة كيت وكيت ، او على مسألة الاجماع وخبر  
الواحد ، وان مقدمات أدلة القرآن والسنة غير معلومة ولا متيقنة الصحة  
ومقدمات أدلة ارسطو صاحب النطق والفارابي وابن سينا وآخواتهم  
قطعاً معلومة الصحة وانه لا طريق لنا الى العلم بصحة الأدلة في باب  
الإيمان بالله واسمائه وصفاته أثبتة ، لتوقفها على انتفاء مالا طريق لنا الى

العلم باتفاقه . وان الاستدلال بكلام الله ورسوله في ذلك فضلا لا يحتاج  
إليها ، بل هي مستغنى عنها اذا كان موافقاً لـ العقل  
فتتأمل هذا البناء الذي بنوه ، هل في قواعد الاخلاق اعظم هدم منه  
لقواعد الدين واشده مناقضة منه لوحى رب العالمين ؟ وبطلاز هذا الاصل  
المعروف بالاضطرار من دين جميع الرسل ، وعند جميع أهل الملل .  
وهذه الوجوه المتقدمة التي ذكرناها هي قليل من كثير مما يدل  
على بطلازه ، ومقصودنا من ذكره اعترافهم به بألسنتهم لا بالزاماً لهم به  
وتمام ابطاله ان نبين فساد كل مقدمة من مقدمات الدليل الذي عارضوا  
به النقل انها مخالفة العقل كا هي مناقضة لـ لوحى

الوجه الثالث والاربعون : ان السمع حجة الله على خلقه ، وكذلك  
العقل ، فهو سبحانه اقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل ، وان ما انزل  
عليهم من السمع ما لا يدفعه العقل فان العقل الصريح لا يتناقض في نفسه ،  
كما ان السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه ، وكذلك العقل مع السمع ،  
فحجج الله ويناته لا تتناقض ولا تتعارض ، ولكن توافق وتتعاضد وانت  
لا تجد سمعاً صحيحاً عارضاً معقولاً مقبولاً عند كافة العقلاة او اكثراهم ،  
بل العقل الصريح يدفع المعقول المعارض للسمع الصحيح ، وهذا يظهر  
بالامتحان في كل مسألة عورض فيها السمع بالمعقول . ونحن نذكر من  
ذلك مثلاً واحداً يعلم به ما عاداه فنقول :

قالت الفرقـة الجـامـعـة بين التـجهـيـم وـنـفيـ الـقـدر ، معـطـلةـ الصـفـاتـ : صـدقـ

الرسول موقوف على قيام العجزة الدالة على صدقه ، وقيام العجزة الدالة  
على صدقه ، موقوف على العلم بان الله لا يؤيد الكذاب بالعجزة الدالة  
على صدقه ، والعلم بذلك موقوف على العلم بقبحه ، وعلى ان الله تعالى لا يفعل  
القبيح ، وتنزيهه عن فعل القبيح موقوف على العلم بأنه غني عنه ، عالم بقبحه ،  
والغنى عن القبيح العالم بقبحه لا يفعله ، وعنه عنده موقوف على انه ليس  
بجسم ، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الاعراض والحوادث  
به ، وهي الصفات والافعال ، ونفي ذلك موقوف على ماده عليه حدوث  
الاجسام ، والذي دلنا على حدوث الاجسام أنها لا تخلو عن الحوادث ، وما  
لا تخلو عن الحوادث لا يسبقها ، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث .  
وأيضاً فانما لا تخلو عن الاعراض ، والاعراض لا تبقى زمانين ، فهي  
حادمه ، فإذا لم تخل الاجسام عنها لزم حدوثها . وأيضاً فان الاجسام مركبة  
من الجواهر الفردة ، والمركب مفتقر الى جزئه وجزءه غيره ، وما افتقر  
الى غيره لم يكن الا حادثاً مخلوقاً ، فالاجسام متماولة كل ما متصح على بعضها  
صح على جميعها ، وقد صح على بعضها التهليل والتركيب والاجماع  
والاقتراف فيجب ان يصح على جميعها ، قالوا : وبهذا الطريق اثبتنا حدوث  
العلم ونفي كون الصانع جسماً وامكان المعاد . فلو بطل الدليل الدال على  
حدوث الجسم بطل الدليل الدال على ثبوت الصانع وصدق الرسول .  
فصار العلم بثبوت الصانع وصدق الرسول وحدوث العالم وامكان المعاد  
موقوفاً على نفي الصفات ، فإذا جاء في السمع ما يدل على اثبات الصفات

والافعال لم يكن القول بوجيه ، ويعلم ان الرسول لم يرد اثبات ذلك لان إرادته للاثبات تنافي تصديقه . ثم اما ان يكذب الناقل ، واما ان يتأنى المنقول ، واما ان يعرض عن ذلك جملة ويقول لا يعلم المراد ، فهذا اصل ما بني عليه القوم دينهم واعيائهم ، ولم يقى لهم من يبين لهم فساد هذا الاصل ومخالفته لصریح العقل ، بل قيض لهم من المنتسبين الى السنة من وافقهم عليه ، ثم أخذ يشنع عليهم القول بنفي الصفات والافعال وبنکلیم الرب خلقه ورؤیهم له في الدار الآخرة وعلوہ على خلقه واستواره على عرشه ونزاوله الى سماء الدنيا ، فاضحکهم عليه واغراش به ونبيوه الى ضعف العقل والخشو والبله . والمصيبة مركبة من عدوان هؤلاء ونفيتهم وتقصیر أولئك وموافقتهم لهم في الاصل ثم تکفيرهم وتبييضهم ، وهذا الطريق من الناس من يظنه من لوازم الایمان وان الایمان لا يتم الا بها ومن لم يعرف ربها بهذه الطريقة لم يكن مؤمنا بها ولا تجاء به رسوله ، وهذا يقوله الجهمية والمعازلة ومتاخرو الاشعرية ، بل اکثراهم وكثير من المنتسبين الى الائمة الاربعة وكثير من اهل الحديث والصوفية ، ومن الناس من يقول : ليس الایمان موقوفا علىها ولا هي من لوازمه وليس طريق الرسل ومحرم سلوكها بما فيها من الخطأ والتطويل وان لم يعتقد بطلانها ، وهذا قول ابي الحسن الاشعري نفسه ، فانه صرخ بذلك في رسالته الى اهل الشغف وبين انها طريق خطيرة مذمومة محمرة وان كانت غير باطلة ، ووافقه على هذا جماعة من اصحابه من اتباع الائمة

وقالت طائفة اخرى : بل هي طريق في نفسها متناقضة مستلزمة لتكذيب الرسول لا يتم سلوكها إلا ببني ما اثبته وهي مستلزمة لبني الصانع بالكلية ، كما هي مستلزمة لبني صفاته ونفي افعاله ، وهي مستلزمة لبني المبدأ والمعاد ، فان هذه الطريق لا تم إلا ببني سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وارادته وكلامه فضلا عن نفي علوه على خلقه ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها ، ولا تم إلا ببني افعاله جملة وانه لا يفعل شيئاً أبداً ، اذ لم يقم به فعل فاعل وفاعل بلا فعل محال في بدائه العقول .  
فلو صحت هذه الطريقة نفت الصانع وافعاله وصفاته وكلامه وخلقه لامال وتدبره له . وما يثبته اصحاب هذه الطريقة من ذلك لاحقيقة له بل هو لفظ لا معنى له . فاين تثبتون ذلك وتصرحون ببني لوازمه البينة التي لا ريب فيها وفي زورها وثبتون ما لا حقيقة له ، بل يخالف العقول كما تفرون ما يدل العقل الصريح على اثباته ولو ازمه الباطلة اكثير من مائة لازم بل لا يمحض الا بخلافة

فأول لوازم هذه الطريقة نفي الصفات والافعال ونفي العلو والكلام ونفي الرؤية . ومن لوازمه القول بخلق القرآن . وبهذه الطريقة استجروا ضرب الامام احمد لما قال بما يخالفها من اثبات الصفات وتتكلم الله بالقرآن ورؤيته في الدار الآخرة ، وكان ارباب هذه الطريق هم المستولين على الخليفة فقالوا له : اضرب عنقه ، فإنه كافر مشبه مجسم . فقيل له : انك ان قتلتة ثارت عليك العامة . فامسك عن قتله بعد الضرب الشديد . ومن

لوازمه ان الرب كان معطلا عن الفعل من الاذل والفعل ممتنع عليه . ثم انقلب من الامتناع الذائي الى الامكان الذائي بدون موجب في ذلك الوقت دون ما قبله . وهذا مما اغرى الفلاسفة بالقول بقدم العالم ورأوا انه خير من القول بذلك . بل حقيقة هذا القول : ان الفعل لم يزل ممتنعا منه أولاً وابداً ، اذ يستحيل قيامه به . وعن هذه الطريق قال جهم ومن وافقه : بفناء الجنة وفناء اهلها وعدمهم عدما محضا . وعنها قال ابو الحذيل العالاف : بفناء حركاتهم دون ذاتهم . فاذا رفع القمة الى فيه وفنيت الحركات بقيت يده ممدودة لا تتحرك ويبقى كذلك ابداً لا يبدىء . وعن هذه الطريق قالت الجهمية : ان الله في كل مكان بذاته . وقال اخواهم : انه ليس في العالم . ولا خارج العالم . ولا متصل به . ولا منه صلا عنه . ولا مبادئ له ولا شایئاً له . ولا فوقه . ولا خلفه ولا امامه . ولا ورائه وعنها قال : من قال ان ما نشاهد من الاعراض الثابتة كالالوان والمقادير والاشكال تتبدل في كل نفس ولحظة وينخلفها غيرها . حتى قال من قال : ان الروح عرض وان الانسان يستحدث في كل ساعه عده ارواح تذهب له روح ويجيء غيرها . وعنها قال من قال : ان جسم اهان الجميع وأخيته مماثل لجسم أطيب الطيب في الحد والحقيقة . لا فرق بينها إلا بأمر عرضي . وان جسم النار مساو لجسم الماء في الحد والحقيقة . وعنها قلوا : ان الروائح والاصوات والمعارف والعلوم تؤكل وتشرب وترى وتسمع ونلامس ، وان الحواس الخمس تتعلق بكل موجود . وعنها نفوا عنه تعالى

الرضى والغضب والمحبة والرجمة والرأفة والضيق والفرح ، بل ذلك  
 كله إرادة مختصة أو ثواب منفصل مخلوق . وعنهما قالوا : إن الكلام يعني  
 واحد بالعين ، لا ينقسم ولا يتبعض ولا له جزء ولا كل ، وهو الامر  
 بكل شيء مأمور والنهي عن كل منهي والخبر عن كل مخبر عنه . وكذلك  
 قالوا في العلم : إنه أمر واحد ، فالعلم بوجود الشيء هو عين العلم بعدمه  
 لا يفرق بينها أبداً إلا بالتعاقق . وكذلك قالوا : إن إرادة إيجاد الشيء هي  
 نفس إرادة إعدامه ليس هنا إرادة ، وكذلك رؤية زيد هي نفس رؤية  
 عمرو . ومعهم أن هذا لا يعقل ، بل هو مخالف لصریح العقل  
 ومن العجب أنهم لم يثبتوا بها في الحقيقة صانعاً ولا صفة من صفاتيه  
 ولا فعلاً من افعاله ، ولا نبوة ولا مبدأ ولا معاداً ولا حكمة ، بل هي  
 مستلزمة لنفي ذلك كله صريحاً ولزوم ما يتنا  
 وجاء آخرون فراموا اثبات الصفات والأفعال وموافقتهم في هذه  
 الطريق ، فتجشموا أمراً ممتنعاً ، واشتقو طريقة لم يمكّنهم الوفاء بها خائفاً  
 بطريق بين النفي والاثبات لم يوافقوا فيها المعطلة النفاة ولم يسلكوا  
 فيها مسلك أهل الاثبات ، وظنوا أنهم بذلك يجمعون بين المعقول والمنقول  
 ويصلون في هذه الطريق إلى تصديق الرسول . وصار كثير من الناس  
 يحب النظر والبحث والمعقول ، وهو مع ذلك يريد أن لا يخرج عما جاء به  
 الرسول ثم اضطروا تصييلاً مستاز ما بطلان التفصيل ثم فصلوا تفصيلاً دل  
 على بطلان الأصل فصاروا حائرين بين التأصيل والتفصيل ، وصار من طرد

منهم هذا الاصل خارجا عن العقل والسمع بالكلية ، ومن لم يطرده متناقضنا  
مضطرب الاقوال . وقد سلك الناس في اثبات الصانع وحدود العالم طرقا  
متعددة سهلة قريبة موصولة الى المقصود لم يتعرضوا فيه الطريق هؤلاء بوجه  
قال الخطابي : وانما سلك المتكلمون هذه الطريقة في الاستدلال  
بالاعراض مذهب الفلاسفة وأخذوه عنهم . وفي الاعراض اختلاف كبير  
منهم من يشككها ولا يثبتها رأساً ، ومنهم من لا يفرق بينها وبين  
الجواهر في أنها قائمة بنفسها كالجواهر (قلت) ومنهم من يقول بكونها  
وظهورها و منهم من يقول بعدم بقائهما . ثم سلك طرقا في اثبات الصانع  
 منها الاستدلال باحوال الانسان من مبدئه الى غايته ، والاستدلال باحوال  
 الحيوان والنبات والاجرام العلوية وغير ذلك . ثم قال : والاستدلال  
 بطريق الاعراض لا يصح الا بعد استبعاد هذه الشبهة . وطريقنا الذي  
 سلكناه بريء من هذه الآفات سليم من هذه الريب . قال : وقد سلك  
 بعض مشائخنا في هذه الطريقة الاستدلال بقدرات النبوة ومعجزات  
 الرسالة التي دلائلها مأخوذة من طريق الحس من شاهدها ومن طريق  
 استفادة الخبر من غاب عنها . فلما ثبتت النبوة صارت أصلافى وجوب  
 قبول ما دعا اليه الرسول عليه السلام . قال : وهذا النوع مقنع في الاستدلال  
 لمن لم يتسع فهمه لادراك وجود الأدلة ولم يتبيّن معاني تعلق الأدلة  
 بدلولاتها ولا يكفي الله نفسا الا وسعها  
(قلت) وهذه الطريقة من أقوى الطرق واصحها وأدتها على الصانع

وصفاته وافعاله ، وارتباط أدلة هذه الطريق بدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بدلولاتها ، فانها جمعت بين دلالة الحس والعقل ، ودلالتها ضرورية بنفسها . ولهذا يسمى الله تعالى آيات يدنات ، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها . فان انقلاب عصا تقلبا اليدي ثعبانا عظيما يتبع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته ومشيئته وإرادته وعame بالكليات والجزئيات ، وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد . فكل قواعد الدين في هذه العصا وكذلك اليدي ، وخلق البحر طرفا ، والماء قائم يينها كالحيطان ، وتنق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم ، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينا تكفي امة عظيمة . وكذلك سائر آيات الانبياء كخارج نافعة عظيمة من صخرة تخضت بها ثم انصدعت عنها والناس حولها ينظرون . وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفع فيه النبي فينقلب طائراً ذات لحم ودم وريش واجنحة يطير بشهد من الناس . وكذلك ايماء الرسول الى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب ويخبر به كما رأاه الحاضرون . وامثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وافعاله وصدق رسالته واليوم الآخر . وهذه من طرق القرآن التي ارشد اليها عباده ودفهم بها ، كما دفهم بما يشاهدونه من احوال الحيوان والنبات والمطر والسحب والحوادث التي في الجو واحوال الاعلويات من السماء والشمس والقمر والنجوم ، واحوال النطفة وتقليلها

طبقاً بعد طبق ، حتى صارت انسان اسبيعاً بصيراً حياً متكلماً عالماً قادرًا يفعل  
الافعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة . وكل طريق من هذه الطرق اصح  
وأقرب وأوصل من طرق المتكلمين التي لو صحت لكان فيها من التطويل  
والتعقيد والتعسیر ما يمنع الحكمة الالهية والرحمة الربانية ، ان يدل بها  
عباده عليه وعلى صدق رسالته وعلى اليوم الآخر . فain هذه الطريق العسرة  
الباطلة المستلزمة لتعطيل الرب عن صفاته وافعاله وكلامه وعما وعلى خلقه  
وسائر ما أخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله عليه السلام الى طرق القرآن  
التي هي ضد هذه الطريق من كل وجه . وكل طريق منها كافية شافية هادبة ؟  
هذا ، وان القرآن وحده لم يجعل الله له نوراً أعظم آية ودليل على  
هذه المطالب ، وليس في الأدلة أقوى ولا اظهر ولا أصح دلالة منه من  
وجوه متعددة . فأداته مثل ضوء الشمس لا يتحققها اشكال ، ولا  
يغدر في وجه دلائلها إجمال ، ولا يعارضها تجويف واحمال ، تاج الاصناع  
بلا إستئذان ، وتحل من العقول محل الماء الزلال ، من الصادي الظآن .  
لا يمكن أحد ان يقدح فيها قدحاً يقع في الابس ، الا ان امكنته ان  
يقدح بالظيرة صحو في طلوع الشمس . ومن عجيب شأنها انها تستلزم  
المدلول استازاماً يينا ، وتنبه على جواب المترض تنبهاً طيفاً . وهذا  
الامر إنما هو لمن نور الله بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن . فلا تعجب  
من منكر أو معارض أو معارض  
وقل لعيون العمى لاشمس اعين \* سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح نفوساً اطفأ الله نورها « بأهواءها لا تستفيق ولا تعي  
فأي دليل على الله أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه؟ كقوله تعالى  
(أَفِي اللَّهِ شَكْ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟) وقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ  
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَنَاكُمْ ثُمَّ يُعِيشُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؟)  
وقوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الَّلَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَعَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ  
مَا وَفَقَاهَا يَهُ أَلَّا رُضِيَّ بِعَدْ مَوْهِبَتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ  
وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وما لا يمحى  
من الآيات الكريمة

الوجه الرابع والرابعون : انك اذا أخذت لوازم المشرك المطلق  
والقييد والميز وميزت هذا من هذا ، صحي نظرك ومناظرك . وذلك ان  
الصفة تلزمها لوازم من حيث هي ، فهذه اللازم يحب اثنائها ولا يصح  
نفيها ، اذ نفيها ملزمون لنفي الصفة . مثاله : الفعل والادراك للحياة ، فان  
كل حي فاعل مدرك ، وادراك المسموعات بصفة السمع ، وإدراك  
المبصرات بصفة البصر ، وكشف المعلومات بصفة العلم ، والتمييز لهذه  
الصفات . فهذه اللازم يمتنع رفعها عن الصفة ، فإنها ذاتية لها ، ولا ترتفع  
الابرفع الصفة ، ويلزمها لوازم من حيث كونها صفة القديم ، مثل كونها  
واجبة قديمة عامنة التعاق ، فإن صفة العلم واجبة لله قديمة غير حادثة ، متعلقة  
بكل معلوم على التفصيل . وهذه اللازم متنافية عن العلم الذي هو صفة  
للمخلوقين ، ويلزمها لوازم من حيث كونها ممكنة حادثة بعد ان لم تكن

خليقة غير صالحة لعموم مفارقة له . فهذه اللوازم يستحيل اضافتها الى القديم . واجعل هذا التفصيل ميزاناً لك في جميع الصفات والاعمال ، واعتصم به في ذي التشبيه والتمثيل ، وفي بطalan النفي والتعطيل . واعتبره في العلو والاستواء تجده هذه الصفة يلزمها كون العالى فوق السافل في القديم والحديث ، فهذا الازام حق لا يجوز نفيه ، ويلزمها كون السافل حاوياً للالعلى محيطاً به حاملاً له والالعلى مفتقرأً اليه ، وهذا في بعض المخلوقات لافي كلها ، بل بعضها لا يفتقر فيه الالعلى الى الاسفل ولا يحيوه الاسفل ولا يحيط به ولا يحمله ، كالسماء مع الارض . فالرب تعالى أجل شأنه واعظم ان يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه ، وهي حمله السافل وفقر السافل اليه ، وغناه سبحانه عنه ، واحاطته عز وجل به ، فهو فوق العرش ، مع حمله العرش وحملته ، وغناه عن العرش ، وفقر العرش اليه ، واحاطته بالعرش ، وعدم احاطة العرش به ، وحصره بالعرش ، وعدم حصر العرش له . وهذه اللوازم متنافية عن المخلوقين ، ولو ميز أهل التعطيل

هذا التمييز لهدوا الى سوء السبيل ، ولما فارقو الدليل

الوجه الخامس والاربعون : ان الاصل الذي قادم الى التعطيل واعتقاد المعارضة بين الوحي والعقل اصل واحد ، وهو منشأ ضلال بني آدم ، وهو الفرار من تعدد صفات الواحد وتكتير اسمائه الدالة على صفاته وقيام الامور المتتجدة به ، وهذا لا ينذور فيه ، بل هو الحق الذي لا يثبت كونه سبحانه ربا وإلهاؤه خالقاً إلا به ، ونفيه جحد الماصانع بالكلية . وهذا

القدر اللازم لجميع طوائف أهل الأرض على اختلاف ملتهم وعلوهم  
حتى من انكر الصانع بالكلية وأنكره رأساً، فإنه يضطر إلى الاقرار  
بذلك وإن قام عنده ألف شبهة أو أكثر على خلافه. وأما من أقرب الصانع  
 فهو مضطرب إلى أن يقر بكونه حياً عالماً قادرًا مريدًا حكيمًا فعالاً،  
ومع اقراره بذلك فقد اضطر إلى القول بتعدد صفات الواحد، وتكثر  
اسمائه وأفعاله، فلو تكثرت ما تكثرت لم يلزم من تكثرها وتعددها  
محذور بوجه من الوجوه (وان قال) أنا انفيها بالجملة ولا أثبت تعددها  
بوجه (قيل له) فهو هذه الموجودات أو غيرها؟ (فإن قال) غيرها (قيل)  
هو خالقها أم لا؟ (فإن قال) هو خالقها (قيل له) فهل هو قادر عليها عالم  
بها مريد لها أم لا؟ (فإن قال) نعم هو كذلك، اضطر إلى تعدد صفاتيه  
وتكتيرها وإن نفي ذلك كان جاحداً لاصناع بالكلية. ويستدل عليه بما  
يستدل على الزنادقة الدهرية ويقال لهم، ما قالت الرسل لأئمهم: أفي الله  
شئ؟ وهل يستدل عليه بدليل هو اظهر العقول من اقرارها به وبربوبيته  
وليس يصح في الاذهان شيء \* اذا احتاج النهار الى دليل  
(فإن قال) أنا اثبتتني موجوداً واجب الوجود لا صفة له (قيل له)  
فكل موجود على قولك ا كل منه، وضلال اليهود والنصارى وعباد الأصنام  
أعرف به منك، واقرب إلى الحق والصواب منك . وأما فرارك من  
قيام الامور المتتجدة به ففتررت من أمر لا يثبت كونه إلهها وربها وخالقاً  
إلا به . ولا يتقدّر كونه صانعاً لهذا العالم مع نفيه أبداً ، وهو لازم لجميع

طوائف أهل الارض ، حتى الفلاسفة الذين ثم ابعد الخلق من اثبات الصفات . ولهذا قال بعض عقائدهم : انه لا يتقرر كونه رب العالمين الا باثبات ذلك ، قال : والاجلال من هذا الاجلال واجب والتبريز من هذا التبريز متعين . قال بعض العلامة : وهذه المسألة يقوم عليها قريب من الفدليل عقلي وسمعي ، والكتب الالهية والنحو من النبوة ناطقة بذلك ، وانكاره انكار لما علم بالضرورة من دين الرسل انهم جاؤا به ( ونحن نقول ) ان كل سورة من القرآن تتضمن اثبات هذه المسألة . وفيها انواع من الادلة عليها . فأدلة تزيد على عشرة آلاف دليل . فأول سورة في القرآن تدل عليها من وجوه كثيرة ، وهي سورة أم الكتاب . فان قوله ( آتَحْمَدُ اللَّهَ ) يدل عليها ، فانه سبحانه يحمد على افعاله كما حمد نفسه في كتابه وحده عليها رسالته وملائكته والمؤمنون من عباده . فن لا فعل له أبداً كيف يحمد على ذلك ؟ فالافعال هي المقتضية للحمد . ولهذا تتجدد مقدرونا بها كقوله ( آتَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ) ( آتَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي هَدَانَا إِلَيْهَا ) ( آتَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ) . الثاني قوله ( رَبُّ الْعَالَمَيْنَ ) زربوبيته لاعالم تتضمن تصرفه فيه وتدبره له ، وانفاذ امره كل وقت فيه ، وكونه معه كل ساعة في شأن ، يخلق ، ويرزق ، ويحيي ويميت ، وتحفظ ، ويرفع ، ويعطي ، وينعم ، ويعز ، ويدل ، ويصرف الأمور بمشيئة وإرادته . وانكار ذلك انكار لربوبيته وإلهيته وملائكة . الثالث ( أَرْجُنِ الرَّحِيمِ ) وهو الذي يرحم بقدرته

ومشيشته من لم يكن له راحماً قبل ذلك . الرابع قوله ( مَالِكٌ يَوْمَ الدُّنْيَا )  
 والملك هو المتصرف فيما هو ملك عليه ومالك له . ومن لا تصرف له ولا  
 يقوم به فعل البتة لا يعقل له ثبوت ملك . الخامس قوله ( أَهْدَيْنَا الصُّرَاطَ  
 الْمُسْتَقِيمَ ). فهذا سؤال الفعل يفعله لهم لم يكن موجوداً قبل ذلك . وهي الهدية  
 التي هي فعله . السادس قوله ( صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْهَمْتَ عَلَيْهِمْ ) وفعله القائم به  
 وهو الانعام ، فلو لم يقم به فعل الانعام لم يكن للنعمه وجود البتة . السابع قوله  
 ( غَيْرُ أَمْفُضُوبٍ عَلَيْهِمْ ) وهم الذين غضب الله عليهم بعد ما أوجدهم وقام  
 بهم سبب الغضب ، إذ الغضب على المعدوم محال . وقد ثبتت عن النبي ﷺ  
 « إن العبد إذا قال : الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا  
 قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : اثنى على عبدي ، فإذا قال : مالك يوم  
 الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ،  
 قال الله تعالى : هذا ياني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي ونصفها لعبدي ،  
 ولعبدي ما سأله . فإذا قال : أهدا لنا الصراط المستقيم . إلى آخرها ، قال الله  
 تعالى : هذا عبدي ولعبدي ما سأله » فهذه أدلة من الفاتحة وحدها . فتأمل  
 أدلة الكتاب العزيز على هذا الأصل تجدها فوق عد العادين ، حتى إنك  
 تجده في الآية الواحدة على اختصار لفظها عدة أدلة كقوله تعالى ( إِنَّمَا أَمْرُهُ  
 إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) في هذه الآية عدة أدلة ( أحدها )  
 قوله : إنما أمره ، وهذا أمر التكوين الذي لا يتأخر عنه أمر المكون  
 بل يعقبه ( الثاني ) إذا أراد شيئاً . وإذا تناهى الفعل للاستقبال

(الثالث) ان يقول له كن فيكون ، وان تخاص المضارع للاستقبال  
 (الرابع) ان يقول ، فعل مضارع إما الحال واما للاستقبال (الخامس)  
 قوله : كن ، وها حرفان يسبق أحدهما الآخر بعقبه الثاني (السادس)  
 قوله : فيكون ، والفاء لتعليق يدل على أنه يكون عقب قوله : كن سواء  
 لا يتاخر عنه . وقوله تعالى (وَمَا جَاءَ مُوسَىٰ بِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَةُ رَبِّهِ) فهو  
 سبحانه انا كله ذلك الوقت . وقوله تعالى (وَنَادَاهُمْ فِي يَوْمٍ يَنْادِيهِمْ  
 فَيَقُولُ) وقوله (وَنَادَاهُمْ رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهِكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ؟) فالنداء  
 انا حصل ذلك الوقت . وقوله (هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ يَا تَبَّاهُمُ اللَّهُ) (وجاءَ  
 رَبُّكَ) (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ هَمْلَكَ قَرْيَةً) (فَعَالَ لَمَّا  
 يُرِيدُ) (بُرِيدَ اللَّهُ يُكَمِّلُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يُكَمِّلُ الْعُسْرَ) (بُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يَخْفَفَ  
 عَنْكُمْ) (وَأَلَّهُ بُرِيدَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (وَرِيدَ أَنْ تَهُنَّ عَلَى الَّذِينَ  
 أَسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَغْنَى وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمْكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
 وَنَرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودَهُمْ مَمَّا كَانُوا يَحْدُرُونَ) (وَأَلَّهُ يَقُولُ  
 أَلْقِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا  
 وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ) وهذا عند النفاهة لا حقيقة  
 له ، بل الشئون للمعمولات ، واما هو فله شأن واحدقدم . فهذه الادلة  
 السمعية وأصنافها ما يشهد به صريح العقل . فانكار ذلك وانكار  
 تکرار الصفات وتعدد الاسماء هو افسد للعقل والنقل وافتتح باب المعارضه  
 الوجه السادس والاربعون : انت يقال لهؤلاء المعارضين الوحي  
 بعقولهم : ان من اثنيكم من يقول : انه ليس في العقل ما يوجب تنزيه

الرب سبحانه عن النعائص ، ولم يقم على ذلك دليل عقلي أصلاً ، كما صرّح به الرازبي ، وتقاه عن الجوني <sup>(١)</sup> وأمثاله ، قالوا : وإنما نفينا عنه النعائص بالاجماع ، وقد قدح الرازبي وغيره من النفاوة في دلالة الاجماع ، وينوّا أنها ظنية لا قطعية . فالقوم ليسوا قاطعين بتنزيه الله عن النعائص بل غاية ما عندهم في ذلك الغن

فيما أولى الباب ، كيف تقوم الأدلة القطعية على نفي صفات كمال الله ونعوت جلاله وعلوه على خلقه واستواه على عرشه وتكلمه بالقرآن حقيقة وتکلیمه موسى ، حتى يدعى أن الأدلة السمعية على ذلك قد عارضها صريح العقل . وأما تنزيهه عن العيوب والنعائص فلم يقم عليه دليل عقلي ولتكن علمناه بالاجماع ، وقلتم أن دلالته ظنية ؟ ويكفيك في فساد عقل معارض الوحي أنه لم يقم عنده دليل عقلي على تنزيه ربه عن العيوب والنعائص

الوجه السابع والأربعون : إن الله تعالى جعل بعض مخلوقاته عاليًا على بعض ولم يلزم من ذلك مماثلة العلي للأسفل ومشابهته له ، فهذا الماء فوق الأرض ، والهواء فوق الماء ، والنار فوق الهواء ، والافق فوق ذلك . وليس عاليها مماثلاً لأسفلها . والتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم من التفاوت الذي بين المخلوقات ، فكيف يلزم من علوه تشبيهه بخليقه (فإن قلت) وإن لم يلزم التشبيه لكن يلزم التجسيم (قيل) انفصلوا

(١) كذلك بالأصل واعله (الجويني) وهو أبو المعالي إمام الحرمين

أولاً عن قول المعطلة لاصفات : لو كان له سمع أو بصر أو حياة أو علم أو قدرة أو كلام لزم التجسيم . فإذا انفصلتم منهم ، فان ايتم إلا الجواب قيل لكم ، ما تعنون بالتجسيم ؟ أتعنون به العلو على العالم والاستواء على العرش ، وهذا حاصل قولكم ؟ وحينئذ ما زدتم على إبطال ذلك بمجرد الدعوى التي أتحد فيها اللازم والملزوم بتقرير العبارة ، وكانتكم قلم : لو كان فوق العالم مستويًا على عرشه لكان فوق العالم ، ولكنكم لبستم وأوهتم . وان عنيتم بالجسم المركب من الجوادر الفردة . فجمهور العقلاء ينمازونكم في إثبات الجوادر الفردة فضلاً عن تركيب الأجسام من ذلك ، فأنتم أبطالكم هذا التركيب الذي تدعوه الفلاسفة ، وهم أبطالوا التركيب الذي تدعونه من الجوادر الفردة ، وجمهور العقلاء أبطالوا هذا وهذا . فان كان هذان غير لازم في الأجسام المحسوسة المشاهدة ، بل هو باطل ، فكيف يدعى لزومه فيمن ليس كمثله شيء . وان عنيتم بالتجسيم تميز شيء منه عن شيء ، قيل لكم انفصلاوا لا عن قول نفأة الصفات : لو كان له سمع وبصر وحياة وقدرة لزم أن يتميز منه شيء عن شيء وذلك عين التجسيم ، فإذا انفصلتم عنه أجبناكم بما تجيبيون به . فان أتيتم إلا الجواب منا ، فلنا لكم : إنما قام الدليل على إثبات إله قديم غني بنفسه عن كل مساواه ، وكل مساواه فقير إليه ، وكل أحد محتاج إليه ، وليس محتاجا إلى أحد ، وجود كل أحد يستفاد منه وجوده ليس مستفاداً من غيره ، ولم يقم الدليل على استحالة تكثير أوصاف كماله وتعدد اسمائه الدالة على صفاتيه وافعاله ، بل هو إله واحد

ورب واحد ، وان تكثرت اوصافه وتمددت اسماؤه

## فصل

اخبر الناس بمقالات الفلاسفة قد حكى اتفاق الحكاء على ان الله والملائكة في السماء ، كما اتفقت على ذلك الشرائع ، وورد ذلك بطرق عديدة من جنس تقرير ابن سلبي ، والحارث الحاسبي ، وابي العباس القلاني وابي الحسن الاشعري ، والقاضي ابي بكر الواقلن ، وابي الحسن بن الزاغوني ، وغيرهم من يقول : ان الله فوق العرش وليس بجسم ، قال هؤلاء : وإثبات صفة العلو والفوقية له سبحانه لا يوجب الجسمية ، بل ولا إثبات المكان ، ونبي الفلسفه ذكر على ما ذكره ابن رشد : أن المكان هو السطح الباطن من الجسم الخاوي الملaci لاسطح الظاهر من الجسم المخوي ، فكان الانسان عند ذلك هو باطن الهواء المحيط به ، وكل سطح باطن فهو مكان لاسطح الظاهر مما يلاقيه . وعموماً أنه ليس وراء الاجسام سطح جسم باطن يحوي شيئاً ، فلا مكان هناك ، إذ لو كان هناك مكان خاوي لسطح الجسم لكان الخاوي جسماً . ولهذا قال : فإذا قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجِب أن يكون غير جسم ، فلذى يقتنع وجوده هناك هو وجود جسم ، لا وجود ما ليس بجسم . وقد امكانت ذلك ، كما قرر إثباته بما ذكر من أنه لا بد من نسبة بينه وبين العالم المحسوس ، فيجب أن يكون في جهة العلو ، والذي يمكن منازعوه من الفلاسفة والجهمية والمهزلة أن يقولوا : لا يمكن أن يوجد هناك شيء

لا جسم ولا غير جسم ، اما غير الجسم فاما ذكر ، واما الجسم فلان كونه مشاراً اليه انه هناك يستلزم ان يكون جسماً ، وحيث ذه فيقول هو لام المثبتون ان ينافيهم في ذلك : وجود موجود قائم بنفسه ليس وراء اجسام العالم ولا داخلاً في العلم ، اما ان يكون ممكناً او لا يكون ، فان لم يكن ممكناً بطل قولكم ، وان كان ممكناً فوجود « موجود وراء اجسام العالم وليس بجسم أولى بالجواز . ثم اذا عرضنا على العقل وجود موجود قائم بنفسه لافي العالم ، ولا خارجا عنه ، ولا يشار اليه ، وعرضنا عليه وجود موجود يشار اليه فوق العالم ، ليس بجسم كان انكار العقل للاول اعظم وامتناعه فيه اظهر من انكاره الثاني وامتناعه فيه . فان كان حكم العقل في الاول القبول ، وجب قبول الثاني وان كان الثاني مردوداً وجب رد الاول . ولا يمكن العقل ان يرجح ان يقبل الاول ويرد الثاني أبداً

### فصل

ثم انه سبحانه لو لم تكن الاشارة الحسية كما اشار اليه النبي ﷺ حسماً باصبعه بمشهد اجمع الاعظم ، وقبل من شهد لها<sup>(١)</sup> بالاعان الاشارة الحسية اليه ، فاما ان يقال : انه يقبل الاشارة المعنوية فقط ولا يقبلها ايضاً ، كالملا يقبل الحسية ، فلن لم يقبل لا هذه ولا هذه ، فهو عدم مخصوص ، بل عدم المقيد المضاف يقبل الاشارة المعنوية دون الحسية ، وان قبل الاشارة

(١) اي من الجاوية حينما قالت « ان الله في السماء » وأشارت اليها

الحسية<sup>(١)</sup> لزم ان يكون معنى من المعنى ، لاذاتا خارجية . وهذا مما لا حيلة  
في دفعه . فن انكر جواز الاشارة الحسية اليه فلا بد له من احد امرین :  
اما ان يجعله معدوما ، او معنى من المعنى ، لا ذاتا قائمة بنفسها  
الوجه الثامن والاربعون : ان من اعجب العجب أن هؤلاء الذين  
فروا من القول بعلو الله واستوا به على عرشه خشية التشبيه والتجمیم قد  
اعترفوا بأنه لا يمكنهم إثبات الصانع الا بنوع من التشبيه والتمثيل ، كما  
قال الامدي : في مسألة حدوث الاجسام ، لما ذكر شبه القاتلين بالقدم ،  
قال : الوجه العاشر ، لو كان العالم محدثا ، فبحده إما ان يكون مساويا له  
من كل وجه ، أو مخالفا له من كل وجه ، أو متألا له من وجه ومخالف له  
من وجه . فان كان الاول فهو حادث ، والكلام فيه كالكلام في الاول ،  
ويلزم التسلسل المتنع . وان كان الثاني ، فالحدث له ليس بموجود ، والا  
لما كان مخالفا له من كل وجه ، وهو خلاف الفرض . واذ لم يكن موجودا  
امتنع أن يكون مفيدا للوجود ، وان كان الثالث ، فن جهة ما هو متأل  
للحادث يجب ان يكون حادثا ، والكلام فيه كالاول . وهو التسلسل  
ال الحال . وهذه الحالات انما نشأت من القول بكونه محدثا للعالم . قال :  
والجواب عن هذه الشبهة ، أن المختار من اقسامها انما هو القسم الثالث ، ولا  
يلزم من كون القديم متألا للحادث من وجه ان يكون متألا للحادث  
من جهة كونه حادثا ، بل لا مانع من الاختلاف بينها في صفة القدم

(٢) كذلك بالاصل ولعل الصواب «وان لم يقبل الاشارة الحسية وقبل المعنوية»

والحدوث . وانما ماثلا بأمر آخر . وهذا كالسوداد والبياض ، يختلفان من وجه دون وجه لاستحالة اختلافها من كل وجه ، والا لما اشتركا في العرضية والكونية والحدوث . ولاستحالة ماثلتها من كل وجه ، والا كان السوداد بياضا ، ومع ذلك فما لزم من ماثلة السوداد للبياض من وجه أن يكون ماثلا له في صفة البياضية . فيقال : يالله العجب : هلا قبلتم هذا الجواب في إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه واثبات صفات كماله كالماء ، واجبتم بهذا الجواب من قال لكم من المعطلة والنفاة : لو كان له صفات لزم ماثلته للمخلوقات ؟ ولم لا تقنعون من أهل السنة المتبدين لصفات كماله بمثل هذا الجواب الذي اجبتم به من انكر حدوث العالم ؟ بل اذا اجبتم به قلبيم لهم ظهر المجن وصرحتم بتكفارهم وتبعديهم ، وادا اجبتم انتم به بعينه كنتم موحدين

### فصل

يقال : هل لارب ماهية متميزة عن سائر الماهيات يختص بها ذاته ، أم تقولون لا ماهية له ؟ فان قلتم بالثاني كان هذا انكارا له وجوداً أو جعله وجوداً مطلقاً لا ماهية له . وان قلتم : بل له ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الذوات والماهيات . قيل لكم : فماهيتها وذاته غير متناهية بل ذاهبة في الابعاد الى غير نهاية ، أم متناهية ؟ فان قلتم بالاول ، لزم منه محالات غير واحدة . وان قلتم بالثاني ، بطل قولكم . ولزم اثبات المبانية والجنة . وهذا لا يحيط عنه . وان قلتم : لا تقول له ماهية ، ولا

ليست لها ماهية . قيل : لا يليق بالعقل المخالف لما جاءت به الرسل إلا هذا الحال والباطل ، واز قاتم : بل له ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الماهيات ، ولا تقول : أنها متناهية ولا غير متناهية ، ل أنها لا تقبل واحدا من الامرين . قيل : التناهي وعدم التناهي يقابلان تقابل السلب والإيجاب . فلا واسطة بينها ، كلا واسطة بين الوجود والمعدم ، والقدم والحدث ، والسبق والمقارنة ، والقيام بالنفس والقيام بالغير ، وقدر قسم آخر لا يقبل واحدا من الامرين نقدر ذهني بفرضه الذهن كايفرض سائر الحالات ، ولا يدل ذلك على وجوده في الخارج ولا امكانه . الارى أن قائلًا لو قال : التقسيم يقتضي أن المعلوم اما قديم او ما حادث ، واما قديم حادث ، واما لا قديم ولا حادث ، كان التقسيم ذهنيا لا خارجيًا وان سبب التقسيم في ذلك كاه في الاحالة كثبات التقسيم ؟

### فصل

يقال : ذاته سبحانه ، اما ان تكون قابلة العلو على العالم ، او لا تكون قابلة . فان كانت قابلة وجب وجود المقبول لانه صفة كمال ، والا لم تقبله ، لأن قبولها لذلك هو من لوازمه ، كقبول الذات للعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ، فوجدوا هذا إلزاماً للذات ضرورة <sup>(١)</sup> ولأنها اذا قبلته فلولم تتصف به لاصفت بعده ، وهو نقص ربالي الله ويتقدس عنه . وان لم تكون قابلة للعلو لزم ان يكون قابل العلو اكمل منها ، لأن ما يقبل

(١) كذلك بالاصل

ان يكون عالياً وان لم يكن عالياً، اكمل من لا يقبل العلو، وما قبله و كان عالياً اكمل من قبله ولم يكن عالياً، فلما تاب ثلاثة: ادنها ماما لا يقبل العلو، واعلاها ما قبله واتصف به، والذي يوضح ذلك: ان ما لا يقبل ان يكون فوق غيره ولا عاليا عليه، اما ان يكون عرضا من الاعراض لا يقوم بنفسه، ولا يقبل ان يكون عاليا على غيره، واما ان يكون امراً عديما لا يقبل ذلك، واما اثبات ذات قاعدة نفسها متصدة بالسمع والبصر والقدرة والحياة والارادة والعلم والفعل، ومع ذلك لا تقبل ان تكون عالية على غيرها، فهذا بامكان تصوره قبل التصديق بوجوده<sup>(١)</sup> وليس مع من ادعى امكانه الا الكليات، وكلاهما وجوده ذهنی لا وجود له في الخارج، وإلا فما له وجود خارجي وهو قائم بنفسه له ذات يختص بها عن سائر الذوات، موصوف بصفات الحي الفعال لا يمكن إلحاقه بالكليات والخبرات التي هي خيالات ذهنية لا امور خارجية، وقد اعترف المتكلمون بان وجود الكليات والخبرات اناهوا في الاذهان لا في الاعيان

### فصل

الجمية المعطلة معترفون بوصفه تعالى بعلو القهر وعلو القدر، وان ذلك كمال لا نقص، وانه من لوازمه ذاته، فيقال: ما ابتدأ به هذين النوعين من العلو والفوقيه هو بعينه حجة خصوصكم عليكم في اثبات علو الذات له سبحانه، وما نفيتم به علو الذات يلزمكم ان تنفوا به ذيئنك للوجهي من

(١) كذا بالأصل واعله سقط الكلمة (أحوج)

العلو . فاحد الامرين لازم لكم ولا بد ، اما ان تثبتوا له سبحانه العلو المطلق من كل وجه ذاتا وقبرا وقدراً ، واما ان تنفوا ذلك كله ، فانكم انما نقيسم علو ذاته سبحانه بناء على لزوم التجسيم ، وهو لازم فيما اثبتتموه من وجبي العلو ، فانت الذات القاهرة لغيرها التي هي اعلى قدرًا من غيرها ، ان لم يعقل كونها غير جسم لزمعكم التجسيم ، وان عقل كونها غير جسم فكيف لا يعقل ان تكون الذات العالية على سائر الذوات غير جسم ؟ وكيف لزم التجسيم من هذا العلو ولم يلزم من ذلك العلو ؟ ( فان قلتم ) لان هذا العلو يستلزم تمييز شيء عن شيء منه ( قيل لكم ) في الذهن او في الخارج ؟ ( فان قلتم ) في الخارج ، كذبتم وافترتم واضحكم عليكم العقلاء ، ( وان قلتم ) في الذهن . فهو للالزام لكل من ثبتت للعالم ربها خالقاً . ولا خلاص من ذلك إلا بانكار وجوده رأساً يوضحه : ان الفلاسفة لما اوردوا عليكم هذه الحجة بعينها في نفي الصفات اجبتم عنها بأن قلتم : واللفظ للرازي في مهابته . فقال ، قوله : يلزم من اثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الالهية فتكون تلك الحقيقة ممكنة قلنا ان عنيتم به احتياج تلك الحقيقة الى سبب خارجي فلا يلزم احتياج تلك الصفات الى الذات الواجبة لذاتها ، وان عنيتم به توقيت الصفات في ثبوتها على تلك الذات المخصوصة فذلك مما يلزمك ، فماين الحال ؟ قال : واياضًا فعندكم الاضافات صفات وجودية في الخارج ، فيلزمكم ما اذرتتم ونفي الصفات في الصور المرسمة في ذاته من المعقولات . قال : وما يتحقق

فساد قول الفلاسفة انهم قالوا : ان الله عالم بالكليات ، وقالوا : ان العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم ، وقالوا : ان صورة المعلوم موجودة في ذات الله ، حتى ابن سينا قال : ان تلك الصفة اذا كانت غير داخلة في الذات كانت من لوازם الذات ، ومن كان هذا مذهباً له ، كيف يمكنه ان ينكر الصفات ؟ قال : وفي الجملة فلافرق بين الصفاتية وبين الفلسفية ، لأن الصفاتية يقولون : ان الصفات قائمة بالذات ، والفلسفية يقولون : هذه الصفات صور عقلية عوارض متقومة بالذات ، والذي يسميه الصفاتي صفة يسميه الفلسفي عارضاً ، والذي يسميه الصفاتي قياماً يسميه الفياسوف قواماً ومقوماً ، ولا فرق إلا في العبارات ، وإلا فلافرق في المعنى . هذا لفظه

فيقول له مثبتو العلو : هلا قنعت منا بهذا الجواب بعينه حتى قلت

يلزم من علوه ان يتميز منه شيء عن شيء . ويلزم وقوع الكثرة في الحقيقة الالهية ، وتكون قد وافقت السمع ونصوص الانبياء وكتب الله كلها وأدلة العقول والفطر الصحيحة واجماع اهل السنة فاطبة ؟

## فصل

هذه الحججة العقلية القطعية وهي الاحتجاج بكون الرب قائماً بنفسه على كونه مبيناً لعالم وذلك مازوم لكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت مما ناظر بها الكرامية أبا اسحاق الاسفر اثني فرّ ابو إسحق الى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى

العقل ، وقال : لا نسلم انه قائم بنفسه إلا تعنى انه غني عن المحل ، بعمل قيامه بنفسه وصفاً عددياً لا ثبوتيأ . وهذا لازم لسائر المعطلة النفاذه لعلوه ومن العلوم ان كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، واذا كان قيام العرض بغيره ينتفع ان يكون عددياً ، بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه أحق ان لا يكون امرً عددياً بل وجودياً . واذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذلك بنفسه احق وابلي

### فصل

القيام بالنفس صفة كمال . فالقائم بنفسه اكل ممن لا يقوم بنفسه ومن كان غناه من لوازمه فقيامه بنفسه من لوازمه ، وهذه حقيقة قيوميته سبحانه ، وهو الحلي القيوم ، والقيوم القائم بنفسه المقيم لغيره . فلن انكر قيامه بنفسه بالمعنى المعمول فقد انكر قيوميته وابتله قياماً بالنفس يشاركه فيه العدم العرض ، بل جعل قيوميته امرً عددياً لا وصفاً ثبوتيأ ، وهي عدم الحاجة الى المحل . ومعهوم ان المحل لا يحتاج الى محل . وايضاً فانه يقال له : ما تعنى بعدم الحاجة الى المحل ، اتعنى به الامر المعمول من قيام الشيء بنفسه الذي يفارق به العرض القائم بغيره ، أم تعنى به امراً آخر ؟ فلان عنيدت به الاول فهو المعنى المعمول . والدليل قائم والالزام صحيح . وان عنيدت به امراً آخر ، فاما ان يكون وجودياً ، واما ان يكون عددياً فان كان عددياً ، والعدم لا شيء كاسمه ، فتعود قيوميته سبحانه الى لا شيء ؟ وان عنيدت به امراً وجودياً غير المعنى المعمول الذي تعلمته الخاصة وال العامة

فلا بد من بيانه لينظر فيه ، هل يستلزم المبادنة ام لا ؟

### فصل

كل من أقر بوجود رب للعالم ممدبر له ، لزمه الافرار ببيانته خالقه وعلوه عليهم ، وكل من انكر مبادنته وعلوه لزمه انكاره وتعطيله . فهاتان دعويتان في جانب النفي والاثبات . اما الدعوى الاولى فانه اولاً اقر بالرب ، فاما ان يقر باذله ذاتاً وماهية مخصوصة ام لا ؟ فان لم يقر بذلك لم يقر بالرب . فان ربا لا ذات له ولا ماهية له هو والعدم سواء . وان اقر باذله ذاتاً مخصوصة وماهية فاما ان يقر بتعينها او يقول انها غير معينة ؟ فان قال : انها غير معينة كانت خيالاً في الذهن لا في الخارج ، فانه لا يوجد في الخارج إلا معين ، لا سِيما وتلك الذات أولى من تعين كل معين ، فانه يستحيل وقوع الشر كـه فيها وان يوجد لها نظير . فتعين ذاته سبحانه واجب ، واذا اقر بأنها معينة لا كافية ، والعالم المشهود معين لا كلي ، لزم قطعاً مبادنة احد المتعيينين لآخر ، فانه اذا لم يباينه لم يعقل تبزيه عنه وتعينه . فان قيل : هو يتبعن بكونه لا داخل فيه ولا خارجاً عنه قيل : هذا - والله - حقيقة قولكم ، وهو عين الحال ، وهو تصریح منكم بأنه لا ذات له ولا ماهية تخصه ، فانه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعينها ماهيته وذاته المخصوصة . وانتم انما جعاتم تعينه بأمر عددي محض ونفي صرف ، وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجاً عنه . وهذا التعيين لا يقتضي وجوده بما به يصح على العدم المحض . وايضاً فالعدم المحض

لا يعين المتعين ، فانه لا شيء وإنما يعينه ذاته المخصوصة وصفاته ، فازم  
قطعاً من اثبات ذاته تعين تلك الذات ، ومن تعينها مبادئها  
للمخلوقات . ومن المبادئ العلو عالمها لما تقدم من تقريره . وصح مقتضى  
العقل والنقل والفطرة ولزم من صحة هذه الدعوى صحة الداعي الثانية ، وهي  
ان من امكان مبادئه للعالم وعلوه عليه لزمه امكان ربوبيته وكونه إله العالم

### فصل

ثبت بالعقل إمكان رؤيته تعالى ، وبالشرع وقوعها في الآخرة  
فاتفاق الشرع والعقل على إمكان الرؤية وقوعها ، فإن الرؤية أمر وجودي  
لا يتعلق إلا بوجود ، وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى .  
فالباري سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه ، لأن وجوده أكمل  
من كل موجود سواه  
يوضحه : أن تعذر الرؤية اما خفاء المرئي ، اواما لافة وضعف في الرأي ،  
والرب سبحانه اظهر من كل موجود ، وإنما تعذر ترؤيته في الدنيا  
لضعف القوة البصرية عن النظر إليه . فإذا كان الرأي في دار البقاء كانت  
قدرة البصر في غاية القدرة لأنها دائمة فقويتها على رؤيته تعالى . وإذا جاز  
أن يرى ، فالرؤية المعقولة له عند جميع بني آدم : عربهم وعجمهم وتركمهم وسائر  
طوائفهم : أن يكون المرئي مقابلاً للرأي مواجهاً له باشنا عنه ، لا تعقل  
الإمداد رؤية غير ذلك . وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجحة الرأي ومبادئه  
المرئي لزم ضرورة أن يكون مرئاً له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن

شماله أو خلفه أو امامه ، وقد دل النقل العبريج على انهم انما يرون سبعانه من فوقهم ، لا من تحتهم . كما قال رسول الله ﷺ « يَنْأَى أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ ، فَرَفِعُوا رُؤْسَهُمْ فَإِذَا الْجَبَارُ جَلْ جَلَالَهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ — ثُمَّ قَرَأَ ( سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ الرَّحْمَنِ ) ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ وَتَبِقُ رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ » فلا يجتمع الأقراد بالرؤبة وانكار الفوقيـة والمبـانـة . ولـهـذا فـاـنـ الجـهـمـيةـ المـغـولـ (١) تـنـكـرـ عـلـوـهـ عـلـىـ خـاقـهـ وـرـؤـيـةـ الـمـؤـمـنـيـنـ لـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ وـمـخـاـيـلـهـمـ (٢) يـقـرـونـ بـالـرـؤـيـةـ وـيـنـكـرـونـ الـعـلـوـ . وـقـدـ خـذـلـ جـهـوـرـ الـعـقـلـاءـ مـنـ الـقـائـلـينـ بـاـنـ الرـؤـيـةـ تـحـصـلـ مـنـ غـيـرـ مـوـاجـهـةـ الـمـرـئـيـ وـمـبـانـتـهـ . وـهـذـاـ رـدـ لـمـاـ هـوـ مـرـكـوزـ فـيـ الـفـطـرـ وـالـعـقـولـ

قال المنكرون : الانسان يرى صورته في المرآة وليس صورته في جهة منها

قال العـقـلـاءـ : هذا هو التـلـيـدـ ، فـاـنـهـ انـمـاـ يـرـىـ خـيـالـ صـورـتـهـ ، وـهـوـ عـرـضـ منـطـبـعـ فـيـ جـسـمـ الصـقـيلـ ، وـهـوـ فـيـ جـهـةـ مـنـهـ ، وـلـاـ يـرـىـ حـقـيقـةـ صـورـتـهـ القـائـمـ بـهـ ، وـالـذـيـنـ قـالـوـاـ : يـرـىـ مـنـ غـيـرـ مـقـابـلـةـ وـلـاـ مـبـانـةـ قـالـوـاـ : الصـحـيـحـ الرـؤـيـةـ فـيـ الـوـجـودـ ، وـكـلـ مـوـجـودـ يـصـحـ اـنـ يـرـىـ . فـاـلـزـمـوـاـ رـؤـيـةـ الـاـصـواتـ وـالـرـوـاحـ وـالـعـلـومـ وـالـاـرـادـاتـ وـالـمعـانـيـ كـلـهاـ وـجـواـزـ اـكـلـهاـ وـشـرـبـهاـ وـلـمـسـهاـ . فـهـذـاـ مـنـتـهـيـ عـقـولـهـمـ

(١) الذين منهم جنكيز خان (٢) من يقول ببعض قولهم من ينـسبـ إلىـ الاـشـعـرـيـةـ

الوجه التاسع والاربعون : ان من ادعى معارضته الوحي بعقله لم يقدر الله حق قدره ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من لم يقدر الله حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه : احدها قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ) الثاني قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَعِمُوا لَهُ . إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَإِنَّ يَسْلِبُوهُ الظَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضُعْفُ الظَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌ عَزِيزٌ ) الثالث قوله تعالى ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَيْعًا قَبْضَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) فاخبر انه لم يقدره حق قدره من انكر ارساله لارسل وانزاله الكتاب عليهم . فهذا حقيقة قول من قال : انه لا يتكلم ولا ينزل منه الى الارض كلام . ومعلوم ان هذا انكار لكمال ربوبيته وحقيقة الهيته وحكمته ورحمته ، ولم يقدره حق قدره من عبد اله غيره . ولم يقدره حق قدره من جحد صفات كماله وقد وصف نفسه سبحانه بأنه العلي العظيم . حقيقة قول النفاة المعطلة انه ليس بعلي ولا عظيم ، فانهم يردون علوه وعظمته إلى مجرد امر معنوي ، كما قال : الذهب أعلى وأعظم من الفضة ، وقد صرحو بذلك وقالوا : معناه على القدر عظيم القدر

قال شيخنا : فيقال لهم ، اتریدون أنه في نفسه على الذات عظيم القدر وان له في نفسه قدرًا عظيمًا ، أم تریدون أن عظمته وقدره في النفوس فقط ؟ فان اردتم الاول ، فهو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة والعقل . واذا كان في نفسه عظيم القدر ، فهو في قلوب الخلق كذلك ،

فلا يحصى احد ثناء عليه ، بل هو كما اثنى على نفسه ، ولا يقدر احد قدره ولا يعلم عظم قدره إلا هو . وتلك صفة يمتاز بها وينقص بها عن خلقه ، كما قال الامام احمد ، لما قالت الجهمية : انه في المخلوقات « نحن نعلم مخلوقات كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء » وان اضفتم ذلك الى مجرد تعظيم القلوب له ، من غير أن يكون هناك صفات ثبوتية وقدر عظيم ينقص به ، فذاك اعتقاد لا حقيقة له ، وصاحبہ قد عظمه با ان اعتقد فيه عظمة لا حقيقة لها . وذلك اعتقاد يضاهي اعتقاد المشركين في آلهتهم ، وان قالوا : بل يريد معنى مثلا لا هذا ولا هذا ، وهو ان له في نفسه قدرًا يستحقه ، لكنه قدر معنوي . قيل لهم : اتريدون ان له حقيقة عظيمة ينقص بها عن غيره وصفات عظيمة يتميز بها ، وذات اعظمية يمتاز بها عن الذوات وماهية اعظم من كل ما هي ونحو ذلك من المعاني المعقولة ؟ فذلك امر وجودي محقق . واذا اضف ذلك الى الرب كان بحسب ما يليق به ولا يشركه فيه المخلوق ، فهو في حق الخالق قدر يليق بعظمته وجلاله . وفي حق المخلوق قدر يناسبه كما قال تعالى ( قدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ) فما من مخلوق إلا وقد جعل الله له قدرًا ينخصه . والقدر يكون عالميًّا ويكون عينيًّا فالاول هو التقدير العالمي ، وهو تقدير الشيء في العالم والافظ والكتاب كما يقدر العبد في نفسه ما يريد ان يقوله ويكتبه ويفعله فيجعل له قدرًا . ومن هذا تقدير الله سبحانه وتعالى لقادير الخالق في عالمه وكتابه قبل تكوينها ، ثم كونها على ذلك القدر الذي علمه وكتبه . والقدر الالهي

نوعان : احدهما في العلم والكتابة . والثاني خلقها وبرءها وتصويرها بقدره التي يخلق بها الاشياء ، والخلق يتضمن الابداع والتقدير جميعا . والعباد لا يقدرون الخالق قدره والكافر منهم لا يقدرون به حق قدره . ولهذا لم يذكر ذلك سبحانه إلا في حكمهم كما قال تعالى ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ  
حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ) وهذا انتها وصف به  
الذين لا يؤمنون بجميع كتبه المنزلة من المشركين واليهود وغيرهم ، وقال  
تعالى ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) ولم يقل وما قدر الله قدره ، فان حق قدره  
هو الحق الذي لقدرته ، فهو حق عاليهم لقدرته سبحانه وتعالى ، فجحدوا ذلك  
الحق وانكروه ، وما قاموا بذلك الحق معرفة ولا اقراراً ولا عبودية ،  
وذلك انكار بعض قدره من صفات كماله وافعاله ، كجحودهم انه يتكلم  
او يعلم الجزيئات او يقدر على احداث فعل . فشبهات منكري الرسالة  
ترجع الى ذلك . فمن اقر بما ارسل به رسلاه ، وانه عالم متتكلم بكتبه التي  
ازلها عليهم قادر على الارسال فقد قدره حق قدره من هذا الوجه ،  
وان لم يقدره حق قدره مطلقاً . ولما كان اهل العلم والاعيان قد قاموا في  
ذلك بحسب قدرتهم وطاقتهم التي اعانتهم بها ووفقاً لهم بما معرفته وعبادته  
وتعظيمه لم يتناولهم هذا الوصف . فان التعظيم له سبحانه بالمعرفة والعبادة  
ووصفه بما وصف به نفسه قد امر به عباده واعانهم عليه ورضي منهم بما  
قدروه من ذلك ، وان كانوا لا يقدرون به حق قدره ولا يقدر احد من العباد  
قدره . فإنه اذا كانت السموات السبع في يده كالخزولة في يد احدهنا ،

والارضون السبع في يده الاخرى كذلك ، فكيف يقدره حق قدره من عبد معه غيره وجعل له ندا ، وانكر صفاته ، وافعاله ؟ بل كيف يقدره حق قدره من انكر ان يكون له يدان ، فضلا عن ان يقبض بها شيئا ؟ فلا يد عند المعلنة ولا قبض في الحقيقة ، واما ذلك مجاز ، وقد شرع تعالى لعباده ذكر هذين الاسمين : العلي العظيم ، في الركوع والسجود كما ثبت في الصحيح ، لما نزلت ( فَسَمِعَ يَاسُرٌ رَبَّكَ الْعَظِيمَ ) قال النبي ﷺ « اجعلوها في رکوعكم » فاما نزلت ( سَمِعَ أَسْمَرَ رَبَّكَ الْأَعْلَى ) قال « اجعلوها في سجودكم » فهو سبحانه كثيرا ما يقرن في وصفه بين هذين الاسمين ، كقوله ( وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) وقوله ( وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) وقوله ( عَالِمٌ الْغَيْبٌ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ) ثبت بذلك علوه على المخلوقات وعظمته ، والعلو رفعته ، والعظمة قدره ذاتا ووصفا

الخمسون : ان هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل انما يدللون ببني التشبيه والمثيل ويجعلونه جنة لتعطياهم ، فأنكرروا علوه وكلامه وتکلیمه وغير ذلك مما اخبر الله به عن نفسه واخبر به رسوله ﷺ ، حتى آل ذلك ببعضهم إلى نفي ذاته وما هيته ، خشية التشبيه ، وقالوا : هو وجود بعض لا ماهية له . ونفي آخره وجوده بالكلية خشية التشبيه ، وقالوا : يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات ، والكلام ، والعلو ، فنحن نسد الباب بالكلية

فينبغي ان يعلم في هذا قاعدة ظيمة نافعة جدا وهي : ان نفي التشبيه

والمثل والنظير ليس في نفسه صفة مدح ولا كمال ، ولا يمدح به المنفي عنه ذلك؛ بجرده فإن العدم الحض الذي هو خارس المعلومات وانقصها ينفي عنه الشبه ، والمثل ، والنظير ، ولا يكون ذلك كمالا ولا مدحا الا اذا تضمن كون من نفي عنه ذلك قد اختص من صفات الكمال بصفات بابن بها غيره وخرج بها عن ان يكون له فيها نظير أو مثال ، فهو انفراد بها عن غيره صح ان ينفي عنه الشبه والمثيل ، ولا يقال لمن لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا علم ولا كلام ولا فعل : ليس له مثل ولا شبه ولا نظير ، إلا في باب الدم والعيوب . هذا الذي عليه فطر الناس وعقولهم واستعمالهم في المدح والذم كما قيل :

ليس كمثل الفتى زهير \* خلق يساويه في الفضائل  
وقال الفرزدق :

فما مثله في الناس الا مثلك \* ابو امه حي اخوه <sup>(١)</sup> يقاربه اي قامثله في الناس حي يقاربه الا مثلك هو اخوه ، فعكس المعطلة المعنى فعلوا (ليُسَّ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) جنة يتترسون بها النفي علو الله سبحانه على عرشه وتکاليمه لرسله وآيات صفات كماله  
ومما ينبغي ان يعلم ان كل سبب ونبي لا يتضمن اثباتا ، فان الله لا يوصف به لانه عدم شخص ونبي صرف لا يقتضي مدحا ولا كمالا . ولهذا كان تسبیحه وتقديسه مستلزمین لعظمته ومتضمنین لصفات كماله ، والا

(١) المشهور في البيت (أبوه)

فالمدح بالعدم المحسن كلام مدح . ولهذا كان عدم السنة والنوم مدحا وكالا  
في حقه لتضمنه او استلزمته كالحياة وفي ميته ، ونفي الغائب عنه  
كالا لاستلزمته كالقدر وقوته ، ونفي النسيان عنه كالتضمنه كال  
عame . وكذلك نفي عزوب شئ عنه ونفي الصاحبة والولد كالتضمنه كال  
غناه وتفرده بالربوبية وان من في السماوات والارض عبده ، وكذلك  
نفي الكف والسمعي والمثل عنه كاللانه مستلزم ثبوت جميع اوصاف  
الكمال له على اكل الوجوه واستحاله مشارك له فيها . فلذين يصفونه  
بالسلوب من الجهمية والفلسفه لم يعرفوه من الوجه الذي عرفته به  
الرسل وعرفوه به الى الخلق وهو الوجه الذي يحمد به ويعرف به عظمته  
وجلاله ، وانما عرفوه من الوجه الذي يقودهم الى تعطيل العلم والمعرفة  
والاعيان به لعدم اعتقادهم الحق . وحقيقة امرهم لم يثبتوا لله ظمة إلا  
ما تخيلوه في نفوسهم من السلوب والنفي الذي لا ظمة فيه ولا مدح  
فضلا عن ان يكون كالا . بل ما اثبتوا مستلزم لنفي ذاته رأساً  
واما الصفاتية الذين يؤمنون ببعض ويجحدون ببعض فذا اثبتوا  
علماء ، وقدرة ، وارادة ، وغيرها تضمن ذلك اثبات ذات تقوم بهذه  
الصفات ، وتميز بحقيقة وماهيتها ، سواء سموه قدرا اولم يسموه . فلن لم  
يثبتوا ذاتا متميزة بحقيقة وماهيتها كانوا قد اثبتوا صفات بلا ذات كما  
اثبت اخوانهم ذاتا بغير صفات ، وثبتوا اسماء بلا معان ، وذلك كله  
مخالف لصریح العقول . فلا بد من اثبات ذات متفقة لها الاسماء الحسني

وإلا فاسماء فارغة لا معنى لها لا توصف بمحسن فضلا عن كونها أحسن  
من غيرها بوضعيه :

الوجه الحادي والأخسون : إن الله سبحانه وتعالى قرن بين هذين الأسمين  
المدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرمي ، وفي سورة الشورى ،  
وفي سورة الرعد ، وفي سورة سباء في قوله ( مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا أَنْجَعُ  
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع  
الصفات ، وذكر معها قيمته المقتضية لدوامه وبقاءه وانتفاء الآفات جميعها  
عنه ، من النوم والستنة والعجز وغيرها . ثم ذكر كمال ملكه . ثم عقبه بذكر  
وحدا نيته في ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه . ثم ذكر سعة  
عame واحاطته . ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء الا  
بعد مشيئته لهم أن يعمموه . ثم ذكر سعة كرسيه منتها به على سعته  
سبحانه وعظمته وعلوه . وذلك توطة بين يدي علوه وعظمته . ثم اخبر  
عن كمال اقتداره وحفظه للعلم العلوي والسفلي ، من غير اكترااث ولا  
مشقة ولا تعب ، ثم ختم الآية بهذه الأسمين الجليلين المدالين على علو  
ذاته وعظمته في نفسه . وقال في سورة طه ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ) وقد اختلف في مفسر الضمير في ( به ) فقيل هو الله  
سبحانه ، أي ولا يحيطون بالله عالماً ، وقيل هو ( ما بين أيديهم وما خلفهم )  
فعلى الثاني يرجع إلى المعلوم . وهذا القول يستلزم الاول من غير عكس  
لأنهم اذا لم يحيطوا بعض معلوماته المتعلقة بهم فإن لا يحيطون عالماً به

سبحانه من باب اولى . كذلك الضمير في قوله (وَ لَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) يجوز ان يرجع الى الله . ويجوز أن يرجع الى (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ) ولا يحيطون بشيء من علم ذلك الا بماشاء . فعلى الاول يكون المصدر مضادا الى الفاعل وعلى الثاني يكون مضادا الى المفعول والمقصود أنه لو كان العلي العظيم اغايير يدبها تصفاته بالعلم والقدرة والملك ، ومواضع ذلك كان تكررا ، فان ذكر ذلك مفصلا أبلغ من الدلالة عليه عالا يفهم إلا بكلفة . وكذاك اذا قيل ان عاوه وعظمته مجرد كونه أعظم من مخلوقاته وافضل منها ، فهذا هضم عظيم لهاتين الصفتين العظيمتين . وهذا لا يليق ولا يحسن أن يذكر ويخبر به عنه إلا في معرض الرد لمن ساوي بينه وبين غيره في العبادة والتاله ، كقوله تعالى (قُلْ أَلْهَمَ اللَّهُ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى ، اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ؟) وقول يوسف الصديق (أَءْرَبَ بَابَ مُتَفَرِّقٍ فَوْنَ خَيْرٌ أَمِّ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارُ ؟) فهذا السياق يقال في مثله : ان الله خير مما سواه . واما بعد ان يذكر مالك الكائنات ويقال مع ذلك أنه افضل من مخلوقاته وأعظم من مصنوعاته ، فهذا يتزد عنه كلامه وانما يليق بهؤلاء الذين يجعلون لله مثل السوء في كلامه ، ويجعلون ظاهره كفرا نارة ، وضلاله اخرى ، وتارة تجسيما وتشبيها ويقولون فيه ما لا يرضي احدنا ان يقوله في كلامه

### فصل

في ذكر هبة الحرمى على انه سجانه لا يرضى ، ولا يغضب ، ولا يحب  
ولا يخاط ، ولا يفرح ، والجواب عنها

احتج الجمي على امتناع ذلك عليه بان هذا افعال وتأثير عن العبد والخلق لا يؤثر في الخالق . فلو اغضبه او فعل ما يفرح به لكان المحدث قد اثر في القديم تلك الـ *كـيفيات* . وهذا حال . وهذه الشبهة من جنس شبههم التي تدهش السامع أول ما تطرق سمعه ، وتأخذ منه وتروعه ، كالسحر الذي يدهش الناظر أول ما يراه والجواب من وجوه ( احدها ) ان الله تعالى خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، وكل ما في الكون من اعيان وأفعال وحوادث فهي بمشيئته وتكوينه ، فاشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فصفتها لا تخصيص فيها بوجه من الوجوه <sup>(١)</sup> وكل ما يشاءه إنما يشاءه حـ *كمـة* اقتضاهـا حـ *مدـه* ومجده ، فـ *كمـة* البالغة او جبت كل ما في الكون من الاسباب والسببات فهو سبحانه خالق الاسباب التي ترضيه ، وتغضبه ، وتسخطه ، وتفرحه ، والأشياء التي يحبها ويكرهها ، الله سبحانه خالق ذلك كله . فالخلق اضعف واعز أن يؤثر فيه ، بل هو الذي خلق ذلك كله على علمه فإنه يحب هذا ويرضي هذا ، ويبغض هذا ويسخط هذا ، ويفرح بهذا . فـ *أثرـه* غيره بوجه من الوجوه

( الثاني ) ان التأثير لفظ فيه اشتباہ واجمال ، اتريد به أن غيره لا يعطيه كلام لم يكن له ، و يوجد فيه صفة كان فقدتها ؟ فهذا معلوم بالضرورة أم تريد ان غيره لا يسخطه ولا يغضبه ، ولا يفعل ما يفرح به او

(١) كذا بالأصل ، وفي الكلام بعض الغموض

محبه او يكرهه او نحو ذلك ؟ فهذا غير ممتنع وهو أول المسألة . وليس معك في نفيه إلا مجرد الداعي بتسمية ذلك تأثيرا في الخالق . وليس الشأن في الاسماء ، إنما الشأن في المعاني والحقائق . وقد قال تعالى ( ذلك <sup>بِمَا</sup> أَتَبْعَدُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ) وقل النبي عليه السلام لا يذكر في أهل الصفة « لأنكنت اغضبهم لقد اغضبت ربكم »

( الثالث ) ان هذا يبطل محبته لطاعة المؤمنين وبغضه اعاصي الخالفين ، فهذا وهذا معلوم البطلان بالضرورة والعقل والفطر الانسانية واتفاق اهل الاديان كلهم بل هذا حقيقة دعوة الرسل بعد التوحيد ( الرابع ) ان هذا يتقدّم بجابة دعواهم وسماع اصواتهم ، ورؤيه افعالهم وحركاتهم ، فان هذه كلها امور متعلقة بافعالهم فما كان جوابك عنها <sup>(١)</sup> في محل الازام

( الخامس ) انه سبحانه اذا كان يحب امورا وتلك الامور محبوبة لها لوازم يمتنع وجودها بدونها ، كان وجود تلك الامور مستلزم لا لوازمه التي لا توجد بدونها . مثاله محبته لاعفو والمغفرة والتوبه ، فهذه المحبوبات تستلزم وجود ما يعفو عنه ويغفره ويتوّب اليه العبد منه وجود الملزم بدون لازمه محال فلا يمكن حصول محبوباته سبحانه من التوبه والاعفو والمغفرة بدون الذي يتّابع منه ويغفره ويغفو عنه . ولهذا قال النبي عليه السلام « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون

( ١ ) كذا بالأصل واعله سقط ( فهو جوابنا )

فِي سَخْرَيْرُونَ فِي غَفْرَانِهِمْ » وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ  
بِالْفَرَحِ بِهِ . وَهَذَا الْمَفْرُوحُ بِهِ يَتَنَعَّجُ وَجُودُ دُقُولِ الذَّنْبِ ، فَضْلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ  
فِي هَذَا الْمَفْرُوحِ بِهِ يَجِبُ تَأْخِرُهُ قُطْعًا وَمِثْلُ هَذَا مَارُوِيٌّ « إِنَّ آدَمَ لَمَّا رَأَى بَنِيهِ  
وَرَأَى تَقَاوِيْهِمْ ، قَالَ : يَا رَبُّ ، هَلَا سَاوِيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ ؟ قَالَ : أَنِّي أَحْبَبَ  
أَنْ أَشْكُرَ » وَمَعْلُومٌ أَنْ مَحْبَبَتِهِ لِلشُّكْرِ عَلَى مَا فَضَلَ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ  
وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكُ بِالْتَّسْوِيْهِ يَنْهَمُ . فَإِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ التَّسْوِيْهِ وَالتَّفْضِيلِ جَمْعٌ  
بَيْنَ النَّقِيْضَيْنِ ، وَذَلِكُ مَحَالٌ

الْوَجْهُ الثَّانِي وَالْجَيْسُونُ : أَنْ هَذِهِ الْمَاعَرِضَةُ بَيْنَ الْعُقْلِ وَالنَّقْلِ هِيَ اَصْلُ  
كُلِّ فَسَادٍ فِي الْعَالَمِ ، وَهِيَ ضَدُّ دُعَوَةِ الرَّسُلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ . فَأَنْهُمْ دَعَوْا  
إِلَى تَقْدِيمِ الْوَحْيِ عَلَى الْآرَاءِ وَالْعُقُولِ ، وَصَارَ خَصُومُهُمْ إِلَى ضَدِّ ذَلِكِ .  
فَاتِّبَاعُ الرَّسُلِ قَدَّمُوا الْوَحْيَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْمَعْقُولِ ، وَاتِّبَاعُ ابْلِيسِ وَنَائِبِ  
مِنْ نَوَابِهِ قَدَّمُوا الْعُقْلَ عَلَى النَّقْلِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهْرُسْتَانِيُّ ، فِي كِتَابِهِ الْمَلَلُ وَالنَّجْلُ :  
أَعْلَمُ أَنْ أَوْلَ شَبَهَةً وَقَعَتْ فِي الْخُلُقِ شَبَهَةُ ابْلِيسِ ، وَمَصْدِرُهَا اسْتِبْدَادُهُ  
بِالرَّأْيِ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ ، وَاخْتِيَارُهُ الْهُوَى فِي مَعَارِضَ الرَّأْيِ ، وَاسْتِكْبَارُهُ  
بِالْمَادَةِ الَّتِي خَاقَ مِنْهَا ، وَهِيَ النَّارُ عَلَى مَادَةِ آدَمَ ، وَهِيَ الطِّينُ ، وَتَشَعَّبَتْ  
عَنْ هَذِهِ الشَّبَهَةِ سَبْعُ شَبَهَاتٍ : صَارَتْ هِيَ مَذَاهِبٌ بَدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ وَتَلْكِيدٌ  
الشَّبَهَاتُ مَسْطُورَةٌ فِي شَرْحِ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ وَمَذَكُورَةٌ فِي التُّورَاةِ  
مُتَفَرِّقةً عَلَى شَكْلِ مَنَاظِرَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالسَّجْدَةِ

والامتناع منه ، قال : كما نقل عنه : اني سلمت ان الباري إلهى وإلهى  
الخلق عالم قادر . ولا يسأل عن قدرته ومشيئته ، وإذا اراد شيئاً قال له  
( كُنْ فَيَكُونُ ) وهو حكيم ، إلا انه يتوجه على مساق حكمته أسئلة  
سبعة ( او لها ) قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عنى ويحصل ، فلم يخلقني  
اولاً ؟ وما الحكمة في خلقه اياي ؟ ( الثاني ) اذ خلقي على مقتضى ارادته  
ومشيئته ، فلم يكفي بمعترفه وطاعته ، وما الحكمة في التكليف بعد (١)  
الا ينتفع بطاعته ولا يتضرر بعصيته ؟ ( الثالث ) اذ خلقي وكلفتني  
فالزرت تكليفي بالمعرفة والطاعة فعرفت واطاعت ، فلم يكافي بطاعة آدم  
والسجود له ، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص ، بعد ان لا  
يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي ؟ ( الرابع ) اذ خلقي وكلفتني على الاطلاق  
وكافاني هذا التكليف على الخصوص ، فاذا لم اسجد لعنى وآخرجنى من  
الجنة ، ما الحكمة في ذلك بعد اذ لم ارتكب قبيحها إلا قوله لا اسجد  
إلا لك ؟ ( الخامس ) اذ خلقي وكافاني مطلقاً وخصوصاً ولم اضع فلعني  
وطاردنى ، فلم طرقني الى آدم حتى دخلت الجنة تانياً وغررته بوسوسي  
فاكل من الشجرة المنهي عنها ، وآخرجه من الجنة معى ، وما الحكمة  
في ذلك ، بعد ان لو منعنى من دخول الجنة لاستراح هني وبقي خالداً في  
الجنة ؟ ( السادس ) اذ خلقي وكافاني عموماً وخصوصاً ولعني ثم طرقني  
إلى الجنة وكانت الخصومة يانى وبين آدم ، فلم سلطني على اولاده حتى اراهم

(١) كذا بالاصل واعده سقط ( معرفته )

من حيث لا يروني وتنور فيهم وسوسني ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرهم واستطاعتهم ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحيط بهم عنها فيعيشوا ظاهرين ساميئين مطعفين . كان احرى وألائق بالحكمة ؟ (السابع) سلمت هذا كله ، خلقني وكافني مطلقاً ومقيداً ، وحيث لم اطع لعنني وطردني ، ومكنتني من دخول الجنة وطرقني واذ عملت عملاً اخر جنني ، ثم سلطني علىبني آدم ، فلم اذ استعملته امهاني ، فقلت (أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ) فقال (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وما الحكمة في ذلك ؟ بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما يرق شر في العالم ، أليس بقاء العالم على نظام اخير خير من امترزاجه بالشر ؟ قال فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة

قال شارح الانجيل : فاوحى الله تعالى الى الملائكة ، قولوا الله : انك في مسألتك الأولى : اني اهلك وآله الخلق غير صادق ولا مخاص ، اذ لو صدقت اني رب العالمين ما احتمكت علي بل ، فانا الله الذي لا إله إلا انا لا اسئل عمما افعل والخلق مسئولون . قال : هذا مذكور في التوراة والزبور مسطور في الانجيل على الوجه الذي ذكره . وكنت برها من الزمان اتفكر واقول : من المعلوم الذي لا مرية فيه ان كل شبهة وقعت لبني آدم فانما وقعت من اضلال الشيطان ووساوسه ونشأت من شبهاته . واذا كانت الشبهات مصورة في سبع عادت كبار البدع والضلال الى سبع ، ولا يجوز ان تعدوها شبهة اهل الزيف والكفر ، وان اختلفت العبارات وتبينت

الطرق فلها بالنسبة الى انواع الفضلالات كالبذر ترجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق ، والى الجنوح الى الهوى والرأي في مقابلة النص . والذين جادلوا هودا ، ونوحًا ، وصالحا ، وابراهيم ، ولوطا ، وشعيباً وموسى ، وعيسى ، ومحمدًا صلوات الله وسلامه ع عليهم . كلهم نسجوا على منوال الاعين الاول في اظهار شبهاتهم . وحاصلها يرجع الى رفع التكليف عن انفسهم . وجحد أصحاب التكاليف والشرع عن هذه الشبهة نشأ ، فإنه لا فرق بين قولهم (أَبَشِّرُ يَهُودَنَا) وبين قوله (أَسْجُدُ إِنِّي خَلَقْتَ طِينًا) ومن هذا قوله تعالى (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً) فيبين ان المانع من الامان هو هذا المعنى كما قال المتقدم (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَنَاكَ؟ فَقَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) وقال الآخر من ذريته كاذاق المتقدم (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَوْهِيْنُ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ) وكذلك لو تعقبنا اقوال المتأخرین منهم وجدناها مطابقة لاقوالمتقدمين (كَذَّاكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِثْلُهُمْ وَلِمَ تَشَاءُتْ قُلُوبُهُمْ). (فَمَا كَنُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا يَهُودَةٌ مِنْ قَبْلُ) فالاعين الاول ما حكم العقل على من لا يحتم علىه العقل اجري حكم الخلق في الاخلاق وحكم الخلق في الاخلاق ، والاعول غلو ، والثاني تقصير . فثار من الشبهة الاولى مذاهب الحلوية والتناخية والمشبهة والغلاة من الرافضة من حيث غلوا في حق شخص من الاشخاص حتى وصفوه باوصاف الجلال . وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرة والجبرية والجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين

والمعزلة مشبهة الافعال ومشبهة الصفات وكل منها أبور ، فان من قال :  
 يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الاخلاق بالخلق  
 ومن قال : يوصف الباري بما يوصف به الاخلاق أو يوصف الاخلاق بما  
 يوصف به الباري فقد اعزل عن الحق . وشيخ القدرية طاب العلة في كل  
 شيء وذلك الشيخ العين الاول ، اذ طلب العلة في الاخلاق اولا ، والحكمة  
 في التكاليف ثانيا ، والمعاندة في تكليفه السجود لآدم ثالثا . ثم ذكر  
 الخوارج والمعزلة والروافض وقال : رأيت شبهاهم كلها نشأت من  
 شبها العين الاول . واليه اشار التنزيل بقوله ( ولَا تَتَمَّعُوا خُطُواتِ  
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُبِينٌ ) وقال عليه السلام « لتسلكن سبل الامم قبلكم  
 حذو القادة بالنعل والنعل حتى لو دخوا جحر ضب لدخلتموه »  
 فهذه القصة في المعاشرة هي نقل اهل الكتاب ، ونحن لا نصدقها ولا  
 نكذبها ، وكمها والله اعلم من معاشرة وضعت على لسان ابياليس . وعلى كل  
 حال فلا بد من الجواب عنها سواء صدرت عنه او قيلت على لسانه فلاريب  
 انها من كيده . وقد اخبر تعالى ( إِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا )  
 فهذه الاستلة وال شبها من اضعف الاستلة عند اهل العلم والاعيان  
 وان صعب موقعها عند من اصل اصولا فاسدة كانت سداً ينه ويدين  
 ردتها . وقد اختلفت طرق الناس في الاجوبه عنها . فقال المنجمون :  
 وزنادقة الطباءين والفلسفه : لا حقيقة لآدم ولا لا بليس ولا الشيء من  
 ذلك ، بل لم ينزل الوجود هكذا ولا زال نسلا بعد نسل وامة بعد امة ؟ واما

ذلك امثال مضر و به لانفعال القوى النفسيّة الصالحة لهذا البشر وهذه القوى هي المسماة في الشرائع **بالملائكة** ، واستعانت القوى الغضبية والشهوانية ، وهي المسماة بالشياطين . فعبروا عن خضوع القوى الخبرية الفاضلة بالسجود ، وعبر عن اباء القوى الشريعة بالاباء والاستكبار وترك السجود . قلوا : **والحكمة الـ لهـ يـة اـفـتـضـت تـرـكـيـب الـ اـنـسـان عـلـى هـذـا الـ وـجـه ، وـاسـكـان هـذـه القـوـى فـيـه وـانـقـيـاد بـعـضـهـا لـهـ وـإـبـاء بـعـضـهـا .**  
**فـهـذـا شـأـن الـ اـنـسـان . وـلـو كـان عـلـى شـيـر هـذـا التـرـكـيـب لـم يـكـن اـنـسـانـا قـلـوا :**  
**وـبـهـذـا تـنـدـفـع الـاـسـتـلـة كـلـها ، وـانـهـا بـتـنـزـلـة انـ يـقـال : لـم اـحـوـج الـ اـنـسـانـا إـلـى الـاـكـل وـالـشـرـب وـالـابـاس ؟ وـلـا اـحـوـجـه إـلـيـهـا ، فـلـ جـعـلـهـ يـبـول وـيـغـرـط وـيـخـط ؟ وـلـم جـعـلـهـ يـهـرـم وـيـرـض وـيـمـوت ؟ فـانـ هـذـه الـاـمـور منـ لـوـازـم النـشـأـة الـاـنـسـانـيـة . فـهـذـه الطـائـفـة رـفـعـت الـقـوـاعـد منـ اـصـلـهـا وـابـطـلـت آـدـم وـإـبـيـس وـالـمـلـائـكـة ، وـرـدـت الـاـمـرـاـتـى بـمـرـدـقـوـى نـفـسـيـة وـاـمـورـ مـعـنـوـيـة وـقـالـتـ الجـبـرـيـة ، وـمـنـكـرـوا العـالـلـ وـالـحـكـم : هـذـه الـاـسـتـلـة اـنـهـا تـرـدـ عـلـى مـنـ يـفـعـلـ لـعـلـة اوـ غـرـض اوـ لـغـاـيـة . فـاما مـنـ لـاعـلـة لـفـعـلـهـ وـلـاـ غـاـيـة وـلـاـ غـرـضـ بلـ يـفـعـلـ بلاـ سـبـبـ فـاـنـا مـصـدـرـ مـفـعـولـاـتـهـ مـحـضـ مـشـيـثـتـهـ وـغـايـهـا مـطـابـقـتـها لـعـلـمـهـ وـارـادـتـهـ ، فـيـجـيـئـ فـعـلـهـ عـلـى وـقـقـ اـرـادـتـهـ وـعـلـمـهـ . وـعـلـى هـذـه الـاـسـتـلـة فـاسـدـةـ كـلـها . اـذـ مـبـنـاهـا عـلـى اـصـلـ وـاحـدـ ، وـهـوـ تـعـلـيلـ اـفـعـالـ مـنـ لـاـ تـعـلـلـ اـفـعـالـهـ وـلـاـ يـوـصـفـ بـحـسـنـ وـلـاـ قـبـحـ عـقـلـيـينـ ، بلـ الـحـسـنـ مـافـعـلـهـ اوـ مـاـيـفـعـلـهـ فـكـلـهـ حـسـنـ (لـاـ يـسـأـلـ عـمـا يـفـعـلـ وـهـمـ يـسـأـلـونـ) . قـلـوا : **وـالـقـبـحـ وـالـظـلـمـ****

هو تصرف الانسان في غير ملكه ، فاما تصرف الملك الحق في ملكه من غير ان يكون تحت حجر حاجر او أمر امر او نهي ناه ، فإنه لا يكون ظالماً ولا قبيحاً . فرفع هؤلاء الاستئلة من اصلها والتزموا الوازن هذا الاصل بأنه لا يحب على الله شيء ، ولا يحرم عليه شيء ولا يقبح منه ممكناً وفقالت القدرة : هذا لا يرد على اصولنا ، وانما يرد على اصول الجبرية القائلين بان الله تعالى خالق افعال العباد ، وطاعتهم ومعاصيهم وابعادهم وكفرهم ، وانه قدر ذلك عليهم قبل ان يخلقهم وعامة منهم وخلقهم له ، خلق اهل الكفر واهل الفسق لفسق ، وقدر ذلك عليهم وشأده منهم وخلقه فيهم . فهذه الاستئلة واردة عليهم . واما نحن فعندنا ان الله تعالى عرض لهم لطاعة والابيان وقدرهم عليه ومكانهم منه ورضيه لهم واحبه ، ولكنهم اختاروا لانفسهم الكفر والعصيان ، والله تعالى لم يكرههم على ذلك ولم يحببهم عليه ولا شأده منهم ولا كتبه عليهم ولا قدره ولا خلقهم له ولا خلقه فيهم ، ولكنها اعمال ثم لها عاملون ، وشرطهم لها فاعلون . فانتا خاق ابليس لطاعته وعبادته ولم يخلق لعصيته والكفر به . وصرح قدماء هذه الفرقة بان الله سبحانه لم يكن يعلم من ابليس حين خلقه انه يصدر منه ما صدر ، ولو علم ذلك منه لم يخلقه . وابني متآخرون ذلك ، وقالوا : بل كان سبحانه عالم به وخلقه امتحاناً لعباده ليظهر المطبع له من العادي والمؤمن من الكفر ، وليثبت عباده على معاداته ومحاربته ومعصيته افضل الثواب . قلوا : وهذه الحكمة اقضت بقاءه

حتى تنقضي الدنيا وأهالها ، قلوا : وامرہ بالسجود ليطیعه فیثیبھ ، فاختار  
نفسه المعصیة والکفر من غير اکراه من الرب ولا الجاء له الى ذلك  
ولا حال ينفعه وین السجود ، ولا سلطنه على آدم وذریته قهرا ، وقد اعترف  
عدو الله بذلك حيث يقول ( وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ) وقال تعالى  
( وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ ) . قالوا فاندفعت تلك الاستئثار وظهر انها  
ترد على اصول الجبرية لا على اصولنا

وقالت الفرقۃ الناجیة حزب الله ورسوله کيف يطعم في الرد  
على عدو الله من قد شارکه في اصله وفي بعض شعبه ، فان عدو الله اصل  
معارضه النص بالرأی ، فيترتب على تأصیله هذه الاستئثار وامثالها . فنعارض  
النقل بالعقل فهو شريكه من هذا الوجه فلا يمكن من الرد التام عليه  
ولهذا لما شارکه زنادقة الفلاسفة والمنجمین والطبائعيین في هذا الاصل  
انکروا وجوده ووجود آدم والملائكة ، فضلا عن قصة أمره بالسجود  
وإباءه وما ترتب عليه . ولما انکرت الجبرية الحكم والتعليق والاسباب عجزوا  
عن جواب استئثاره وسدوا على نفوسيهم باب اسماعها والجواب عنها ، وفتھوا  
باب مکابرة العقول الصحیحة في انکار تحسین العقل وتقییمه ، وانکار  
الاسباب والقوى والطبع والحكم والغایات المحمودة التي لا جاهها يفعل  
الرب ما يفعله ، وجوزوا عليه ان يفعل كل شيء وأن يأمر بجمعیع مانعی  
عنه وينهى عن كل ما امر به ، ولا فرق عندم البتة بين المأمور والمحظور  
والكل سواء في نفس الامر ، ولكن هذا صار حسنا بأمره لانه في

نفسه وذاته حسن ، وهذا صار قبيحاً بنيه لأنه في نفسه وذاته قبيح .  
ولما أصلت القدرة انكار عموم قدرة الرب سبحانه ومشيئته الجميع  
الكائنات واخرجت افعال عبده خيرها وشرها عن قدرته ومشيئته خلقه  
وأثبتت الله تعالى شريعة بعقولهم حكمت عليه بها واستحسنت منه  
ما استحسنت من أنفسها واستقبحت منه ما استقبحته من أنفسها وعارضت  
بين الأدلة السمعية الدالة على خلاف ما أصواه وبين العقل ، ثم راموا  
الرد على عدو الله فعجزوا عن الرد التام عليه ، وأنما يمكن من الرد عليه  
كل الرد من تلك أصوله عن مشكاة الوحي ونور النبوة ، ولم يُؤصل أصلًا برأيه  
فأول ذلك أنه علم أن هذه الاستئلة ليست من كلام الله الذي أنزله على  
موسى وعيسى مخبراً بها عن عدوه كما أخبر عنه في القرآن بكثير من أقواله  
وافعاله ، وادخال بعض أهل الكتاب لها في تفسير التوراة والإنجيل كما  
نجد بال المسلمين من يدخل في تفسير القرآن كثيراً من الأحاديث والأخبار  
والقصص التي لا أصل لها . وإذا كان هذا في هذه الأمة التي هي أكل  
الأمم على ما وعلوها فما الظن باهل الكتاب ؟

الوجه الثاني أن يقال لعدو الله : قد ناقشت في استئلتك ما اعترفت  
بهغاية المناقضة وجعلت ما أسلفت من التسليم والاعتراف مبطلاً الجميع  
استئلتك متضمناً الجواب عنها قبل ذكرها وذاك إنك قلت (رَبِّنَا  
أَغْوَيْنَاهُ لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادُكَ وَنِعْمَهُمْ  
الْمُخْلَصُونَ ) فاعترفت بأنه ربك وخالقك وممالكك وإنك مخالق له مربوب

تحت اوامر ونواهيه ، وانما شألك أن تترى في نفسك تصرف العبد  
المأمور المنفي المستعد لاً اوامر سيده ونواهيه . وهذه هي اغاية التي خلقت  
لها ، وهي غاية الخلق وكالسعادة لهم . وهذا الاعتراف منك برب بيته وقد رأته  
وعزمه يتضمن اقرارك بكل عالمه وحكمته وغناه ، وانه في كل ما امر شليم  
حكيماً يأمر بعد حاجة منه الى امر به عبده ولا مهاد بخلاف عليه بما نهاد بل امره  
رحمه منه به واحساناته بعافية بالاحده في معاشه ومعاده والاصلاح له الا به ومنها  
عما في ارتكابه فساد في معاشه ومعاده . فكانت نعمته عليه باصرد ونميه اعظم  
من نعمته عليه بما كله ومشربه ولباسه وصحبة بدنها بما لا نسبة بينها ، كما قال  
سبحانه ، في آخر فصل مع الآبوين ( يَا أَبَنِي آدَمَ قَدْ أَرْزَقْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا  
يُوَارِى سَوَّاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسٌ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ دَلِكَ وَنْ آيَاتِ اللَّهِ أَعْلَمُ  
يَدَكُرُونَ ) فاخبر سبحانه ان لباس التقوى وزينتها خير من المال والرياش  
والجمال الظاهر . فالله تعالى خالق عباده وجعل ظواهرهم باحسن تقويم وجمل  
بواطنهم بهذه اياتهم الى الفراط المستقيم . ولهذا كانت صورتك قبل معصية  
ربك من احسن الصور ، وانت مع ملائكته الا كبرين . فلما وقع ما وقع  
جعل صورتك وشناعة منظرك مثلاً يضرب لكل قبيح كما قال تعالى  
( طَلَعَهَا كَذَهْرُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ) فهذه اول نقدة تعجذبها من معصيته ولا  
ديب انك تعلم انه احكم الحماكين واعلم العالميز واغنى الاغنياء وارحم  
الراحمين ، وانهم يأمر العباد إلا بما فعلوا خير لهم وأصلح وانفع واحسن تأويلاً  
واعظم عائدة من تركه ، كما انه لم يرزقهم الامانة وله انفع لهم من تركه . فامر ثم

بما امرهم ماصحة عائدة عليهم كما رزقهم الطعام والشراب وغيرهما من النعم  
فالى عداه استعملوا أمره وشرعه لحفظ صحة قلوبهم وكالها وصلاحها بنزلة  
استعمالهم رزقه لحفظ صحة أجسامهم وصلاحها ، وتيقنوا الله كما لا بقاء للبدن  
ولا صحة ولا صلاح إلا بتناول غذائه الذي جعل له ، فكذاك لاصلاح  
لقلب والروح ولا فلاخ ولا نعم إلا بتناول غذائه الذي جعل له . هذا  
وان أقيمت الى طائفة من الناس انه لا ماصحة للمكاففين فيما امروا به  
ونهوا عنه ، ولا منفعة لهم فيه ولا خير ، ولا فرق في نفس الامر بين فعل  
هذا وتركه ، ولكن امرروا ونهوا المجرد الامتحان والاختبار ولافرق  
فلم يؤمروا بحسن ولم ينهوا عن قبيح ، بل ليس في نفس الامر لا حسن  
ولا قبيح . ومن عجيب امرك وامرهم انك اوحيت اليهم هذافردوها به عليك  
بفعاوه جواب استئنافك فدفعوها كلها ، وقلوا : إنما يتوجه هذه الاستئناف  
في حق من يفعل لعنة او غرض ، واما من فعله بريء من العمل والاغراض  
فلا يتوجه عليه سؤال واحد من هذه الاستئناف ، فلن كانت هذه القاعدة  
حقاً فقد اندفعت استئنافك كلها ، وان كانت باطلة والحق في خلافها فقد  
بطلت استئنافك ايضاً كما تقدم . يوضحه :

الوجه الثالث ، ان نقول لعدوا الله : اما ان تسلم حكم الله في خلقه  
وامرها ، واما ان تنجده وتنكره . فإن سلمتها وانه سبحانه حكيم في خلقك  
حكيم في امرك بالسجود ، بطلت الاستئناف وكنت معترفاً بانك اوردتها  
على من تهرب حكمته العقول ، فبتسليمك هذه الحكمة التي لا سبيل للمخالفين

إلى المشاركة فيها يعود على استئناف الفاسدة بالنقض وإن رجمت عن  
الاقرار به بالحكمة ، وقات لا يفعل حكمة أبنته بل (لَا يُسَأَّلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ  
يُسَأَّلُونَ) فما وجد ابراد هذه الاستئناف على من لم يفعل حكمة ؟ فقد اوردت  
الاستئناف على من لا يسأل عما يفعل ، وطعن في حكمه من كل افعاله حكمة  
ومصالحة وعدل وخير بعمق لوك الفاسد

الوجه الرابع : إن الله فطر عباده حتى الحيوان ، على استحسان وضع  
الشيء في موضعه والاتيان به في وقته ، وحصوله على الوجه المطلوب منه  
وعلى استقباح ضد ذلك وخلافه ، وإن الاول دال على كمال فاعله وعلمه  
وقدرته ، وضده دال على نقصه . وهذه فطرة لا يمكنهم الخروج عن  
موجها ، فهو سبحانه يضم الاشياء في مواطنها التي لا يليق بها سواها  
ويخصها من الصفات والاشكال والهيئات والمقدرات بما هو انساب لها من  
غيره ، وابرزها في اوقاتها المناسبة لها . ومن له نظر صحيح واعطى التأمل  
حقه شهد بذلك فيما رأه وعلمه واستدل بما شاهده على ما خفي عنه . وقد  
ندب سبحانه عباده إلى ذلك فقال (وَيَنْهَا إِنْفِسِكُمْ، أَفَلَا تَبْغِيُونَ؟) ومن نظر في  
هذا العالم وتأمله حق التأمل وجده كالبيت البني المعد فيه جميع عتاده ، فالسماء  
مرفوعة كالسقف ، والارض ممدودة كالبساط ، والنجمون منضوون كالصائح  
والمناخ مخزونه كالذخائر ، كل شيء منها لا يرضاخ له ، والانسان المخلوق فيه  
وضر ورب النبات مهارات آربه ، وصنوف الحيوان مصರفة في مصالحه . فنهما  
ما هو المدر والنسل والغذاء فقط . ومنها ما هو الارکوب والحملة فقط ، ومنها

ما هو الجمال والزينة . ومنها ما يجمع ذلك كله كالابال ، وجعل اجوافها خزانٌ لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء ، ففيها عبرة للناظرین وآيات للمتوضّعين . وفي الطير واختلاف انواعها واشكالها وألوانها ومقدارها ومنافعها واصواتها صفات وقبضات ، وغاديّات ورائحات ، ومقيمات وظاعنات ؛ أعظم عبرة وأعظم دلالة على حكمة الخلاق العظيم . وكل ما اخذته الناس وادركته بالافكار الطويلة والتجارب المتعددة من اصناف الآلات والمصانع وغيرها اذا فكر فيها المتفكر وجدتها مشتقة من الاخلاقة ومستنبطة من الصنع الالهي مثال ذلك ان القبان (١) مستنبط من خالقه البعير ، فالمهم ما رأوه ينهض بحمله وينوء به ويمد عنقه ويوازن جمله برأسه استنبطوا القبان من ذلك ، وجعلوا طول حديده في مقابلة طول العنق ، ورمان القبان في مقابلة رأس البعير فهم لهم ما استنبطوه . وكذلك استنبطوا بناء الاقبا (٢) من ظهره فامهم وجدوه يحمل ما لا يحمل غيره فتأملوا ظهره فإذا هو كالقبو ، فعلموا ان القبو يحمل ما لا يحمل السطح . وكذلك ما استنبطه الحذاق لكل من كل بصره ان يديم النظر الى إجازة (٣) خضراء ملائمة ماء . استنباطا من حكمة الخلاق العظيم في لون السماء . فإن لو أنها اشد الالوان موافقة للبصر فجعل اديتها بهذا اللون لم يحيط الابصار ولا ينكأ (٤) فيها بطول مباشرته لها . وإذا فكرت في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النيل والنهار

(١) القبان القسطاس ، والنون زائدة من وجہ فوزنه فعلن ، واصلية من وجہ فوزنه فعلول (٢) كذا بالاصل ، واعمه ( الاقبية ، او القباب ) (٣) الاجازة بكسر الهمزة وشد الجيم إناء تغسل فيه الثياب (٤) لك العدو وفي العدو فنائهم

ولولا طلوعها ببطل امر هذا العالم ، فكم في طلوعها من الحكم والصالح .  
وكيف يكون حال الحيوان لو امسكت عنه وجعل الليل عليه سر مدا والدنيا  
مظالمة عليه ؟ فبأي نور كانوا يتصررون ؟ وكيف كانت تنضج عارفون وتكمel  
افواتهم وتعتد صورهم وابدأ لهم . فالحكم في طلوعها اعظم من ان تخفي او تخفى  
ولكن تأمل الحكمة في غروبها ، فلو لا غروبها لم يكن الحيوان هدوء ولا  
قرار مع شدة حاجتهم الى الهدوء والراحة . وايضاً دامت على الارض لاشتبد  
حرها بذوق طلوعها عليهم فاحتراق كل ما عليها من حيوان ونبات ، فاقتضت  
حكمة اخلاق العليم والعزيز الحكم أن جعلها تطلع عليهم في وقت دون وقت  
بنزلة مراج يرفع لاهل الدار مليا ليقضوا مأربهم ثم يغيب عنهم مثل  
ذلك ليقروا ويمدوا ، وصار حنياء النهار وحرارته وظلم الليل وبرده على  
تضادها وما فيها متظاهرين متعاونين على ما فيه صلاح العالم وقوامه  
ثم اقتضت حكمته ان جعل الشمس ارتقاها وانحططاً لاقامة هذه  
الفصول الاربعة من السنة وما فيها من قيام الحيوان والنبات . في زمن  
الشتاء تفو راحرارة في الشجر والنبات ، فيتو لد فيه امداد النار وبلغ اعظم الهواء  
بسرب البرد فيصير مادة السحاب ، فيرسل العزيز الحكم الرحيم الشير وفتشره  
فزععا (١) ثم يرسل عليه المؤلفة فتؤلف يenne حتى يصير طبقاً واحداً ، ثم يرسل  
عليه الرحيم اللافحة التي فيها مادة الماء فتقاشه كما ياقع الذكر الاishi فيحمل  
الماء من وقته ، فإذا كان بروز الحمل وانفصالة ارسل عليه الرحيم الذاire

( ١ ) القزعة السحابة الخفيفة البيضاء

فتذروه وتفرقه في الهواء لثلا يقع صبة واحدة فيهلك ما على الأرض وما  
اصابه ويقل الانتفاع به . فإذا اسقى ما أمر بسفيه وفرغت حاجتهم منه أرسل  
عليه الرياح السائفة . فتسوقه وتزجيه إلى قوم آخرين وارض أخرى محتاجة  
إليه . فإذا جاء الربع تحركت الصبايع وظهرت المواد الكامنة في الشتاء  
خرج النبات ، واخذت الأرض ذخرها وازينت وأنبت من كل زوج  
كريم . فإذا جاء الصيف سخن الهواء وتحمّلت فضلات الابدان . فإذا جاء  
الخريف كسر ذلك السموم والحرور . وبرد الهواء واعتدل واخذت الأرض  
والشجر في الراحة والجموم والاستعداد الحمل الآخر

واقتضت حكمته سبحانه أن انزل الشمس والقمر في البروج وقدر  
لهم المنازل ليعلم العباد عدد السنين والحساب من الشهور والاعوام ، فتم  
بذلك مصالحهم وتعلم بذلك آجال معاملاتهم ، ومواقع حجتهم وعباداتهم  
ومدد اعمارهم ، وغير ذلك من مصالح حسابهم . فالزم مقدار الحركة إلا  
ترى أن السنة الشمسية مسير الشمس من الحمل إلى الحمل . واليوم مقدار  
مسيرها من الشرق إلى الغرب وتحركه الشمس والقمر لكمال الزمان من  
يوم خلقا إلى أن يجمع الله بينها ويعزلها عن سلطانها ويرى عابديها إنهم  
عبدوا الباطل من دونه <sup>(١)</sup> قال تعالى ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَّكَةً وَالْقَمَرَ نُورًا  
وَفَدَرَهُ مَنَازِلَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْصِلُ  
الْأَيَّاتِ لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) وقال تعالى ( وَجَعَلْنَا الَّلَّا يَنْبَغِي فِيمَا هُوَ فِيهِ فَمَحْوَنَا يَوْمَ الْلَّيْلِ  
وَجَعَلْنَا إِيَّاهُ النَّهَارَ مُبَهِّرَةً لِتَبَدَّلُنَا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحَسَابَ

(١) كذا بالأصل والظاهر انه سقط بعض كلام حتى صارت الجملة غامضة

وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا). واقتضت حكمته سبحانه في تدبير دارفناوت  
بين مقدار الليل والنهار لم يجعها دائمًا على حد سواء ولا اطول مما ها عليه  
وافصر بل جاء استواءها واحداً من الآخر على وفق الحكمة حتى ان  
المكان الذي يقصراً واحداً فيه جداً لا يتكون فيه حيوان ونبات كالمكان الذي  
لاتطلع عليه الشمس او لا تغرب عنه فلو كان النهار مقدار مئة ساعة او أكثر  
او كان الليل كذلك لتعطل المصالح التي نظمها الله بهذا المقدار في الليل والنهار  
ثم تأمل الحكمة في انارة القمر والكون اكب في ظلمة الليل فانه  
مع الحاجة الى اظلمة لهدوء الحيوان وبرد الاهواء لم تقتضي المصالحة ان يكون  
الليل ظلمة داجية لاضياء فيها ، فلا يمكن فيها شيء من العمل ، وربما احتاج  
الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولا فرط الحر فيه  
فاحتاجوا الى العمل في الليل في نور القمر من حرث الارض وقطع الزرع  
وغير ذلك ، فجعل ضوء القمر في الليل معونة للناس على هذه الاعمال ، وجعل  
في الكواكب جزءاً يسير من النور ليس دسد القمر اذا لم يكن ، وجعلت  
زينة السماء ومعلم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ودلالات وانجذبات  
على اخلاق العالم ، وغير ذلك من الحكم الذي بها انتظام هذا العالم ، وجعلت  
الشمس على حالة واحدة لا تقبل الزيادة والنقصان لثلاث تعطل الحكم  
المقصودة منها وجعل القمر يقبل الزيادة والنقصان لثلاث تعطل الحكم  
المقصودة من جعله كذلك وان كاز في نوره من التبريد والتصلب ما يقابل  
ما في ضوء الشمس من التسخين والتحليل ، فتنضم المصالحة وتتم الحكمة

من هذا في هذا التسخين والتبديد.

ثم تأمل حال النجوم واختلاف مسیرها ففرقہ منها لا زخم مراکزها  
من الفلك ولا تسير الا مجتمعة كاجيش الواحد ، وفرقہ منها مطلاقة تنتقل  
في البروج وتتفرق في مسیرها وكل واحد منها يسير سیرین مختلفين: احدها  
عام مع الفلك نحو الغرب ، والآخر خاص انفسه نحو الشرق . وذلك من اعظم  
الدلالات على الفاعل الختار العليم الحكيم على كمال عالمه وحكمته  
وتتأمل كيف صار هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور  
على هذا العالم هذا الدوران العظيم السريع المستمر بتقدير حكم لا يزيد ولا  
ينقص ولا يختل نظامه ، بل هو تقدير العزيز العليم ، كما اشار تعالى الى ان  
ذلك التقدير صادر عن كمال عزمه وعلمه قال تعالى (فَالْيَوْمُ الْإِصْبَاحُ وَجَعَلَ  
اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حِبَّنَا نَأْذَلَكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)  
وتتأمل المحكمة في تعاقب الحر والبرد على هذا العالم وتعاونها عليه

في الزيادة والنقصان والاعتدال، وما فيها من المصالح والحكم للإبدان والشجر والحيوان والنبات. ولو لاتعاقبها الفساد الأبدان والأشجار وانتكست ثم تأمل دخول أحدهما على الآخر بهذا التدرج والترسل ، فإنك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعدها ، والآخر يزيد مثل ذلك ، حتى ينتهي كل واحد منتهاه في الزيادة والنقصان . ولو دخل أحدهما على الآخر بفأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمه ، كالو خرج الرجل من مكان شديد الحر إلى مكان مفرط في البرد وهلة ، فإن ذلك يضر به جداً ولو لا الحر لما نضجت هذه التمار المرة العفصة القاسية ، ولا كانت تلين وتطيب وتحسن وتصالح لأن يتفكر بها الناس رطبة وبايضة

وتتأمل الحكمة في خلق النار على ما هي عليه ، فلما لو كانت ظاهرة كلامه والهواء ل كانت محرقة ل العالم وما فيه ، ولو كانت كامنة لا سبيل إلى ظهورها لفافت المصاححة المطلوبة منها . فافتضت الحكمة أن جعلت كامنة قابلة لظهور عند الحاجة إليها وبطلاها عند الاستغناء عنها . بفضلت مخزونه في محلها لخرج عند الحاجة وتنسق بالنادرة من الحطب وغيره ما احتاج إلى بقائها ، ثم تخفي إذا استغنى عنها . وخلقـت على وضع وتقدير اجتماع فيه الانتفاع بها والسلامة من ضررها . قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَذْنَمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَةَ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَا هَذَهُ كِرَةَ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْرَبِينَ)

الوجه الرابع : إنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ لِهِ الْكَلَّ الْمُطْلَقُ الَّذِي يَسْتَحْقُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ سُبْحَانَهُ لَا يَصْدِرُ مِنْهُ إِلَّا مَا يَحْمِدُ عَلَيْهِ . وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَى نُوَعَيْنِ ، حَمْدا

يستحقه لذاته وصفاته وسمائه الحسنى ، وحمد واستحقه على افعاله التي مدارها  
على الحكمة والمصالحة والعدل والاحسان والرحمة . فإذا كان محمودا على  
افعاله كلها لم يكن فيها مناف للحكمة ، اذ لو كان فيها ما هو كذلك لم يكن  
محمودا عليه ، وهو سبحانه له الملك وله الحمد . خمده شامل لما شمله ملوكه  
ولا يخرج شيء عن حمده . كما لا يخرج شيء عن ملوكه . يوضحه :

الوجه الخامس : ان ادلة حكمته وحمده وادلة ملوكه وقدرته متلازمان  
لا ينفك احدهما عن الآخر . وكل مادل على عموم قدرته ومشيئته وملوكه  
ونصرفه المطلق فهو دال على عموم حكمته وحمده ، اذ اثبات قدرة وملك  
بلا حكمة ولا حمدليس كلاما ، وكل مادل على عموم حكمته وحمده فهو دال  
على ملوكه وقدرته ، فان الحمد والحكمة ان لم يستلزمما كمال القدرة لم يكن  
فيها كمال مطلق . وهذا برهان قطعي

ثم يقال : ات جاز القدر في حكمته وحمده جاز القدر في ملوكه  
وربويته ، بل هو عين القدر في الملك والربوبية ، كما ان القدر في ملوكه  
وربويته قدر في حكمته وحكته . وهذا ظاهر جدا . وهذا شأن كل مثلان  
حين لا ينفك احدهما عن الآخر

الوجه السادس : ان هذه الاستلة لا يتوجه ارادتها على العلم ولا على القدرة  
وغاية ما يورد على العدل والحكمة وانها كيف تجتمع عدله وحكمته ؟ فنقول :  
قد اتفق اهل الارض والسموات على ان الله تعالى عدل لا يظلم احدا ، حتى  
اعداء المشركيين الجاحدين ، لصفات كماله فانهم مقررون له بالعدل ومنزهون

له عن الظلم ، حتى انهم ليدخلون النار و هم معترفون بعدهم كا قال تعالى  
 (فَاعْتَرِفُوا بِذَنْبِهِمْ) وقال تعالى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأَنْسَ أَلَمْ يَاتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ  
 يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رَبُّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمٍ كُمْ هَذَا؟ قَالُوا : بَلْ  
 شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَعَرَفْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِنَا أَنَّهُمْ كَانُوا  
 كَافِرِينَ) فهو سبحانه قد حرم الظلم على نفسه و اخبر انه لا يملك القرى  
 بظلم واهما غافلون . فلا يصلح ابراد هذه الاشتية مع اعتراضهم بعده . يوضحه:  
 الوجه السابع : ان طرق الناس اختلفت في حقيقة الظلم الذي يتزه  
 عنه الرب سبحانه و تعالى . فقالت الجبرية : هو الحال المتنزع لذاته ، كالجعم  
 بين الصندين ، و كون الشيء موجوداً معدوما ، قالوا : لأن الظلم اما التصرف  
 في ملك الغير بغير اذنه ، واما مخالفة الامر ، وكلاهما في حق الله تعالى حال  
 فان الله مالك كل شيء وليس فوقه أمر تنجبه طاعته ، قالوا : واما تصور  
 وجوده وقد وجوده فهو عدل كائناً ما كان . وهذا قول جهم ومن اتبعه  
 وهو قول كثير من الفقهاء اصحاب الائمة الاربعة وغيرهم من المتكلمين  
 وقالت القدريه : الظلم اضرار غير مستحق ، او عقوبة العبد على ما ليس  
 من فعله ، او عقوبة على ما هو مفعول منه و نحو ذلك . قالوا : فلو كان سبحانه  
 خالقاً لافعال العبيد مریداً لها قدسها ، ها وقدرها عليهم ، ثم عاقبهم عليها كان  
 ظالماً ، ولا يمكن اثبات كونه سبحانه عدلاً لا يظلم الا بالقول بأنه لم يرد  
 وجود الكفر والفسوق والعصيان ، ولا شاءها بل العباد فعلوا بذلك بغير  
 مشيشته وارادته ، كما فعلوا بغير اذنه وامرها ، وهو سبحانه لم يخلق شيئاً من

افعال العباد لا خير لها ولا شرها ، بل هم احدثوا العما لهم بانفسهم ، ولذلك استحقوا العقوبة علية . فاذاعاقهم لم يكن ظلماً لهم . وعندئم انه يكون مالا يشاء ويشاء مالا يكون . فان المشيئة عندئم بمعنى الامر . وهاتان العائفتان متقابلتان غاية التقابل . وكل منها نعم الاخري ، وقد تكفر بها وتسمى مهادنها  
وقال اهل السنة والحديث ومن وافقهم : الظلم وضع الشيء في غير موضعه وهو سبحانه حكم عدل لا يضع الشيء الا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والاصاحة ، وهو سبحانه لا يفرق بين مماثلين ولا يساوي بين مختلفين ولا يعاقب الا من يستحق العقوبة ، ويضعها موضعها في ذلك من الحكمة . ولا يعاقب اهل البر والتقوى . وهذا قول اهل اللغة قاطبة . وتفسير الظلم بذينيك التفسير بن اصطلاح حادث وضع جديد قال ابن الانباري . الظلم وضع الشيء في غير موضعه يقال ظلم الرجل سقاوه اذا سق منه قبل ان يخرج منه زبده . وقال الشاعر :  
صاحب صدق لم يناني شكایة « ظلمت وفي ظلمي له عامدا اجر اراد بالصاحب وطب البن وظلمه اياده ان يستقيه قبل ان يخرج زبده ، قال والعرب تقول : هو اظلم من حية ، لانها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه . ويقال : قد ظلم الماء الوادي ، اذا وصل منه الى مكان لم يكن يصل اليه فيما مضى . وقال الحسن بن مسعود والفراء : اصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، قال ومنه قوله من اشبه اباء فاظلم ، وقوله من استرعى الذئب فقد ظلم يعني من اشبه اباء فاوضع لشيء في غير موضعه

وهذا القول هو الصواب المعروف في لغة العرب والقرآن والسنة وإنما تحمل الفاظها على لغة القوم لا على الاصطلاحات الحادثة فإن هذا اصل كل فساد وتحريف وبدعة . وهذا شأن أهل البدع دائمًا يصطاحون على معان يضعون لها الفاظا من الفاظ العرب ثم محوون الفاظ القرآن والسنة على تلك الاصطلاحات الحادثة

فاما الجبرية فعندهم لا حقيقة لظلم الذي نزه الله نفسه عنه أبنته .  
بل هو الحال لذاته الذي لا يتصور وجوده . وكل ممكن عندهم فليس بظلم حتى انه لو عذب رسلاه وابناءه واولياءه ابداً الابدين وابطل جميع حسناتهم وحملهم اوزار غيرهم وعاقبهم عليها واثاب اولئك على طاعات غيرهم وحرم ثوابها فاعلما ، لكن ذلك عدلاً محسناً ، فلن الظلم من الامور الممتنعة لذاتها في حقه وهو غير مقدور له ، بل هو كقلب الحديث قدماً والقديم محدثاً .  
وااحتج هؤلاء بأن الظلم التعرف في غير الملك او مخالفة الامر . قالوا :  
ويدل على هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ « ما اصاب العبد قط ش ولا حزن  
فقال : الايماني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي يدك ماض في حكمك  
عدل في قضائك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزته في كتابك  
او عالمته احداً من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان يجعل  
القرآن العظيم ربيع قابي ونور صدري وجلاه حزني وذهاب هي وغمي  
الاذهب الله همه وغميه ، وابله مكانه فرحا » قالوا : يا رسول الله ، افلا تعلمون ؟

قال بلي « ينبيي ان سمعهن ان يتعملاهن » فاخبر ان جميع اقضيته في عبده  
عدل منه ، وهذا يعم قضاء المصائب ، وقضاء العذاب ، وقضاء العقوبات  
على الجرائم . ولهذا قال العارفون بالله « كل نعمة منه فضل . وكل نعمة  
منه عدل » قال اياس بن معاوية « ما ناظرت بعقلك كله الا القدرية  
قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : ان تأخذ ما ليس لك . قلت : فلاته كل شيء »  
وقال عمران بن حصين ، لابي الاسود الدؤلي « ارأيت ما يكدر الناس  
اليوم ويعلموه فيه ، اشي فضي عليهم ، ونص من قدر قد سبق ، او فيما  
يستقبلون فيما اقام به نبيهم فالخذت عليهم به الحجة ؟ قال : فهلا يكون  
ذلك ظلما ؟ قال : ففرعت من ذلك فزعًا شديدا ، وقامت . انه ليس  
شيء الا وهو خلق الله وملك يده ، ولا يسأل عمما يفعل وهم يستلون ، فقال  
سددك الله ، اني والله ما سئلت الا لاحرز عقلك » قالوا : ويكفي في  
هذا قوله تعالى (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) وقالوا : ونحن نرى في الشاهدان  
المسيد اذا امكن عبيده من الفساد وانواع القبائح والشروع وسفك بعضهم  
دم بعض ، وانخذ بعضهم اموال بعض وهو قادر على منعهم وكفهم عن ذلك  
فلم يفعل بل خلى بينهم وبين ذلك ومهما كنهم منه وأعانتهم عليه ، واعطائهم اسبابه ثم  
عاقبهم على ذلك كان ظالما لهم ، والله تعالى قد فعل ذلك بعبيده وهو اعدل العادلين  
وليس بظلام العبيد ، فعانيا ان الظلم المترتب عنه هو الحال بذلك وانه غير مقدور  
واصحاب هذا القول انما نزهوا الله عن المستحيل لذاته الذي لا يتصور  
وجوده . وعلوم أن هذا التغريب يشترك فيه كل احد ، ولا يصح به احد

اصلا ، فإنه لا مدح في كون المدوح منزها عن الجمجم بين النقيضين .  
والله تعالى قد تمحّر بعدم الظلم ، وانه لا يرد محال ان يتمدح بكونه لا يرى به  
الجمع بين النقيضين ، وانه لا يرى به قلب الحادث قدّيما ، ولا قلب القديم حادثا  
ولاجعل الشيء موجوداً معدوماً في آن واحد . وايضاً فإنه سبحانه قال  
(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هُنْهَا ) قال المفسرون  
من السلف والخلف قاطبة الظالم ان يتحمل عليه سبئيات غيره والهضم ان  
ينقص من حسنات ماعمل . وعند الجبرية ان هذا الواقع لم يكن ظلماً . ومن  
المعروف ان الآية لم ترفع عنه خوف الحال لذاته ، وانه لا يخاف الجمجم بين  
النقيضين ، فإنه لا يخاف ذلك ، ولو انى بكل كفرا واساءة . فلا يجوز تحرير  
كلام الله بحمله على هذا . فإن الخوف من الشيء يستلزم تصور وجوده وامكانه  
وما لا يمكن وجوده يستحيل خوفه . وايضاً فإنه لا يحسن ان ينفي الجمجم  
بين الضدين في السياق الذي نفي الله فيه الظلم كقوله تعالى (مَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهِ وَمَا رَبَكَ إِذْلَامٌ لِعَيْدِ ) فاليسن بوجه ان يقال  
عقيب هذه الجملة : وماربك يجتمع لعيده بين الوجرد والعدم في آن واحد  
وانما الظلم المنفي هو خلاف ما اقتضاه قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ  
أَسَاءَ فَعَلَيْهِ ) وكذلك قوله ( وَلَا ظُلْمَ وَنَفْيَا ) ( وَلَا يُظْلَمُونَ نَفْيَا ) ( وَلَا  
يُظْلَمُونَ شَيْئًا ) أي لا يترك من أعمالهم ما هو بقدر الفتيل والنمير ، فيكون  
ظلماً . وعند الجبرية يجوز ان يترك ثواب جميع اعمالهم من أولها الى آخرها  
بغير سبب يقتضي تركها الا مجرد المشيئة والقدرة ، ولا يكون ذلك ظلما  
وكذلك قوله ( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ ) ( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ

ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ) بين انه لم يعاقبهم بغير جرم فيكون ظالماً لهم بل عاقبهم بظلمهم أنفسهم . والمعنى عند الجبرية : أنا نصرفنا فيهم بقدرنا ومشيئتنا وملائكتنا فلم نظلمهم وإن كانوا مؤمنين محسنين ، وليس الاعمال والسيئات والكفر عندهم أسباباً للهلاك ولا مقتضية له ، وإنما هو محض المشيئة . والقرآن

يكذب هذا القول ويرده كقوله ( فَبِظَلَامٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّ مِنَاهُمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ ) وقوله ( فَبِمَا نَفَضُّهُمْ مِّنْهَا قَهْمٌ وَكُفُّرٌ هُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلَفٌ بِلَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُعْفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) وقوله ( فَإِنَّهُمْ أَنْذَرُونَا بِمَا يَذَّمُونَ ) ( فَأَهْلَكَنَا هُمْ بِذَنْبِهِمْ ) ( مِمَّا خَطِيَّتِهِمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ) ( وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ) ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيهِكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ) والقرآن مملوء من هذا . فالظلم الذي اثبت الله لهم وجعله نفس فعلهم وسبب هلاكهم نفوه ، وقالوا : ليس من فعلهم ولا سبب أهلا كهم . والظلم الذي نفاه عن نفسه وهو ، عقوبهم بلا سبب اثبتوه له وقالوا : ليس بظلم ، فإنه مقدور ممكن . فنزيهون عمما عليهم به ووصفوه بـ مـانـزـهـ نـفـسـهـ عـنـهـ ، واعتقدوا بذلك أنهم به عارفون ولا هل السنـةـ نـاصـرـونـ . ولا يليق به سبحانه أنه يندح المدوح بعدم ارادته . وإنما يكون المدح برث ما يقدر المدوح على فعله وتركه تزيهـهاـ عـمـاـ فـعـلـهـ ، وـالـاـ فـكـيـفـ يـعـدـحـ المـوـتـيـ برـثـ الـافـعـالـ الـقـبـيـحـةـ ؟ وكيف يمدح الزـمـنـ برـثـ طـيـرـانـهـ إـلـىـ السـمـاءـ ؟ وإـيـضاـ فإـنـهـ سـبـحـانـهـ يـعـدـحـ نفسـهـ بـتـحـريـهـ الـظـلـمـ عـلـىـ نفسـهـ كـمـاـ فـكـيـرـهـ الـأـكـهـيـ « يـاعـبـادـيـ أـنـيـ حـرـمـتـ

على نفسي ان اخلق مثلي ، او أجمع بين النقيضين ، او اقلب القديم  
حادثاً والحادث قد ينحو ذلك من المحتمن لذاته . وهذا لا يجوز ان ينسب  
الكلام به الى آحاد العقلاة فضلاً عن رب العالمين

وغاية ما يقال في تأويل ذلك على هذا القول بعد تحسين العبارة وزخرفتها  
انى أخبرت عن نفسي ان ما لا يكون مقدورا او يكون مستحيلا لا يقع  
عني . وهذا مما يقطع من له فهم عن الله ورسوله انه غير مراد ، وانه يجب  
تنزيه الله تعالى ورسوله عليهما السلام عن ارادة هذا المعنى الذى لا يليق التمدح  
والتعرف الى عباده بمثله

فإن قيل : حاصل هذا انه لا يعقل التمدح بترك ما يستحيل وقوعه ،  
وهذا فاسد ، فقد حمد سبحانه نفسه وتمدح بعدم اتخاذ الولد ، وعدم الشريك  
والولي من الذل . وهذه الاشياء مستحيلة في حقه ، فبكذا حمد نفسه على  
تنزهه من الظلم وان كان مستحيلا غير مقدر

قيل : الفرق بين ما هو محال لذاته في نفس الامر وبين ما هو ممكن  
او واقع لكن يستحيل وصف الرب به ونسبة اليه . فالاول لا يتمدح  
به ، بل العبد لا يرضى ان يمدح به نفسه ، فلا يتمدح عاقل بانه لا يجمع بين  
النقيضين ولا يجعل الشيء متجركا ساكنا . وأما الثاني فانه ممكن واقع  
لكن يستحيل اتصف منه الكمال المطلق به ، كلو لدو الصاحبة والشريك  
فإن نفي هذا من خصائص الربوبية ، فتفني سبحانه عن نفسه ما هو ثابت  
خلقه ، وهم متصرفون بمنافاته لکماله ، كما نزه نفسه عن السنة والنوم والغوب

والنسیان والعجز والاكل والموت، وغير ذلك مما هو مستحيل عليه ممتنع  
في حقه ، ولكنها واقع من العباد ، فكان في تزويجه عنه ما يبين انفراده  
بالكمال وعدم مشابهته خلقه ، بخلاف ما لا يتصور وقوعه في نفس الامر  
وهو مستحيل في نفسه ، كجعل المخلوق خالقا ، وجعل الخالق مخلوقا ، فان  
هذا لا يتمدح سبحانه ببنفيه ، ولهذا لا يتمدح به مخلوق فضلا عن الخالق  
يوضحه : ان ما تمدح به سبحانه فهو من خصائصه التي لا يشرك  
فيها احد ، وسلب فعله المستحيل الذي لا يدخل تحت القدرة ولا يتصور  
وقوعه ليس من خصائصه ولا هو كالفي نفسه ولا يستلزم كلاما ، فاذامدح  
نفسه بكونه لا يجمع بين النقيضين كان كل احد مشاركا له في هذا المدح  
بحلaf ما اذا مدح نفسه بكونه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يموت  
ولا ينسى ولا يخني عاليه شيء ولا يظلم احدا ، وهو سبحانه يبني على نفسه  
بفعل ما لتركه كان تركه نقصا ، وبتركه ماله فعله كان فعله نقصا . وهذا  
لا حقيقة له عند الجبرية ، والاعتبار عندهم بكون المفعول والمترك مكنا  
ف مقابلتهم القدرة بعملوا القلم الذي تزه سبحانه عنه مثل اعظم الذي يكون  
من العباد وشبهوا فعله بفعل عبيده ، فتساطع عليهم الجبرية بانواع المناقضات  
والمعارضات وكان غاية ما عند كل واحد من الفريقيين مناقضة الآخر وإفساد  
قوله . فكفوا اهل السنة مؤتمهم

### فصل

واما ما احتاج به الجبرية من قوله تعالى (لا يسئل عمّا يفعل) فدليل

حق استدل به على باطل ،فإن الآية فما نسبت لبيان توحيد سبحانه وبطلان  
 الْهُنْيَةِ مَا سواه ، وإن كل من عداه مربوب بأمر منهي مسئول عن فعله  
 وهو سبحانه ليس فوقه من يسأله عمما يفعله قال تعالى (أَمْ انْخَذُوا آلهَةً  
 مِنَ الْأَرْضِ هُنْ يَذْشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسْبَحَانَ اللَّهِ  
 رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يَسْأَلُ عَنِ الْعَمَلِ وَهُنْ يُسْكُونُ ) فلم تكن الآية مسوقة  
 لبيان أنه لا يفعل بحكمة ولا لغاية محمودة مطلوبة بالفعل وأنه يفعل ما يفعل  
 بالحكمة ولا سبب ولا غاية ، بل الآية دلت على نقىض ذلك وأنه لا يسئل  
 عمما يفعل لكمال حكمته وحمده وإن افعاله صادرة عن تمام الحكمة والرحمة  
 والمصالحة . فكمال عالمه وحكمته وربوبيته ينافي اعتراض المعترضين عليه  
 وسؤال السائلين له . وهم حملوا الآية على أنه لا يسئل عمما يفعله لقهره  
 وسلطانه . ومعالوم أن هذا ليس بمدح من كل وجه وإن تضمن مدحا من  
 جهة القدرة والسلطان ، وإنما المدح التام إن يتضمن ذلك حكمته وحمده  
 ووقوع افعاله على أتم المصالح ، ومطابقته لحكمة والغايات محمودة ، فلا يسئل  
 عمما يفعله لكمال ملكه وكمال حمدته فله الملك له الحمد وهو على كل شيء قادر .  
 فاستدلل نفاذ الحكمة بهذه الآية كاستدلل نفاذ الصفات بقوله  
 تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) والآياتان دالتان على ضد قول الطائفتين . فليس  
 كمثله شيء لكمال صفاته التي يكملها وقيامتها به لم يكن كمثله شيء . ولا  
 يسئل عمما يفعل لكمال حكمته وحمده

## فصل

واما قوله في حديث ابن مسعود «ماض في حكمك، عدل في قضاؤك» فعند أهل السنة الجمیع قضاؤه والجمیع عدل منه في غبده، لا يعني كونه متصرفا فيه ب مجرد القدرة والمشيئة ، بل بوضع القضاة في موضعه وإصابة محله . فكل ما قضاه على عبد فقد وضعه موضعه اللائق به وأصاب به محله الذي هو أولى به من غيره ، فلم يظلمه به . أما العقوبات والمصالب فلا اصر فيها ظاهر ، اذ هي عدل محض كما قال تعالى (وما أصَّا بِكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيهَا كَسْبٌ أَيْدِيْكُمْ) واما الآلام التي تصيب العبد بغير ذنب ، كالآلام التي تناول غير المكاففين ، كالاطفال والمجانين والبهائم ، فقد خاض الناس في اسبابها وحكمها قد يعا وحدينا ، وتبينت طرقهم فيها بعد اتفاقهم على انها عدل ، وإن اختلفوا في وجه كونها عدلا . فالجبرية تثبت ذلك على أصولها في أن كل واقع أو ممكن عدل . والقدر ية جعلت وجه كونه عدلا وقوعها بسبب جرم سابق او عوض لاحق ثم منهم من يعتبر مع ذلك أن يشتمل على غيره . قلوا : فوقوعها على وجه العقوبة بالcrime ، والتعويض يخروجها عن كونها ظلما . وبقصد العبرة تخرج كونها سفها ، وأما الفلسفه فانهم جعلوا بذلك من لازم اخلاقه فيه ومقتضيات النشأة الحيوانية ، وقالوا ليس في الامکان الا ذلك . ولو فرض غير ذلك لكان غير هذا العالم . فان تركيب الحيوان الذي يكون ويفسد يقتضي أن تعرض له الآلام كما يعرض له الجوع والعطش والضجر ونحوها . وقلوا : رفع هذا بالكلية

إنما يكون برفع أسبابه، والخير الذي في أسبابه أضعاف أضعف الشر  
الحاصل بها. فلتحمّل الشر القليل الجزئي في جنب المصالحة العامة الكلية  
أولى من تعطيل الخير الكبير، لما يستلزم من المفسدة اليسيرة الجزئية.  
قالوا: ومن تأمل أسباب الآلام وجد ما في ضمّنها من اللذات والخيرات  
والمصالح أضعاف مافي ضمّنها من الشرور، كحرار البرد والمطر والثابج  
والريح وتناول الأغذية والفواكه وأنواع الأطعمة، وصنوف المناجم،  
 وأنواع الأعمال والحركات، فإن الآلام إنما تولد غالباً عنها عن هذه الأمور  
مصالحها ولذتها وخيراتها كثيرة مفاسدها وشرورها وألامها التي  
وهذه الطرق الثلاثة سلكها طوائف من المسلمين. وفي كل طريق  
منها حق وباطل، فإذا أخذت من طريق حقيقها ورميت باطلاً كنّت أسعده  
الناس بالحق، وأصحاب الشيشة المحضّة أصابوا في الثبات عموم الشيشة والقدرة  
 وأنه لا يقع في الكون شيء إلا شيشته. تخدمن قوّتهم هذا القدر وألق منه  
إبطال أسباب الحكم والتعليل ومراعاة مصالح أخلاق . والقدرة  
اصابوا في الثبات ذلك واحتظروا في مواضع ، أحدها: إخراج افعال عباده  
عن ملکه وقدرته ومشيشه . الثاني: تعطيلهم عن دالحكمة والغاية المطلوبه  
إلى الفاعل وإنما ابتووا أنواع حكمه تعود إلى المفعول لا إلى الفاعل .  
والثالث: انهم شبهوا الله بخلقه فيما يحسن منهم وما يقبح فقاوسوه  
في أفعاله على خلقه ، واعتبروا حكمته بالحكمة التي لعباده . تخد من  
قوّتهم انه حكيم لا يفعل إلا مصالحة وحكمة ، وأنه لا يفعل الظلم

مع قدرته عليه ؛ بل تزه عنه لفناه وكاله ، وأنه لا يعاقب أحداً بغير ذنب ولا يعاقبه بما لم يفعله ، فضلاً أن يعاقبه ب فعل هو فعل فيه أو فعل غير فيه وأنه جمل الأسباب ممتنع ضيقات لغايتها ، وألق من قولهم انكارهم خلقه لافعال عباده وانكار عود الحكمة اليه وقياس أفعاله على أفعال عباده والفلسفه فيما أصلوه من أن تعطيل أسباب الخيرات والمصالح العظيمة لما في ضمها من الشرور والألام الجزئية مناف لحكمة . فهذا اصل في غاية الصحة ، لكن أخطأوا في ذلك أعظم خطأ ، وهو جعلهم ذلك من لازم الطبيعة المجردة من غير أن تكون متعلقة بفاعل مختار قدر ذلك بمشيشه وقدره و اختياره ، ولو شاء لكان الامر على خلاف ذلك كا يكون في الجنة فلتها مشتملة على الخيرات المحسنة البريئة من هذه العوارض من كل وجه فاقتضت حكمته أن تكون هذه الدار على ما هي عليه ، ممزوجة بغيرها بشرها ولذاتها بالآلامها ، وأن تكون دار القرار خالصة من شوائب الآلام والشرور خلاصاً تماماً ، وأن تكون دار الشقاء خالصة للألام والشرور . وإذا جمعت حق هذه الطائفة وأثبتت الله تعالى صفات الكمال وأنه يحب ويحب ويفرح بتوبه عباده وطاعتهم ؛ ورضي بها ، ويضحك ويثنى عليهم بها ويحب أن يثنى عليه ويحمد ويشكر ، ويفعل ماله في فعله غاية وحكمة يحبها ويرضاها ، فيفعل لاجلها ، كنت اسعد بالحق من هؤلاء

### فصل

ذروا الأرواح الذين يلحقهم اللذة والألام أربعة أصناف : الانس

والجن ، والبهائم ، والملائكة ، عند من يقول ان فيهم من يعصى ويُعاقب  
 فأما الانس والجن فلكل كافون منهم يحصل لهم بالطاعات والمعامات لذات  
 والآلام تناصبيها . وأما الاطفال والمجانين فنوعان : نوع يدخلون الجنة  
 أما بطريق التبعية أو بعد التكليف يوم القيمة ، كما جاءت به الآثار ، فهو لاء  
 إذا حصل لهم آلام يسيرة منقطعة كانت مصادحة لهم ورحمة ونعمة في  
 جنب ما ينالهم من السعادة العظيمة والنعيم المقيم . فما ينالهم من الآلام  
 يجري مجرى إيلام الآب الشغيق لولده الطفل بكى أو بطيء أو قطع سلعة  
 يعقبه كال عافية ، وانتفاء نفسه وحياته . فهذا الأيلام محض الأحسان  
 إليه . وما يقدر من حصول النعيم واللذة في الجنة بدون هذه الآلام فهو  
 نوع آخر غير النوع الحاصل بعد الآلام . وهذه كانت اللذة الحاصلة  
 بالأكل والشرب بعد شدة الجوع والظماء اضعاف اللذة الحاصلة بدون ذلك  
 وكذلك لذة الوصول بعد الهجران والبعد المؤلم والشوق الشديد أنظم من  
 اللذة الحاصلة بدونه . ووجود المازوم بدون لازمه محال . ولا ريب أن لذة آدم  
 بعوده إلى الجنة بعد أن أخرج منها إلى دار التعب أعظم من اللذة التي  
 كانت حاصلة له أولاً . وأما غير المكافئين من الحيوانات فقد يقال : أنه  
 ما من حيوان إلا ويحصل له من اللذة والخير والنعيم ما هو أعظم مما يحصل  
 له من الآلام باضعاف مضاعفة ، فإنه يلتذ بأكله وشربه ونومه وحركته  
 وراحته وجائعه الآتني وغير ذلك ، فنعميه ولذته اضعاف اضعاف الله . وحيث نجد  
 فالأنقسام أربعة : أما إن يعطى الجميع بترك خلق الحيوان لثلا يحصل له

الآلم ، أو يخالق على نشأة لا يتحقق بها آلم ، أو على صفة لا ينال بها آلة ، أو على هذه الصفة والنشأة التي هو عليها فالقسم الأول ممتنع لمنافاته الحكمة ، فإنه يستلزم تعطيل أخير الكثير والنفع العظيم لما يستلزم من مفسدة قليلة ، كتعطيل الأمطار والثلاوج والرياح والحر والبرد لما يتضمنه من الآلام . ولا ريب أن الحكمة والرحمة والمصالحة تأتي ذلك . فترك أخير الكثير لأجل ما فيه من الشر القليل شر كثير واما القسم الثاني فكما انه ممتنع في نفسه اذ من لوازمه انشائه في هذا العالم ان يكون عرضة للحر والبرد والجوع والعطش والكلال والتعب وغيرها . فإنه منشأ من هذا العالم الذي مزج خيره بشره . والمنشأ خير منه كذلك . فالحكمة تأتي انشاءه لذلك في هذا العالم الذي مزج رحاؤه بشدته وبلاؤه بعافيته ، وألمه بذاته ، وسروره بغمه وهو . فلما واقتضت الحكمة تخلص نوع الحيوان من ألمه لكان الانسان الذي هو خلاصته وافضلها أولى بذلك . ولو فعل ذلك سبحانه لفاته مصالحة العبرة والدلالة على الآلام العظيمة الدائمة في الدار الآخرة . فإن الله تعالى اشهد عباده بما عذبهم من انواع الذات والآلام في الدار الآخرة بما اذا قرئ لهم اياه في هذه الدار ، فاستدلوا بالشاهد على الغائب ، واشتاقوا بما باشروا من اللذات الى ما وصف لهم هناك منها ، واحت�وا بما ذاقوه من الآلام هـ هنا عما وصف لهم منها هناك . ولاريب ان هذه المصالحة العظيمة ارجح من تقويتها بما فيها من المفسدة اليسيرة

واما القسم الثالث فلاريب انه مفسدة خالصة او راجحة فلا يقتضيه حكمة الرب سبعة ، ولا يكون ايجاده مصلحة . فلم يبق الا القسم الرابع وهو خلقه على هذه النسأة

فان قيل : فقد ظهرت الحكمة في ايام غير المكافئين ، فتعذيب المكافئين على ذنو بهم كيف تستقيم الحكمة فيه على قولكم بان الله تعالى خلقها فيهم ؟ فain العدل في تعذيبهم على ما هو فاعله وحالته فيهم ؟ وانما يستقيم ذلك على قول القدرة واصولهم . فان العدل في ذلك ظاهر ، فانه انما عذبهم على ما احدثوه وكان بشيئتهم وقدرتهم . قيل : هذا السؤال لم ينزل مطرقا بين العالم ، واختلف الناس فيه : فطائفة اخرجت افعالهم عن ملك الرب وقدرته . وطائفة انكرت الحكمة والتعليل وسدت باب السؤال . وطائفة اثبتت كسب الابيعل ، جعلت الثواب والعقاب عليه . وطائفة التزمت لاجله وقوع مقدور بين قادرین ، ومفعول بين فاعلين . وطائفة التزمت الجبر وان الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه

والجواب الصحيح عنه ان يقال : ان ما يتلى به العبد من الذنوب الوجودية وان كانت خلقا لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قباه ، فالذنب يكسب الذنب ، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها . فالذنب والامراض التي يورث بعضها بعضا . يبقى ان يقال في الكلام : فالذنب الاول الجلب لما بعده من الذنوب ؟ فيقال : هو عقوبة ايضاً على عدم ما خلق له وفطر عليه . فان الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له وفخره على شبيته

وتأنّه والانابة إليه كما قال النبي عليه السلام ما من مولود يولد إلا على الفطرة « وقال « يقول الله تعالى : « إني خلقت عبادي حنفاء فأنتم الشياطين فلجنوا هم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلات لهم . وامرتم ات يشركوني مالم أنزل به سلطانا » وقد قال الله تعالى ( فَاقْرِمْ وَجْهَكَ لِدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه من صبغة الله وعبوديته والانابة إليه عوقب على ذلك بآن زين له الشيطان ما يفعله من الشر والمعاصي فلانه صادف قلبا فارغا خاليا قابلا لخير والشر ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن من الشر كما قال تعالى ( كَذَلِكَ لِنُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عَبْدَنَا الْخَلَصَينِ ) وقل ابليس لعنه الله ( فَيُعَزِّتِكَ لَا عُوْنَاهُمْ أَجَمَّعُونَ إِلَأَعْبَادَكَ مِنْهُمُ الْخَلَصَينَ ) وقل تعالى ( هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ) والأخلاق خلوص القلب من تأله من سوى الله وارادته ومحبته ، نخلص الله ، فلم يتمكن الشيطان من اغواهه . وأما اذا صادفه فارغا من ذلك تمكّن منه بحسب فراغه وخلوه فيكون جعله مذنبًا مسيئا في هذه الحال عقوبة على عدم هذا الاخلاص ، وهذا عرض العدل

فإن قلت : فذلك العدم من خلقه فيه ، وقلت : هذا سؤال فاسد فإن العدم كاسمه لا يفتقر إلى تناقض التكوين والاحادات به . فان عدم الفعل ليس امرا وجوديا حتى يضاف إلى الفاعل ، بل هو شر عرض والشر ليس إلى الرب تبارك وتعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في

الحديث الاستفناح « ليك وسعديك وانخير في يديك والشر ليس اليك » وكذا يقول النبي، صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة يوم القيمة « اذاً يقول الله تعالى ، يا محمد ، فيقول : ليك وسعديك وانخير في يديك والشر ليس اليك » وقد اخبر تعالى ان تسليط الشيطان انما هو على الذين يتولونه والذين هم به شركون . فلما تولوه دون الله واشركتوه معه عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم . وكانت هذه الاولوية والاشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الاخلاص والابادة العاصمة من ضدها . فقد بين ان اخلاص الدين يمنع من سلطان الشيطان لان فعل السيئات التي توجب العذاب . فاخلاص القلب لله مانع له من فعل ما يضاده ، وإلهامه البر والتقوى ثمرة هذا الاخلاص و نتيجته . وإلهام الفجور عقوبة خاوية من الاخلاص

فإن قلت : هذا الترك ان كان امراً وجودياً عاد السؤال ، وإن كان امراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم ؟ وقلت : ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عمماً تريده وتتجبه ، فهذا قد يقال إن امراً وجودي ، وإنها نعم عدم وخلو عن اسباب الخير ، وهذا العدم ليس بكتلة النفس ومنع لها عمماً تريده وتتجبه بل هو عرض خارجاً مما هو أفعى ذي لها . والعقوبة على الامر العدي هي بفعل السيئات لا بالعقوبات التي تزاله بعد اقامة الحجة عليه بالرسل . فلله سبحانه : قو بتأن ، احداها : جعله خاطشاً مذنبًا لا يحسن بأيّها ومضرتها ملؤافتها شهونه ، وارادته وهي في الحقيقة من اعظم اقوبات . وإنما نية

العقوبات المؤلمة بعد فعله لسيئات . وقد قرر الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) فهذه العقوبة الأولى . ثم قال ( حَقٌّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أَوتُوا أَخْذَنَاهُ بِفَتَّةٍ ) فهذا العقوبة الثانية . وأعطيت هذا الموضع حقه من التأمل ، وانظر كيف تربت هاتان العقوبتان احداهما على الاخرى ، لكن العقوبة الأولى عقوبة موافقة لهواء وارادته ، والثانية مخالفة لما يحبه ويتأذى به . وتأمل عدل الرب تعالى في هذه وهذه وانه سببه انها اوضاع العقوبة في مثلا الاولى بها الذي لا يليق بها غيره وهذا امر لوم تشهد القلوب وتعرفه لما جاز ان ينسب الى الله تعالى سواه ولا يظن به غيره ، فإنه من ظن السوء عن يتعالي ويتقدس عن

كل سوء وعيوب

فإن قلت : هل كان يمكنهم ان يأتوا بالاخلاص والانابة والمحبة له وحده من غير اذ يخلق ذلك في قلوبهم ويحملهم مخلصين له ام ذلك شخص جعله في قلوبهم ؟ قلت : لا ، بل هو شخص منته وفعله وهو من اعظم اخرين الذي هو في يده ، فان غير كله في يديه ولا يقدر احدنا يأخذ من اخرين الا ما اعطاه ولا يتقي من الشر الا ما وفأه

فإن قلت : فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقا له ولا سبيل لهم اليه بأنفسهم عاد السؤال ، وكان منعهم منه ظلما ، وزرك القول بأن العدل هو تصرف الملائكة ؟ قيل : لا يكون بمنعه سبحانه لهم من ذلك ظلما وانما يكون المانع ظلما اذا منع غيره حقا لذلك الغير عليه ، وهذا هو الذي

حرمه الرب على نفسه ، واما اذا منع غيره ما ليس حقاله بل محض فضله

ومقتنه عليه لم يكن ظالماً بمنعه

فان قلت : فاذا كان العطاء والبذل والتوفيق احساناً ورحمة وفضلاً

فهلاً كانت اذابة له كما ان رحمة تغلب غضبه ؟ قيل : المقصود من هذا

الاقام بيان ان هذه العقوبة الارثية على هذا المنع والمنع المستلزم للعقوبة

ليس بظلم . وهذا سؤال عن الحكمة التي اوجبت تقديم العدل على

الفضل في بعض الحال ، وهلاساوى بين العباد في الفضل . وهذا

السؤال حاصله : لم تفضل على هذا ولم يتفضل على هذا ؟ وقد

تولى سبحانه الجواب عنه بقوله ( ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْأَفْضَلِ الْعَظِيمُ ) وقوله ( إِنَّا لَيَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابَ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ

فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ يَعْلَمُ اللَّهُ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْأَفْضَلِ الْعَظِيمُ )

وليس في الحكمة اطلاقاً فرد من افراد الناس على كمال حكمته في عطائه

ومنعه ، بل اذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى ابعده طرفاً يسيراً من

حكمته في خلقه وامر دوبيه وعقابه ، وتأمل احوال ذلك ، واستدل بما

دامه على مالم يعلمه وتيقن ان مصدر ماعلم ومالم يعلمه حكمة بالغة لا وزن

بعقول المخلوقين ، فقد وفق للصواب . ولما استشكل المشركون هذا

التخصيص قالوا ( أَهُؤُلَاءِ مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا ) فقال لهم الله مجبياً لهم

( أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالثَّاَكِرِينَ ) وهذا جواب شافع كاف وفي ضمته انه سبحانه

اعلم بالحول الذي يصلح لغرس شجرة النعمه فتشمر باشکر من الحول الذي

لَا يُصلح لغرسها فلو غرسـتـ فـيـهـ لـمـ تـمـرـ فـكـانـ غـرـسـهـاـ هـنـاكـ ضـائـعـاـ لـاـ يـلـيقـ  
بـالـحـكـمـةـ كـاـفـلـ تـعـارـ (أـللـهـ أـسـأـمـ حـيـثـ يـجـعـلـ رـسـالـتـهـ)

فصل

فانترجع الى تمام المقصود فنقول : اختلف الناس في العقوبة على الامور العدمية فنكر واصح الحكم والتعليق لاضباط العقوبة عندم الايض الشديدة . واما مثبتوا الحكم والتعليق فالاكثر منهن يقولون لا يعاقب على عدم المأمور لانه عدم عرض . واما يعاقب على تركه والترك امر وجودي وحائنة منهم ابوهاشم وغيره يقولون يعاقب على العدم كاما يعاقب على الامور الوجودية فيكون عقابه بالآلام . وهذا القول الذي ذكرناه قول وسط بين القوانين ، وهو ان العقوبة نوعان : فيعاقب على هذا العدم بفعل السيئات لا بالعقوبة المؤلمة ، ثم يعاقب على فعل السيئات بالآلام ، ولا يعاقب عليها حتى تقوم الحججة عليه بالرسالة . فإذا عصى الرسول استحق العقوبة التامة وهو اولاً إنما عوقب بما تكمن ان يتبعه من شره بعد قيام الحججة عليه أو بالتوبية بعد قيام الحججة عليه . فإذا لم تقم عليه الحججة كان كاصبي الذي يشغله بما لا ينفعه بل بما هو من اسباب ضرره ، ولا يكتب عليه قلم الامر حتى يبلغ فإذا بلغ عوقب ، ثم يكون ما اعتداته من فعل القبائح قبل البلوغ وان لم يعاقب عليها سبب لعصيته بعد البلوغ فت تكون تلك المعاacie الحادة منه قبل البلوغ فلم يعاقب العقوبة المؤلمة الا على معصية . واما العقوبة الاولى فلا يلزم ان تكون على ذنب بل هي جارية مجردة تولد الآلام عملاً يأكله

ويشربه ويتمتع به فتولدت تلك الذنوب بعد البالوغ عن تلك الاسباب المتقدمة قبله وهذا القول الوسط في العقوبة على العدم وهو الذي دل عليه القرآن قال الله تعالى (وَنَقْلَبُ أَفْئَدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ) فأخبر سبحانه عن عقوبتهم على عدم الاعتنى بتقليل افئدتهم وابصارهم . فان قلت : هذه عقوبة على اصر وجودي وهو تركهم الاعيان بعد ارسال الرسول ودعائهم لهم . قلت : الموجب لهذه العقوبة الخاصة هو عدم الاعيان ولكن ارسال الرسول وترك طاعته شرط في وقوع العذاب ، فانقتضى قائم وهو عدم الاعيان لكنه مشروط وقوعه يشرط وهو ارسال الرسول ففرق بين انتفاء الشيء لا تفاء موجبه ومقتضيه وانتفاء لا تفأء شرطه بعد قيام المقتضى

### فصل

وكذاك قوله في الحديث الذي رواه ابو داود والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ « ان الله لو عذب أهل سمواه وأهل ارضه لمذهبهم وهو غير ظالم لهم . ولو رحمهم كانت رحمة خيرا لهم من اعدائهم » وهو مما يتحقق به الجبرية واسعد الناس به أهل السنة الذين قابلوه بالصدق وتقواه بالقبول وعلموا من عظمة الله وجلاله وقدر نعمه على خلقه وعدم قيام اخلق بحقوق نعمه عليهم ، اما عجزا واما جهلا واما تفريطاما اضاعة واما تقصيرها في المقدور من الشكر ولو من بعض الوجوه . فان حقه على اهل السموات والارض ان يطاع فلا ينسى

ويشكُر فلَا يكفر . ونَكُون قوَّة القلب كَلَّا وقوَّة الانابة والتوكُل والخشية  
والمراقبة والخوف والرجاء ، جَمِيعها مَتَوَجِّهَةٌ إِلَيْهِ ومتَعْلِقةٌ بِهِ بِحَيْثُ يَكُون  
القلب عَاكِفًا عَلَى مَحْبَتِهِ وتألهِهِ بَلْ عَلَى افْرَادِهِ بِذَلِكَ وَالْإِنْسَانُ مَبْوَسٌ عَلَى  
ذَكْرِهِ وَالْجُوَارِحِ وَقَفَا عَلَى طَاعَتِهِ قَدْ اسْتَسْلَمَتْ لِهِ الْفُلُوبُ اتَّمَ اسْتِلَامَ  
وَذَلِكَ لِهِ كُلَّ ذُلْ وَخَضَعَتْ لِهِ أَعْظَمُ خَضْوعٍ وَقَدْفَنَتْ بِهِ رَادِهِ وَمَحَابِهِ عَنْ  
مَرَادِهِ وَمَحَابِهِ فَلِمَ يَكُنْ هُمْ مَرَادُ مَحْبُوبٍ غَيْرَ مَرَادِهِ وَمَحْبُوبِهِ الْأَبْتَةِ . وَلَا رِيبٌ  
إِنَّ هَذَا مَقْدُورٌ فِي الْجَمَلَةِ وَلَكِنَ النُّفُوسُ تَشْجُبُهُ ، وَهِيَ فِي الشُّحِّ عَلَى صِرَاطِ  
لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَكْثَرُ الْمُطَيِّعِينَ يَشْجُبُهُ مِنْ وَجْهِهِ وَإِنَّهُ مِنْ وَجْهِهِ  
وَلَعِلَّ مَا لَا تَسْمِعُ بِهِ نَفْسَهُ أَكْثَرُ مَا تَسْمِعُ بِهِ مَعَ فَضْلِ زَهْدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَعَامِلِهِ  
وَوَرْعِهِ . فَإِنَّ الَّذِي لَا يَقِعُ مِنْهُ إِرَادَةٌ تَزَاحِمُ إِرَادَةَ اللَّهِ وَمَا يُحِبُّهُ مِنْهُ فَلَا يَمْتَرِيهُ  
غَفْلَةً وَاسْتِرْسَالَ مَعَ حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَالْمَيْلِ إِلَى دَاعِيَّهَا ، وَتَقْصِيرَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى  
مَعْرِفَةً وَمَرَاعَاتٍ وَقِيَاماً بِهِ ؟ وَمَنْ الَّذِي يَنْتَظِرُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ مِنَ النَّعْمَ دَقِيقَهَا  
وَجَلِيلَهَا إِلَى أَنْهَا مِنْهُ رَبِّهِ وَفَضْلِهِ وَاحْسَانَهِ فَيَذَرُهُ بِهِ أَوْ يُحِبُّهُ عَلَيْهَا وَيُشَكِّرُهُ  
عَلَيْهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَعْتَرِفُ مَعَ ذَلِكَ بِقُصُورِهِ ، وَتَقْصِيرِهِ وَإِنَّ  
حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ أَعْظَمُ مَا أَنِّي بِهِ وَمَنْ الَّذِي يَوْفِي حَقَّاً وَاحِداً مِنَ الْحَقُوقِ  
وَعِبُودِيَّةً وَاحِدةً حَقَّهَا مِنَ الْأَجَالَلِ وَالْتَّعْظِيمِ وَانْصَحَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، وَبِذَلِكِ  
الْجَهْدِ فِي وَقْوَاهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ مَا يَدْخُلُ عَلَى قُدْرَةِ الْعَبْدِ  
ظَاهِراً وَبَاطِنَا ؟ وَمَعَ هَذَا فَبِرَاهَا مِنْ مَنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَفَضْلُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ رَبِّهِ  
هُوَ الْمُسْتَحْقُ عَلَيْهَا الْحَمْدُ ، وَإِنَّهُ لَا وَسِيلَةٌ تَوْسِلُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ حَتَّى نَلْهَا ، وَإِنَّهُ

يقاربها مما تستحق ان تقابل به من كمال الذل والخضوع والمحبة والبراءة من حوله وقوته ويدعو نفسه من البين ، وأن يكون فيها بالله لا بنفسه والله لا لنفسه ؟ ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له ولو في وقت من الاوقات من حركة نفسه وجوارحه ، او يترك بعض مخلوق له ، او يؤثر بعض حظوظه ومراده على مراد الله تعالى ومرضاته وزر احجه به ، ومن المعلوم عقلاً وشرعًا وفطارة ان الله تعالى يستحق على عبده غاية التمعظيم والاجلال والعيودية التي تصل اليها قدرته وكل ما ينافي التمعظيم والاجلال يستحق عليه من العقوبة ما يناسبه . والشرك والمعصية والغفلة وابتاع الهوى وترك بذل الجهد والنصيحة في القيام بحق الله بادئنا وظاهرا ، وتعاقب القلب بغيره والتفاته الى ماسواه ، ومرة ازعة ما هو من خصائص رب بيته ، ورؤيه النفس والمشاركة في الحول والقوة ، ورؤيه الملائكة في شيء من الاشياء فلا ينساخ منها لكيه . كل ذاك ينافي التمعظيم والاجلال . فلو وضعت سبحانه العدل على العباد لعذبهم بعد له فيهم ولم يكن ذنانا . وغاية ما يقدر توبه العبد من ذاك وانترافه به ، وقبول التوبة شخص فضله واحسانه ، والا فلو عذب عبده على جناته لم يكن ظالما له ولو قدر انه ناب منها لكن اوجب على نفسه بقتضي فضله ورحمته الارعذب من ناب من ذنبه وانتراف به رحمة واحسانا . وقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة ، فلا يسع الخلاقين الا رحمته وعفوه ولا يبلغ عمل احد منهم ان ينجو به من النار أو يدخل به الجنة كما قال اطوع الخلق لربه وافضلهم عملا وأشد عملا تعظيم الله « ان ينفعني احدا منكم »

عمله » قالوا : ولا انت يا رسول الله ؟ قال « ولا انا ، الا ان يتغمدني الله برحمته منه وفضل » وكان عليه اكل اخلاق استغفاراً ، وكانوا يعدون عليه في المجلس الواحد مائة مرة « رب اغفر لي وتب على انى انت التواب الرحيم » وكان يقول « يا ايها الناس توبوا الى ربكم ، فهو اللهم اني لا توب الى الله - وفي لفظ - اني لا استغفر لله في اليوم والليلة كثرا من سبعين مرة » وكان اذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً . وكان يقول بين السجدتين « رب اغفر لي » وكان يقول في سجوده « اللهم اغفر لي خطئي وجاهلي واسراف في امري وما انت اعلم به مني . اتاهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما خررت وما عانت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا الله الا انت » وكان يستغفر في استفتاح الصلاة وفي خاتمة الصلاة . وعلم افضل الامم ان يستغفر في صلاته ويعرف على نفسه بظلم كبير . وقد قال الله تعالى ( وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) وقل ( اَيَّهَا نَفْرَاتُكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرَ ) فأهل السموات والارض محتاجون الى مغفرة كما محتاجون الى رحمته . ومن ظن انه يستغنى عن مغفرة الله فهو كمن ظن انه يستغني عن رحمته . فلا يستغنى احد عن مغفرة ورحمته كلاما يستغنى عن نعمة ومنتها . فلو امسك عنهم فضله ومنتها ورحمته هلكوا وعدبوا ولم يكن ظالما وحينئذ فتصيبهم النقمات بامساك فضله . وكل نعمة منه عدل . واما يوضح هذا ان الظلم الذى تقدس عنه ، ان يعاقبهم عالم يعملا ويتنفعهم ثواب ما يستحقون ثوابه ، وهو سبحانه لا يعذب الا بسبب كا اذا

اراد تعذيب الاطفال والجانين . ومن لم تقم عليه حجته في الدنيا امتحنهم في الآخرة فتعذب من عصاه منهم بسباب اظهارها بالامتحان كما اظهر امتحان ابليس سبب عقوبته . فلو اراد تعذيب اهل سمواه وارضه كلهم لامتحنهم امتحانا يظهر اسباب تعذيبهم فيكون عدلا . منه فإنه يعلم من العبد مالا يعلمه العبد من نفسه . قال الحسن البصري «لقد دخلوا النار وان حمده لني قلوبهم » ما وجدوا عليه سبيلا . وما يوضع ذلك ان مذهب اهل السنة ان الانبياء والمرسلين افضل من الملائكة ، وقد طابوا كلامهم منه المغفرة والرحمة ، فقال اول الانبياء وابو البشر (رَبَّنَا ظلمَنَا أَنْفَسْنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ) فهو عبقر خلقه الله يده ، ونفع فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، واسكنه جنته ، وعلمه اسماء كل شيء وانما اتفع في المحن باعترافه واقراره على نفسه بالظلم وسؤاله المغفرة والرحمة وهذا نوع اول رسول بعثة الله تعالى الى اهل الارض يسئلها المغفرة ويقول (وَإِلَّا نَتَقْرِئُ لِي وَتَرْحَمُنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وهذا يومن يقول : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الطَّاغَّةِ مِنْ أَنْتَ) وابراهيم الخليل يقول (وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِئَتِي بَوْمَ الدَّبَّنِ) ويقول (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ) الآية وكلم الرحمن موسى يقول (رَبِّنَا ظلمَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) ويقول (أَنْتَ وَلِيَنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) ومحمد عبقر افضلهم وآكلهم وقد تقدم بعض ما كان يستغفر به ربه وسأل الصديق ان يعلمه دعاء يدعوه في صلاة فقال قل «اَللّٰهُمَّ انِي ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر

الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارجعني انك انت الغفور الرحيم «  
و اذا كان هذا حال الصديق الذي هو افضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين  
وافضل من الماء في عنداه ل السنّة وهو يخبر بما هو صادق فيه من ظلم نفسه  
ظالم كثيرا ، فما العذر بسواء ؟ بل ان انصار صديقا بتوقيته هذا المقام حقه الذي  
يتضمن معرفة ربها وحقيقته وعظمته وجلاله وما ينبغي له وما يستحقه على  
عبد ، ومعرفة تصويره في ذلك وانهم يقعون به كما ينبعي ، فقر على نفسه اقراراً  
هو صادق فيه انه ظالم نفسه ظالم كثيرا وسائل ربها ان يغفر له ويرحمه . سجنا  
وبعداً لمن زعم ان الخلق يستغنى عن مغفرة ربها ولا يكون به حاجة  
الىها وليس وراء هذا الجهل بالله وعظمته وحقيقته غاية

### فصل

فإن كثُف عالمك عن هذا ولم ياتِك له عقلك فاذكر النعم وما علىها  
ومن الحقوق وازن بين شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم انه لو عذب أهل  
السموات والارض لعذبهم وهو غير ظالم لهم. قال انس بن مالك «ينشر لعبد  
يوم القيمة ثلاثة دواوين: ديوان فيه ذوبه، وديوان فيه النعم، وديوان فيه  
العمل الصالح. فيامر الله تعالى اصغر نعمة من نعمه فتقوم فستوعب عمل كلها  
ثم يقول: أي ربِّي، ويزنك وجلدك ما استوعبت ثني وقد بقيت الذنوب  
والنعم. فذا اراد الله بعد خيرا قال: ابن آدم ضعفت حسناتك وتجاوزت  
عن سيدنالك ووهبت لك نعمي فيما ينبعي وينبعك». وما يوضح الامر ان من

حق الله على عبده ان يرضى به ربا وبالاسلام دينا وبحمد رسوله وهذا  
الرضى يقتضي رضاه بربوبيته له في كل ما يقضيه وقدره عليه في عطائه له  
ومنه وفي قبضه وبسطه ورضاه بالاسلام دينا يوجب عليه رضاه به وعنده  
في كل ما يأمره به وينها عنه ويحبه منه ويكرهه له ، فلا يكون في صدره  
من ذلك حرج بوجه ما ورضاه بمحمد رسوله يوجب ان يرضى بمحكمه له  
وعليه وان يسلم لذلك وينقاد له ولا يقدم عليه غيره . وهذا يوجب ان يكون  
حبه كله لله ، وبغضه كله ، وعطاوه كله ، ومنه لله ، وفداء لله ، ورकنه لله ، وادا قام  
 بذلك كانت نعم الله عليه أكثرا من عمله ، بل فعله ذلك من اعظم نعم الله  
عليه ، حيث وفقه له ويسره له واعانه عليه وجعله من أهل وخصه به ، فهو  
سد <sup>(١)</sup> عن شكر آخر عليه فلا سبيل له الى الفيام فيما يحب الله تعالى عليه  
من الشكر ابدا . فنعم الله تطالبه بالشکر ؛ وأعماله لا يقباها ، وذنوبه وغفلته  
وتقصيره قد يستند عمله . فديوان النعم وديوان الذنوب يستند ان  
طعامه كلها . هذا اعمال العبد مستحقة عليه يقتضي كونه عبداً ملوكاً مستعملاً  
فيما يأمره به سيده ، فنفسه ملوكه واعماله مستحقة عليه بوجوب العبودية  
فلا يستحق ثوابا ولا جزاء ، فلو امسك الثواب والجزاء الذي يتعم به لم  
يكن ظالما ، انه يكون قد فعل ما وجب عليه بمحكم كونه عبدا . ومن يحكم  
هذا الموضع فإنه عند الذنوب وعقوباتها يصدر منه من الأقوال ما يكون  
فيها أو في بعضها خصما لله متظلاً منه شيئاً كياله . وقد وقع في هذا من شاء  
الله من الناس . ولو حررت النحوس لرأيت العجب . وما يوضح ذلك :

(١) كذا بالأصل ، وإن محل صحة العبارة فهو من شاعر ( الخ )

أَنَّهُ سَبِّحَهُ عَادِلٌ لَوْمَعْ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْعَذَابِ لَكَانَ عَادِلًا  
فَهُوَ إِنَّمَا يَتَزَلَّ الْعَذَابَ بِسَبِبِ مَنْ يَسْتَحْقِهُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَعْمَلُ الْعَذَابَ مَنْ لَا  
يَسْتَحْقِهُ، كَمَا أَهْلَكَ سَبِّحَهُ الْأَمْمَ الْمَكْذُوبُونَ بِعَذَابِ الْإِسْتِئْصَالِ وَأَصَابَ  
الْعَذَابَ الْأَطْفَالَ وَالْبَهَائِمَ وَمَنْ لَمْ يَذْنَبْ. وَكَذَّاكَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُ الْأَرْضِ  
أَمْسَكَ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ فَيُصِيبُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْبَهَائِمَ وَالْوَحْشَ فِي الْفَلَوَاتِ  
فَتَمُوتُ الْجَبَارِيَّ فِي وَكْرَهِ هَذِلَا بِخَطَايَا بْنِ آدَمَ، وَيَعُوْتُ الضَّبُّ فِي  
جَهَنَّمَ جَوْعًا. وَقَدْ أَغْرَقَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُ بِخَطَايَا قَوْمَ نُوحَ، وَفِيهِمْ  
الْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ظَلَمًا مِنْهُ سَبِّحَهُ . فَالْعَقُوبَةُ الْأَلْهَمِيَّةُ الَّتِي  
اَشْتَرَكَ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا تَأْنِي عَامَّةً. وَقَدْ كَسَرَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ  
أَحَدَ بِذَنْبِهِ اُولَئِكَ الَّذِينَ دَصَوْا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَأَخْلَوْا مِنْ كُزْمَةِ  
وَانْهَزَّ مِنْهَا يَوْمَ حَنِينَ لَمَا حَصَلَ لِبَعْضِهِمْ مِنَ الْأَعْجَابِ بِكَثْرَتِهِمْ فَعَمِّتْ  
عَقُوبَةُ ذَلِكَ الْأَعْجَابِ . وَهَذَا عِنْ الدِّعْلَ وَالْحِكْمَةِ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ  
الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى

وَغَايَةُ مَا يَقُولُ : فَهَلَا خَصَتِ الْعَقُوبَةُ صَاحِبَ الْجَرِيمَةِ ؟ فَيَقُولُ : الْعَقُوبَةُ  
الْعَامَّةُ الَّتِي تَبَقَّىَ آيَةً وَعَبِرَةً وَمَوْعِظَةً لَوْ وَقَمْتَ خَاصَّةً لَأَرْتَقَعَتِ الْحِكْمَةُ الْمَقْصُودَةُ  
مِنْهَا وَفَاتَتِ الْعِبْرَةُ وَلَمْ يَظْهُرْ لِنَاسٍ أَنَّهَا بِذَلِكَ السَّبِيلِ . بَلْ لَعْلَ قَائِلًا يَقُولُ :  
قَدْرًا اتَّفَقَ . وَإِذَا أَصَابَ الْعَذَابَ مَنْ لَا يَسْتَحْقِهُ . فَنَّ يَثَابُ فِي الْآخِرَةِ  
مَعْجَلٌ لَهُ الرَّاحَةُ فِي الدُّنْيَا بِالْمُوْتِ الَّذِي لَا بُدْ مِنْهُ ، وَيَتَدَخَّلُ الثَّوَابُ فِي  
الْآخِرَةِ . وَمَنْ لَا يَثَابُ كَمَا يَهْمِمُ الَّتِي لَا بُدْ مِنْ مُوْتَهَا فَانْهَا تَعْجَلُ الرَّاحَةَ .

وما يصيّبها من ألم الجوع والعطش فهو من لوازم العدل والحكمة مثل الذي يصيّبها من ألم الحر والبرد والحبس في بيتهما التي مصالحتها أرجح من مفسدة ما ينالها . وهكذا مصالحة هذه العقوبة العامة وجعلها عبرة للآدم أرجح من مفسدة تألم تلك الحيوانات

### فصل

اعلم أن من اعظم حكمة الرب وكمال قدرته ومشيئته خلق الضدين ، اذ بذلك تعرف ربوبيته وقدرته وملكته . كاليل والنهار والحر والبرد والماو والسفل والسماء والارض ، والطيب والخبيث ، والداء والدواء ، والام والامنة ، والحسن والقبيح ، فعن كمال قدرته وحكمته خلق جبريل وخذلناك ، خلق أطيب الارواح واذ كاهوا اظهروا وافضلاها ، وأجرى على يديه كل خير ، وخلق أبليس الارواح واخبئها وأرداها واجرى على يديه كل شر وكفر وفسوق ومحصية وجعل الطيب منهازًا إلى تلك الروح والخبيث منحازًا إلى هذه الروح . فتلك مفناطيس كل طيب ، وهذه مفناطيس كل خبيث وأى حكمة ابلغ من هذا ؟

يوضّحه : ان المادة الارضية مشتملة على الطيب والخبيث ، وقد اقتضت الحكمة ان خلق منها آدم وذراته . فلا بد أن يأتي بتو آدم كذلك كالمادة النارية فيها الخير والشر فلا بد ان يأتي المخلوق منها كذلك . والله تعالى يريد تحليص الطيب من المادة الارضية من الخبيث ليجعل الطيب مجاورا له في دار كرامته مختصا برؤيته والقرب

منه . ويجعل اذنِي ث في دارِ الخبَث ، حظهُ الْبَعْدُ مِنْهُ والهُوانُ والطَّردُ  
وَالابَادَ ، اذ لا يليق بِحُمْدَهُ وَحُكْمَتِهِ وَكَالَهُ اذ يَكُونُ شَاوِرَ الْهُوَى فِي دَارِهِ مَعَ  
الطَّيِّبِينَ . فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَادَةِ النَّازِيَّةِ مَنْ جَعَلَهُ مَرْكَانَ النُّفُوسِ دَاعِيًّا لَهَا إِلَى  
مَحْلِ الْخَبَثِ لِتَنْجُذِبَ إِلَيْهِ النُّفُوسَ الْخَبِيثَةَ بِالْطَّبَعِ وَتَمْيلَ إِلَيْهِ بِالنَّاسِيَّةِ  
فَتَتَحِيزَ إِلَى مَا يَنْسَبُ إِلَيْهَا وَمَا هُوَ أَوْلَى بِهَا حُكْمَةً وَمَصَاحَةً وَعَدْلًا لَا يَظْلِمُهَا  
فِي ذَلِكَ بَارِئَهَا وَخَالِقَهَا بَلْ أَفَامَ دَاعِيًّا يَظْهِرُ بِدُعَوَتِهِ إِيَاهَا وَاسْتَجَابَتْ إِلَيْهَا لِهِ  
مَا كَانَ مَعْلُومًا لِبَارِئَهَا وَخَالِقَهَا مِنْ أَحْوَالِهَا ، وَكَانَ خَفِيًّا عَلَى الْعِبَادِ . فَلَمَّا  
اسْتَجَابَتْ لَأَمْرِهِ وَلَبِتْ دُعَوَتِهِ وَآتَتْ طَاعَتِهِ عَلَى طَائِهِ رَبِّهَا وَوَلِيهَا الْحَقُّ  
الَّذِي تَقْلِبُ فِي نِعْمَهُ وَاحْسَانِهِ ظَهَرَ لِمَلَائِكَتِهِ وَرَسْلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ حُكْمَتِهِ وَعَدْلَهُ  
فِي تَعْذِيبِ هَذِهِ النُّفُوسِ وَطَرْدِهَا عَنْهُ وَابْعَادِهَا عَنْ رَحْمَتِهِ ، وَأَفَامَ النُّفُوسَ  
الْطَّيِّبَةَ دَاعِيًّا يَدْعُوهَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَرْضَاهِهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَبِتْ دُعَوَتِهِ وَاسْتَجَابَتْ  
لَأَمْرِهِ ، فَعَلِمَ عِبَادُهُ حُكْمَتِهِ فِي تَخْصِيصِهَا بِثُوبَتِهِ وَكَرَامَتِهِ . فَظَهَرَ لَهُمْ حَمْدُهُ  
الْتَّامُ وَحُكْمَتُهُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْرِينَ وَعَلِمُوا أَنَّ خَاقَ عَدُوَّ اللَّهِ أَبْدِلُسُ وَجَنُودُهُ  
وَحَزْبُهُ ، وَخَلَقَ وَلِيَهُ وَعِبَدَهُ جَبْرِيلُ وَجَنُودُهُ وَحَزْبُهُ هُوَ عَيْنُ الْحُكْمَةِ  
وَالْمَصَاحَةِ وَانْتَعْطِيلُ ذَلِكَ مَنَافِقَ اقْتَنَفَى حُكْمَنَهُ وَحَمْدَهُ  
يُوَضِّحُهُ: أَنَّ مَنْ لَوَازَمَ رَبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى وَأَهْمَيَّتِهِ اخْرَاجَ اخْبَابًا فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْحَيَاةِ وَالْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَخَبَابُ السَّمَاوَاتِ  
مَا أَوْدَعَهَا مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي يَخْرُجُهُ كُلَّ وَقْتٍ يَفْعَلُهُ وَاصِرَهُ وَهَذَا مِنْ تَدْبِيرِهِ  
لِمَلَائِكَتِهِ وَتَصْرِفَهُ فِي الْعَالَمِ الْعَلَوِيِّ وَالْسَّفَلِيِّ . فَبِاخْرَاجِ هَذَا اخْبَابًا تَظَهَرُ

قدره ومشيئته وعلمه وحكمته . وكذلك النفوس فيها خباً كامن يعلمه سبحانه منها فلا بد ان يقيم أسبابا يظهر بها خباً النفوس الذي كان كامنا فيها . فاذا صار ظاهرا عيانا ترب عليه امره اذ لم يكن يترب على نفس العلم به دون ان يكون معلوما واقعا في الوجود . قال تعالى (مَا كَانَ اللَّهُ  
لِيَدْرِي الْمُؤْمِنُينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَقَّ بَيْزَ الْخَمِيدَتْ مِنَ الطَّيِّبِ ) وقل تعالى  
( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ  
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ) فاخبر أنه خلق العالم العلوي والسفلي ليبلو  
عباده فيظهر من يطاعه ويحبه ويجله ويعظمه من يعصيه ويخالفه وهذا  
الابتلاء والامتحان يستلزم أسبابا يحصل بها ، فلا بد من خلق اسبابه ،  
ولهذا لما كان من اسبابه خلق الشهوات وما يدعوا اليها وتزيينها فعل ذلك .  
وقال تعالى ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ زِينَةً لِمَا نَبْلَوْمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً )  
في هذه ثلاثة مواضع في القرآن تبين حكمته في خلق اسباب الابتلاء  
والاختبار . فظهر ان من بعض الحكم في خلق عدو الله اخراج خباً  
النفوس الخبيثة التي شرها وخبثها كامن فيها فاخراج خباها بزنا دعوه  
كما يخرج خباً النار بقدر الزنا ، وكما يخرج خباً الأرض بازالة الماء  
عليها ، وكما يخرج خباً الأئمّي بالقاح الذكر لها ، وكما يخرج خباً القاوب الزاكية  
بانزال وحيه وكلامه عليها ، فكم له سبحانه من حكمة بالغة ، وآية ظاهرة  
في خلق عدوه ابليس ؟ فان من كمال الحكمة والقدرة اظهار شرف الاشياء  
الفاصلة باضدادها ، فلو لا الایل لم يظهر فضل النهار ونوره وقدره ولو لا الام

لم يعرف فضل اللذة وشرفها وقدرها . ولو لا المرض لم يعرف فضل العافية ولو لا وجود قبح الصورة لم يظهر فضل الحسن والجمال . ولهذا كان خلق النار وعذاب اهلها فيها اعظم لنعيم اهل الجنة وابلغ في معرفة قدرها وخطرها ، كان خلق هذا القبيح الشنيع المنظر والخبر الذي صورته اشنع من باطنها وباطنه اقبح من صورته مكملا لحسن تلك الروح الزكية الفاضلة التي كمل الله تعالى بصورتها جمال الظاهر والباطن . فلو كان الخلق كلهم على حسن يوسف مثلا فأي فضيلة وتميز يكون له ؟ ولو كانت الكواكب كلها شموسًا واقارًا . فأي مزية كانت تكون للنير بن ؟

### فصل

ان كمال العبودية والمحبة والطاعة انما يظهر عند المعارضه والدواعى الى الشهوات والارادات المخالفه للعبودية وكذلك الاعيان انما تتبين حقيقته عند المعارضه والامتحان . وحيثئذ يتبيان الصادق من الكاذب قال الله تعالى ( اَلَّمْ اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُهْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا اَمَّا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَاهُ الدِّينُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَاذِبِينَ ) وقال تعالى ( اُمُّ حَسِيبٍ اُنْ تَدْخُلُوُ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوْ مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ) وقل تعالى ( اُمُّ حَسِيبٍ اُنْ تَدْخُلُوُ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مُّنَهَّى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهِمٌ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِيلُوا ) فالجنة لا ينالها المكافرون إلا بالجهاد والصبر خلق الشياطين وأوليائهم وجندتهم من اعظم النعم في حق المؤمنين . فأنهم بسبب وجودهم صاروا مجاهدين في سبيل الله

يحبون الله ويعغضون الله ويوالون فيه ، ويعادون فيه ، ولا تكمل نفس العبد ولا يصلاح لها الزكاء والفالح إلا بذلك : وفي التوراة : إن الله تعالى قال لموسى « اذهب إلى فرعون فاني سأقسي قابه لظهور آياتي وعجائبي ويتحدث بها جيلاً بعد جيل » وتکذیب المشركين عليهم السلام وسعیهم في ابطال دعوته ومحاربته كانت من أعظم النعم عليه وعلى امته ، وإن كان من أعظم النقم على الكافرين . فكم حصل في ضمن هذه المعاداة والمحاربة لرسول الله عليه السلام ولا أصحابه ولا ملته من نعمة ، وكم رفعت بها درجة ؟ وكم قامت بها الدعوه من حجه ؟ وكم أعقب ذلك من نعيم مقيم وسرور دائم ، والله كم من فرحة وقرة عين في معايشه العدو وكنته ؟ فما طاب العيش إلا بذلك . فعظم اللذة في غيظ عدوه ، فمن أعظم نعم الله على عباده المؤمنين أن خلق لهم مثل هذا العدو . وإن القلوب المشرقة بنور الإيمان والمعرفة لتعلم أن النعمة بخلق هذا العدو ليست بدون النعمة بخلق أسباب اللذة والنعمة . فليست بأدنى النعمتين عليهم ، وإن كانت مقصودة لغيرها . فإن الذي يترتب عليها من أخير المقصود لذاته انفع وأفضل وأجل من فوائه  
 فإن قيل : إذا كان خلق إبليس وجندوه من أعظم النعم على المؤمنين فأي حكمة ومصالحة حصلت لهؤلاء بخلقهم ؟ فكيف اقتضت الحكمة أن خلقهم لضرره المض لاجل منفعة أولئك ؟ وإذا أبنتم اقتضاء الحكمة لذلك طولبتم بأمر هو أشكل عليكم من هذا ، وهو أن ما جعل من المضار وسيلة إلى حصول غيره أن لم تكن الغاية حاصلة منه والا كان تفوته

أولى ما في تقويته من عدم الشر والفساد ، وهذه الوسيلة قد ترتب عليها دخول واحد من الالف الى الجنة وتسعمائة وتسعة وتسعين الى النار .  
فأين الحكمة والمصالحة التي حصلت للمكلفين في خلق الشياطين ؟ فهذا ن  
سؤالان في هذا المقام لا يم مقصودكم إلا بالجواب عنها  
قيل : حاصل السؤالين ، أنه أي مصلحة في خلق الشياطين والكفرة  
لأنفسهم ، وان مفسدة من خلقوا مصالحته بهم اضعف ما حصل لهم من  
المصالحة . والجواب عنها من عدة مسالك  
المسالك الاول : أنا وان عللت افعال الرب بالحكم فانا لا نوجب عليه  
رعاية المصالح ، بل نقول ان له في كل ما خلقه حكمة تعجز العقول عن  
الاحاطة بها . وحكمته اعلى واعظم ان توزن بعقولنا . وقد يتنا بعض الحكم  
في خلقهم وما يترب عليها ما هو احب اليه من فوائه ، وهذا الحبوب له وان  
استلزم وجوده مسئلة في حق ذلك المخلوق فالحكمة الحاصلة بخلقها اعظم  
من تلك المفسدة . وهذا كما ان المصالحة والمفسدة الحاصلة من ذبح القرابين  
والاهدي والانسان والضحايا وغيرها اعظم من المفسدة الحاصلة لاحيوان  
بالذبح ، والكافر قرابون أهل الاعان

المسالك الثاني : أنا نعمل افعاله سبحانه بالصالح لكن لا على الوجه  
الذى سلكه أهل القدر والاعتزاز من رعاية المصالح التي اقررتها عقولهم  
وحكمت بأنه هو أصلح . وهذا مسلك باطل يقابل في البطلان مسلك  
خصومهم من الجبرية الذين ينكرون ان يفعل لغاية او يكون لفعله علة

أَلْبَة . فنقول : نعم في خلقهم أعظم المصالح التي هي فعل من ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاتاته ولا في افعاله ، بل هو مترء عن مشابهة خلقه في شيء من ذلك . ثم لنا في هذا الملاك طريقان : أحدهما أن تقول خلقوا ، مصالحتهم من معرفته سبحانه وعبادته وطاعته وفطروا على ذلك و هيئوا له و مكنوا منه وجعل فيهم الاستعداد والقبول . وبهذا قامت حجّة الله عليهم و ظهر عدله فيهم فاما ابو واستكبار والآن ينقادوا طاعته و توحيدوه و محبتة كانوا ام القاطلين المعذين المستحقين ل العذاب ، فجعل تعذيبهم من تمام نعيم اولياته ومصالحة محبته في حقهم ، فانهم لما فوتوا المصالح التي خلقوا لا جاها واستحقوا عليها العقوبة صارت تلك العقوبة مصالح لا اولياته وهذا بمنزلة ملائكة عبيد هيأ كل واحد منهم خدمته والقرب منه والحضور بكرامته ، فأبى بعضهم ذلك ولم يرض به ، فسلط الملك عبيده المطيعين له عليهم وقال أبخلكم دماءهم و اموالهم و نسائهم و مساكنهم شكرأ لكم على طاعتي ، و عقوبة لهم على استكبارهم عنها ، وأرتكتم عظيم نعمتي عليكم بما انزلت بهم من نعمتي ، فانكم لو عملتم مثل عملهم جعلتكم بمنزلتهم ، فكلما شاهدوا عقوبهم ازدادوا حبة ورغبة و ذكرها و شكرأ الملك واجتهاداً في طاعته وبلغ مرضايه ، وتلك العقوبة التي فالتهم انما هي بسبب اعمالهم ، لم يظالمهم الملك شيئاً والله اعلى والنعمه السابقة واللحجه البالغه قال الله تعالى ( ما يفعل الله يعذبكم إن شكرتم و أمنتتم و كان الله شاكراً عليما ) فتأمل ما تحت هذا الخطاب من العدل واللطف والرحمة و انه سبحانه



مصالحة النفس الا الواقع فيها تفسد به وتألم بفوته غاية الالم . ونحن  
في هذا الملاك عن غنية ان نقول ان تعذيبهم غير مصالحة لهم كما قاله غير واحد  
من ارباب المقالات ، كما حکاه عنهم الاشعري وغيره . فان هؤلاء لم يثبتوا  
وجه المصالحة لهم في تعذيبهم بل ارسلوا القول بذلك ارسالا ، وكان لهم  
حاموا حول امر لم يذكر لهم وروده ، وهو ان هؤلاء وان كانوا به  
مشركين ولهم جاحدين فانهم انما خلقوها على الفطرة السليمة التي هي  
دين الله ، ولكن عرض لهم ما نقاهم عنها حتى فسدت وبطل حكمها  
وصار الناقل لهم عنها هو الحاكم عليهم العامل فيهم . وهذا امر خارج  
عن مقتضى الخلقه وأصل الفطرة ، كما اخبر به النبي عليه السلام في الحديث الذي  
رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المخاشعي عن النبي عليه السلام فيما برويه  
عن ربه عزوجل انه قال « اني خاقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم أنتم  
الشياطين فلجلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحالت لهم وأمرتهم ان  
يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة  
عن النبي عليه السلام انه قال « ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواده يهودانه  
او ينصرانه او يهجانه » فاخبر أن أصل ولادتهم ونشأتهم على الفطرة  
وأن التهويذ والتصير والنجيس طاري طر أعلى الفطرة وعارض عرض لها  
واقتنى هذا العارض الذي عرض الفطرة اموراً استلزمت ترتيب آثارها  
عليها بحسب قوتها وضعفها . فالآلام والعقوبات المترتبة على ذلك من  
جنس الآلام والعقوبات المترتبة على خروج البدن عن صحته ، وهو انما

خلق على الصحة والاعتدال ، فإذا استمر كذلك لم يعرض له الم . وكذلك  
القلب فطر على الفطرة الصحيحة فلما عرض له الفساد ترتب على ذلك  
العارض أثره من الآلام والعقوبات . ولا ريب أن ذلك العارض ليس  
في أصل الفطرة بمحض يستحيل زواله ، بل هو ممكّن الزوال . والناس  
في زواله والسرعة والبطء فيه متباينون اعظم تقاوت ، فنهم من زال  
عنه بمجرد الدعوة ، في حين عاد إلى موجب الفطرة أجاب الداعي من غير  
توقف ، ومنهم من توقف لقوة العارض فاحتاج مع الدعوة إلى مواعظه  
تضمن ترهيبه وترغيبه ، ومنهم من غلبته عليه المادة الفاسدة فاحتاج  
مع ذلك إلى المحادلة . ومنهم من كان العارض أشد من ذلك فعدل معه  
إلى الجلاد والمحاربة ونوع من العقوبة فازال ذلك تلك المادة وعاد الفطرة  
إلى صحتها ، ومنهم من كان فساد فطرته قد استحكم وعُمِّكَ فصار له بغير لذة  
الصفة الثابتة ولم يكن بد من أن يختفي عنه ليزول ذلك أخبيث ويتخاصص  
منه ويعود على ما خلق عليه أولا . ولهذا لما خرج خبر الموحدين من  
أهل الكبار بسرعة تعجل خروجهم من النار وعادوا إلى ما خلقوا عليه  
أولا من كمال النشأة وزوال موجب هذا العذاب ، فلم يبق لهم مصالحة  
في التعذيب بعد ذلك . وأما المشركون : فلما كان العارض استحكم فيهم  
وصار كالهيئة والصفة استمروا في النار تحيى عليهم أشد الحمو لقوة ذلك  
أخبيث وزومه لهم . ومعهم أنه لو فارقهم في الدنيا وانسلخوا منه لم  
يُعذبوا فإذا فارقهم في النار وانسلخوا منه زال موجب العذاب . فعمل

مقتضى الفطرة عمله وابدوا ذلك بوجوه هذا احدها :

الوجه الثاني : ان الله تعالى لم يخلق شيئاً يكره شر اخضاماً من كل وجه لا غير فيه بوجه من الوجوه ، فان هذا ليس في الحكمة ، بل ذلك لا يكون إلا عندما محضاً والعدم ليس بشيء . والوجود اما خير محض ، واما خير غالب ، واما ان يكون فيه خير من وجه وشر من وجه . فاما ان يكون شرا من كل وجه ، فهذا ممتنع ، ولكن قد يظهر ما فيه من الشر وينتفي ما في خلقه من اخير . ولهذا قال تعالى الملائكة ، وقد سألو عن خلق هذا القسم قاتلوا ( أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنَقْدِسُ لَكَ ؟ قَلَّ إِنِّي أَعْمَلُ مَا لَا أَعْلَمُونَ )

فإذا كانت الملائكة مع قربهم من الله وعلمهم باسمائه وصفاته وما يجب له ويعتنى عليه لم تعلم حكمته سبحانه في خلق من يفسد كما يعلمها الله بل هو سبحانه متفرد بالعلم الذي لا يعلمه ، فلبشر أولى بان لا يعلموا ذلك . فالخير كله في يدي الرب والشر ليس اليه ، فلا يدخل في اسمائه ولا في صفاته ولا في افعاله ، وان دخل في مفعولاته بالعرض لا بالذات وبالقصد الثاني لا الاول دخولاً اضافياً . واما اخير فهو داخل في اسمائه وصفاته واقعاته ومفعولاته بالذات والقصد الاول . فلبشر انما يضاف له مفعوله لا فعله وفعله خير محض ، وهذا من معاني اسمائه المقدسة . كالقدس والسلام والانتكابر . فالقدس الذي تقدس عن كل عيب وكذلك السلام وكذلك الانتكابر . قال ميمون بن مهران : تكبر عن السوء والسيئات فلا يصدر منه الا اخغيرات وانغيرات

كلها منه . فهو الذي يأتي بالحسنات ويدرك بالسيئات ويصلح الفاسد ولا يفسد الصالح ، بل ما أفسد إلا فسداً وإن كان الفاجر الذي يهدو الناس صالحاً فهو يعلم منه ما لا يعلم عباده .

والمقصود أن الشرور هي الاعدام ولو ازتمها . فالشر ليس إلا الذنب ومحاجتها وسيئات الاعمال وسيئات الجزاء ، وهي متربطة على عدم الإيمان والطاعة ومحاجتها . فإذا أراد الله بعده الخير أراد من نفسه سبحانه أن يوفقه له ويعينه عليه ، فيوجد منه ، فيترتب عليه من الأمور الوجودية ما فيه صلاحه وسعادته . فإذا لم يرده خيراً لم يردد من نفسه أن يعينه وبوفقه فيبقى مستمراً على عدم الخير الذي هو الأصل ، فيترتب على هذا العدم فقد أخى وأسبابه ، وذلك هو الشر واللام . فإذا بقيت النفس على عدم كالمها الأصلي وهي متحركة بالذات لم تخلق ساكنة تحركت في أسباب مضرتها وأثابها ، فـما قبـل بـخلقـ أمـور وجودـيـة يـرـدـ اللهـ سبحانهـ تـكـوـيـنـهاـ عـدـلاـ مـنـهـ فـيـ هـذـهـ النـفـسـ وـعـقـوبـةـ لهاـ . وـذـكـ خـيرـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ عـدـلاـ وـحـكـمـةـ وـعـبـرـةـ ، وـانـ كـانـ شـراـ باـلـاضـافـةـ إـلـىـ المـعـذـبـ وـالـعـاقـبـ فـلـمـ يـخـلـقـ سـبـحـانـهـ شـراـ مـطـلقـاـ بـلـ الـذـيـ خـلـقـهـ مـنـ ذـكـ خـيرـ فـيـ نـفـسـهـ وـحـكـمـةـ وـعـدـلـ . وـهـوـ شـرـ نـسـيـ اـضـافـيـ فـيـ حـقـ مـنـ أـصـابـهـ كـاـ إـذـ اـنـزـلـ لـمـطـرـ وـأـشـاجـ وـرـياـحـ وـأـطـلـعـ الشـمـسـ ، كـانـ هـذـهـ خـيـراتـ فـيـ نـفـسـهـ وـحـكـمـ وـمـصـالـحـ وـانـ كـانـ شـراـ نـسـبـيـاـ اـضـافـيـاـ فـيـ حـقـ مـنـ تـضـرـ بـهـ وـبـاـجـمـلـةـ ذـلـكـلـمـةـ الـجـامـعـةـ هـذـاـ هـيـ الـكـلـمـةـ الـتـيـ اـنـتـ بـهـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ

على ربه حيث يقول «والشر ليس اليك» فالشر لا يضاف الى من الخير  
فيديه ، وانما ينسب الى المخلوق كقوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ  
مَا خَلَقَ) فامرہ ان يستعيذ به من الشر الذي في المخلوق فهو الذي يعيذ  
منه وينجی منه ، واذا اخلى العبد قلبه من محبته والانابة اليه وطلب  
مرضاة ، واخلى لسانه من ذكره والثناء عليه ، وجوارحه من شكره  
وطاعته فلم يرد من نفسه ذلك ونسي ربہ لم يرد الله سبحانه ان يعيذه من  
ذلك الشر ونسيه كما نسيه ، وقطع الامداد الواصل اليه منه كما قطع العبد  
العبودية والشکر والقوى التي تناه من عباده ، قال تعالى (لَنْ يَشَأَ اللَّهُ لَحُومُهَا  
وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَا كِنْبَرُهَا التَّقْوَى مِنْكُمْ) فاذا امسك الى العبد عما ينال ربہ  
منه امسك الرب عما ينال العبد من توفيقه . وقد صرخ سبحانه بهذه المعنى  
بعينه في قوله تعالى (وَنَذَرَ لَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ) أي نحنلي بينهم وبين  
نقوصهم التي ليس لهم منها الا الظالم والجهل . وقال تعالى (وَلَا تَكُونُوا  
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَإِنَّمَا مَا أَنفَقُوكُمْ) وقال تعالى (أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ  
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) فعدم ارادته تطهيرهم وتخليته بينهم وبين نقوصهم اوجب  
لهم من الشر ما اوجبه . فالذي الى الرب ويفيدیه ومنه هو الخير ،  
والشركان منهم مصدره واليهم كان منتهاه . ففهم ابتدئت اسبابه  
بنخذلان الله تعالى لهم نارة وعقوبته لهم به نارة . واليهم انتهت غايتها  
ووقوعه . فتأمل هذا الموضع كما ينبغي فانه يحول عنك اشكالات حار فيها  
اكثر الناس ولم يهدوا الى اجمع بين الملك والحمد والعدل والحكمة

المسك الثالث : مسلك الرحمة فانها هي المستوالية الشاملة الماءمة  
للموجودات كلها وبها قامت الموجودات ، ففيها التي وسعت كل شيء والرب  
وسع كل شيء رحمة وعلما . فوصلت رحمته الى حيث وصل علمه ، فليس  
موجود سوى الله تعالى إلا وقد وسعته رحمة ، وشملته وناله منها حظ  
ونصيب . ولكن المؤمنون اكتسبوا اسبابا استوجبوا بها تكميل الرحمة  
ودوامها والكافر اكتسبوا اسبابا استوجبوا بها صرف الرحمة الى  
غيرهم . فاسباب الرحمة متصلة دائمة لا انقطاع لها لانها من صفة الرحمة .  
والاسباب التي عارضتها مضمحة زائدة لأنها عارضة على اسباب الرحمة  
طارئة عليها . و اذا كان كل مخلوق قد انتهت اليه الرحمة ووسعته فلا بد  
أن يظهر أثرها فيه آخرأ كا ظهر أثرها فيه أولا . فان أثر الرحمة ظهر فيه  
أول النشأة ثم اكتسب ما يقتضي آثار الغضب فإذا ترتبت على الغضب  
أثره عادت الرحمة فاقتضت أثرها آخرأ كا اقتضيته اولا لزوال المانع  
وتحصُول المقتضى في الموضعين

وما يوضح هذا المعنى ان الجنة مقتضى رحمته ومحفرة والنار من  
عذابه وهو مخلوق منفصل عنه . وهذه قال تعالى ( نَّبِيُّ عِبَادِي أَنِّي الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ وَأَنِّي عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ) وقل ( اندلعوا أنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) وقل تعالى ( إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ )  
فالنعم موجب اسمائه وصفاته واما العذاب فاته من مخلوقاته المقصودة  
لغيرها بالقصد الثاني . فهو سبحانه اذا ذكر الرحمة والاحسان والعفو نسبة

إلى ذاته وآخر انه من صفاته . وإذا ذكر العقاب نسبة إلى افعاله ولم يتصف به . فرحته من لوازمه ذاته وليس غضبه وعقابه من لوازمه ذاته فهو سبحانه لا يكون الا رحيمًا كما انه لا يكون الا حيَا عالِيَا قادرًا سميعا وأما كونه لا يكون الا غضبانا معدناً فليس ذلك من كماله المقدّس ولا هو مما ائنّى به على نفسه وتدح به

يوضح هذا المعنى انه كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب عليها الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته ولم يسبقها الغضب ولا غابها ووسع رحمته كل شيء ولم يسع غضبه وعقابه كل شيء ، وخلق الخلق ليرحمهم لا ليعاقبهم ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والفضل أحب إليه من العدل ، والرحمة آثر عنده من العقوبة . ولهذا لا يخلد في النار من في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير . وجعل جانب الفضل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعف إلى أضعاف كثيرة . وجانب العدل السيئة فيه بيضاها وهي معرضة للزوال بيسراً شيء . وكل هذا ينفي أن يخلق خلقاً لمجرد عذابه السرمدي الذي لا انتهاء له ولا انقضاء لحكمة مطلوبة إلا مجرد التعذيب والألم الزائد على الحاد . فاقدر الله حق قدره من نسب إليه ذلك ، بخلاف ما اذا خلقهم ليرحمهم ويحسن إليهم وينعم عليهم فاكتسبوا ما اغضبه واستخطه فاصابهم من عذابه وعقوبته بحسب ذلك العارض الذي اكتسبوا ، ثم اضمحل سبب العقوبة وزال وعاد مقتضى الرحمة . فهذا هو الذي يليق برحمة ارحم الراحمين وحكمة احكم الحاكمين

ومما يبين هذا ان الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً فقط، ويدخلها من ينشئه الله تعالى فيها، ويدخلها من دخل النار اولاً، ويدخلها الابناء بعمل الآباء. واما النار فذاك كله متنفس فيها ولا يدخلها من لم يعمل شراً فقط، ولا ينشي الله تعالى فيها ساقاً يعذبهم من غير جرم، ولا يدخلها من يدخل الجنة اولاً، ولا يدخلها الذريعة بکفر الآباء وعائهم. وهذا يدل على انها خاتمة اصيحة من دخالها لتدبر فضلاه وأوساخه وادرانه وتطهيره من خبيثه ونجاسته. كلکير الذي يخرج خبث الجواهر المتنعم بها واصيحة من ياخالها ليرده ذكرها واتابر عنها عن ذلمه وغيه. فليست الداران عند الله سواء في المصائب والاغاثات والحكم والمصالح  
يوضح ذلك : ان الله تعالى لا يعذب احداً إلا حكمة ولا يضع عذابه إلا في الحبل الذي يليق به ، كما اقتضى شرعيه العقوبات الدنيوية بالحاقد والمرء باقامتها لا فيها من المصالحة والحكم في حق صاحبها وغيره ، وكذا ما يقدرها من المصائب والألام ، فيها من الحكم ما لا يحصيه إلا الله من تزكية النفوس وتطهيرها والردع والزجر وتعريف قدر العاقبة وامتحان الخلاق ليظهر من يعبده على السراء والغراء من يعبده على حرف ، إلى أضعف أضعف ذلك من الحكم . وكيف يخلو أنظم العقوبات عن حكمة ومصالحة ورحمة ان مصدرها عن تقدير احكام الحاذفين وأرحم الراحمين ، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب . ولهذا يدخل النار من اهل التوحيد من فيه خبث وشر حتى يتظاهر فيها ويطيب . ومن كان فيه دون

ذلك جس على قنطرة بين الجنة والنار، حتى اذا هذب وتي أذن له في الدخول . و معلوم أن النقوس الشريرة " ظالمة المظلمة الايتمة لاتصالح لنك اندار التي هي دار الطيبين . ولو ردت الى الدنيا قبل العذاب لعادت لما هي عنده فولا تصاح لدار السلام التي سامت من كل عيب و آفة . فقتضت الحكمة تعذيب هذه النقوس عذابا يطهر نفوسهم من ذلك الشر والخبيث ويكون مصالحة لهم . رحمة بهم ذلا العذاب وهذا مقبول في الحكمة أما خلق نفوس مجرد العذاب " سرمدي لا حكمة ولا مصالحة فتأبه حكمة احكم الحاكين وأرحم الراحمين

يوضحه : إن الله تعالى قيد دار العذاب ووقتها بما لم يقيده به دار النعيم ويوقتها فقال تعالى في دار العذاب (لَا يُشَينَ فِيهَا أَسْفَدَ بَأْمَامَ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) فقيدها بالمشيئة والخبران ذلك صادر عن حكمته وعلمه . وقال تعالى ( وَأَمَّا الَّذِينَ شَفَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا أَزْفَرٌ وَشَرِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَأَمْتَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَمَالِكُ لِمَا يُرِيدُ ) وأما الجنة فإنه أخبر بيقاء نعيمها ودوامه وأنه لانفلاته ولا انقطاع ، فقال ( أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظَلَّهَا ) و قال ( إِنَّ هَذَا لِرِزْقَنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ ) وأما النار فغاية ما أخبر به عنها أن أهلها لا يخرجون منها وانهم خالدين فيها وماء منها يخرجون . وهذا مجمع عليه بين أئمة الاسلام وهو معلوم بالضرورة ان الرسول جاء به . ولكن الكلام في مقام آخر ان النار ابدية لا تنتهي اصلا كما ان الجنة كذلك . فهذا الذي تكلم فيه الصحابة والتابعون ومن بعدهم

قال حرب في مسائله سألت اسحاق عن قول الله تعالى (خالدِينَ فِيهَا  
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال انت هذه الآية على  
كل وعيد في القرآن . قال اسحاق : حديث عبد الله بن معاذ حديث  
معتمر بن سليمان قال قال ابي حدثني ابو نصرة عن جابر وابي سعيد  
او بعض اصحاب النبي ﷺ قال « هذه الآية تأتي على القرآن كله  
(إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَلَ كَمَا يُرِيدُ ) قال المعتمر قال ابي كل وعيد  
في القرآن » وقال ابن جرير في تفسيره : حديث الحسن بن يحيى حديث  
عبد الرزاق حديث ابن التيمي عن ابيه عن ابي نصرة عن جابر وابي سعيد  
وعن رجل من اصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ  
فَعَلَ كَمَا يُرِيدُ ) قال « هذه الآية تأتي على القرآن كله حيث يقول في  
القرآن خالدين فيها تأتي عليه » قال ابن جرير : حدثت عن ابن المسبب  
عن ذكره عن ابن عباس قال ( خالدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ  
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) قال « امر النار ان تأكلهم » قال وقال ابن مسعود  
« ليأتين على جهنم زمان تتحقق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يابشون  
فيها احقبا » وقال احمد حدثنا ابن حميد حديث اجرير عن ساق عن الشعبي قال جهنم  
أسرع الدارين عمرانا واسرعها خرابا » وقال حرب عن اسحق بن رهوية :  
حديث عبد الله بن معاذ ، حدثنا ابي ، حدثنا شعبة ، عن ابي باعج ، سمع عمر وبن  
ميمون يحدث عن عبد الله بن عمر وقال « ليأتين على جهنم يوم تصفق  
فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يابشون فيها احقبا » وقال اسحق

حدَثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاذَ ، حَدَثَنَا أَبْيَ حَدَّثَنَا شَعْبَةُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي أَبْوَبِ ، عَنْ  
أَبِي زَرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ «مَا لَنَا بِالَّذِي أَقُولُ إِنَّمَا يَأْتِي عَلَى جَهَنَّمْ يَوْمَ لَا يَقِنُ  
فِيهَا أَحَدٌ وَقَرَأَ ( وَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوُا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا أَزْفَرٌ وَشَبِيقٌ خَالِدِينَ  
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ مِلَّا يُرِيدُ

### فصل

ومن عدله سبحانه انه لا يزيد أحدا في العذاب على القدر الذي يستحقه ، وهذا أمر يشهد له اهل النار في النار ومدة الكفر والشرك منقطعة ، فكيف يكون العذاب على المنقطع سريراً بدلاً من آبد الآبدية لانقطاع له أبنته ؟ بخلاف النعمة ، فإنه عرض فضلها فدوامه لا ينافي الحكمة فمن قيل لما كان من نيةه ان يستمر على الشرك والكفر ولو عاش أبداً كان عقابه موافقاً لهذه النية والاصرار فالجواب : ان العقوبة الدائمة اما أن تكون مصالحة للمعاقب ، او لمدّعوب او لهم ، او لغيرهم ، او لمصالحة فيها أبنته . والا قسمان كلهما باطلة . اما المصالحة فانها انما تكون العقوبة مصالحة في حقه اذا كان عتاجاً اليها لشفاء غيظه واحفاء نار غضبه التي يتاذى بها . والله تعالى متبرئ عن ذلك كما فلم يبلغ العباد ضره فيضرونوه ، ولا نفعه فينفعونه ، ولو ان اول خلقه وآخرهم وانهم وجوههم كانوا على اجل قلب رجل واحد منهم ما ضرره ذلك شيئاً ولا نقصه من ملكه شيئاً . واما أنه لا مصالحة للمعاقب ولا لغيره في ذلك فظاهر . فتعين القسم الاخير وهو

اَهْلَ اِمْسَاخَةٍ فِيهَا وَمَا كَانَ كُفَّارُكُفَّارٍ بِمِنْ يَعْلَمْ اَنْ يَخْلُقَ  
شَيْئًا اَطْلَأْ اَوْ سَدَى اَوْ عَبَّا اَوْ خَالِيَا عَنْ مَصَاحَةٍ وَحُكْمَةٍ وَهَذَا يَخْلُقُ مَا اَذَا  
قِيلَ: وَضَعَتْ الْعَقوَبَةُ اِصْسَاحَةً وَتَقْدِيرَتْ بَقْدِرَهَا، فَذَلِكَ حَصْلَتْ الْحُكْمَةُ وَالْغَایَةُ  
الْمَطْلُوَبَةُ مِنْهَا وَتَرَبَّتْ اِصْسَاحَةُ اَتِيَ قَصَدَتْ بِهَا عَادَ الْاُمْرُ اِلَى الرَّحْمَةِ وَالْجَوْدِ  
ثُمَّ اَنْ هَذِهِ النُّفُوسُ اَظْلَمُهُمْ لِكَافِرَةِ لَهَا بِدَايَةٍ وَتَوْسِطٍ وَنِهايَةٍ، فَهِيَ  
فِي بِدَايَتِهَا قَابِلَةُ الْحَقِيقَةِ وَالْعَدْلِ، وَلَهُذَا مَا يَعْذِبُهَا اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَانْ عَلِمَ  
مِنْهَا اَنَّهَا اَعْمَلَتْ نَحْنَارَ الْكُفُرِ وَامْا فِي حَالٍ تَوْسِطُهَا مِنْ حِيثِ عَقْلَتِهَا وَقَاتَتْ  
عَلَيْهَا الْحَجَةُ فَانَّهَا اَسْتَحْقَتَ الْعَذَابَ حِينَئِذٍ لَاَنَّ الْعَقوَبَةَ مَعَ الْجَنَاحِيَةِ  
فَاقْتَضَتِ الْحُكْمَةُ تَأْخِيرَهَا اِلَى دَارِ الْجَزَاءِ لِمَا اَنْ تَرَاجِعَ الْحَقُّ فَتُضَربُ  
لَهَا مَدْةُ الْحَيَاةِ اُجْلًا وَمَدْةً تَمْكُنَ فِيهِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَاسْتِدْرَاكِ  
الْفَارَطِ . فَلَمَّا تَفَعَّلَ ذَلِكَ حَمْمٌ عَلَيْهَا الْعَقوَبَةُ . وَمَعْلُومٌ اَنَّهَا اَعْمَلَتْ  
فِي مَدْةِ الْحَيَاةِ عَلَى غَيْرِهَا وَكَفَرَهَا لِقِيَامِ الْاَسْبَابِ اَتِيَ زَيْنَتْ لَهَا ذَلِكَ وَلَوْلَا  
تَلِكَ الْاَسْبَابُ لَأَرَتَ رَشْدَهَا فَانَّهُ مُقْتَنِيٌ فَطَارَتْهَا وَلَارِبَ اَنْ تَذَكَّرَ  
الْاَسْبَابُ تَبَطَّلُ وَتَضَعُفُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَسْجُمُ فِي دَارِ الْعَذَابِ، بِاَعْمَالِ  
وَضَعَتْ تَلِكَ الدَّارَ لِازْلَهَ تَلِكَ الشَّرُورَ، وَكَيْفَ تَدُومُ تَلِكَ الْاَسْبَابُ  
وَقَدْ دَاقَرُوا نَقْوِبَتِهَا وَأَمْلَأُوا الشَّدِيدَ، وَتَقْنَوْا اَنَّهَا كَانَتْ اَفْرَى شَيْءًا عَلَيْهِمْ  
وَنَدَمُوا عَلَيْهَا اَنْظَمُ الشَّدَمَ، وَلَيْسَ فِي الطَّبِيعَةِ الْاَنْسَانِيَةِ الاصْرَارُ عَلَى تَلِكَ  
الْاَسْبَابِ وَإِثْارَهَا بَعْدِ طَولِ الْأَمْمَ الشَّدِيدِ بِهَا نَعْمَ الْعَذَابُ بَاقٍ مَا بَقِيَتْ،  
فَادَّا قَدْرَ زِوَالِهَا وَتَبَدُّلِهَا وَافْرَارِ اِسْحَابِهَا عَلَى اَنْفُسِهِمْ اَنْهُمْ كَانُوا خَالِلِيْنَ، وَانْ

الله تعالى انما عندكم بعده وشہدوا على انفسهم انهم لا يصلح لهم غير ما في  
من المقوبة ، وان حمده سبحانه ازدهر تناك الدار ، فقام بقاويم حمده  
وشكره والثناء عليه بموجب اسهامه وصفاته التي كانت في فطرتهم اولاً ،  
وحمدوه حمد محب معرف بالذاتية وآثر وارضاه على كل شيء . فلو قام هذا  
بقلوبهم حقيقة ونلهم الله منهم لصارت النار برداً وسلاماً عليهم ، كأنني  
الآخر المرفوع الذي ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب « حسن الظن بالله »  
از رجلين من دحلاً اشار اشتد صياحهما فقال تعالى : اخرجوها ، فاخروا  
فقال : لا ي شيء اشتد صياحكمما فاما : فعلنا ذلك لترجمتنا . قال : رجتني  
بكم أن تختلفوا نهانا انفسكم حيث كنتما من النار . قال فينطلاقان ، فيلقي  
احدها نفسه فيها ، فيجمعها الله برداً وسلاماً عليه ، ويقوم الآخر فلا يلقي  
نفسه . فيقول له الرب : ما منعتك ان تلقي نفسك كما لقي صاحبك ؟ فيقول  
رب اني ارجو الا تعيدي فيها بعد ما اخرجني . فيقول الرب لك رجاؤك  
فيدخلان جميعاً الجنة » وذكر ابن أبي الدنيا ايضاً حديثاً آخر مرفوعاً إلى  
النبي ﷺ قال « يؤسر بالخروج وجلين من النار ، فإذا اخرجا ورقنا . فقال  
الله لها : كيف وحدتما مقيلها وسوء صيرها ؟ فيقولا لاز شر مقيل واسوء  
صير صار اليه العباد فيقول لها : بما قدست ايديكما وما أنا باظنكم العبيد .  
قال فيؤسر بعمرتها الى النار . قال فاما احدها فيمدو في اغلاله وسلامه  
حتى يفتحها . واما الآخر فيتلها فيؤسر بردها . فيقول للذى عدا في  
اغلاله وسلامه حتى افتحها : ما حملك على ما صنعت ، وقدخبرتها ؟ فيقول

أني قد خبرت من وباً المعصية ماماً كن لا تعرض لسخطك ثانية . ويقول  
الثالثاني : ما حملك على ما صنعت ؟ قال حسن فلني بك حين اخرجتني الا  
تردفي اليها فرحمها الله تعالى وامر بها الى الجنة » وفي رواية « انه يقول  
للأول لو حذرته مثل حذرك في الآخرة لم ادخلك النار ويقول  
لآخر لو احسنت ظنك بي في الدنيا مثل حسن ظنك بي اليوم ما ادخلتك النار  
وفي المسند وغيره من حديث الدين يدلون على الله بالحجۃ يوم القيمة  
المعته ، والاصم ، والمتوفی في الفترة . وان الله تعالى يؤجج لهم نارا  
ويقول : اقتحموها . فن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن امتنع جر اليها  
 فهو لاء لما آثر وامضاته بالعذاب على مرضات انفسهم ، وقام بقلوبهم  
ان رضاه في تعذيبهم احب اليه من رضام في خلافه استحالات النار في حقهم  
وانتقلت بردا وسلاما وهذا امر مشاهد في الواقع بين الناس ، وهو في  
اقتضائه رفع العقوبة نظير اقتضاء التوبة بدفعها فان المذنب لو بلغت  
ذنبه عنان السماء اذا الق نفسه بفناء من اساء اليه وتوسد عتبة بابه فوضع  
خده عاليها مستسلاما مسلما نفسه اليه ليقف فيهما ما اراد ، راضيا بما يقضيه فيه  
حامده الله عليه ، علينا اذ الحق له ، وقد سلم اليه محل الحق يستوفيه منه ،  
فانه متى فعل ذلك اذهب ما في قلب من اساء اليه من الحنق والغيظ  
وعاد مكان الغضب عليه رقة ورحمة هذا مع حاجته وبلغ اذاه ووصوله  
اليه وقلت صبره وضعف احتماله فكيف بالغنى الحميد الذي لن يبلغ  
العباد ضره ولا نفعه ؟ فلا تزید عقوبهم في ملكه شيئاً وهو ارحم الراحمين

فهذا القدر من وحده في قلبه في الدنيا لم يدخل دار الشقاء إلا محلة القسم  
ومن لم يظهر له هذا في الدنيا فأنه سيعلمه يقينًا في الآخرة كما قال تعالى ( فَاعْرَفُوا  
يَوْمَ نُبْعَثُ ) وقال ( أَعْلَمُوا أَنَّ أَنَّقَتِهِ اللَّهُ ) وقال تعالى ( قَالُوا رَبُّنَا أَمْتَنَا أَنْتَنَا  
وَأَحَيْتَنَا أَنْتَنَا فَاعْرَفْنَا يَوْمَنَا فَهُنَّ إِلَى حُرُوجٍ مِّنْ سَيِّلٍ ) فلا شيء  
انفع لهم في عذابه من حمدته والثناء عليه وسبته على كماله وعدله فيهم ، وقولهم :  
إن كان هذار ضال فلان طلب غيره ويستدغم ضبهم على نفوسهم ومقدمهم طاموا فقة  
لغضب ربهم ومولائم ولكن هذا القدر لا تسمح به النفوس الشيئية الجاهلة  
الغافلة اختياراً فإذا عوقبت بما تستحقه وبلغ منها العذاب مبالغه وكسرها  
واذلها ، فإن أراد بها خيراً أشدها ذلك وجعله حاضراً عندها ، فلرجمة  
حيث شد أدنى إليها من العقوبة ، والمغفو أقرب إليها من الانتقام ، فإن  
أراد بها بارتها وفاطرها إن يرجها أهتمها ذلك فانتقمت به من حال إلى  
حال ، فإن شاء أنشأها بعد ذلك نشأة أخرى وطبعها على غير طبيعتها  
الأولى ، فهو على كل شيء قادر ، وهو الحكيم العليم فلا يظن به من سوء  
فهمه أن هذا ينافق ما أخبر الله ورسوله به واتفق عليه سلف الأمة  
انهم مخلدون في النار ومأمة منها بمحرجين وكلما أرادوا أن يخرجوا منها  
اعيدوا فيها . فمن رد ذلك وكذبه فهو كافر جاحد لما علم بالاضطرار أن  
الرسول عليه السلام أخبر به ، فليس في هذا نظر ولا شك . وإنما الشأن في  
كون النار أبداً كاجنة لا تفني أبداً وإنما فتى دامت ناراً فهم فيها خالدون

## فصل

ولترجع الى المقصود وهو ان الدين فلوا عذاب الكفار مصاحة لهم  
ورحمة لهم حاموا حول هذا المدى، ولم يتهموا لجته وإلا فائي مصاحة لهم  
في عذاب لا ينقطع، وهو دائم بدوام الرب تعالى. فتأمل هذا الوجه  
حق التأمل واعطه حقه من النظر واجع بين ذاك وبين معانٍ اسماه  
وصفاته، وما دل عليه كلام الله وكلام رسوله، وما قله الصحابة ومن  
بعدهم، ولا تبادر الى القول بلا علم ولا الى الانكار، فلن اسفر لك صبح  
الصواب والافرد الحكم الى عارده الله اليه بقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُرِيدُ)  
وتهلك بقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه، وقد ذكر دخول أهل الجنة  
الجنة وأهل النار النار، وصف حالهما ثم قال « ويفعل الله بعد ذلك ما شاء »  
الوجه الرابع ان الذي يختلف الله سبحانه وينظره من الامور نوعان :  
غایيات ووسائل وقد افتتحت حكمته ان الوسائل تضليل وتبطل اذا  
حصلت غایتها كما يبطل السفر عند بلوغ المزد، ويزيل الاكل وانشرب  
عند حصول الشبع والري وانذيرات والمنافع هي الغایيات المقصودة لنفسها ،  
وأشدود والآلام اما تقصد قصد الوسائل ، لا فدأها الى اخبرات  
والمنافع . وما كان مقصودا لنفسه فلن يقاهه ودراجه هو مقتفي الحكمة .  
اما اذا كان مقصودا لغيره فذا حصل ذلك المقصود به لم يكن في دوامه  
وبه حكمة ولا مصاحة ، والله تعالى خلق النار سوطا يسوق بها عباده  
الى درجة وجنته ، ومحظوظ بها من معصيته ، ويظهر بها من اكتسب

من عباده خبذا ونجاسة ، ولا يصاح الا به المساكنه في جنته ، ونقوته  
يأقى بها اعداءه على مقدار جرائمهم وهذه كاين امور مقصودة لغيرها  
مفضية الى مصالح مقصودة لنفسها

يوضحه الوجه الخامس ان الله سبحانه جعل الشدائـد والآلام والشـرور  
في هذه الدار بـراء لـادوامـها ، وجعل الشـدة بين فرجـين فـرج قبلـها  
وفـرج بـعدهـا . والعـسر بين يـسرـين و البـلاءـ بين عـافـيتـين . نـلـيس عـنـدهـ شـدة  
دائـمة ، ولا بـلاءـ دائـمـ ، ولا كـربـ دائـمـ في هـذـهـ الدـارـ التيـ هيـ دـارـ ظـلمـ ، بـلاءـ ،  
وـخـيرـاتـهاـ مـزـوجـةـ بـشـرـورـهاـ . وـذـكـ انـ الـآـلامـ وـالـشـدائـدـ شـرـورـ ، وـالـشـرـ  
ليـسـ الىـ اللهـ بـخـالـفـ اـخـيـراتـ وـالـنـعـمـ فـاتـهاـ منـ مـقـتـضـيـ اـسـهـامـ وـصـفـاتـ ، فـهيـ  
دائـمةـ بـدوـامـهـ . وـمـعـلـومـ انـ الدـارـ التيـ هيـ حـقـ منـ كـلـ وـجـهـ اـولـىـ انـ يـكـرـنـ  
الـدـوـامـ خـيـرـاتـهاـ وـلـذـاتـهاـ وـمـسـرـاتـهاـ وـانـ تـكـوـنـ شـرـورـهاـ اـلـىـ اـضـمـحـلالـ وـزـوـالـ  
يـوضـحـهـ الـوـجـهـ الـادـسـ انـ اـقـضـاءـ الـاـلـاهـيـ خـيـرـ كـلـ . فـانـ مـصـدرـهـ عـلـمـ  
الـهـ وـحـكـمـتـهـ وـكـالـهـ المـقـدـسـ ، فـهـوـ خـيـرـ كـلـ وـمـصـاحـةـ وـحـكـمـةـ وـعـدـلـ وـرـجـمـةـ ،  
وـدـخـولـ الشـرـ فـيـ بـالـعـرـضـ لـاـ بـالـذـاتـ ، كـالـشـرـ العـارـضـ فـيـ الـاطـرـ وـالـبـرـدـ وـالـمـطـرـ  
وـالـاـكـلـ وـاـشـرـبـ وـالـاعـمـالـ النـافـعـةـ وـماـ بـالـعـرـضـ لـاـ يـقـصـدـ لـذـاتـ ، فـلـاـ يـجـبـ  
دـوـامـ ماـ يـقـصـدـ لـذـاتـهـ مـنـ اـخـيـراتـ وـالـنـفـعـ

الوجه السابع : إنك إذا اعتبرت هذه الألام والشدة وانعمة والرحة  
خشوها فظاهرها نعمة وباطئها نعمة ؛ فكم قمة جاءت نعمة ؛ وكم من بلاء  
جاب عافية ؛ وكم من ذلجل عزا ، وكسر جل جيراً . إذا اعتبرت أكثر

الخبرات والمسرات والذذات وجدتها إنما ترتبت على الآلام والشاق ، وأعظم الآلة واجها ما كان سببه انتظام أمّا ومشقة . وهذا مشاهد في هذه الدار بالعيان . ولما كانت أعلى الدرجات درجة أهل الجهاد كان أشق شيء على النفوس واكرهه إليها قال الله تعالى ( كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُكْرِهُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) وهذا قيل : وربما كان مكره النفوس إلى \* محبها سبباً ما مثله سبب فلان يصل إلى الراحة والآنة إلا على جسر التعب والآلم ، وهذا يريث أن المصائب والآلام حشوها نعم ولذات ومسرات ؟ . وهذا لأن الرحمة لها السبق والغلبة . فما في طي النقم والعقوبات من الرحمة أسبق من العقوبة ؛ وهي الغاية لغضب فلا بد أن يغلب أمرها أثر الغضب كما غلت الصفة الصفة

يوضحه : الوجه الثامن أن الرحمة سبقت إلى هذا العذاب وظهر أثرها فيه فوجد بها وعاش وسمع وابصر بها وبطش بها ومشى بها وتحرك بها وإنما لولا أنها سبقت إليه لم يكن له قيام ولا حياة بل إنما استظر على ماء يرب ومخالفته بالرحمة التي سبقت إليه ووسعته ففاحت أسباب هلاكه وتلفه فلما تكنت أسباب التلف والهلاك واقتضت الرحمة أن جمل لها أسباب في مقابلتها من موجتها ومقتضاهَا تزييفها ومحو أثرها ليخلص موجب الرحمة فيظهر أثره ودوام العذاب بدوام تلك الأسباب فلو زالت زالت العذاب

يوضحه الوجه التاسع : ان هذه النقوس فيها ما يقتضي الرحمة من افرازها  
بفاطرها وربو بيته وعلمه وقدرته وسمعيه وبصره وشبيته وتعظيمه واجلاله  
وسؤاله وفيها ما يقتضي الغضب والعقوبة كالشرك به وإشاره واهما على طاعته  
ومرضاته ولما كان مقتضى العقوبة فيها أقوى كان الحكم له . ومعلوم أن العقوبة  
ان لم تذهب الاسباب المقتضية لها ولم تزلها بالكلية فإنها تخففها وتضعفها ،  
فاما ان تقاوم اسباب الرحمة واما ان تترجم عليها . وعلى التقديرتين يبطل  
اثرها قال الله تعالى ( وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ )  
وقل تعالى ( قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُنَّ اللَّهُ )  
إلى آخر الآيات فهم يعلمون ان الارض ومن فيها له ، وانه رب السموات  
والارض ورب العرش العظيم ، وان يده ملكوت كل شيء وهو يحيي  
ولا يحيي عليه ، وإذا مسهم الضر في البر والبحر تضرعوا اليه وفزعوا اليه  
وقالوا : أن ما نعبد من دونه هذه الآلهة لتقر بنا اليه ، وتشفع لنا عنده ،  
وهو مالكها ونواصيها يده ويحبونه ويقصدون التقرب اليه . وهذا مما  
وضعه فيهم برحمته ونعمته ، فعلم فيهم ما يقتضي رحمته ونعمته ولكن  
لما غابت اسباب النعمة كان الحكم لغلب . وذلك لا يمنع اقتضاء  
المغلوب اثره وترتبه عليه

وقد ثبت في الصحيح ان الله يقول للملائكة اخرجوا من النار من  
في قلبه من الخير ما يزن ذرة او برة وأنها تخرج منها من في قلبه ادنى مثقال  
ذرة من ايمان فانظر هذا الجزء اللطيف جداً كيف غالب تلك الاسباب

الكثيرة القوية وابطأها وعاد الحكم له وثبت في الصحيح « انه يخرج منها من لم ي عمل خيراً قط » ولكن هذا اخراج منها وهي باقية على حقيقتها وناريتها فاخراج منها بهذا الجزء اليسير . وعلم ان اعداءه المشركون لن تخروا قلوبهم من الإيمان به قال الله تعالى ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) فابتدا لهم إيماناً مع الشرك . وهذا الإيمان وإن لم يؤثر في اخراجهم من النار كا اثر إيمان أهل التوحيد ، بل كانوا معه خالدين فيها بشركهم وكفرهم ، فإن النار إنما سرها عليهم الشرك والظلم ، فلا يتنعم في الرحمة والحكمة والعدل أن يطفئها ويدهبا بعد أخذ الحق منهم ، فيجتمع ضعف أسباب تسعيرها وقوة أسباب زوالها فهذا غير متنعم في الحكمة الالهية . ولم يخبر به الرسول بامتناعه وأنه لا يكون في موضع واحد ، ولا دل على ذلك نقل ولا عقل . بل الذي دل عليه النقل والاجماع انهم خالدون فيها ابداً ، وأنهم ليسوا بخارجين منها ، ولا يموتون فيها ، ولا يحيون . وهذا متفق عليه بين المسلمين . وإنما الشأن في امر آخر

الوجه العاشر : أن أسباب العذاب من النفس وغاياتها اتباع اهوائها وأما أسباب اخرين فنربها وفاطرها هو الغاية والمقصود بها فهي بهوله . قال الله تعالى ( مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنِ نَفَّسَكَ ) فالحسنات مصدرها من الله وغايتها منتهية إليه . والسيئات من النفس وهي غايتها قال الله تعالى ( وَمَا يَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ) فليس للحسنات سبب الا مجرد فضل الله ومنته ، والاعمال الصالحة وإن كانت أسباب النعم

والخيرات فن وفقه لها وأعنه عليه أشاء هاله سواه ؟ فالنعم وأسبابها من الله .  
واما السينات التي أسلفها العبد فن نفسه ، وسببها جهله وظلمه . فإذا ترتب  
عليها سينات الجزاء كان كالسبب والمسبب من نفسه ، فليس الجزاء السيء في  
الدنيا والآخرة سبب الأذنوب العبد التي من نفسه فالشر كله من نفسه والخير  
كله من ربه فإن أكثره ليس للعبد فيه مدخل . فإن الله هو الذي انعم عليه به  
ولهذا قال بعض السلف « لا يرجون عبد الاربه ، ولا يخافن الا ذنبه »  
ولهذا قال تعالى ( مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ  
نَفْسِكَ ) نخص بالخطاب تنبئها على الادنى ولم يخرجه في صورة العموم  
لثلا يتوجه متوجه انه عام مخصوص . فكان ذكر الخاص ابلغ في العموم  
وقصده من ذكر العام . فتامله فإنه أسلوب عجيب في القرآن  
والمقصود أن سبب الحسنات كلها هو الحليقي القيوم الذي لم يزل ولا يزال  
وهو الغاية المقصودة من فعاليتها فتدوم بدوام سببها . واما السينات فسببها  
وغايتها منقطع هالك فلا يجب دوامها . فتأمل هذا الوجه فإنه من الطف  
الوجه . فإن الاسباب تضمه محل باضمحلال غاياتها وتبطل بطلاقها . ولهذا  
كان كل عمل باطلا الا ما يريد به وجه الله . فإن جزاءه وثوابه يدوم بدوامه وما  
لم يرد به وجهه واريد به ما يضر محله ويقى فانه يقى بفتنه قال الله تعالى ( وقدمنا  
إلى ما تعلوا من عمل بغيرنا هباءً منثوراً ) وهذه هي الاعمال التي كانت لغيره  
فكما ان مالا يكون به لا يكون فا كان لغيره لا يدوم وهذا كان لبعض  
حكم الله تعالى في تخريب هذا العالم ان يشهد من عبد شيئاً غيره انه

لا يصاح ب العبادة والآلوهية ويشهد العابد حال معيوده . والمقصود ان النعم تدوم  
بدوام سببها وغايتها وان الشرور والآلام تبطل وتضمحل باضمحلال سببها  
فهذه الوجوه وغيرها تبين ان الحكمة والاصحاح في خلق النار تقتضي  
بقاءها ببقاء السبب والحكمة التي خلقت له فإذا زال السبب وحصلت الحكمة  
عاد الامر الى الرحمة السابقة الغالية الواسعة

يزيده وضوحاً الوجه الحادي عشر : ان الرب يستحبيل ان يكون  
إلا رحيمًا فرحته من لوازمه ذاته ولهذا كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب  
على نفسه الغضب فهو لم ينزل ولا يزال رحيمًا ولا يجوز أن يقال أنه لم ينزل  
ولا يزال غضبان ، ولا أن غضبه من لوازمه ذاته ، ولا أنه كتب على نفسه  
العقوبة والغضب ولا أن غضبه يغلب رحمته ويسبقها  
وتأمل قوله عليه السلام في حديث الشفاعة « ان ربى قد غضب اليوم  
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله » فإذا كان ذلك الغضب  
الشديد لا يدوم ولا يستمر بل يزول وهو الذي سعر النار ، فتها إنما  
سررت بغضب الجبار تبارك وتعالى . فإذا زال السبب الذي سعرها ،  
فكيف لا تطفأ وقد طفى غضب الرب وزال ، وهذا بخلاف رضاه فإنه  
من لوازمه دائمًا بدوامها ولهذا دام نعيم أهل الجنة والبرى ، كما يقول  
 لهم في الجنة « اني احل عليكم رضوانى فلا أسيخط عليكم ابدا » فكيف  
يساوي بين موجب رضاه وموجب سخطه في الدوام ولم يستوي الموجبان

الوجه الثاني عشر : انه كما قيد الفضب الشديد بذلك اليوم قيد العذاب المرتب عليه به كما في قوله (فَأَخْتَلَّ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَدَابِ يَوْمِ الْيَمْرِ) و قوله (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهُدٍ يَوْمَ عَظِيمٍ) يجعل العذاب والشهدواقعين في ذلك اليوم العظيم بل جعل العذاب عذاب يوم العذاب أبداً ولا يقال في الشيء الابدي الذي لا يفنى ولا يبيد انه عمل يوم وطعام يوم وعداب يوم ، ولم ينتقض هذا بقوله سبحانه (وَلَقَدْ صَبَحُوهُمْ بِكُرَّةَ عَدَابٍ مُسْتَقْرٍ) ولا بقوله (فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَوْرٍ) فان استقراره واستمراره لا يقتفي أبداً يتلاعف ولا ينفك ولا ينفصل

وقد اخبر سبحانه عن بطنه الام انه مستقر الجنين بقوله (وَنَفَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ) و قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ كُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةً فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ ) سواء كان المستقر صلب الاب المستودع بطن الام او عكس ذلك ، أو دار الدنيا ودار البرزخ كاهي اقوال المفسرين في الآية فالمستقر لا يدل على انه ابدي . وكذلك المستمر لا يدل على الابدية فاستقرار كل شيء واستمراره ودوامه وخلوده وثباته بحسب ما يليق به من البقاء والاقامة و قال تعالى (لَا يَرِينَ فِيهَا أَحْقَاباً) وهذا لا يقال في لبث لا انتهاء له . و تأويل الآية عند من تأولها انهم يأتون فيها احقيابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا اي لا يذوقون في تلك الاحقياب بردا ولا شرابا ، لا يفيدهم شيئاً فانه يلزم على تأويله انهم يذوقون البرد والشراب بعد مضي تلك الاحقياب ومتى ذاقوا البرد والشراب انقطع عنهم العذاب

الوجه الثالث عشر : انه سبحانه وتعالى يذكر نعيم أهل الجنة فيصفه  
بأنه غير منقطع ، وأنه ماله من نفاد . ويذكر عقاب أهل النار ثم يخبر  
معه انه فعال لما يريد أو يطلقه فالاول كقوله ( فَمَا مَا الَّذِينَ شَفَوْا فِي النَّارِ  
لَهُمْ فِيهَا زَفَرٌ وَشَوَّقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ  
إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَمَا مَا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاهُ غَيْرُ بَحْدُودٍ ) وأما الثاني فكقوله  
( هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحْنَ مَثَابٍ . جَنَّاتٌ عَدْنٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ  
مَذَكَّرَتِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا يَغَا كَهْفٌ كَثِيرٌ وَشَرَابٌ . وَعِنْدُهُمْ قَاصِرَاتٌ  
الطَّرْفِ أَقْرَابٌ هَذَا مَا تَوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَالَهُ  
مِنْ نَفَادٍ هَذَا وَإِنَّ لِطَاغِيْنَ لَشَرٌّ مَآبٌ جَهَنَّمَ يَصْلُوْهُمْ فِيْئِسَ الْمِهَادِ ) إلى قوله  
( إِنَّ ذَلِكَ لَحْقٌ لِنَخَاصُمُ أَهْلَ النَّارِ ) ولم يقل فيه مقالة في النعيم . وقرب من  
هذا انه سبحانه وتعالى يذكر خلود أهل النعيم فيه فيقيده بالتأييد ويذكر  
معه خلود أهل العذاب فلا يقيده بالتأييد بل يطلقه وهذا كقوله تعالى  
( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالشَّرِكَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ .  
جَزَّاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَمْجُرُونَ فِيهَا الْأَمْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ مِنْ خَيْرِ رَبِّهِ ) ولا ينتقض هذا قوله ( وَمَنْ  
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ) فان تأييد الخلود فيها  
لا يستلزم ابديتها ودوام بقائها بل يدل على انهم خالدون فيها ابداً مادامت  
كذلك فالابد استمرار في ما دامت موجودة . وهو سبحانه لم يقل

انها باقية ابدا . وفرق بين الامرین فتأمله . على ان التأيید قد جاء في  
القرآن فيما هو منقطع كقوله عن اليهود (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا إِنَّمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)  
وهذا انما هو ابد مدة حیاهم في الدنيا وإلا فهم في النار يتمنون الموت  
حين يقولون (يَا مَا لِكُ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رَبَّكَ) وقول العرب : لا أفعل هذا  
ابدا ولا أتزوج ابدا أشهر من أن تذكر شواهدہ وانما يريدون مدة  
منقطعة . وهي أبد الحياة ومدة عمرهم . فهكذا الا بد في العذاب هو ابد  
مدة بقاء النار ودوامها

الوجه الرابع عشر : انه لو كانت دار الشقاء دائمة دوام دار النعيم وعداب  
أهلها فيها مساواة بالنعيم أهل الجنة بدوامه لم تكن الرحمة غالبة للفضب  
بل يكون الفضب قد غالب الرحمة وانتفاء اللازم يدل على انتفاء ملزمته .  
والشأن في بيان الملازمة واما انتفاء اللازم فظاهر . وقد دل عليه الحديث  
المتفق على صحته من حديث أبي هريرة عن النبي عليه السلام انه قال « لما قضى الله  
الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي »  
ويبيان الملازمة ان المعذبين في دار الشقاء اضعاف اضعف اهل النعيم ،  
كما ثبت في الصحيح « ان الله تعالى يقول يا آدم ، فيقول : ليك وسعديك  
والخير في يديك ، فيقول : ان الله يأمرك ان تبعث من ذريتك بعث  
النار . فيقول : ربى ، وما بعث النار ؟ فيقول : من كل الف تسعمائة وتسعة  
وتسعون إلى النار ، وواحد في الجنة » فقال الصحابة : يا رسول الله ، واينا  
ذلك الواحد ؟ فقال « ان معكم خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه :

يأجوج ومأجوج » فعلى هذا أهل الجنة عشر عشر أهل النار . وإنما دخلوها بالغضب فلو دام هذا العذاب دوام النعيم وساواه في وجوده ل كانت الغلبة لغضب . وهذا بخلاف ما إذا كانت الرحمة هي الغالبة فإن غلبها تقتضى نقصان عدد المعدين أو مدتهم

يوضحه الوجه الخامس عشر : إن الله تعالى جعل الدنيا مثلاً وإن نورها عبرة لما أخبر به في الآخرة ، بجعل آلامها ولذاتها وما فيها من النعيم والعذاب وما فيها من النار والحرير والذهب والفضة والنار تذكرة ومثلاً عبرة ليستدل العباد بما شاهدوه على ما أخبروا به ، وقد أنزل في هذه الدار رحمة وغضبه واجرى عليهم آثار الرحمة والغضب ويسر لأهل الرحمة أسباب الرحمة ولاهل الغضب أسباب الغضب ، ثم جعل سبحانه الغلبة والعاقبة لما كان عن رحمة ، وجعل الأصل حلال والزوال لما كان عن غضبه فلا بد من حين قامت الدنيا إلى أن يرثها الله ومن عليها أن تقلب آثار رحمة آثار غضبه ، ولو في العاقبة . فلا بد أن يغلب الرخاء الشدة والعافية البلاء ، وأن يغير وأهله ، الشر وأهله وإن أديلو أحياناً فإن الغلبة المستقرة الثابتة للحق واهله وآخر أمر المبطلين الظالمين إلى زاول وهلاك فقاموا الشر والباطل جيش إلا أقام الله سبحانه للحق جيشاً يظفر به ويكون له العلو والغلبة قل تعالى ( ولقد سبقت كلامتنا لعبادنا المرسأين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الفايقون ) فكما غالب الرحمة غالب جندها . وإذا كان هذا مقتضى حمده وحكمته في هذه الدار فهكذا في دار الحق

المحض تكون الغلبة لما خلق بالرحمة والبقاء لها . وسر هذا الوجه وما يتصل به ان الخير هو الغالب لاشر وهو المهيمن عليه الذي لو دخل جحر ضب لدخل خلفه حتى يخرجه ويغيره واذا كانت لاشر دولة وصولة لحكمة مقصودة لغيرها قصد الوسائل فان الخير مقصود مطلوب لنفسه قصد الغايات

الوجه السادس عشر : انه قد ثبت في الصحيح ان الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقاً يسكنهم ايها بغير عمل كان منهم ، مجنة منه للجود والاحسان والرحمة . فإذا كان جزده ورحمته قد اقتضيا ان يدخل هؤلاء الجنة بغير تقدم عمل منهم ولا معرفة ولا اقرار فما المانع ان تدرك رحمته من قد اقر به في دار الدنيا واعترف بالله ربه ومالكه واكتسب ما اوجب غضبه عليه ، فما يعقبه بما اكتسبه ، وعرفه حقيقة ما جترحه ، وشهد له انه كان كاذباً مبطلاً ، وان رسلاهم الصادقون الحقون ، فشهد ذلك ، واقر على نفسه وتقطعت نفسه حسرة وندما وآخرت النار منه خبيثه كما يخرج الكبير خبث الحديد ولا يقال الخبث لا يفارقه ولا اصرار لا يزول عنهم ، كما قال تعالى ( وَلَوْ رُدُوا لِعَادُوا لِمَا تَهْوِي عَنْهُ ) فاز هذاليس في حكم الطبيعة الحيوانية . ولهذا في الدنيا ما يسمى العذاب تجده عقدة الاصرار قد انحلت عنهم وانكسرت نخوة الباطل ولكن لم تظهر قلوبهم بذلك وحده . واما قوله تعالى ( وَلَوْ رُدُوا لِعَادُوا لِمَا تَهْوِي عَنْهُ ) فذلك قبل دخول النار فقالوا ( يَا أَيُّهَا النَّارُ إِنَّا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُكْفِرُونَ إِنْ قَبْلَ وَلَوْ رُدُوا لِعَادُوا لِمَا تَهْوِي

عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهذا إخبار عن حالهم قبل أن يدخلوا النار وقبل أن تذيب لحومهم ونفوسهم التي نشأت على الكفر فانقلب بعد كامن فيها فلو ردوا والحاله هذه لعادوا ما نهوا عنه والحكمة والرحمة تقتفي ان النار تأكل تلك الاجوام التي نشأت من اكل الحرام ، وتنضج تلك الجلود التي باشرت محارم الله تعالى ، وتطلع على الافتداء التي اشركت به وعبدت معه غيره ، فتسليط النار على هذه القلوب والابدان هو غاية الحكمة ، حتى اذا اخذت المسألة حقها وأخذت العقوبة منهم مأخذها وعادوا الى ما فطر واعله وزال ذلك انقلب والشر الطارى على الفطرة ، والعزم بالحكم حينئذ حكم هو اعلم به وهو الفعال لما يريد

الوجه السابع عشر : ان ابداية النار كابدية الجنة ، اما ان يتلي القول بذلك من القرآن او من السنة ، او من اجماع الامة ، او من ادلة المعقول ، او من القياس على الجنة . والجميع مختلف ، اما القرآن فانما يدل على انهم غير خارجين منها فهن اين يدل على ذواهم وبقاء ابديتها ؟ فهذا كتاب الله وسنة رسوله ارون بذلك منها او هذا بخلاف الجنة فان القرآن والسنة قد دلا على انها لا تبيد ولا تفني . واما الاجماع فلا اجماع في المسألة وان كان قد حكم غير واحد وجعلوا القول بغيرها من اقوال اهل البدع ، فقدر ايت بعض ما في هذا الباب عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم . واما من حكم الاجماع فاما ان يكون قد حكم به ووجب علمه كما يحكي الاجماع كثيرا على ما يخالف فيه مشهور غيره خني وابلغ من هذا حكاية الاجماع كثيرا على ما يخالف

القديم على خلافه . وهذا كثير جداً مما يعلمه أهل العلم ولو تبعناه لزاد على  
ما ثني موضع . وأما أن يكون من حكى الاجماع اراد ان الامة اجتمعت على  
بطلان قول الجهمية بفناء الجنة والنار وانها يشتهر كأن في ذلك ، فنعم  
اجتمعت الامة على خلاف هذا القول . فلما قال السلف ان الامة مجتمعة  
على خلاف ذلك ظن من تلقى منهم ذلك ان الاجماع على خلافه في الموضعين .  
وايضاً فان الامة مجتمعة على خلاف قولهم في الدارين ، فا لهم يقولون ان الله  
تعالى لا يقدر على ابقاء البدائل باذراز من ذلك وجود حادث لانها ية لها قالوا :  
وهذا ممتنع كان وجود حادث لا بد منه لها ممتنع ، فيعنيان بانفسهما من غير  
ان يغتصبها الله تعالى . وهذا القول لم يقل به احد من اهل الاسلام  
سوى هذه الفرقة الضالة ، او يكون حكايتهم الاجماع على ان اهل النار  
لا يخرجون منها ابداً فهو مما اجمع عليه سلف الامة . فهذه ثلاثة حال  
للراجح ولكن ابن الاجماع على ان النار باقية ببقاء الجنة وان كلها في البقاء  
سواء ؟ وأما أدلة القول فلا مدخل لها في ذلك وان كان لابد من دخولها  
في من هذا الجانب كاذب كرناه واما قياس النار على الجنة فقد تقدم الفرق  
بينها من وجوبه عديدة . وكيف يقاس الغضب على الرحمة والعدل على  
الفضل والمقصود لغيره على المقصود لنفسه

الوجه الثامن عشر : انه لو لم يكن من الادلة على عدم أبداية النار إلا  
استثناؤه بحاله بمشيئته في موضعين من كتابه احدها قوله ( قال النار مثواكم  
خلدين فيها إلا ما شاء الله إن ربكم حكيم عليم ) فاها هنا مصدرية

وقتية وهو استثناء ما دل عليه الاول وهو كونها مثواهم بوصف الخلود  
 فلا بد أن يكون المستثنى مخرجًا مما دخل في المستثنى منه وهو خلودهم فيها  
 فلا بد أن يكون المستثنى مخالفًا لذلك اذ يمتنع تمامتها وتساويها وغايتها  
 ما يقال : أن المستثنى واقع على ما قبل الدخول لا على ما بعده وهو مدة  
 لبعضهم في البرزخ وفي مواقف القيامة ، وهذا لا يتأتى هاه هنا فان هذا قد  
 علم انتفاء الدخول في وقته قطعاً فليس في الاخبار به فائدة وهو عذر له  
 ان يقال : أنتم خالدون فيها أبداً إلا المدة التي كنتم فيها في الدنيا وهذا  
 ينزع عنه كلام الفصحاء البلاعاء فضلاً عن كلام رب العالمين وهو عذر له  
 ان يقال للميت : أنت مقيم في البرزخ إلا مدة بقائك في الدنيا وليس هذا  
 مثل قوله (لَا يَدْرُوْنَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) فان هذا استثناء منقطع  
 قصد به تقرير المستثنى منه وأنه عام محفوظ لا تخصيص فيه ، اذ من  
 الممتنع ان يكون تخصيص باستثناء فيعدل عن ذكره الى غير جنسه  
 ونظيره قوله : ما زاد إلا نقصاً فانه يفيد القطع بعدم زيادة وانه  
 ان كان ثم تغير فالنقصان وليس هذا مخرج قوله (خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا  
 مَا شَاءَ اللَّهُ) ولو اريد هذا القيل : لا يخرجون منها ابداً إلا مدة مقامهم  
 في الدنيا . فهذا يكون وزان قوله (لَا يَدْرُوْنَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى)  
 وكان يفيد ذلك تقرير عدم خروجهم منها . واما اذا قيل خالدين فيها إلا  
 ما شاء الله لا يخلدوا فان ذلك يعني ان لهم حالين : فان قيل : هذا ينبعض  
 عليهم بالاستثناء في اهل الجنة فان هذا وارد فيهم بعينه قيل : قد افترى

الاستثناء في أهل الجنة ما ينافي ذلك وهو قوله (عَطَّةً غَيْرَ مَجْدُودٍ)  
ولهذا والله اعلم عقب الاستثناء بهذار فعما لهذا التوهم وعقب الاستثناء في اهل  
النار بالا خبار بأنه يفعل ما يريد ولا حجر عليه سبحانه فيما يريد بهم من  
عذاب أو اخراج منه فان الامر راجع الى مشيئته وارادته التي لا تخرج  
عن عالمه وحكمته كما ثق بـ الاستثناء في سورة الانعام بقوله (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ  
عَلَيْهِمْ) فدل بذلك على انه ادخاهم النار بـ حكمته وعالمه بأنه لا يصلح لهم  
سواءها وله حـ كمة وعلم فيهم لا يبلغه العباد فـ ان اقتضت حـ كـ مـ تـ حـ كـ مـ فيـ هـ مـ فـ هـ مـ  
غير ذلك لم تـ قـ تـ سـ رـ عـ نـ هـ مـ شـ يـ ئـ تـ هـ مـ النـ اـ فـ دـ ةـ وـ قـ دـ رـ تـ هـ مـ التـ اـ مـ اـ ةـ . وـ مـ مـ يـ وـ ضـ حـ الـ اـ صـ  
في ذلك انه في آية الانعام خاطبـ هـ مـ بـ ذـ لـ كـ اـ مـ اـ مـ اـ فـ يـ النـ اـ ر~ ا~ م~ ا~ فـ مـ قـ وـ قـ فـ الـ قـ اـ مـ اـ مـ  
ولـ مـ يـ قـ يـ دـ مـ دـ اـ خـ لـ وـ دـ بـ دـ وـ دـ اـ مـ اـ وـ دـ اـ لـ اـ رـ دـ فـ قـ فـ الـ (وَيَوْمَ تَحْشِرُهُمْ جَيْعَانًا  
يَأْمُشُّهُنَّ حِلْنَ وَقَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْأَنْسِ وَقَالَ أُولَئِكُمْ مِنَ الْأَنْسِ رَبَّنَا  
اسْتَمْتَعْ بِعَضُّنَا بِعَضٍ وَبَلَغَنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَنْتَوْا كُمْ  
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ) فـ اـ مـ كـ نـ اـ انـ يـ كـ وـ نـ هـ دـ اـ  
الـ اـ سـ تـ هـ نـ اـ هـ مـ دـ مـ قـ اـ مـ هـ مـ فـ يـ الـ بـ رـ زـ خـ وـ فـ يـ مـ دـ مـ دـ الـ قـ اـ مـ اـ مـ وـ اـ مـ اـ نـ يـ قـ وـ لـ هـ مـ وـ شـ يـ فيـ النـ اـ رـ  
(الـ نـ اـ رـ مـ نـ وـ اـ كـ مـ خـ الـ لـ دـ يـ نـ فـ يـ هـ اـ لـ اـ مـ اـ شـ اـ اـ اـ لـ هـ) وـ هـ وـ يـ رـ يـ دـ مـ دـ لـ بـ هـ مـ فـ يـ الـ بـ رـ زـ خـ وـ فـ  
الـ مـ وـ قـ فـ هـ بـ هـ دـ اـ مـ قـ دـ عـ اـ مـ وـ شـ اـ هـ دـ وـ فـ اـ يـ فـ اـ ئـ دـ حـ صـ لـ اـ تـ فـ الـ اـ خـ بـ اـ  
الـ وـ جـ هـ تـ اـ سـ عـ شـ : قـ وـ لـ هـ وـ اـ ذـ خـ لـ قـ فـ لـ مـ كـ اـ فـ نـ السـ جـ وـ دـ لـ اـ دـ وـ قـ دـ  
عـ لـ مـ اـ نـ يـ اـ عـ صـ يـ هـ فـ يـ قـ اـ لـ لـ هـ : كـ فـ بـ هـ جـ هـ لـ اـ وـ لـ مـ اـ اـ نـ سـ مـ يـ اـ مـ رـ وـ طـ اـ عـ تـ هـ  
الـ تـ يـ هـ يـ قـ رـ ةـ الـ عـ يـ وـ حـ يـ اـ ظـ النـ فـ وـ سـ تـ كـ لـ يـ فـ اـ وـ وـ تـ كـ لـ يـ فـ إـ لـ زـ اـ مـ الغـ يـ بـ اـ

يشق عليه ويكرهه ولا يحبه كما يقول القائل : لا أفعل هذا إلا تكالما  
ولا دين أن هذا لما كان كامنا في قلبك ظاهر أثره في امتناعك من الطاعة  
ولو علمت أن أمره سبحانه هو غاية مصالحة العبد وسعادته وفلاحته وكماله  
لم تقل أنه كلفك بالسجود ولعلمت أنه أراد به مصالحتك ورحمتك وسعادتك  
الابدية وقد سعى الله تعالى بأمره عهوداً ووصايا ورحمة وشفاءً ونوراً وهدى  
وحياة قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالسَّمَحِيمُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا  
يُحِبُّكُمْ ) فتأمل الفرق بين هذا الخطاب وبين قول القائل أنه دعاء بأمره  
إلى تكليف ما لا يطقونه ولا يقدرون عليه لا لحمة ولا مصالحة ولا  
لصفة حسنة في الأمر نقتفي دعاءهم إليه ولم يأمرك حاجة منه إليك ولا عيشا  
ولا سدى وكأنك لم تعرف أن اوامر درجة ونعمه ومصالحة ونواهيه حمية  
وصایا وحفظها وهل وفق الصواب من أمره سيده بأمره ينفذه فقال له  
لم امرني بذلك وهلا تركتني ولم تأمرني فلن اضل من هذا العبد سبيلا  
الوجه العشرون : انه سبحانه لما كان يعلم منك من الخبر والشر  
الكامن في نفسك ما لا يعلمه غيره وكان ذلك موجبا لمقته لك ولم يكن  
يجري عليك ما تستحقه بتجدد عالمه السابق قبل من غير ان تظهر الملائكة  
ما يحمد به ويثني عليه ويعذر به اذا طردك عن قربه وآخر جلك من جنته  
فأمرك بأمره خرج منك الداء الدفين بعقابته بالمعصية ومنازعته سبحانه  
رداء الكبرباء فلستخرج امره منك الكفر الخبيث والداء الدوى وقام عذرها  
في نفوس أولائه وملائكته بما اصابك من لعنته وجري عليك من نكاله

وعقوبته وصرت في ذلك اماماً لمن كان حالك فهذا من بعض حكمه  
 في أمره لمن علم انه لا يطيعه فانه لو عذبه وطرده ما يعame منه من غير ان  
 يظهر غيره لوجده وغيرة! قوله سيدلا وقال لو أمرتني لا أطعتك ولكن  
 عذبني قبيل ان تخبرني ولو جربتني لوجدتني سامعاً مطاعباً من تمام حكمته  
 ورحمته انه لا يعذبه بمعصيته حتى يدعوه الى الرجوع اليه مرة بعد مررة حتى اذا  
 استحكم اباءه ومعصيته ولم يبق القول فيه مطعم ولا لمواعظه فيه تأثير وايس  
 منه حق عاليه القول وظهر عذر من عذبه لاخلايقه ، وحمده وكالة المقدس  
 قال مختصره محمد بن الموصلی عَنِ اللَّهِ عَنْهُ وَهَذَا الْوَجْهُ أَحْسَنُ مِنَ الْوَجْهِ  
 الأول واصوب والله تعالى اعلم

الوجه الحادى والعشرون : قوله واذا ايدت السجود له فلم طردني وذنبي  
 اني لم ار السجود لغيره فيقال لعدوا الله هذا تلبيس ائمماً يروج على اشباه  
 الانعام من اباءك حيث اوهمتهم انك ترك السجود لآدم تعظيم الله  
 وتوحيد الله وصيانته لعزته ان تسجد لغيره بخازاً على هذا الاجلال والتنظيم  
 بغاية الاهانة والطرد وهذا أمر لم يخطر ببالك ولم تتعذر به الى ربك واما  
 كان الحامل لك على ترك السجود الا الكبر والكفر والنحوة الابليسية ولو كان  
 في نفسك التعظيم والاجلال لله وحفظ جانب التوحيد ثم لك على المبادرة الى  
 طائفة وهل التعظيم والاجلال الا في امثال امره ؟ ولقد قام لك من اخوانك  
 اصحاب يحامون عنك وينخاصمون ربهم فيك وينتوحون عليك اعتذاراً عنك  
 ونظاماً من ربك كما فعل صاحب تفليس ابليس في كتابه فاته يقول فيه

ما ترعد منه قلوب اهل الاعان فرقا وتعظيم الله من الاعتذار عنك وان  
ما فعلته هو وجه الصواب اذغرت على التوحيد ان يحملك على السجود لغيره  
وانك لم تزل رأس الحبيبين قائدا المطهرين ولكن  
اذا كان الحب قليل حظ « فا حسناه إلا ذنب  
ويا الله لقد قال هذا الخليفة منك والولي لك ما لم تستحسن ان تقوله  
لربك ولا تظننه فيه

الوجه الثاني والعشرون : قوله واذقد أبعدني وطردني فلم سلطني على آدم  
حتى دخلت اليه واغويته فيها فيقال له هذا تليس منك على من لا علم له  
بكيفية قصتك خلق الله تعالى آدم وقد علم سبحانه انه مخلقه ليجعله خليفة  
في الارض ويختلف اولاده الى ان يرثها ومن عليها او لم يكن سبحانه لينزله  
إلى الارض بغير سبب ذنه الحكيم في كل ما يأمر به ويقدره ويقضيه فما ياخ  
لآدم جميع ما في الجنة وهي عنه شجرة واحدة وقد وكل الله تعالى بكل  
واحد من البشر قرينا من الشياطين ل تمام حكمته التي لا جلها خلق الجن  
والانس وكنت انت قرين الاب ل تمام الابتلاء فاقتضت حكمته وحمده  
سبعينه ان يبتلي بالابوين لسعادة تها وعاصم شقوتك تغلى بينك وبين الوسوسه  
لهما ينفذ قضاه وقدره السابق فيك وفيها وفي الذريه واذا كان سبحانه قد  
اجرى ذريتك من ذريته مجرى الدم امتحانا لهم وابتلاء فهكذا امتحن بك  
الابوين مدة حياتهم فلم تكن لنفارقها إلا بالموت كحال ذريتك مع ذريتها

\* \* \* \*

﴿ تم بعون الله تعالى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ﴾

**فخر سریع**

الجزء الاول من مختصر الصواعق المرسلة على الجماعة والمعطلة

صفحة

- ٢ فرجمة المؤلف
- ٨ خطبة الكتاب
- ١٠ فصل : في بيان حقيقة التأويل لغة واصطلاحا
- ٢١ فصل : تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات الخ
- ٤٣ فصل : في تعجيز المتأولين عن تحقيق الفرق بين ما يسوغ تأويله من آيات الصفات وآحاديتها وما لا يسوغ
- ٢٧ فصل : في إزامهم في المعنى الذي جعلوه تأويلاً نظير ما فروا منه
- ٢٩ فصل : قال الجهمي ورد في القرآن ذكر الوجه والأعين والعين الواحدة الخ
- ٤٨ فصل : في الوظائف الواجبة على المتأول
- ٥٠ فصل : في أن قصد المتكلم من الخطاب حل كلامه على خلاف ظاهره الخ
- ٥٥ فصل : في بيان أنه مع كمال علم المتكلم وفضحته وبيانه ونصحه يتنفع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقةته .
- ٥٩ فصل : في بيان أن تيسير القرآن للذريني في حمله على التأويل المخالف لحقيقةته وظاهره
- ٦١ فصل : أشغال الكتب الالهية على الآباء والصفات أكثر من اشتغالها على ماعداها
- ٦٦ فصل : في بيان ما يقبل التأويل من الكلام وما لا يقبله

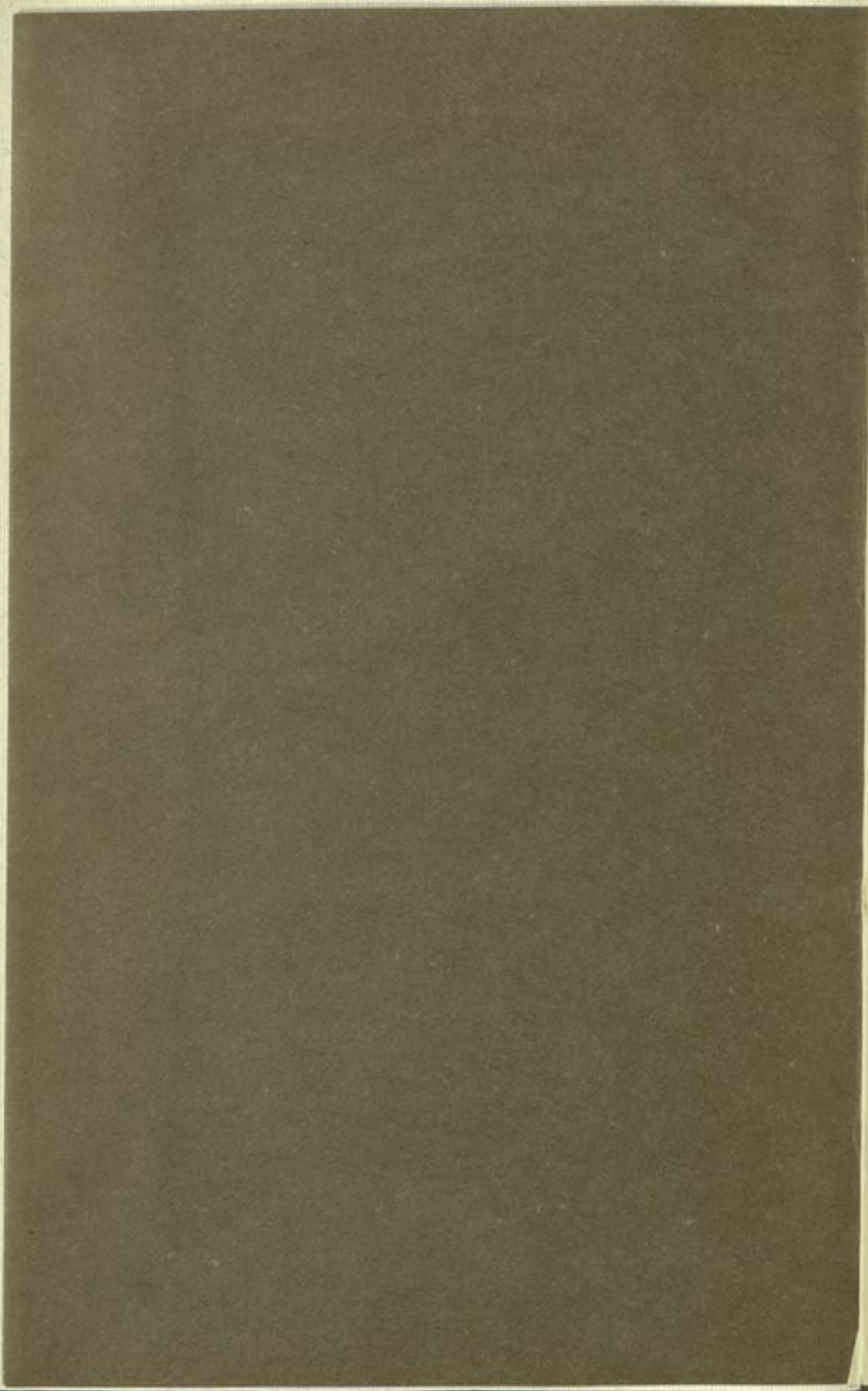
صحيحة

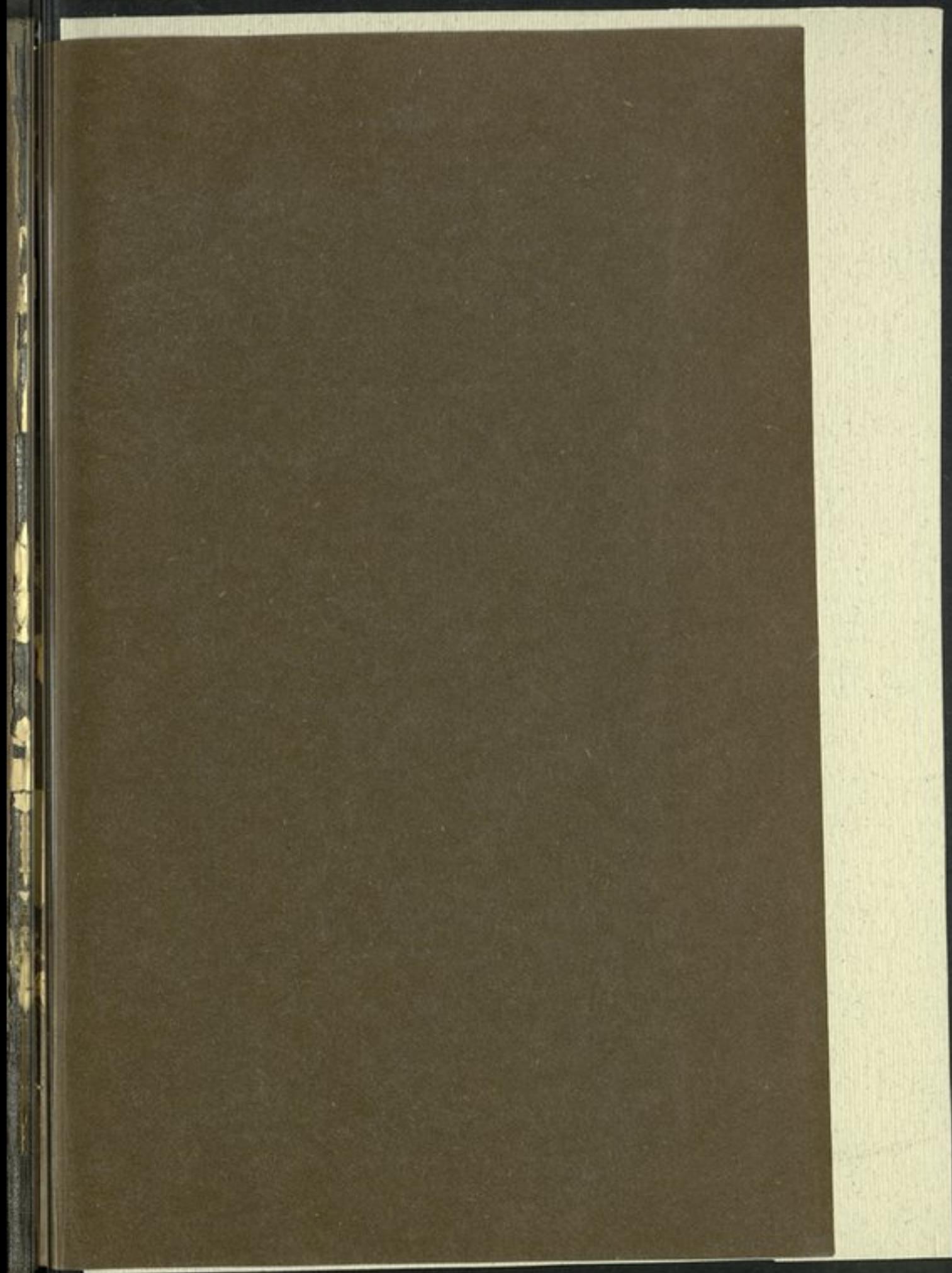
- ٧٣ فصل : في بيان انه لا يأتي المغطل للتوحيد العلمي ان الخبر يتأويل الا امكن المشرك المغطل للتوحيد العلمي ان يأتي بتأويل من جفه
- ٧٩ فصل : في اقسام الناس في نصوص الوحي الى اصحاب تأويل . وتخيل . وغشيل . وتجهيل . وأصحاب سوء السبيل .
- ٨٧ فصل : قبول التأويل له اسباب .
- ٩١ فصل : في بيان ان اهل التأويل لا ينكرون اقامة الدليل السمعى على مبطل ابداً <sup>الخ</sup> وفي هذا الفصل بيان كسر الطاغوت الاول :
- ١٢٩ كسر الطاغوت الثاني
- ١٨١ فصل : ومن ذلك لفظ العدل جعلته القدرة اسماً لانكار قدرة الرب على افعال العباد وخلقهم لها ومشيئته
- ١٩٩ فصل : وأما المتكلمون فلما رأوا بطلان هذه الطريق عدلوا عنها الى طريق الحركة والسكن <sup>الخ</sup>
- ٢٧٠ فصل : اخبر الناس بمقولات الفلسفه ، قد حكى اتفاق الحكماء على ان الله والملائكة في السماء ، كما اتفقت على ذلك الشرائع <sup>الخ</sup>
- ٢٧١ فصل : ثم انه سبحانه لم قبل الاشارة الحسية كما اشار اليه النبي صلي الله عليه وسلم حسناً باضبعه يشهد الجم الاعظم <sup>الخ</sup>
- ٢٧٣ فصل : يقال هل للرب ماهية متميزة عن سائر الماهيات بختص بها ذاته ، أم قولون لا ماهية له ؟ <sup>الخ</sup>
- ٢٧٤ فصل : يقال ذاته سبحانه اما ان تكون قابلة للعلو على العالم اولاً تكون قابلة <sup>الخ</sup>
- ٢٧٥ فصل : الجمجمة المغطلة معترفون بوصفه تعالى بعلو القهر والقدر <sup>الخ</sup>

- ٢٧٧ فصل : هذه الحجة العقلية القطعية وهي الاحتجاج بكون الرب قائمًا بنفسه على كونه مبaitنا للعالم الخ
- ٢٧٨ فصل : القيام بالنفس صفة كمال الخ
- ٢٧٩ فصل : كل من اقر بوجود رب للعالم مدبر له لزمه الاقرار بمبaitته خلقه وعلوه عليهم الخ
- ٢٨٠ فصل : ثبت بالعقل امكان رؤيته تعالى وبالشرع وقوعها في الآخرة الخ
- ٢٨٩ فصل : في ذكر حججة الجبهي على انس بن سحانه لا يرضى ولا يغضب الخ والجواب عنها
- ٣١٨ فصل : واما ما احتاج به الجبرية من قوله تعالى (لا يسئل عما يفعل) الخ
- ٣٢٠ فصل : واما قوله في حديث ابن مسعود (ماض في حملك ، عدل في قضاؤك) الخ
- ٣٢٢ فصل : ذروا الارواح الذين يلتحقهم اللذة والآلام اربعه اصناف الخ .
- ٣٣٠ فصل . اختلف الناس في العقوبة الخ
- ٣٣١ فصل : وكذلك قوله في حديث : « ان الله لوعذب اهل سداواته ، وارضه لذنبهم وهو غير ظالم لهم » الخ
- ٣٣٦ فصل : فان كنف علمك عن هذا ولم يتسع له عقلك فاذ كر النعم وما عليها الخ
- ٣٣٩ فصل : اعلم ان من اعظم حكمة الرب خلق الضدين الخ
- ٣٤٢ فصل : ان كمال العبودية ائمَا يظهر عند المعارضه الخ
- ٣٥٧ فصل : ومن عده سبحانه انه لا يزيد احداً في العذاب على القدر الذي يستحقه الخ
- ٣٦٢ فصل : ان الذين قالوا عذاب الكفار مصلحة لهم ورحة حاموا حول هذا المعنى الخ

يقول مصححه الفقير الى الله تعالى خادم الكتاب والسنّة محمد  
حامد بن سيد احمد الفقي غفر الله له . قد قلت بتصحيح هذا الجزء الاول  
من كتاب مختصر الصواعق المرسلة حسب الطاقة على ما في النسخة من  
سقم شديد في الخط والنحو ، وعدم وجود نسخة اخرى يرجع اليها . ولا بد  
أن يكون قد وقع بها بعض اغلاط يمكن تداركه اذا روجعت على نسخة  
اخري او بفطنة القارئ . ومن وجد شيئاً من ذلك فليعذر ويتجاوز  
والله يغفو عن الجميع بكرمه

ونشكر حضرة الاجل الشیخ محمد حسین نصیف اذ نبهنا على خطأ  
وقد وقع في هامش صفحه ٥٩ اذ قلت اذن الشیخ عبد الله بن تیمیة هو شیخ  
الاسلام احمد بن تیمیة ، وصحیح ذاك اذن الشیخ عبد الله هو اخو شیخ  
الاسلام احمد وکان شیخ الاسلام احمد من شیوخ ابن القیم أيضاً وله  
برجه في جلاء العینین للسيد الالوی رحمه الله تعالى



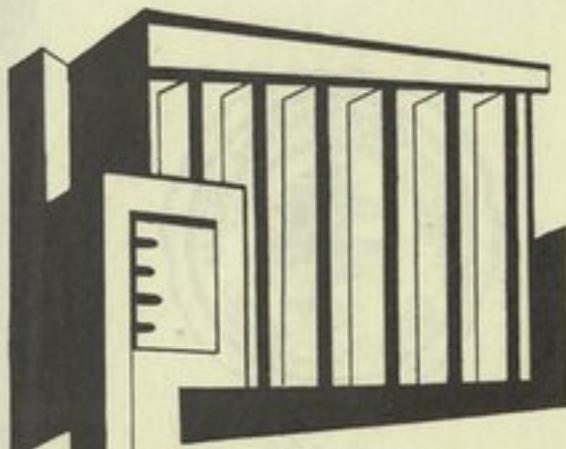


297.3:136mA:v. I:c.2

ابن قيم الجوزية، ابو عبد الله محمد بن  
مختصر الصراط على المرسلة من الجهم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

21008181



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

٢٣٦١٧٤٩٥